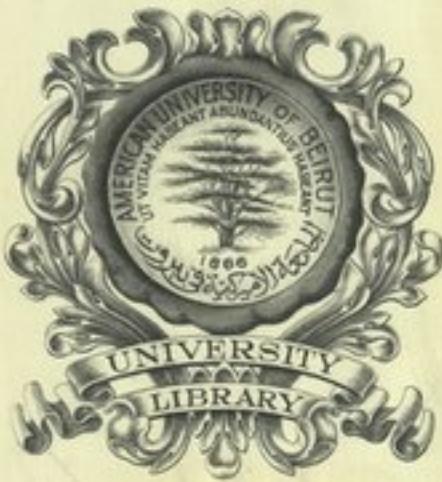
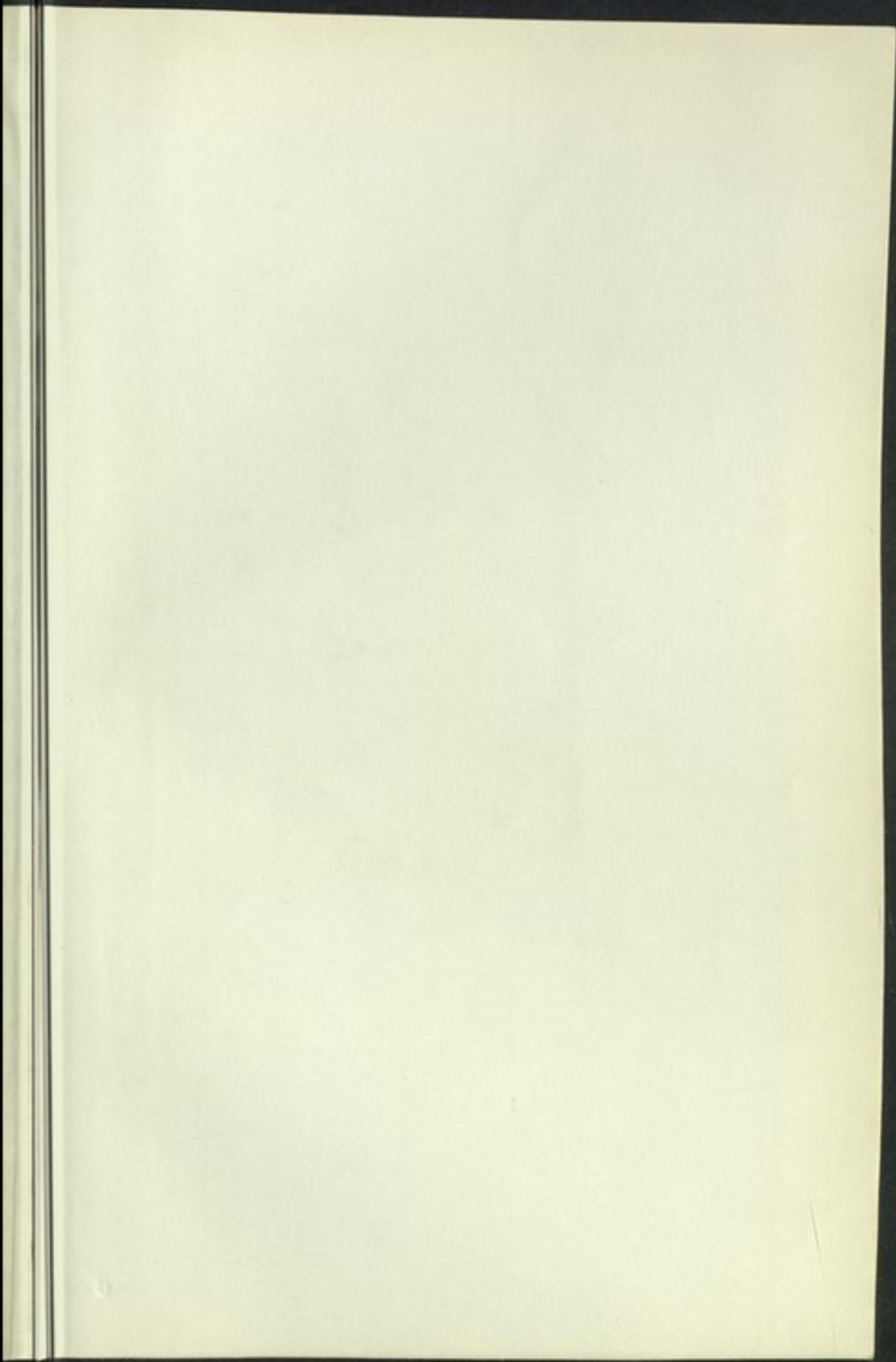


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

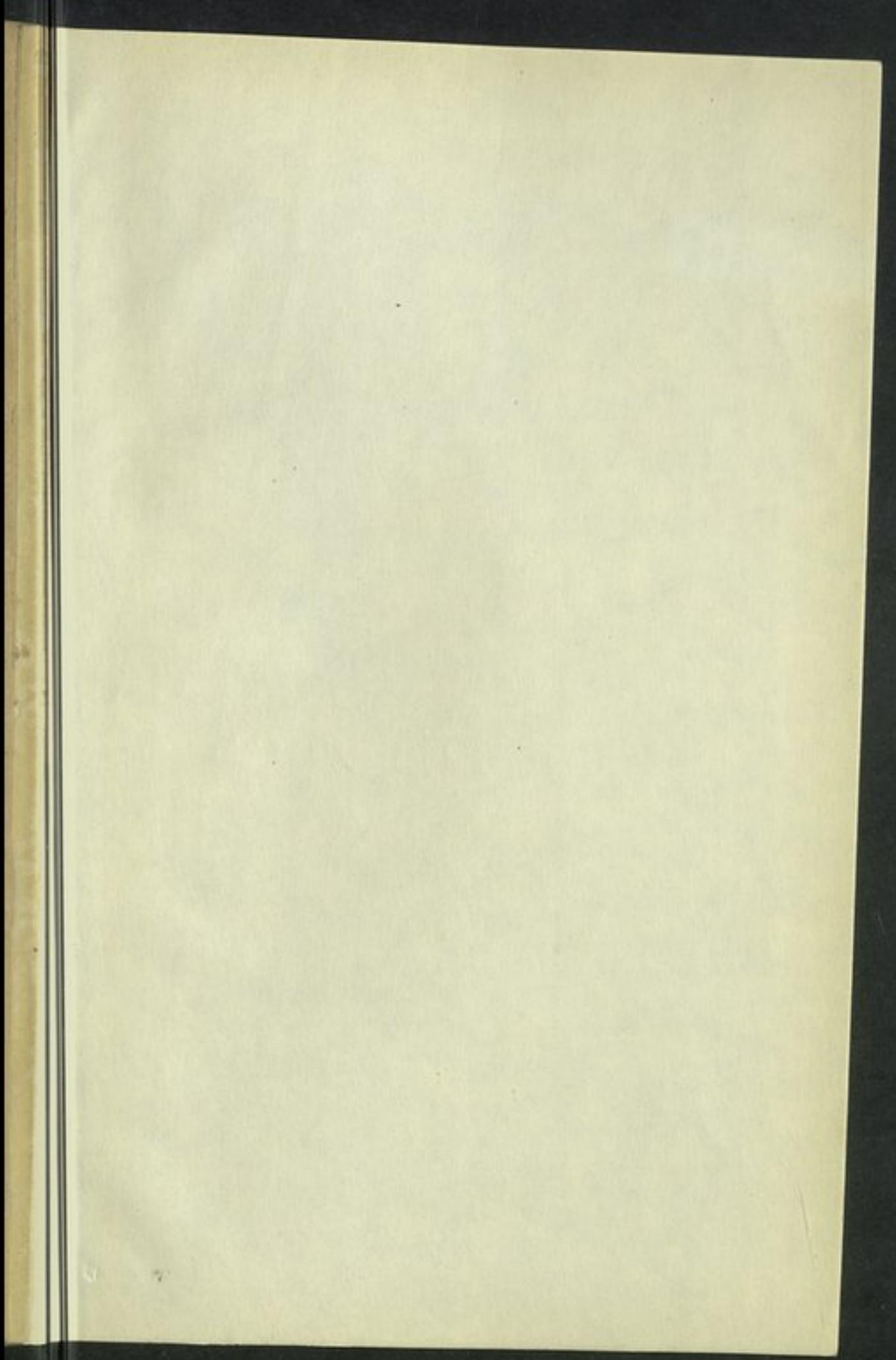


CCW



١٨ << = حركة النسق

٢٨ < = ذكر سكون الأرض .



297,3
I136ma A
v.1
c.1

- الجزء الاول منه كتاب -

﴿ مفتاح دار السعادة - ومنتور ولاية العلم والاراده ﴾

تأليف

الامام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن
قيم الجوزي قدس الله روحه أزكيه

قال صاحب كشف الغلوون (مفتاح دار السعادة) لاشيخ شمس
الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيي الدمشقي المتوفي
سنة ٧٥١ ٠٠ كتاب كبير الحجم . فيه فوائد مرسلة يقتبس من مجموعها
معرفة العلم وفضله ومعرفة إثبات الصانع ومعرفة قدر الشريعة ومعرفة
النبي ومعرفة الرد على المتجهين ومعرفة العترة والفال والزجر
ومعرفة أصول نافعة جامعه مما تكمل به النفوس البشرية الى غير
ذلك من الفوائد

صحح هذا الاصول على نسختين أولاهما وردت لنا من صاحب
القضية شاعرها علامه العراق آلوسى زاده السيد محمود شكري
أفدي حفظه الله تعالى وعلیها علامه المقابلة بخطه . وتألیفها أحضرناها
من دار السعادة العالية

طبعه الأولى -

(على نفقة احمد ناجي الجمالى و محمد أمين الحانجى وأخوه)

سنة ١٣٢٣ هجرية

« طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر » لصاحبها محمد اسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سهل لعباده المتنين الى مرضاته سبيلا . وأوضح لهم طرق الهدایة
 وجعل اتباع الرسول عليها دليلا . والأخذهم عبداً له فاقرروا له بالاعبودية ولم يخذلوا من
 دونه وكيلا . وكتب في قلوبهم الایمان وأيدهم بروح منه لما رضوا بالله ربا وبالاسلام
 ديناً وبمحمد رسولاً . والحمد لله الذي أقام في أزمته الفرات من يكون بيان سنن
 المرسلين كفيلاً . واختص هذه الامة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من
 خذ لهم ولا من خالفهم حق يأتني أمره ولو اجتمع النقاد على خزيهم قبيلاً . يدعون
 من خل الي الهدى ويصبرون منهم على الاذى ويبصرون بنور الله أهل العمى ومحيون
 بكتابه الموتى فهم أحسن الناس هدياً وأقوتهم قبلاً . فكم من قتيل لا يابس قد أحبوه .
 ومن ضال جاهاً لا يعلم طريق رشده قد هدوه . ومن مبتدع في دين الله بشبه الحق
 قد رموه . وجهاه في الله وابتغاء مرضاته . وبياناً لحججه على العالمين وبيناته . وطلبنا
 لازلنـى لدـيه ونـيل رضوانـه وجنـاته . خارـبـوا في الله من خـرجـ عن دـيـنهـ القـوـسـ وصـراـطـهـ
 المستقـيمـ . الـذـينـ عـقـدواـ أـلـوـيـةـ الـبـدـعـةـ وـأـطـلـعـواـ أـعـنـةـ الـفـتـنـةـ وـخـالـفـواـ الـكـتـابـ وـاـخـتـافـواـ فـيـ
 الـكـتـابـ وـاتـفـقـواـ عـلـىـ مـفـارـقـةـ الـكـتـابـ وـبـنـذـوـهـ وـرـاءـ ظـهـورـهـ وـارـضـواـ غـيـرـهـ مـنـ بـدـيـلاـ .
 أـحـدـهـ وـهـوـ الـحـمـودـ عـلـىـ كـلـ مـاـ قـدـرـهـ وـقـضـاهـ . وـأـسـتـعـانـهـ اـسـتـعـانـةـ مـنـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـأـرـبـ لـهـ غـيـرـهـ .
 وـلـإـلـهـ لـهـ سـوـاـ . وـأـتـهـدـيـهـ سـبـلـ الـذـينـ أـنـمـ عـلـيـمـ مـنـ اـخـتـارـهـ لـقـبـولـ الـحـقـ وـارـضـاهـ .
 وـاشـكـرـهـ وـالـشـكـرـ كـفـيلـ بـالـمـزـيدـ مـنـ عـطـاـيـاهـ . وـأـسـتـغـفـرـهـ مـنـ الذـنـوبـ الـتـيـ تـحـولـ بـيـنـ الـقـابـ
 وـهـدـاءـ . وـأـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ شـرـ نـفـسـيـ وـسـيـآـتـ عـمـلـهـ . عـبـدـ فـارـقـ الـرـبـ بـذـنـوبـهـ
 وـخـطاـيـاهـ . وـأـعـتصـمـ بـهـ مـنـ الـأـهـوـاءـ الـمـرـدـيـةـ وـالـبـدـعـ الـمـضـلـةـ . فـاـخـابـ مـنـ أـصـبـحـ بـهـ مـعـتـصـماـ
 وـبـحـمـاءـ نـبـلاـ . وـأـتـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ شـهـادـةـ أـشـهـدـهـاـ مـعـ الشـاهـدـينـ .
 وـأـخـمـلـهـاـ عـنـ الـجـاحـدـينـ . وـأـدـخـرـهـاـ عـنـدـ اللـهـ عـدـةـ لـيـومـ الدـيـنـ . وـأـشـهـدـ أـنـ الـحـالـالـ
 مـاـ حـالـلـهـ وـالـحـرـامـ مـاـ حـرـمـهـ وـالـدـيـنـ مـاـ شـرـعـهـ . وـانـ السـاعـةـ آـتـيـةـ لـارـبـ فـيـهاـ وـانـ اللـهـ يـبـعـثـ
 مـنـ فـيـ الـقـبـورـ . وـأـشـهـدـ أـنـ مـحـمـدـ عـبـدـ الـمـصـلـنـ وـنـبـيـ الـمـرـتـفـىـ وـرـسـوـلـ الـصـادـقـ الـمـصـدـوقـ
 الـذـيـ لـاـ يـنـطـقـ عـنـ الـهـوـيـ أـنـ هـوـ الـأـوـحـيـ بـوـحـيـ . أـرـسـلـهـ رـحـمـةـ الـعـالـمـينـ . وـسـجـنـةـ لـالـكـلـكـينـ

وحجة على العباد أجمعين • أرسله على حين فترة من الرسل فهدي به الى أقوم العطرق • وأوضح السبل • وافتراض على العباد صاعته • وتعظيمه وتوفيره وتجليله • والقيام بمحقوقه وسدّ اليه جميع العطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه • فشرح له صدره ورفع له ذكره وعلم به من الجهة والبصرة من العمي • وأرشد به من النبي • وفتح به أعينا عميا • وأذانا صها وقلوبا غلفا • فلم ينزل صلى الله عليه وسلم قائمًا بأمر الله لا يرده عنه راد • داعيا الى الله لا يصدّه عنه صاد • الى ان أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتآلفت القلوب بعد شتاها وسارت دعوته سير الشمس في الاقطار • وببلغ دينه ما بلغ الميل والنهار • فلما أكمل الله به الدين • وأتم به النعمه على عباده المؤمنين • استأنبه ونفعه الى الرفيق الاعلى من كرامته • والخلل الارفع الاسنى من أعلى جنانه • ففارق الامة وقد تركها على الحجۃ البيضاء التي لا يزيف عنها الا من كان من الظالمين • فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين • صلاة دائمة بدوام السموات والارضين • مقیمة عليهم أبدا لانزوم انتقاما عنهم ولا تحيوا لا

(أما بعد) فان الله سبحانه لما أهبط آدم أبا البشر من الجنة ماله في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والالسن عن صفتتها فكان إهاباته منها عين كماله ليعود اليها على أحسن أحواله فأراد سبحانه ان يذيقه وولده من نصب الدنيا وغمومها وغمومها وأوصابها ما يعظم به عندهم مقدار دخولهم اليها في الدار الآخرة فان الفند يظهر حسته الفند ولو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها * وأيضا فانه سبحانه أراد أصرهم ونهيهم وابتلاهم والختارهم ولبس الجنة دار تكليف فاهبواهم الى الارض وعرض لهم بذلك لأفضل التواب الذي لم يكن ليتأتى بدون الامر والنهي * وأيضا فانه سبحانه أراد ان يستخد منهن أسماء ورسلًا وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه خلي بينهم وبين أعدائهم وامتحنهم بهم فلما آتزوهونا أنفسهم وأموالهم في مرضاته ومحابيه نالوا من محنته ورضوانه والقرب منه ملما يكتن لبيان بدون ذلك أصلًا فدرجة الرسالة والتبوء والشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عنده من أفضل الدرجات وما يكتن هذا الاعلى الوجه الذي قدره وقضاه من إهاباته الى الارض وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها * وأيضا فانه سبحانه له الاسم الحسنى فلن أسمائه الغفور الرحيم العفو الحليم الحافض الرافع المعن المذل الحبي المعميت الوارث الصبور ولا بد من ظهور آثار هذه الاسماء * فاقتضت حكمته سبحانه أن ينزل آدم وذراته دارا يظهر عليهم فيها أثر اسمائه الحسنى فيغير فيها مان يشاء ويرجم من يشاء ويختفى من يشاء ويرفع من يشاء ويعز

من يشاء ويدل من يشاء وينقم من يشاء ويعلق ويعن ويحيط الى غير ذلك من ظهور
 اثر اسمائه وصفاته * وأيضا فانه سبحانه الملك الحق المبين والملك هو الذي يأمر ويرسل
 وينبئ ويعاقب ويهين ويكرم ويعز ويدل فاقتضى ملكه سبحانه أن أنزل آدم وذراته دارا
 تجري عليهم فيها أحكام الملك ثم ين詩هم الى دار يتم عليهم فيها ذلك * وأيضا فانه سبحانه
 أنزط الى دار يكون ايمانهم فيها بالغيب والإيمان بالغيب هو الإيمان النافع وأما الإيمان
 بالشهادة فكل أحد يوم القيمة يوم لا ينفع نفس الايمانها في الدنيا فلو خلقوا في دار
 النعيم لم ينالوا درجة الإيمان بالغيب والذلة والكرامة الحاسدة بذلك لا تحصل بذاته
 بل كان الحاسد لهم في دار النعيم لذة وكراهة غير هذه * وأيضا فان الله سبحانه خلق
 آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض والارض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن
 والكرم والاشيم فعلم سبحانه أن في ظهره من لا يصلح لاماكنه في داره فأنزله الى دار
 استخرج فيها الطيب والخبيث من صلبه ثم ميزهم سبحانه بدارين فجعل الطيبين أهل
 جواره ومساكنه في داره وجعل الخبيث أهل دار الشقاء دار الخبيثاء * قال الله تعالى
 (لَيُبَرِّزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الظَّلَبِ وَيَجْعَلُ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيُرَكِّمَهُ جَيْعاً فَيَجْعَلُهُ
 فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فلما علم سبحانه أن في ذريته من ليس بأهل مجاورته
 أنزط دارا استخرج منها أولئك وألحقهم بالدار التي هم لها أهل حكمة بالغة ومشيئة
 نافذة ذلك قدير العزيز العليم * وأيضا فانه سبحانه لما قال للملائكة (أني جاعل في
 الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وتخن نسبك محمدك
 ونقدس لك) أجابهم بقوله (أني أعلم مالا تعلمون) ثم أظهر سبحانه عالمه لعباده ولملائكته
 بما جعله في الارض من خواص خلقه ورسله وأبيائه وأوليائه ومن يتقرب اليه ويبذل
 نفسه في مجده ومرضاته مع مجاهدة شهوته وهواء قبرك محبوباته تقربا اليه ويترك شهواته
 ابتغاء مرضاته ويبذل دمه ونفسه في محبيه وأخصه بعلم لا تعلمونه يسبح بمحمي آثاره
 الليل وأطراف النهار ويعبدني مع معارضات الهوى والشهوة والنفس والعدو إذ تعبدوا
 في أنت من غير معارض يعارضكم ولا شهوة تعتريكم ولا عدو أسلطه عليكم بل عبادكم
 لي بزلة النفس لاحدهم * وأيضا فاني أريد ان أظهر ما خفي عليكم من ذات عدو
 ومحاربته لي وتکبره عن أمرى وسعيه في خلاف مرضاته وهذا وهذا كانا كامنين
 مستترین في أبي البشر وأبي الجن فأنزلتهم دارا أظهر فيها ما كان الله سبحانه متفردا
 بعلمه لا يعلمه سواه وظهرت حكمته وتم أمره وبدأ للملائكة من عالمه ما لم يكونوا
 يعلموه * وأيضا فانه سبحانه لما كان يحب الصابرين ويحب الحسينين ويحب الذين يقاتلون

في سبيله صفا ويحب التوابين ومحب المنظرين ومحب الشاكرين وكانت محبتة أعلى أنواع الكرامات اقتنست حكمته أن لُسْكَنَ آدم وبنيه داراً يأتون فيها بهذه الصفات التي يتناولون بها أعلى الكرامات من محبتة فكان إِنْزَاطُمُ الْأَرْضِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) * وأيضاً فانه سبحانه أراد أن يتخذ من آدم ذريعة باليهم وبيدهم ومحبهم ومحبونه فمحبته له هي غاية كلامهم ونهاية شرفهم ولم يكن تحقيق هذه المرتبة السندة إلا بواقة رضاه واتساع أمره وترك ارادات النفس وشهواتها التي يكرهها محبوبهم فأذلهم داراً امرهم فيها ونمائهم فقاموا بأمره ونهيه فالوا درجة محبته له فأذلهم درجة جهه ياهم وهذا من تمام حكمته وكمال رحمته وهو البر الرحيم * وأيضاً فانه سبحانه لما خلق خلقه أطواراً وأصنافاً وسبق في حكمه تفضيله آدم وبنيه على كثير من مخلوقاته جعل عبوديته أفضل درجاتهم أعلى العبودية الاختيارية التي يأتون بها طوعاً واختياراً لا يكرهها وانصرافاً * وقد ثبت أن الله سبحانه أرسل جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بين أن يكون ملكانياً أو عبدانياً فنظر إلى جبريل كالمتشير له فأشاد به أن تواضع فقال بل أن أكون عبدانياً فذكره سبحانه باسم عبوديته في اشرف مقاماته في مقام الإسراء ومقام الدعوة ومقام التحدى فقال في مقام الأسراء (سبحان الذي أسرى بيده ليلاً) ولم يقل برسوله ولا فيه اشارة إلى أنه قام هذا المقام الأعظم بكل عبوديته لربه وقال في مقام الدعوة (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً) وقال في مقام التحدى (وان كتم في رب ما زلت على عبدنا فأنـوا بسورة من مثله) وفي الصحيحين في حديث الشفاعة وترابع الأربعاء فيها وقول المسيح صلى الله عليه وسلم اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فدل ذلك على انه نال ذلك المقام الأعظم بكل عبوديته لله وكمال مغفرة الله له وإذا كانت العبودية عند الله بهذه المنزلة اقتنست حكمته أن لُسْكَنَ آدم وذرته داراً يتناولون فيها هذه الدرجة بكل طاعتكم الله وتقربهم اليه سبحانه وترك مأولو فاتهم من أجله فكان ذلك من تمام نعمته عليهم واحسانه اليهم * وأيضاً فانه سبحانه أراد أن يعرف عباده الذين أنعم عليهم تمام نعمته عليهم وقدرها ليكونوا أعظم محبة وأكثـر شكرـاً وأعظم التذاذـا بما أعطـاهم من النعـم فـأـراـهـمـ سـبـحـانـهـ فـعـلـهـ بـأـعـدـائـهـ وـمـاـ أـعـدـهـ لـهـ مـنـ العـذـابـ وـأـنـوـاعـ الـآـلـامـ وـأـشـهـدـهـ مـخـايـصـهـمـ مـنـ ذـلـكـ وـتـخـصـيـصـهـمـ بـأـعـلـىـ أـنـوـاعـ النـعـمـ لـيـزـادـ سـرـورـهـ وـتـكـلـ غـبـطـهـ وـيـعـظـمـ فـرـحـهـ وـتـمـ لـذـهـمـ وـكـانـ ذـلـكـ مـنـ إـنـعـامـ إـلـيـعـامـ عـاـيـهـ وـمـحـبـهـهـ وـمـ يـكـنـ بـذـكـرـ ذـلـكـ مـنـ إـنـزـاطـ الـأـرـضـ

وامتحانهم واختبارهم وتوفيق من شاء منهم رحمة منه وفتلا وخدلان من شاء منهم حكمة منه وعدلا وهو العاليم الحكيم ولا ريب أن المؤمن اذا رأى عدوه ومحبوبه الذى هو أحب الأشياء اليه فى أنواع العذاب والآلام وهو يتقلب فى أنواع النعيم والذلة ازداد بذلك سروراً وعظمت لذته وكانت نعمته وأيضاً فانه سبحانه اناخافق الخلق لعبادته وهي الغاية منهم قال تعالى (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) ومعلوم ان كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل فى دار النعيم والبقاء انما يحصل فى دار الحنة والابتلاء وأما دار البقاء فدار الذلة ونعم لدار ابتلاء وامتحان وتتكلف وأيضاً فانه سبحانه افتقضت حكمته خلق آدم وذرته من تركيب مستلزم لداعى الشهوة والفتنة وداعى العقل والعلم فانه سبحانه خلق فيه العقل والشهوة ونصبهما داعيين بمقتضياتهما ليتم مراده ويظهر اعباده عنده في حكمته وجبروتة ورحمته وبره ولعله في سلطانه وملكه فاقضت حكمته ورحمته أن أذاق أباهم وبيه مخالفته وعرض ما يحيى عوائق اجابة الشهوة والطوي ليكون أعظم حذراً فيها وأشد هروباً وهذا كمال رجل سائر على طريق قد كنست الأعداء في جنباته وخلفه وأمامه وهو لا يشعر فإذا أصبه منها مرة بمصيبة استعد في سيره وأخذ أحبة عدوه وأعد له ما يدفعه ولو لا أنه ذاق ألم اغارة عدوه عليه وتيته له لما ساحت نفسه بالاستعداد والخذر وأخذ العدة فمن تمام نعمة الله على آدم وذرته أن أوراهم ما فعل العدو بهم فاستعدوا له وأخذوا أحنته وإن قيل كان من الممكن ان لا يسلط عليهم العدو قيل قد تقدم انه سبحانه خلق آدم وذرته على بنية وتركيب مستلزم خالقهم لعدوهم وأبتلائهم به ولو شاء خلقهم كالملاشكة الذين هم عقول بلا شهوات فلم يكن لعدوهم طريق إليهم ولكن لو خافقوا هكذا لكانوا خلقة آخر غير بي آدم فان بي آدم قد ركبوا على العقل والشهوة وأيضاً فانه لما كانت محنة الله وحده هي غاية كمال العبد وسعادته التي لا يكال لها ولا سعادة بدونها أصلاً وكانت المحنة الصادقة انما تتحقق بابشار المحبوب على غيره من محبوبات النقوس واحتلال أعظم المشاق في طاعته ومرضااته في هذا تتحقق المحنة ويعمل نبوتها في القلب افتقضت حكمته سبحانه اخراجهم الى هذه الدار المخوفة بالشهوات ومحاب النقوس التي بابشار الحق عليها والاضرار عنها تتحقق حبهم له وابشارهم اياد على غيره ولذلك يحمل المشاق الشديدة وزنكوب الآخطار واحتلال الملامة والصبر على دواعي التي والفضائل ومجاهدتها يقوى سلطان المحنة وتثبت شجرتها في القلب وتصلم غرتها على الجوارح فان المحنة اثابة الالزمة على كثرة المowanع والعوارض والصوارف هي المحنة الحقيقة النافعة وأما المحنة المشروطة بالعافية والنعيم والذلة وحصول مراد الحب من

محبوب قلبيت محبة صادقة ولا ثبات لها عند المعارضات والموانع فان المعلق على الشرط
 عدم عند عدمه ومن ودّك لأمر ولّي عند انتقامه وفرق بين من يعبد الله على السراء
 والرخاء والعافية فقط وبين من يعبد الله على السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية
 والبلا، * وأيضاً فان الله سبحانه له الحمد المطلق الكامل الذي لا نهاية بعده وكان ظهور
 الاسباب التي يحمد عليها من مقتضى كونه محموداً وهي من لوازمه حمده تعالى وهي نوعان
 فضل وعدل إذ هو سبحانه المحمود على هذا وعلى هذا فلا بد من ظهور أسباب العدل
 وانتقامتها لسمياتها ليترتب عليها كمال الحمد الذي هو أعلاه فكما أنه سبحانه محمود على
 احسانه وبره وفضله ونوابه فهو محمود على عدله وانتقامه وعقابه إذ يصدر ذلك كله عن
 عزته وحكمته وهذا نبه سبحانه على هذا كثيراً كافى سورة الشعرا حيث يذكر في
 آخر كل قصة من قصص الرسل وأئمهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثراً لهم مؤمنين
 وإن ربك طو العزيز الرحيم) فأخبر سبحانه ان ذلك صادر عن عزته المتضمنة كمال
 قدره وحكمته المتضمنة كان عليه ووضعه الاشياء مواضعها الالات بها فما وضع نعمته
 ونحوه لرسله ولتابعيهم ونفته واهلاه لا في محلها الالات بها كمال عزته
 وحكمته وهذا قال سبحانه عقب اخباره عن قصاته بين أهل السعادة والشقاوة ومصير
 كل منهم إلى ديارهم التي لا يليق بهم غيرها ولا تتناسب حكمته سواها (وقضى بينهم بالخلق
 وقبل الحمد لله رب العالمين) * وأيضاً فانه سبحانه افتضت حكمته وحده أن فاوت بين
 عباده أعظم تقاؤت وأيده ليشكروه متبعين ظهرت عليه نعمته وفضله ويعرف انه قد
 حُجِي بالانعام وخص دون غيره بالاكرام ولو تساوا جميعهم في النعمة والعافية لم يعرف
 صاحب النعمة قدرها ولم يبذل شكرها إذ لا يرى أحداً إلا في مثل حاله ومن أقوى
 أسباب الشكر وأعظمها استخاراً جاهله من العبد أن يرى غيره في ضد حاله الذي هو عليه
 من الكمال والفالح * وفي الآخر المشهور ان الله سبحانه لما أرى آدم ذريته وتقاومت
 مراتبه قال يا رب هلا سويت بين عبادك قال اني أحب أنأشكر فافتضت محبته سبحانه
 لأن يشكر خلق الاسباب التي يكون شكر الشاكرين عندها أعظم وأكمل وهذا هو
 عين الحكمة الصادرة عن صفة الحمد * وأيضاً فانه سبحانه لا شيء أحب إليه من العبد من
 تذلل بين يديه ومحضوعه وافتقاره وانكساره وتضرعه إليه * وعلومنا أن هذا المطلوب
 من العبد إنما يتم بأسبابه التي توقف عليها وحصول هذه الاسباب في دار النعيم المطلق
 والعافية الكاملة يتحقق إذ هو مستلزم للجمع بين الصدرين * وأيضاً فانه سبحانه له الخلق
 والأمر والأمر هو شرعيه وأمره ودينه الذي بعث به رسلاً ونزل به كتبه وليست

الجنة دار تكليف تجري عليهم فيها أحكام التكليف ولو ازماها وإنما هي دار نعيم ولذة
 واقتضت حكمته سبحانه استخراج آدم وذرته إلى دار تجري عليهم فيها أحكام دينه وأمره
 ليظهر فيهم مقتضى الامر ولو ازمه فان الله سبحانه كما أن أفعاله وخلقه من لوازم كمال
 أسمائه الحسنى وصفاته العلي فكذلك أمره وشرعه وما يترتب عليه من النواب والعقاب
 وقد أرشد سبحانه إلى هذا المعنى في غير موضع من كتابه فقال تعالى (أيحب الإنسان
 أن يترك سدى) أي مهلاً معطلاً لا يؤمر ولا ينهى ولا ينادي ولا يعقوب وهذا يدل على
 أن هذا مناف لكم حكمته وان رب بيته وعزته وحكمته تأبى ذلك وهذا أخرج الكلام
 من خرج الانكار على من زعم ذلك وهو يدل على أن حسنة مستقر في الفعل والعقول وقبح
 تركه سداً معطلاً أيضاً مستقر في الفعل فكيف ينسب إلى الرب ما يقبحه مستقر في فطركم
 وعقولكم وقال تعالى (أغفِنَمُ أَخَاخَاتَنَا كُمْ عَبْنَا وَأَنْكُمُ الْبَنَا لَا رَبَّ عَوْنَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلَكُ
 الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) تزءن نفسه سبحانه عن هذه الحسنان الباطل العضاد
 لموجب أسمائه وصفاته وأنه لا يليق بجلاله نسبه إليه ونظائر هذا في القرآن كثيرة * وأيضاً
 فإنه سبحانه يحب من عباده أموراً يتوقف حصولها منهم على حصول الأسباب المفترضة
 لها ولا تحصل إلا في دار الابتلاء والامتحان فإنه سبحانه يحب الصابرين ويحب الشاكرين
 ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ويحب التوابين ويحب المتطهرين ولا رب أن حصول
 هذه المحبوبات بدون أسبابها يمتنع كامتناع حصول الملازم بدون لازمه والله سبحانه
 أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من الفاقد لرحمة التي عليها طعامه وشرابه في أرض
 دوية مهلكة إذا وجدتها كانت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله
 أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليه طعامه
 وشرابه فقام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدرك العطش ثم قال أرجع إلى المكان
 الذي كنت فيه فأنام حتى أموت قواسم رأسه على ساعده ليجوت فاستيقظ وعند راحلته
 عليها زاده وطعمه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا برحلته
 وسيأتي إن شاء الله الكلام على هذا الحديث وذكر سير هذا الفرج بتوبة العبد
 والمقصود أن هذا الفرج المذكور إنما يكون بعد التوبة من الذنب فالتجارة والذنب
 لازمان لهذا الفرج ولا يوجد الملزم بدون لازمه وإذا كان هذا الفرج المذكور إنما
 يحصل بالتوبة المستلزمة للذنب حصوله في دار النعيم التي لا ذنب فيها ولا مخالفة يمتنع ولها
 كان هذا الفرج أحب إلى الرب سبحانه من عدمه اقتضت محنته له خلق الأسباب المفترضة
 إليه ليترتب عليها المسبب الذي هو محظوظ له * وأيضاً فإن الله سبحانه جعل الجنة دار جراء

ونواب وقسم منازلها بين أهلها على قدر أعمالهم وعلى هذا خلقها سبحانه ما له في ذلك من الحكمة التي اقتصتها أسماؤه وصفاته فان الجنة درجات بعضها فوق بعض وبين الدرجتين كما بين السماء والأرض كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الجنة مائة درجة بين كل درجتين كابين السماء والأرض وحكمة رب سبحانه مقتضية العمارة هذه الدرجات كلها وإنما تعمر ويقع التفاوت فيها بحسب الأعمال كما قال غير واحد من السلف يبحرون من النار يعنوا الله ومغفرته ويدخلون الجنة بفضلها ونعمته ومغفرته ويتقاسمون المنازل بأعمالهم وعلى هذا حمل غير واحد ماجاء من آيات دخول الجنة بالأعمال كقوله تعالى (و تلك الجنة التي أورثوها بما كنتم تعملون) و قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) • قالوا وأمامي نقى دخولها بالأعمال كافي قوله صلى الله عليه وسلم إن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا فلما رأى به نفي أصل الدخول وأحسن من هذا أن يقال الباب المقتضية للدخول غير الباب التي نقى معها الدخول فالمقتضية هي باه السبيبة الدالة على أن الاعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الامباب لسياتها والباء التي نفي بها الدخول هي باه المعاوضة والمقابلة التي في نحو قوله أشرت به هذا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وإنما لو لا تفمد الله سبحانه لعبده برحمته لما دخله الجنة فليس عمل العبد وإن شاهي موجباً بمجرده لدخول الجنة ولا عوضاً لها فإن أعماله وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه فهي لاتفاق نعمة الله التي أنعم بها عليه في دار الدنيا ولا تعاد لها بل لو حاسبه لوقعت أعماله كلها في مقابلة اليسر من نعمه وتبقي بقية النعم مقتضية لشكرها ولو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم له ولو رحمه وكانت رحمته خيراً له من عمله كما في السنن من حديث زيد بن ثابت وحذيفة وغيرها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لو عذب أهل سمواه وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحهم وكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم والمقصود أن حكمه سبحانه اقتضت خلق الجنة درجات بعضها فوق بعض وعمرتها بأدم وذراته وأزاحتهم فيها بحسب أعمالهم ولا زام هذا ازاحتهم إلى دار العمل والمجاهدة • وأيضاً فإنه سبحانه خلق آدم وذراته ليستخلفهم في الأرض كما أخبر سبحانه في كتابه بقوله (إني جاعل في الأرض خليفة) وقوله (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وقال (ويستخلفكم في الأرض) فأراد سبحانه أن ينقله وذراته من هذا الاستخلاف إلى توريثه جنة الخلد وعلم سبحانه بسابق عالمه أنه

(٢)

لضمنه وقصور نظره قد يختار العاجل الخبيث على الآجل النفيس فان النفس مولعة
بحب العاجلة وايشارها على الآخرة وهذا من لوازمه كونه خلق من عجل . وكونه خلق
عجولا فعلم سبحانه ما في طبيعته من الضعف والخور . فاقتضت حكمته أن أدخله الجنة ليعرف
النعم الذي أعد له عباداً فيكون اليه أشوق وعليه أحرص ولو أشد طلباً فان محنة الشيء
وطلبه والشوق اليه من لوازمه تصوره فمن باشر طيب شئ ولذته وتدوقي به لم يكدر يصبر
عنه وهذا لأن النفس ذوقها تواقة فإذا ذاقت تاقت هـ وهذا اذا ذاق العبد طعم حلاوة
الإيمان وخالفت بشاشته قلبه رسمخ فيه حبه ولم يؤثر عليه شيئاً أبداً . وفي الصحيح من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه المرفوع ان الله عن وجل يسأل الملائكة فيقول ما يسألني
عبادى فيقولون يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا يارب فيقول كيف لورأوها
فيقولون لورأوها لكنوا أشد طلباً فاقتضت حكمته ان أراها أباهم وأسكنه اياها ثم
قص على بيته قصته فصاروا كأنهم مشاهدون لها حاضرون مع أبיהם فاستعجب من خلق
لها وخاقت له وسارع اليها فلم ينته عنها العاجلة بل يعد نفسه كأنه فيها ثم سبأ العدد وفيراها
وطنه الاول فهو دائم الحنين الى وطنه ولا يضر له قرار حتى يرى نفسه فيه كما قيل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كـنـا فـالـاـرضـ مـاـلـفـافـةـ * وـحـنـنـهـ أـبـاـ لـأـوـلـ مـنـزـلـ

وَلِيْ مُونْ أَيْسَاتْ تَلْمِيْزْ ذَا الْمَعْنَى

وهي على جنات عدن فانها منازل الاولى وفيا الخرم

* نعود الى اوطاننا ونسلم ولكتناس العدو فيل ترى

فسر هذه الوجوه أنه سبحانه وتعالى سبق في حكمه وحكمته أن الغايات المطلوبة لاتصال
الآباء بها التي جعلها الله أسباباً مفضية إليها ومن تلك الغايات أعلى أنواع النعيم وأفضلها
أجلها فلا تusal الا بأسباب نفسها مفضية إليها وإذا كانت الغايات التي هي دون ذلك لاتصال
الآباء بها مع ضعفها وأقطاعها كتحصيل المأكول والمشروب والملبوس والولد والمال
والجاه في الدنيا فكيف يتوجه حصول أعلى الغايات وأشرف المقامات بلا سبب يفضي إليه
وم يكن تحصيل تلك الأسباب إلا في دار المجاهدة والحرث فكان اسكان آدم وذريته
هذه الدار التي يشارون فيها الآباء الموصولة إلى أعلى المقامات من انعامه عليهم وسرها
أيضاً أنه سبحانه جعل الرسالة والتبوية والخلقة والتكليم والولاية والعبودية من أشرف
مقامات خلقه وبهيات كلامه فأنزلهم داراً أخرج منهم الانبياء وبعث فيها الرسل والأخذ
مهم من أخذ خبلانا وكلم موسى تكلماً والأخذ منهم أولياء وشهداء وعبداء وخاصية يحبهم

وبحبوه وكان از الهم الى الارض من تمام الانعام والاحسان * وأيضاً أنه أظهر
خلقه من آثارأسائه وجريان أحكامها عليهم ما اقتضته حكمه ورحمته وعلمه . وسرها
أيضاً أنه تعرف الى خلقه بافعاله وأسمائه وصفاته وما أحده في أوليائه وأعدائه من كرامته
وانعامه على الاولىء واهانته واشقائه لاعداء ومن اجابت دعواتهم وقضائهم حوالتهم
وتفريح كرباتهم وكفف بلاهم وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء وتفليهم في أنواع الخير
والشر فكان في ذلك أعظم دليل لهم على أنه ربهم ومليكهم . وأنه الله الذي لا إله الا هو
وأنه العليم الحكيم السميع البصير وأنه الله الحق وكل مسوأه باطل فتضاهرت أدلة ربوبيته
وتوجيهه في الارض وتنوعت وقامت من كل جانب فعرفه الموقون من عباده وأقرروا
بتوجيهه ايماناً واعداً وبحده الخذلوبن من خليته وأشركوا به خلماً وكفراناً فهلاك
من هلك عن بيته وحي من حي بيته والله سميع عالم [] وبر تأمل آيات المشهودة
والسموعة في الأرض ورأى آثارها . علم قام حكمته في اسكان آدم وذراته في هذه الدار
إلى اجل معلوم قاله سبحانه إنما خلق الجنة لآدم وذراته وجعل الملائكة فيها خدما
لهم . ولكن اقتضت حكمته أن خالق لهم داراً يتزودون منها إلى الدار التي خلقتم لهم
وأنهم لا ينالونها إلا بالزاد كما قال تعالى في هذه الدار (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا
باليه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم) فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى
بلد فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار . وقال تعالى (وتزودوا فان خير الزاد
النقوى) فباع المقربون منازلهم منها بأبخس الحقد وأنقص الثمن وباع الموقون نفوهم
وأموالهم من الله وجعلوها ثمناً لجنة فريحت بخارتهم ونالوا الفوز العظيم . قال الله تعالى
(ان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهو سبحانه ما أخرج
آدم منها إلا وهو يريد أن يعيده إليها أكل اعادة كما قيل على لسان القدر يا آدم لا تخزع
من قوله لك اخرج منها فلنك خلقتها فاني أنا الغنى عنها وعن كل شيء وأنا الجود والكرم
وأنا لا أمنع فيها فاني أطعم ولا أطع وأنا الغنى الحميد ولكن انزل إلى دار البذر فإذا بدترت
فاستوى الزرع على سوقه وصار حصيراً فحينئذ فتعال فاستوفه أحوج ما أنت إليه الحبة
بعشر أمتاها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فاني أعلم بمصالحتك بذلك وأنا العلي
الحكم (فان قيل ماذ ذكرتكم من هذه الوجوه وأمتاها اعماها اذا قيل ان الجنة التي
أسكتها آدم وأهبط منها جنة الخلد التي أعددت للمتقين والمؤمنين يوم القيمة وحيثئذ يظهر
سر اهاطه واخراجه منها) ولكن قد قالت طائفة منهم أبو مسلم ومنذر بن سعيد البلوطى
وغيرها أنها اتنا كانت جنة في الارض في موضع عال منها لأنها جنة المأوى التي أعد لها

الله لعباده المؤمنين يوم القيمة . وذكر مثذر بن سعيد هذا القول في تفسيره عن جماعة
 فقال وأما قوله لا آدم أسكن أنت وزجل الجنة فقال طائفة أسكن الله تعالى آدم على الله
 عليه وسلم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيمة وقال آخرون هي جنة غيرها جعلها
 الله له وأسكنه إليها ليست جنة الخلد قال وهذا قول تكثير الدلائل الشاهدة له والوجبة
 للقول به لأن الجنة التي تدخل بعد القيمة هي من حيز الآخرة وفي اليوم الآخر تدخل
 ولم يأت بعد وقد وصفها الله تعالى لنا في كتابه بصفاتها ومحال أن يصف الله شيئاً بصفة
 ثم يكون ذلك الشيء غير تلك الصفة التي وصفها بهما القول بهذا دافع لما أخبر الله به قالوا
 وجدنا الله تبارك وتعالي وصف الجنة التي أعددت للمتقين بعد قيام القيمة بدار المقامات ولم
 يتم آدم فيها ووصفها أنها جنة الخلد ولم يخلد آدم فيها ووصفها أنها دار جزاء ولم يقل
 أنها دار ابتلاء وقد ابتنى آدم فيها بالمعصية والفتنة ووصفها أنها ليس فيها حزن وإن الداخلين
 إليها يقولون الحمد لله الذي أذهب عنهم الحزن وقد حزن فيها آدم ووجدناه منها دار
 السلام ولم يسلم فيها آدم من الآفات التي تكون في الدنيا وسماها دار القرار ولم يستقر
 فيها آدم وقال فيمن يدخلها وما هم منها بمخرجين وقد أخرج منها آدم بمعصيته وقال لا
 يسمون فيها نصب وقد نبذ آدم فيها هارباً فراراً عند أصابته المعصية وطفق يخصف ورق
 الجنة على نفسه وهذا النصب بعينه الذي نفاه الله عنها وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا تأنيم
 وقد أئم فيها آدم وأسمع فيها ما هو أكبر من اللغو وهو أنه أمر فيها بمعصية ربه وأخبر
 أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذب وقد أسمعه فيها أبليس الكذب وغره وقامه عليه أيضاً
 بعد أن أسمعه إياه . وقد شرب آدم من مشرابها الذي سماه في كتابه شراباً طهوراً أي
 مطهراً من جميع الآفات المذمومة وأدام لم يطهر من تلك الآفات . وسماها الله تعالى
 مقعد صدق وقد كذب أبليس فيها آدم ومقعد الصدق لا كذب فيه وعليهون لم يكن فيه
 استحالة قط ولا تبدل ولا يكون بجماع المصاين والجنة في أعلى عاليين والله تعالى أنها
 قال أنا جاعل في الأرض خليفة ولم يقل أنا جاعله في جنة المأوى فقال الملائكة أتجعل
 فيها من يفسد فيها ويستنقذ الدماء والملائكة أتفق لهم من أن يقول مالا تعلم وهم الفاثلون
 لا علم لنا إلا ما علمنا . وفي هذا دلالة على أن الله قد كان أعلمهم أن بي آدم بيفسدون
 في الأرض والكيف كانوا يقولون ما لا يعلمون والله تعالى يقول وقوله الحق (لا يسبقونه
 بالقول وهم باصره يعملون) والملائكة لا تقول ولا تعمل إلا بما تؤمر به لا غير . قال الله
 تعالى (ويضعون ما يؤمرون) والله تعالى أخبرنا أن أبليس قال لا آدم (هل أدرك على شجرة
 الخلد وملك لابيل) فان كان قد أسكن الله جنة الخلد وملك الذي لا يسلى فكيف لم يرد

عليه نصيحته ويكتبه في قوله فيقول وكيف تدلي على شئ أنا فيه قد أعطيته وآخرته
 بل كيف لم يحيث التراب في وجهه ويسبه لأن ابليس لئن كان يكون بهذا الكلام مغواي بالآنا
 كان يكون زارياً عليه لانه آنا وعده على معصية ربه بما كان فيه لازائدا عليه . ومثل
 هذا لا يخاطب به الا الجاهلين الذين لا يعقلون لأن العوض الذي وعده به بمعصية ربه قد
 كان أحقره وهو الخلد والملك الذي لا يليل ولم يخبر الله آدم اذ أسكنه الجنة أنه فيها من
 الخالدين ولو كان فيها من الخالدين لما ركنت الى قول ابليس ولا قبل نصيحته ولكن
 لما كان في غير دار خلود غرر بها أطمعه فيه من الخلد فقبل منه ولو أخبر الله آدم أنه في
 دار الخلد ثم شك في خبر ربه لسماه كافرا ولساها عاصيا لأن من شك في خبر الله فهو
 كافر ومن فعل غير ما أمره الله به وهو معتقد للتصديق بخبر ربه فهو عاص . وإنما سمي
 الله آدم عاصيا ولم يسمه كافرا . قالوا فان كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس
 التي لا يدخلها الا طاهر مقدس فكيف توصل اليها ابليس الرجس النجس الملعون المذموم
 المدحور حتى فتن فيها آدم وابليس فاسق قد فسق عن أمر ربه وليست جنة الخلد دار
 الفاسقين ولا يدخلها فاسق البتة إنما هي دار المتقين وابليس غير تقى وبعد أن قيل له (اهبط
 منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) افسح له أن يرق إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة
 بعد السخط والابعاد له بالعتو والاستكبار هذا مضاد لقوله تعالى (اهبط منها فما يكون
 لك أن تتكبر فيها) فان كانت مخاطبته آدم بما خاطبه به وقامسه عليه ليس تكبرا فاييس تعقل
 العرب التي انزل القرآن باسانها ما التكبر . ولعل من ضعفت روته وقصر بمحنه أن يقول
 أن ابليس لم يصل إليها ولكن وسوسة وصلت . فهذا قول يشبه قائله ويشاكل معتقده
 وقول الله تعالى حكم بيننا وبينه وقوله تعالى وقامهما برد ما قال لأن المقادمة ليست
 وسوسة ولكنها مخاطبة ومشافهة ولا تكون الا من آنسين شاهدين غير غائبين ولا أحد لها
 وما يدل على أن وسوسته كانت مخاطبة قوله تعالى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم
 هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يليل) فأخبر أنه قال له ودل ذلك على أنه آنا وسوس
 إليه مخاطبة لأنه أوقع ذلك في نفسه بلا مقاولة فمن ادعى على الظاهر تأويلا ولم يقم عليه
 دليلاً لم يجب قبول قوله وعلى أن الوسوسة قد تكون كلاماً مسموعاً أو صوتاً قال رؤية
 * وسوس يدعوك مخا صارب الفاق *

وقل الاعنى

تسمع للتحلى وسواس اذا انصرفت * كما استعان بربع عشر ق زجل
 قال او في قول ابليس لما مانها كما ربكما عن هذه الشجرة دليل على مشاهدته لها والاشارة

* ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله (ألم أنهما عن تلك الشجرة)
 أ ولم يقل عن هذه الشجرة كما قال له ابليس لأن آدم لم يكن حيئاً في الجنة ولا مساهداً
 للشجرة مع قوله عن وجل (إله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فقد أخبر
 سبحانه خبراً حكلاً غير مشتبه أنه لا يصعد إله الكلم طيب وعمل صالح وهذا مما
 قدمنا ذكره أنه لا يلتج المقدس المطهر إلا مقدس مطهر طيب ومعاذ الله أن تكون
 وسوسة ابليس مقدسة أو ظاهرة أو خيراً بل هي شر كلها وظيفة وخبث ورجس تعالى
 الله عن ذلك علواً كبيراً وكما أن أعمال الكافرين لا ناج القدس الطاهر ولا نصل إليه
 لأنها خيبة غير طيبة كذلك لا تصل ولم تصل وسوسة ابليس ولا وجلت القدس قال
 تعالى (كلا ان كتاب الفجار لنفي سجين) * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن
 آدم نام في جنته وجنة الخلد لا نوم فيها باجماع من المسلمين لأن النوم وفاة وقد نطق به
 القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسامة من تقلب الاحوال والنائم ميت أو كالميت
 قالوا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لام حارنة لما قالت له يا رسول الله ان
 حارنة قتل معك فان كان صار إلى الجنة صبرت واحتسبت وإن كان صار إلى ماسوى
 ذلك رأيت ما فعل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جنة واحدة هي إنما هي
 جنان كثيرة فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله جنات كثيرة ففعل آدم اسكنه الله جنة من
 جنانه ليست هي جنة الخلد قالوا وقد جاء في بعض الاخبار ان جنة آدم كانت بأرض
الهند قالوا وهذا وإن كان لا يصححه رواة الاخبار ونقطة الآثار فالذى قبله الالباب
 ويشهد له ظاهر الكتاب ان جنة آدم ليست جنة الخلد ولا دار البقاء وكيف يجوز ان
 يكون الله أسكن آدم جنة الخلد ليكون فيها من انثالدين وهو قائل للملائكة اني جاعل
 في الأرض خليفة وكيف أخسر الملائكة أنه يريد أن يجعل في الأرض خليفة ثم يسكنه
 دار الخلود ودار الخلود لا يدخلها الا من يدخل فيها كما سميت بدار الخلود فقد ساها الله
 بالاساء التي تقدم ذكرنا لها تسمية مطلقة لاصحوص فيها فإذا قيل للجنة دار الخلود لم يجز
 أن ينتقص مني هذا الاسم بحال فهذا بعض ما احتاج به القائلون بهذا المذهب وعلى هذا
 فلسكان آدم وذراته في هذه الجنة لا يناف كونهم في دار الابلاء والامتحان وحيث
 كانت تلك الوجوه والفوائد التي ذكرت عنها ممكنته الحصول في الجنة (فالجواب) أن يقال
 هذا فيه قولان للناس ونحن نذكر القولين واحتجاج الفرقين ونبين ثبوت الوجوه
 التي ذكرناها وأمثالها على كلا القولين ونذكر أولاً قول من قال أنها جنة الخلد التي وعد بها
 الله المتقين وما احتجوا به وما نقضوا به حجاج من قال أنها غيرها ثم نتبعها مقالة الآخرين

وما احتجوا به وما اجابوا به عن حجج منازعيم من غير انتساب لنصرة أحد القولين
وابطال الآخر إذ ليس غرضنا ذلك وإنما الفرض ذكر بعض الحكم والمصالح المقتضية
لإخراج آدم من الجنة واسكانه في الأرض في دار الابتلاء والامتحان وكان الفرض بذلك
الرد على من زعم أن حكمة الله سبحانه تأبى ادخال آدم الجنة وتعرضاً للذنب الذي
أخرج منهاه وأنه أبى فائدة في ذلك والرد على من أبطل أن يكون له في ذلك حكمة وإنما
هو صادر عن حمض المشيئة التي لا حكمة وراءها ولما كان المقصود حاصلاً على كل تقدير
سواء كانت جنة الخلد أو غيرها بنياناً الكلام على التقديرتين ورأينا أن الرد على هؤلاء
بدبوس السلاق (١) لا يحصل غرضاً ولا يزيل مرضنا فلسكتنا هذا السبيل ليكون قوله
مردوداً على كل قول من أقوال الأمة وبالله المستعان وعليه التكادن ولا حول ولا قوة
إلا به فتفعل [أمما ذكرتكموه من كون الجنة التي أهبط منها آدم ليست جنة الخلد وإنما
هي جنة غيرها فهذا مما قد اختلف فيه الناس والأشهر عند الخاصة والعامة الذي لا يخاطر
قولهم سواء أنها جنة الخلد التي أعددت للمتقين وقد نص غير واحد من السلف على ذلك
واحتاج من نصر هذا بما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي
حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجمع الله عن وجل الناس حتى يزلف لهم الجنة فإذا نون آدم عليه السلام
فيقولون يا أبا إسحاق استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبكم آدم
وذكر الحديث قالوا فهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم هي بعينها التي يطلب منه
أن يستفتحها لهم قالوا ويدل عليه أن الله سبحانه (قال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة)
إلى قوله (اهبتو بعضاً لكم لبعض عدو ولهم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) عقيب
قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا أولاً في الأرض وأيضاً فإنه سبحانه وصف الجنة
التي أسكنها آدم بصفات لا تكون في الجنة الدنيوية فقال تعالى (إن لك إلا نجوع فيها
ولانعري وأنك لانتظماً فيها ولا تضحي) وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً ولو كان الرجل
في أطيب منازلها فلا بد أن يعرض له الجوع والظماء والتعرى والضي لشمس وأيضاً
فإنما لو كانت الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب أبليس في قوله هل كذلك على شجرة الخلد
وملك لا يبل فان آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وإن ملكها يبل وأيضاً فان قصة
آدم في البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال (واد

(١) - هكذا في الأصول ويظهر أن يكون كفى به عن اللسان انه مصححه

قلنا لاملاً نكَّ أَسْجَدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِبْلِيسُ أَبِي وَاسْتَكَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقَلَّا
 يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ
 فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزْطَلَهَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مَا كَانَا فِيهِ وَقَلَّا اهْبَطُوا بِعِضْكُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَيْهِ فَتَلَقَّ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كِتَابًا فِيْ عَلَيْهِ
 إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) ۚ فَهَذَا اهْبَاطُ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ مِنَ الْجَنَّةِ وَهَذَا أَنِّي فِيْ بِصَمِيرِ
 الْجَمْعِ ۖ وَقِيلَ أَنَّهُ خَطَابٌ طَمْ وَلِلْجَمْعِ وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَفْلٍ ثَابَتْ إِذْلًا ذَكْرُ لِلْجَمْعِ فِيْ شَيْءٍ
 مِنْ قَصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ ۖ وَقِيلَ خَطَابٌ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَأَنِّي فِيْهِ بِالْفَظِ الْجَمْعِ كَقُولَهُ تَعَالَى
 (وَكَنَا لِحُكْمِهِ شَاهِدِينَ) ۖ وَقِيلَ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَذْرِيْهِمَا ۖ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ ضَعِيفَةٌ غَيْرُ
 الْأَوَّلِ لَاتَّهَا بَيْنَ قَوْلٍ لَادْلِيلٍ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مَا يَدْلِلُ ظَاهِرُ الْخَطَابِ عَلَى خَلَافَتِهِ فَيَقُولُ إِنَّ إِبْلِيسَ
 دَخَلَ فِي هَذَا الْخَطَابِ وَالْمِنْهُ مُهْبَطُونَ مِنَ الْجَنَّةِ ۖ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (قَلْنَا اهْبَطْنَا مِنْهَا جِيْعاً
 فَإِنَّمَا يَاْتِنَكُمْ مِنِّيْ هُدَىٰ فَنَّ تَبِعُ هَدَىٰ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وَهَذَا الْأَهْبَاطُ
 الْأَنَّى لَا بَدَأْ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْأَوَّلِ وَهُوَ اهْبَاطُهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَحِينَذِ فَتَكُونُ
 الْجَنَّةُ الَّتِي اهْبَطُوا مِنْهَا أُولَآ فَوْقَ السَّمَاءِ وَهِيَ جَنَّةُ الْخَلْدِ وَقَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْمُخْشِرِيِّ
 إِلَى أَنْ قَوْلَهُ اهْبَطْنَا مِنْهَا جِيْعاً خَطَابٌ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ خَاصَّةٍ وَعَبَرَ عَنْهُمَا بِالْجَمْعِ لِاستِبَابِهِمَا
 ذْرِيْهِمَا ۖ قَالَ وَالْدِلْلَى عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى (قَالَ اهْبَطْنَا مِنْهَا جِيْعاً بِعِضْكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا
 يَاْتِنَكُمْ مِنِّيْ هُدَىٰ) وَقَالَ وَيَدْلِلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ (فَنَّ تَبِعُ هَدَىٰ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَحْجَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ) وَمَا هُوَ إِلَّا
 حَكْمٌ يَعْلَمُ النَّاسُ كَلِمَهُ وَمَعْنَى بِعِضْكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ مَا عَلِيَّهُ النَّاسُ مِنَ التَّعَادِيِّ وَالتَّبَاغُضِ
 وَتَضَلِيلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ۖ وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَضْعَفُ الْأَقْوَالُ فِي الْآيَةِ فَإِنَّ الْعِدَاؤَ الَّتِي
 ذَكَرَهَا اللَّهُ أَنَّمَا هِيَ بَيْنَ آدَمَ وَإِبْلِيسَ وَذْرِيْهِمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ
 فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) ۖ وَأَمَّا آدَمَ وَزَوْجُهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْهُ لِيُسْكِنَ
 إِلَيْهَا وَقَالَ سَبَحَانَهُ (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَاقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَتُسْكِنُوا إِلَيْهَا
 وَجَعَلَ بِنِنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً) فَهُوَ سَبَحَانُهُ جَعَلَ الْمَوْدَةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجِهِ وَجَعَلَ
 الْعِدَاؤَ بَيْنَ آدَمَ وَإِبْلِيسَ وَذْرِيْهِمَا وَيَدْلِلُ عَلَيْهِ أَيْضًا عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَيْهِمْ بِالْفَظِ الْجَمْعِ ۖ
 وَقَدْ تَقْدَمَ ذَكْرُ آدَمَ وَزَوْجِهِ وَإِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ فَأَزْطَلَهَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا
 فَهُوَ لَأَهْلَهُ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ فَلَمَّا زَادَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى بَعْضِ الْمَذَكُورِ مَعَ مَنَا فَرَّهُ
 لِطَرِيقِ الْكَلَامِ وَلَا يَعُودُ عَلَى جَمِيعِ الْمَذَكُورِ مَعَ أَنَّهُ وَجَهَ الْكَلَامَ ۖ فَإِنْ قِيلَ فَأَتَصْنَعُونَ
 بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ طَهِ ۖ (قَالَ اهْبَطْنَا مِنْهَا جِيْعاً بِعِضْكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) وَهَذَا خَطَابٌ لِآدَمَ

وحواء . وقد أخبر بمُسَدَاوَة بعضاً بعضاً قيل إما أن يكون الضمير في قوله اهبطوا
راجعاً إلى آدم وزوجه أو يكون راجعاً إلى آدم وابليس ولم يذكر الزوجة لأنها تبع
له وعلى الثاني فالعداوة المذكورة لالمخاطبين بالاهباط وهما آدم وابليس وعلى الأول
تكون الآية قد اشتملت على أمرتين . أحدهما أمره لآدم وزوجه بالهبوط . والثانية
جعله العداوة بين آدم وزوجه وابليس ولا بد أن يكون ابليس داخلاً في حكم هذه
العداوة فلما كذا قال تعالى إن هذا عدو لك وزوجك ، وقل لذرته إن الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدواً وتأمل كيف اتفقت الموضع التي فيها العداوة على ضمير الجمع دون
الثنية . وأما ذكر الاهباط فتارة يأتي بالنظر ضمير الجمع وتارة يأتي بالنظر
بالنفي الأفراد لا بابليس وحده . كقوله تعالى في سورة الاعراف (قال مامنعتك ان
لاتسجد اذ امرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلفته من طين قال فاهبط منها
فايكون لك أن تكبر فيها) فهذا الاهباط لا بابليس وحده والضمير في قوله منها قبل أنه
عاد إلى الجنة وقيل عائد إلى السماه وحيث أنى بصيغة الجمع كان لآدم وزوجه وابليس
إذ مدار القصة عليهم وحيث أنى بالنظر الثنوية فاما أن يكون لآدم وزوجه اذ هما اللذان
باتمرا الأكل من الشجرة وأقدموا على المعصية . واما أن يكون لآدم وابليس اذ هما أبواء
النطافين فذكر حطهما وما آكل اليه أمرهما ليكون عذلة وعبرة لأولادهما . والقولان
محكمان في ذلك وحيث أنى بالنظر الأفراد فهو لا بابليس وحده . وأيضاً فالذى يوضح ان
الضمير في قوله اهبطا منها جيئاً لآدم وابليس ان الله سبحانه اذ ذكر المعصية أفرد
بها آدم دون زوجه فقال (وعصى آدم ربها فغوى ثم اجتباه ربها فتاب عليه وهدى قال
اهبطا منها جيئاً) وهذا يدل على ان المخاطب بالاهباط هو آدم ومن زين له المعصية
ودخلت الزوجة تبعاً وهذا لأن المقصود اخبار الله تعالى لعباده المكففين من الجن
والانسان بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفته الامر ثلاثة يقتدوا بهما في ذلك
فذكر أبي النطافين أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبي الانسان فقط وقد أخبر
 سبحانه عن الزوجة أنها أكلت مع آدم وأنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك
الأكلة فعلم ان هذا اقتضاء حكم الزوجية وأنها صارت الى ماصار اليه آدم فكان تحريراً
العنائية الى ذكر الآبوبن اللذين هما أصل الذريعة أولى من تحريرها الى ذكر أي الانسان
وأمهم والله أعلم وبالجملة قوله (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) ظاهر في الجمع فلا
يسوغ حله على الآيتين في قوله اهبطا . قالوا وأما قولكم انه كيف وسوس له بعد اهباطه
منها وحال أن يصعد اليها بعد قوله تعالى اهبط . سفوا به من وجوه # أحدهما انه أخرج
(٣ - مفتاح - اول)

منها ومنع من دخولها على وجه السكى والكرامة واتخاذها داراً فن أين لكم أنه منع
 من دخولها على وجه الابتلاء والامتحان لآدم وزوجه ويكون هذا دخولاً عارضاً كما
 يدخل الشرط دار من أمر وابتهاه ومحنته وإن لم يكونوا أهلاً لسكنى تلك الدار *
 الثاني أنه كان يدنو من الجنة فيكلمهمما ولا يدخل عليهمما دارهما * الثالث أنه لعله قام
 على الباب فناداهما وقادهما ولم يلتجج الجنة * الرابع أنه قد روى أنه أراد الدخول
 عليهمما ففتحته الجنة فدخل في فم الجنة حتى دخلت به عليهما ولا يشعر الجنة بذلك
 قالوا وما يدل على أنها جنة الخلد بعينها أنها جاءت معرفة بلا معرفة في جميع الموضع
 كقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة) ولا جنة يعبدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة
 الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب فتد صار هذا الاسم عالماً عليها بالغلبة وإن كان في
 أصل الوضع عبارة عن البستان ذي النار والفواكه وهذا كالمدينة الطيبة والنجم للزريا
 ونظائرها سفيث ورد المانظ وعرف بالالف واللام انصرف إلى الجنة المعروفة المعلومة في
 قلوب المؤمنين * وأما أن أريد به جنة غيرها فاتها تحنيه منكرة كقوله (جنتين من
 أعناب) أو مقيدة بالإضافة كقوله (ولولا أذ دخلت جنتك) أو مقيدة من السياق
 بما يدل على أنها جنة في الأرض كقوله (انا بلونا لهم كابلوننا أصحاب الجنة إذ أقسموا
 ليصر منها مصيحيين) الآيات فهذا السياق والتقييد يدل على أنها بستان في الأرض * قالوا
 وأيضاً فإنه قد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان وقد تواترت
 الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال إن أحدهم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداعة والعنى
 ان كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فن أهل النار يقال هذا
 مقعده حتى يبعثك الله يوم القيمة وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالي لا يدخلني الاضغفاء
 اثنان وستقطهم وقالت النار مالي لا يدخلني الا الجبارون والمتكبرون فقال للجنة أنت
 وحدي أرحم بك من أشأه وقال للنار أنت عذابي أتعذب بك من أشأه الحديث وفي السنن
 عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة والنار أرسل
 جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها قال فذهب فنظر إليها
 وإلى ما أعدد الله لأهلها الحديث وفي الصحيحين في حديث الإسراء ثم رفعت لي سدرة
 المنتهي فإذا ورقها مثل آذان الفيلة وإذا نقبها مثل قلال هجر وإذا أربعة أنهار نهران
 ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذا يا جبريل قال أما النهران الظاهر ان فالنيل والفرات

واما الباطنان فهرا في الجنة . وفيه أيضا نعم أدخلت الجنة فإذا جنابت المؤلئ و اذا
ترابها الملك وفي صحيح البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يتنا أننا
اسير في الجنة اذا أنا بنهر حافاته قباب الدر الم giof قال قلت ما هذا يا جبريل قال هذا
الكون الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه ملك اذ فر . وفي صحيح مسلم
في حديث صلاة الكسوف ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتقدم وتأخر في الصلاة ثم
أقبل على أصحابه فقال انه عرضت لي الجنة والنار فقربت مني الجنة حتى لو تناولت منها
قطعاً لا أخذته فلو أخذته لا كلام منه ما بقيت الدنيا . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود
في قوله تعالى (ولا تحيى من الدين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)
أرواحهم في جوف طير خضر طاقناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت
ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعه فقال هل تشهرون شيئاً فقالوا أى
شيء نشهرون نسرح من الجنة حيث شئنا الحديث . وفي الصحيح من حديث ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصب أخوانكم بأحد جعل الله
أرواحهم في أجوف طير خضر ترد أيام الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل
من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيباً كلهم ومشيرهم ومقبلهم قالوا من
يساعنا أخواننا أبا في الجنة رزق لكلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكروا عند الحرب
قال الله أبا أبلغهم عنكم فائز الله عز وجل (ولا تحيى من الدين قتلوا في سبيل الله)
الآية . وفي الموطأ من حديث كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما
نسمة المؤمن طائر يعلق في الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه . وفي البخاري
ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان له مرضعاً في الجنة . وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار
فرأيت أكثر أهلها النساء . والآثار في هذا الباب أكثر من ان تذكر وأما القول
بان الجنة والنار لم تخلقا بعد . فهو قول أهل البدع من ضلال المعزلة ومن قال بقولهم
وهم الذين يقولون ان الجنة التي أهبط منها آدم إنما كانت جنة بشرق الأرض وهذه
الأحاديث وأمثالها ترد قولهم . قالوا وأما احتجاجكم بأثر الوجوه التي ذكرت بها
في الجنة وإنما منتفية في الجنة التي أسكنها آدم من اللغو والكذب والنصب والمعري
وغير ذلك فهذا كله حق لانكره نحن ولا أحد من أهل الاسلام ولكن هذا إنما هو
اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سبق الكلام وهذا لا يبني أن يكون فيها

بين آدم وابليس ماحكمه الله عز وجل من الامتحان والابتلاء ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إليها إلى ما أخبر الله عز وجل به فلا تناهى بين الأمرين . قالوا وأما قولكم ان الجنة دار جزاء وثواب وليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم فيها بالنهي عن الشجرة . فبواه من وجهين * أحددها أنه إنما يمتنع أن تكون دار تكليف اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة فينذر ينتفع التكليف وأما امتناع وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل عليه . الثاني ان التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلوة والجهاد ونحوها وإنما كان حبرا عليه في شجرة من جنة أشجارها وهذا لا يمتنع وقوعه في جنة الخلد كأن كل أحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها فان أردتم بان الجنة ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الاوقات فلا دليل لكم عليه وان أردتم ان غالب التكاليف التي تكون في الدنيا منافية فيها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم . قالوا وهذا كما انه موجب الالة وقول سلف الامة فلا يعرف بقولكم قائل من أئمه العلم ولا يعرج عليه ولا يلتفت اليه « قال » الاولون الجواب عما ذكرتم من وجهين بمحل ومفصل . اما الجمل فانكم لم تأتوا على قولكم بدليل يتعين المصير اليه لامن قرآن ولا من سنة ولا أثر ثابت عن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا التابعين لا مسندوا ولا مقطوعا ونحن نوجدكم من قال بقولنا . هذا أحد أئمة الاسلام سفيان بن عيينة قال في قوله عز وجل (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) قال يعني في الارض وهذا عبد الله ابن مسلم بن قبية قال في معارفه بعد ان ذكر خلق الله لآدم وزوجه ان الله سبحانه اخرجه من شرق جنة عدن الى الارض التي منها أخذ وهذا أبي قدح حكي الحسن عنه أن آدم لما احتضر اشتهى قطضا من قطف الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه له فلقيتهم الملائكة فقالوا أين تريدون يا بني آدم قالوا ان أبانا اشتوى قطضا من قطف الجنة . فقالوا لهم ارجعوا فقد كفبتموه فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل وبنوه خلف الملائكة ودفوه وقالوا هذه سنتكم في موتكم . وهذا أبو صالح قد نقل عن ابن عباس في قوله اهبطوا منها قال هو كما يقال هبط فلان في أرض كذا وكذا وهذا وعب بن منبه يذكر ان آدم خلق في الارض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس وانه كان بعدن وان سيعيون وجيحون والنثرات انقسمت من النهر الذي كان في وسط الجنة وهو الذي كان يسبقا . وهذا منذر بن سعيد البلوطى اختاره فى تفسيره ونصره بما حكى عنه وحكاه فى غير

التفسير عن أبي حنيفة فيما خالقه فيه فلم قال بقوله في هذه المسألة . وهذا أبو مسلم الأصبهاني صاحب التفسير وغيره أحد الفضلاء المشهورين قال بهذا وانتصر له واحتج عليه بما هو معروف في كتابه . وهذا أبو محمد عبد الحق بن عطية ذكر القولين في تفسيره في قصة آدم في البقرة . وهذا أبو محمد بن حزم ذكر القولين في كتاب الملل والنحل له . فقال وكان المنذر بن سعيد القاضي يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول أنها ليست هي التي كان فيها آدم وأمره ومن حكم القولين أيضاً أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار أنها جنة الخلد . ثم قال والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو بن واصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبي علي وشيخنا أبي بكر وعاصيه أهل التفسير ومن ذكر القولين أبو القاسم الراغب في تفسيره فقال واحتسب في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان يستأذن جعله الله له امتحاناً ولم يكن جنة المأوى ثم قال ومن قال لم يكن جنة المأوى لانه لا تكليف في الجنة وآدم كان مكلفاً . قال وقد قيل في جوابه أنها لا تكون دار التكليف في الآخرة ولا يشتمع أن تكون في وقت دار تكليف دون وقت كأن الإنسان يكون في وقت مكلف دون وقت . ومن ذكر الخلاف في المسألة أبو عبد الله بن الخطيب الرازي في تفسيره فذكر هذين القولين وقولاً ثالثاً وهو التوقف قال لامكان الجميع وعدم الوصول إلى القطع كاسباب حكاية كلامه ومن المفسرين من لم يذكر غير هذا القول وهو أنها لم تكن جنة الخلد إنما كانت حيث شاء الله من الأرض وقالوا كانت تطلع فيها الشمس والقمر وكان أليس فيها ثم أخرج قال ولو كانت جنة الخلد لما أخرج منها . ومن ذكر القولين أيضاً أبو الحسن الماوردي فقال في تفسيره واحتسب في الجنة التي أسكنها على قولين . أحدهما أنها جنة الخلد . الثاني أنها جنة أعدها الله لها وجعلها دار استلاء . ولست جنة الخلد التي جعلها الله دار جراء . ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين . أحدهما أنها في السماء لأنه أبعدها عنها وهذا قول الحسن . الثاني أنها في الأرض لأنه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من النار وهذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر أليس بالسجود لآدم والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه وقل ابن الخطيب في تفسيره اختلفوا في أن الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء ويستدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار التواب وجنة الخلد أو جنة أخرى فقال أبو القاسم الباجي وأبو مسلم الأصبهاني هذه الجنة في الأرض وحمل الاهباط على الاستقال من بعدها إلى بعدها كما في قوله تعالى أبعذوا مصراماً . القول الثاني وهو قول الجبائي أن تلك

كانت في السماه السابعة قال والدليل عليه قوله اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان من السماه السابعة الى السماه الاولى والاهباط الثاني كان من السماه الى الارض . والقول الثالث وهو قول جيور أصحابنا ان هذه الجنة هي دار التواب والدليل عليه هو ان الاخف واللام في لفظ الجنة لا يفيد العموم لأن سكني آدم جميع الجنان محال فلابد من صرفها الى المعهود السابق والجنة المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار التواب فوجب صرف اللفظ اليها قال . والقول الرابع ان الكل ممكن والادلة التقليدية ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع . قالوا ومحن لا تقلد هؤلاء ولا تعتمد على ما حكى عنهم والجنة الصحيحة حكم بين المتنازعين قالوا وقد ذكرنا على هذا القول ما فيه كفاية * وأما الجواب المفصل فمحن شكلت على ما ذكرت من الحجج لينكشف وجه الدواف يقول وبالله التوفيق * أما استدلالكم بحديث أبي هريرة وحديفه حين يقول الناس لآدم استفتح لها الجنة فيقول وهل أخر جكم منها الا خليلة أبيكم فهذا الحديث لا يدل على ان الجنة التي طلبوا منه أن يستفتحها لهم هي التي أخرج منها بعينها فان الجنة اسم جنس فكل بستان يسمى جنة كما قال تعالى (اما بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصر منها مصبعين) وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تغير لنا من الارض بسبعينا او تكون لك جنة من تخيل وعقب) وقال تعالى (ومثل الذين ينتفون أموالهم ابتعاه من صفات الله وتهبنا من أنفسهم كل جنة بربوة) وقال تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحفناها بابتخل) الى قوله (ولولا ذذ دخلت جنتك قات ما شاء الله لاقوه الا بالله) فان الجنة اسم جنس فهم لما طلبوا من آدم ان يستفتح لهم جنة الخلد أخبرهم بأنه لا يحسن منه ان يقدم على ذلك وقد أخرج نفسه وذرته من الجنة التي أسكنه الله إليها بذنبه وخطيبته هذا الذي دل عليه الحديث * وأما كون الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي طلبوا منه ان يستفتحها لهم فلا يدل الحديث عليه بشيء من وجوه الدلالات الثلاث ولو دل عليه لوجب المصير إلى مداول الحديث وامتنع القول بمخالفته وهل مدارنا إلا على فهم مقتنعي كلام الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه . قالوا وأما استدلالكم باطبوط وانه زول من علو إلى سفل . بقواته من وجوه . أحددهما ان الهبوط قد استنزل في النفلة من أرض الى أرض كما يقال هبط فلان بذلك وكذا وقال تعالى (اهبطوا مصرًا فان لكم مسائل) وهذا كثير في نظم العرب ونثرها قال

إن تهعلين بلاد قو * م برتعون من الطلاح

وقد روی أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هو كا يقال هبط فلان أرض كذا وكذا إثناي ألا نازعكم في ان الهبوط حقيقة ما ذكرتُوه ولكن من أين يلزم أن تكون الجنة التي منها الهبوط فوق السموات فإذا كانت في أعلى الأرض أما يصح أن يقال هبط منها كما يهبط الحجر من أعلى الجبل إلى أرفله ونحوه . وأما قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) فهذا يدل على ان الأرض التي أهبطوا اليها لهم فيها مستقر ومتاع إلى حين ولا يدل على أنهم لم يكونوا في جنة عالية أعلى من الأرض التي أهبطوا اليها خالق الأرض في صفاتها وأشجارها ونعيها وطبيتها فالله سبحانه فاوت بين بقاع الأرض أعظم تفاوت وهذا مشهود بالحس فن أين لكم أن تلك لم تكن جنة تميزت عن سائر بقاع الأرض بما لا يكون الا فيها ثم أهبطوا منها إلى الأرض التي هي محل النعيم والنصب والابتلاء والامتحان وهذا يعنيه هو الجواب عن استدلالكم بقوله تعالى (إن لك الأنجوع فيها ولا تعرى) إلى آخر ما ذكرتُوه مع ان هذا حكم معاون يشرط الشرط لم يحصل فيه سبحانه إنما قال ذلك عقب قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) وقوله (إن لك الأنجوع فيها ولا تعرى) هو صيغة وعد مرتبطة بما قبلها والمعنى ان اجتنبت الشجرة التي نهيت عنها ولم تقربها كان لك هذا الوعيد والحكم المعلق بالشرط عدم عدم الشرط فلما أكل من الشجرة زال استحقاقه هذا الوعيد . قال وأما قولكم انه لو كانت الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب ابليس في قوله هل أدرك على شجرة الخلد وملك لا يسلى إلى آخره فدعوى لادليل عليها لأنه لا دليل لكم على ان الله سبحانه كان قد أعلم آدم حين خلقه ان الدنيا منقضية فانيه وإن ملكها يسلى وزرول وعلى تقدير أن يكون آدم حينئذ قد أعلم ذلك فقول ابليس هل أدرك على شجرة الخلد وملك لا يسلى لا يدل على أنه أراد بالخلد مالا يتأهي فان الخلد في لغة العرب هو البايث الطويل كقوطم قيد خلد وحبس خلد وقد قال تعالى لنحود (أئبانون بكل دفع آية تعيثون وتتخذون مصانع لكم مخالدون) وكذلك قوله (وملك لا يسلى) يراد به الملك الطويل الثابت . وأيضاً فلا وجه للاعتذار عن قول ابليس مع تحقق كذبه ومقاسمه آدم وحواء على الكذب والله سبحانه قد أخبر انه قاسمها ودلالها بغيره وهذا يدل على أنها اغترّا بقوله فخرها بأن اطعمهما في خلد الابد والملك الذي لا يسلى وباجلة فالاستدلال بهذا على كون الجنة التي سكنتها آدم هي جنة الخلد التي وعدها المتقون غير ين « نعم نقول لو كانت الجنة هي جنة الخلد التي لا يزول ملكها لكان جميع أشجارها شجر الخلد فلم يكن لذلك الشجرة اختصاص من ين

سار الشجر بكونها شجرة الخلد وكان آدم يسخر من ابليس اذ قد علم ان الجنة دار الخلد
 وفان قلم لعل آدم لم يعلم حيث ذلك فقره الخبيث وخدعه بان هذه الشجرة وحدها
 هي شجرة الخلد فلما فاقعوا منها بهذا الحواب بعينه عن قولكم لو كانت الجنة في الدنيا
 لعلم آدم كذب ابليس في ذلك لان قوله كان خدعا وغورا مفضلا على كل تقدير
 فانقلب دليلكم حجة عليكم وبالله التوفيق « قالوا » وأما قولكم ان قصة آدم في البقرة
 ظاهرة جدا في ان جهة آدم كانت فوق السماء فنحن نطالبكم بهذا الغلو ولاميل
 لكم الى انباء قولكم انه ذكر فيه ذكر الطوط مرتين ولا بد ان يفيض الثاني غير ما أفاد
 الاول فيكون الطوط الاول من الجنة والثاني من السماء فهذا فيه خلاف بين اهل
 التفسير فقالت طائفة هذا النول الذي ذكرتموه وقالت طائفة منهم النقاش وغيره ان
 الطوط الثاني انا هو من الجنة الى السماء والطوط الاول الى الارض وهو آخر الطوطين
 في الوقوع وان كان اوطنا في الذكر وقالت طائفة اني به على جهة التغليظ والثانية كيد
 كما تقول للرجل اخرج اخرج وهذه الاقوال ضعيفة فاما القول الاول فيظهر ضعفه
 من وجوهه أحدها انه مجرد دعوى لا دليل عليها من المفهود ولا من خبر يجب المصير
 اليه وما كان هذا سببه لا يحمل القرآن عليه الثانية ان الله سبحانه قد أهبط ابليس لما
 امتنع من السجود لآدم اهبطا كونيا قدر يا لا سبب له الى التخلف عنه فقال تعالى
 (اهبط منها ما يكون لك أن تكبر فيها فاخرج أنت من الصاغرين) وقال في موضع
 آخر (فاخرج منها فائمك رجم وان عييك اللعنة الى يوم الدين) وفي موضع آخر
 (اخرج منها مذوما مدحوراً لمن تبعك منهم لأملاك جهنم منكم أجمعين) وسواء
 كان الضمير في قوله منها راجعا الى السماء او الى الجنة فهذا صريح في اهباطه وطرده
 ولعنه واد حاره والمدحور المبعد وعلى هذا فلو كانت الجنة فوق السموات لكان قد
 صعد اليها بعد اهباط الله له وهذا وان كان يمكننا فهو في غاية بعد عن حكمة الله ولا
 يقتضيه خبره فلا ينبغي أن يصار اليه وأما الوجوه الاربعة التي ذكرتموها من صعوده
 لاموسسة فهي مع أمر الله تعالى بالطوط مطافقا وطرده ولعنه ودحوره لادليل عما بها
 لامن الملاحظ ولا ان الخبر الذي يجب المصير اليه وما هي الا احتلالات مجردة وتقديرات
 لادليل عليها الثالث ان سباق قصة اهباط الله تعالى لا بل اهبط خالمة في انه اهبط الى
 الارض من وجوهه أحدها انه سبحانه نبه على حكمة اهبطه بما قام به من التكبر
 للقتضي غاية ذله وطرده ومعاملته بتقىض قصده وهو اهبطه من فوق السموات الى
 قرار الارض ولا تقتضي الحكمة ان يكون فوق السماء مع كبره ومنافية حاله الحال

الملائكة الا كرمين • الثاني انه قال (فاختر منها فاتك رجم وان عليك لعنتي الى يوم الدين) وكونه رجبا ملعونا يعني أن يكون في السماء بين المقربين المطهرين • الثالث أنه قال (اخذ منها مذوماً مدحوراً) وملكت السموات لا يعلوه المذوم المدحور أبداً وأما القول الثاني فهو القول الاول بعينه مع زيادة ما لا يدل عليه السياق بحال من تقديم ما هو مؤخر في الواقع وتأخير ما هو مقدم فيه فيرد بمارد به القول الذي قبله • وأما القول الثالث وهو انه لاتأكيد فان أريد التأكيد لمحظى المجرد فهذا لا يقع في القرآن وان أريد به انه مستلزم للتغليظ والتأكيد مع ما يشتمل عليه من القاعدة فصحيح فالصواب أن يقال اعيد الاهباط مرة ثانية لانه عاق عليه حكما غير المعاق على الاهباط الاول فانه علق على الاول عداوة بعضهم بعضاً فقال (اهبطوا ببعضكم لبعض عدو) وهذه جملة حالية وهي اسمية بالضمير وحده عند الاكتذاب • والمعنى اهبطوا متعددين وعلق على الطبوط الثاني حكيم آخرين أحدها هبوب طفهم جميعاً والثاني قوله (فاما يائينكم في هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فكان أنه قبل اهبطوا بهذا الشرط مأخوذاً عليكم هذا العهد وهو انه مهما جاءكم من هدى فمن تبعه منكم فلا خوف عليه ولا حزن يلحقه في الاهباط الاول إذ ان بالعقوبة ومقابلتهم على الجريمة وفي الاهباط الثاني روح النسيلة والاستبشار بحسن عاقبة هذا الطبوط من تبع هداي ومصيره الى الامن والسرور المقاصد للخوف والحزن فكسرهم بالاهباط الاول وجبر من أتبع هدام بالاهباط الثاني على عاده سبحانه ولطفه بعباده وأهل طاعته كما كسر آدم بالخروج من الجنة وجوبره بالكلمات التي تلقاها منه فتاب عليه وهدام ومن تذر حكمته سبحانه ولطفه وبره بعباده وأهل طاعته في كسره لهم ثم جبره بعد الانكسار كما يكسر العبد بالذنب ويذله به ثم يجبره بتوبته عليه ويعفو عنه وكما يكسره بأنواع المصائب والمحن ثم يجبره بالعافية والتعميم افتح له باب عذام من أبواب معرفته ومحبته وعلم أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها وان ذلك الكسر هو نفس رحمة به وبره ولطفه وهو أعلم بعاصحة عبده منه ولكن العبد لضعف بصيرته ومعرفته باسمه ربها وصفاته لا يكاد يشعر بذلك ولا يزال رضا المحبوب وقربه والابتهاج والفرح بالدنو منه والزلفي لديه الا على جسر من الذلة والمسكنة وعلى هذا قام أمر الحبة فلا سيل الى الوصول الى الحبوب الا بذلك كما قبل

تذلل من تهوى لمحظى بقرره • فـ كـ عـ زـةـ قـ دـ نـ اـ طـ الـ عـ بـ الـ ذـ

اـ ذـ كـ اـ نـ مـ نـ هـ وـ يـ عـ زـ يـ اـ وـ مـ تـ كـ • ذـ لـ لـ اـ لـ هـ فـ اـ قـ رـ اـ سـ لـ اـ مـ عـ لـ الـ وـ سـ لـ

(٤ - مفتاح - اول)

وقال آخر

اخضع وذلّ لمن تحبّ فليس في « شرع الهوى أتف يشال ويقعد
وقال آخر

واما فرحت بالوصل نفس عزيزة * وما العز الا ذلتها وانكسرها
قالوا اذا علم ان ابليس أهبط من دار العز عقب امتناعه وإبانه من السجود لا آدم
نبت ان وسوسته له وزوجه كانت في غير الحال الذى أهبط منه والله أعلم . قالوا
واما قولكم ان الجنة انما جاءت معرفة باللام وهي تصرف الى الجنة التي لا يعهد
بني آدم سواها فلا ريب أنها جاءت كذلك ولكن العهد وقع في خطاب الله تعالى آدم
لكتناها بقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة) فهى كانت معهودة عند آدم ثم أخبرنا
سبحانه عنها معرفا طى بلا متعريف الفرق بها الى تلك الجنة المعهودة
في الذهن وهي التي سكنها آدم ثم أخرج منها فن أين في هذا ما يدل على محلها وموضها
بني او انبات . وأما عجيء جنة الخلد معرفة باللام فلانها الجنة التي أخبرت بها الرسل
لامهم ووعدها الرحمن عباده بالغيب حيث ذكرت انصرف الذهن اليها دون غيرها
لأنها قد صارت معلومة في القلوب مستقرة فيها ولا ينصرف الذهن الى غيرها ولا يتوجه
الشطاب الى سواها وقد جاءت الجنة في القرآن معرفة باللام والمراد بها بستان في بقعة
من الارض كقوله تعالى (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا بالصريحين)
فهذا لا ينصرف الذهن فيها الى جنة الخلد ولا الى جنة آدم بحال . قالوا وأما قولكم انه
قد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان وأنه لم ينazu في ذلك إلا
بعض أهل البدع والضلال . واستدلا لكم على وجود الجنة الآن سق لانزاركم فيه وعندنا
من الأدلة على وجودها أدنعاف ماذ كرتم ولكن أي تلازم بين أن تكون جنة الخلد
مخلوقة وبين أن تكون هي جنة آدم بعينها فكانكم تزعمون أن كل من قال ان جنة
آدم هي جنة في الارض فلا بد له أن يقول ان الجنة والنار مخلوقتان بعد وهذا خلط منكم
منشؤه من توهكم أن كل من قال بأن الجنة لم تخلق بعد قاله يقول ان جنة آدم هي في
الارض وكذلك بالعكس ان كل من قال ان جنة آدم في الارض فيقول ان الجنة مخلقة
فاما الاول فلا ريب فيه وأما الثاني فوهم لا تلزم بهما لافي المذهب ولا في الدليل فأنتم
نصبتم دليلكم مع طافية سخن وأنتم متفسرون على انكار قوطس ورده وابطاله ولكن
لا يلزم من هذا بطalan هذا القول الثالث وهذا واضح . قالوا وأما قولكم ان جميع ما
نفاه الله سبحانه عن الجنة من المغو والمعذاب وسائر الآفات التي وجد بعضها من ابليس

عدو الله فهذا إنما يكون بعد القيمة إذا دخلها المؤمنون كما يدل عليه السياق ٠ سخواه
 من وجهين ٠ أحدها أن ظاهر الخبر يتضمن نفي مطابقا لقوله تعالى (لَا تَغُرُّنِيهَا وَلَا تَأْتِيهَا)
 ولقوله تعالى (لَا تَسْمِعُ فِيهَا لَاغْيَةً) فهذا نفي عام لا يجوز تخصيصه إلا بمخصوص بينه وبين الله
 سبحانه قد حكم بها دار الخلد حكما مطلقا فلا يدخلها إلا خالد فيها فتخصيصكم هذه
 التسمية بما بعد القيمة خلاف الظاهر ٠ الثاني أن ما ذكرتم إنما يصار إليه إذا قام الدليل
 السالم عن المعارض المقاوم أنها جنة الخلد بعينها وحيثنى يتعين المصير إلى ما ذكرتم فاما
 إذا لم يقم دليل سالم على ذلك ولم تجتمع الأمة عليه فلا يسوغ مخالفة مادلت عليه النصوص
 البينة بغير موجب والله أعلم ٠ قالوا وما يدل على أنها ليست جنة الخلد التي وعد بها المتقون
 إن الله سبحانه لما خلق آدم أعلمه أن عمره أجيلا ينتهي إليه وأنه لم يخلقه للبقاء ٠ ويidel
 على هذا ما رواه الترمذى في جامعه قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا صوفوان بن عيسى
 حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذياب عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي
 هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم وفتح فيه الروح
 عطس فقال الحمد لله يا رب فقال له رب يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائكة
 منهم جلوس فقل السلام عليك قالوا وعليك السلام ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحبتك
 وتحبها يبنيك يبنهم فقال الله له ويداه مقبوضتان اخترت أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي
 وكلنا يدى ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذرته قال أى رب ما هؤلاء قال
 هؤلاء ذريتك فإذا كل انسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا رجل أضوؤهم أو من
 أضوئهم قال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود وقد كتبت له عمرأ أربعين سنة قال يا رب
 زد في عمره قال ذاك الذي كتب لك له قال أى رب فاني قد جعلت له من عمرى ستين
 سنة قال أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ماشاء الله ثم اهبط منها وكان آدم يدع لنفسه فأنا
 ملك الموت فقال له آدم قد عجلت أليس قد كتبت لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك
 داود ستين سنة فبحده ذريته ونبي فنيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب
 والشهود بهذا حديث حسن ضرب من هذا الوجه وروى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ٠ قالوا فهذا صريح في أن آدم لم يكن مخلوقا في دار الخلد التي لا يموت
 من دخلها وإنما خالق في دار الدنيا التي جعل الله لها وأهلها أجيالا معلوما وفيها أسكن مفان
 قيل فإذا كان آدم قد علم أن له عمرا ينتهي إليه وأنه ليس من الخالدين فكيف لم يكذب
 أليس وتعلم بطاعان قوله حيث قال له (هل أدرك على شجرة الخلد وملك لا يبل) بل جوز
 ذلك وأكل من الشجرة طمعا في الخلد فالجواب مانفرد من الوجهين إنما أن يكون المراد

بالخلد المكث الطويل لأبد الأبد أو يكون عدوه أبليس لما قسمه وزوجه وغيرها وأطعمهما
 بدمهما في الجنة نبي ما قدر له من عمره . قالوا المعمول عليه في ذلك قوله تعالى للملائكة
 (أني جاعل في الأرض خليفة) وهذا الخليفة هو آدم باتفاق الناس وما صحبت الملائكة من
 ذلك وقالوا (أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)
 عرفتهم سبحانه أن هذا الخليفة الذي هو جاعله في الأرض ليس حاله كاتو هم من الفساد
 بل أعلم من على مالا تعلموه فأظهر من فضله وشرفه بان عالمه الاسماء كلها ثم عرضهم
 على الملائكة فلم يعرفوها و (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمنا انك أنت العليم الحكيم)
 وهذا يدل على أن هذا الخليفة الذي سبق به اخبار الرب تعالى لملائكته وأظهر تعالى
 فضله وشرفه وأعلم بما لم يعلمه الملائكة وهو خليفة معمول في الأرض لافوق السماء . فان
 قبل قوله تعالى أني جاعل في الأرض خليفة إنما هو بمعنى سأجعله في الأرض فهي مآلته
 ومصيره وهذا لا يتنافي أن يكون في جنة الخلد فوق السماء أولاثم يصير إلى الأرض
 للخلافة التي جعلها الله له واسم الفاعل هنا بمعنى الاستقبال وهذا انتصب عنه المعمول
 . فالجواب أن الله سبحانه أعلم ملائكته بأنه يخلقه لخلافة الأرض لاسكناً جنة الخلود
 وخبره الصدق وقوله الحق وقد علمنا الملائكة أنه هو آدم فلو كان قد أسكنه دار الخلود
 فوق السماء لم يظهر للملائكة وقوع الخبر ولم يحتاجوا إلى أن بين لهم فضله وشرفه وعاليه
 المنضمن رد قوله (أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فلهم إنما سألهوا هذا السؤال
 في حق الخليفة المعمول في الأرض فأنما من دعوى دار الشلد فوق السماء فلم تستوهم الملائكة
 منه سفك الدماء والنمساد في الأرض ولا كان اظهار فضله وشرفه وناته وهو فوق السماء
 راداً لتوهم وجوه اسئلتهم بل الذي يحصل به جواهم وضده ما توهموه اظهار ذلك
 النضال والعلوم منه وهو في محل خلافه التي خلق لها وتوهنت الملائكة انه لا يحصل
 منه هناك الا صددها من الفساد ونفك الدماء وهذا واضح ان تأمله وأما اسم الفاعل
 وهو جاعل وإن كان بمعنى الاستقبال فلأن هذا اخبار عما يفعله الرب تعالى في المستقبل
 من جعله الخليفة في الأرض وقد صدق وعده ووقع ما أخبر به وهذا ظاهر في انه
 من أول الامر جعله الخليفة في الأرض وأما جعله في السماء أولاثم فجعله خليفة في
 الأرض ثانياً وإن كان مما لا يتنافي الاستخلاف المذكور فهو معاً يقتضيه الانفظ بوجيه
 بل يقتضي ظاهره خلافه فلا يصار إليه إلا بدليل يوجب المصير إليه وحوله نزددين
 . قالوا وأيضاً من العلوم الذي لا يختلف فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم من تراب
 وهو تراب هذه الأرض بلا رب كما روى الترمذى في جامعه من حديث عوف عن

قَاسِمَةُ بْنُ زَهْرَى عَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبارُكْ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قِبْصَةٍ قِبْصَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بِنُوَادِمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْرَى وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكُو وَالْسَّهْلِ وَالْحَزْنِ وَالْخَيْرِ وَالْعَلِيْبِ قَالَ التَّرمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ طَرِيقٍ عَدَةٍ وَقَدْ أَخْبَرَ سَيِّدَهُ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طَينٍ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَّامَتِنَوْنَ وَالصَّلْصَالِ قَبْلَ فِيهِ هُوَ الطَّينُ الْبَارِسُ الَّذِي لَهُ صَلْصَالٌ مَالِمٌ يُطْبَخُ فَإِذَا طُبَخَ فَهُوَ نَخَارٌ وَقَبْلَ فِيهِ هُوَ التَّغْيِيرُ الرَّاهِنُّ مِنْ قَوْلَمْ صَلَّى إِذَا أَنْتَنَ وَالْحَمَّا الطَّينُ الْأَسْوَدُ التَّغْيِيرُ وَالْمَسْنَوْنُ قَبْلَ الْمُصْبُوبِ مِنْ سَنْتِ الْمَاءِ إِذَا صَبَبَهُ وَقَبْلَ الْمَنْتَنِ الْمَسْنَوْنِ مِنْ قَوْلَمْ سَنْتِ الْحَجَرِ عَلَى الْحَجَرِ إِذَا حَكَكَهُ فَإِذَا سَالَ بِنَهْمَاشِيٍّ فَهُوَ سَنْنٌ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَنْتَنًا وَهَذِهِ كَلْمَاهَا أَطْوَارُ التَّرَابِ الَّذِي هُوَ مِبْدُؤُ الْأَوَّلِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِ الْذَرِيَّةِ مِنْ نَطْلَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ وَهَذِهِ أَحْوَالُ النَّطْلَةِ الَّتِي هِيَ مِبْدُؤُ الْذَرِيَّةِ وَلَمْ يُخْبِرْ سَيِّدَهُ أَنَّهُ رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى فَوْقِ السَّمَوَاتِ لَا قَبْلَ التَّخَالِقِ وَلَا بَعْدَهُ وَأَنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ اسْجَادِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ وَعَنْ ادْخَالِهِ الْجَنَّةَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ ابْلِيسِ بَعْدَ خَلْقِهِ فَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِالْأَمْوَالِ الْثَالِثَةِ فِي نَسْقٍ وَاحِدٍ مِنْ تَبْطِلَانِ بَعْضِهَا بَعْضٌ • قَالُوا فَإِنْ الدَّلِيلُ الدَّالِلُ عَلَى اصْعَادِ مَادَّةٍ وَاصْعَادِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ إِلَى فَوْقِ السَّمَوَاتِ هَذَا مَعَلَّا دَلِيلٌ لَكُمْ عَلَيْهِ أَصْلًا وَلَا هُوَ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ • قَالُوا وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ لَيْسَ بِمَكَانٍ لِلْعَيْنِ الْأَرْضِيِّ التَّغْيِيرِ الرَّاهِنِ الَّذِي قَدْ أَنْتَنَ مِنْ تَغْيِيرِهِ وَأَنَّمَا حَلَّهُ هَذَا الْأَرْضُ الَّتِي هِيَ مَحْلُ التَّغْيِيرَاتِ وَالْفَاسِدَاتِ وَأَمَّا مَا كَانَ فَوْقَ الْأَفْلَاكِ فَلَا يَلْحَقُهُ تَغْيِيرٌ وَلَا أَنْتَنَ وَلَا فَسَادٌ وَلَا إِسْتِحْدَالٌ • قَالُوا وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَرْتَابُ فِي الْعَنَاءِ • قَالُوا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَامَاتُ رَبِّكُمْ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُوذٌ) فَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ أَنَّ هَذَا عَطَاءُهُ فِي جَنَّةِ الْخَلَدِ غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَمَا أُعْطِيَهُ آدَمُ فَقَدْ انْقَطَعَ فَلَمْ تَكُنْ تَلْكَ جَنَّةُ الْخَلَدِ • قَالُوا وَأَيْضًا فَلَا تَرَاعُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ فِي الْأَرْضِ كَمَا تَقْدِمُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي قِصَّتِهِ أَنَّهُ نَفَخَ إِلَيْهِ الْمَهَى وَلَوْ كَانَ تَعَالَى قَدْ نَفَخَهُ إِلَيْهِ الْمَهَى لَكَانَ هَذَا أَوْلَى بِإِذْكُرْ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَأَكْبَرُ أَسْبَابِ تَفْضِيلِهِ وَتَشْرِيفِهِ وَأَبْلَغَ فِي بَيْانِ آيَاتِ قَدْرَتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَأَبْلَغَ فِي بَيْانِ الْمَفْصُودِ مِنْ عَاقِبَةِ الْمُعْصِيَةِ وَهُوَ الْأَهْبَاطُ مِنَ الْبَيْمَاءِ الَّتِي نَفَخَ إِلَيْهَا كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي حَقِّ ابْلِيسِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَنَّهُ نَفَخَ إِلَيْهِ الْمَهَى وَرَفَعَهُ إِلَيْهَا بِعِدْسَخَافِهِ فِي الْأَرْضِ عَلِمَ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي أَدْخَلَهَا لَمْ تَكُنْ هِيَ جَنَّةُ الْخَلَدِ الَّتِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ • قَالُوا وَأَيْضًا قَاتَهُ

سبحانه قد أخبر في كتابه انه لم يخلق عباده عبشا ولا سدى وأنكر على من زعم ذلك
 فدل على ان هذا مناف لحكمته ولو كانت جنة آدم هي جنة الخلد لكانوا قد خلقوها في
 دار لا يؤمرون فيها ولا ينهون وهذا باطل بقوله (أيحسب الانسان ان يترك سدى) قال
 الشافي وغيره ممعطلا لا يؤمر ولا ينهى وقال (أخفبتم ما خلقناكم عبشا) فهو تعالى
 لم يخلقهم عبشا ولا تركهم سدى وجنة الخلد لا تكليف فيها قالوا وأيضا فإنه خلقها
 جزاء لـ^{العاملين} بقوله تعالى (نعم أجر العاملين) وجزاء للمتقين بقوله (ولهم دار المتقين)
 ودار الثواب بقوله (نوابا من عند الله) فلم يكن ليسكنها الا من خلقها لهم من العاملين
 ومن المتقين ومن تبعهم من ذريتهم وغيرهم من الحور والولدان وباجلة حكمته تعالى
 اقتنست أنها لا تنال الا بعد الابلاء والامتحان والصبر والجهاد وأنواع الطاعات وإذا
 كان هذا مقتضى حكمته فإنه سبحانه لا يفعل الا ما هو مطابق لها قالوا اذا جمع
 ما أخبر الله عز وجل به من أنه خلقه من الارض وجعله خليفة في الارض وأن ابليس
 وسوس له في مكانه الذي أسكنه فيه بعد ان أهبط ابليس من السماء وأنه أخبر
 ملائكته أنه جاعل في الارض خليفة وان دار الجنة لا لغو فيها ولا تأنيم وأن من
 دخلها لا يخرج منها أبداً وان من دخلها ينعم لا يبؤس وأنه لا يخاف ولا يحزن وأن الله
 سبحانه حرمهما على الكافرين وعدوا الله ابليس أكفر الكافرين فحال أن يدخلها أصلا
 لا دخول عبر ولا دخول قرار وأنها دار نعيم لا دار ابتلاء وامتحان الى غير ذلك
 مما ذكرناه من منافات أوصاف جنة الخلد للجنة التي أسكنها آدم اذا جمع ذلك بعضه
 الى بعض ونظر فيه بين الانصاف والتجرد عن نصرة المقالاتتين الصواب من ذلك
 والله المستعان قال الآخرون بل الجنة التي أسكنها آدم عند ساف الامة وأئمتها وأهل
 السنة والجماعة هي جنة الخلد ^{ومن} قال أنها كانت جنة في الارض بأرض الهند أو بأرض
 جهة أو غير ذلك فهو من المتفاسفة والمالحدين والمغزلة أو من اخوانهم المتكلمين المبتدعين
 فإن هذا يقوله من يقوله من المتفاسفة والمغزلة والكتاب يرد هذا القول وساف الامة
 وأئمتها متذمرون على بطلان هذا القول قال تعالى (واذ قاتنا ^{لهم} لملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
 الا ابليس اي واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها
 رغدا حيث شئت ولا تقرب بهذه الشجرة فتكوننا من ^{الظالمين} فازهم الشيطان عنها
 فآخر جهema ما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولهم في الارض مستقر ومنع
 الى حين) فقد أخبر سبحانه أنه أمرهم بالاطبوط وان بعضهم لبعض عدو ثم قال (ولهم
 في الارض مستقر ومنع الى حين) وهذا بين انهم لم يكونوا في الارض وانا اهبطوا

إلى الأرض فانهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا منها إلى أرض أخرى كما انتقل قوم موسى من أرض إلى أرض كان مستقر هم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الطبوط كا هو بعده وهذا باطل . قالوا وقد قال تعالى في سورة الاعراف لما قال إبليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تكبر فيها فما يخرج إنك من الصاغرين) يبين اختصاص الجنة التي في السماء بهذا الحكم بخلاف جنة الأرض فإن إبليس كان غير من نوع من التكبر فيها والضمير في قوله منها عائد إلى معلوم وإن كان غير مذكور في اللفظ لأن العلم به أعنى عن ذكره . قالوا وهذا بخلاف قوله (اهبتو مصرًا فأن لكم مسألتم) فإنه لم يذكر هنا ما اهبطوا منه وإنما ذكر ما اهبطوا إليه بخلاف اهباط إبليس فإنه ذكر مبدأ هبوطه وهو الجنة والطبوط يكون من علو إلى سفل وبين إسرائيل كانوا بخيال السراة الشرفة على مصر الذي يهبطون إليه ومن هبط من جبل إلى واد قيل له اهبط . قالوا وأيضاً فبنو إسرائيل كانوا يسرون ويرحلون والذي يسير ويرحل اذا جاء بدلة يقال نزل فيها لأن من عادة أن يركب في مسيرة فإذا وصل نزل عن دوابه ويقال نزل العدو بأرض كذا ونزل القفل ونحوه ولفظ النزول كلفظ الطبوط فلا يستعمل نزل وهبط إلا إذا كان من علو إلى سفل وقال تعالى عقب قوله اهبطوا بعضكم بعض عدو ولكنكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تخرون وفيها تموتون ومنها تخرجون) فهذا دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في مكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون والقرآن صريح في أنهم إنما صاروا إليه بعد الاهباط . قالوا ولو لم يكن في هذه الأقصة آدم وموسى لكان كافية فإن موسى صلى الله عليه وسلم إنما لام آدم عليه السلام لما حصل له ولذرته من الخروج من الجنة من السكك والمشقة فلو كانت بستانًا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه وموسى أعظم قدرًا من أن يلومه على أن اخرج نفسه وذرته من بستان في الأرض . قالوا وكذلك قول آدم يوم القيمة لما يرثي الناس أن يستفتح لهم باب الجنة فيقول وهل آخر حكم منها الا خطيئة أبيكم فان ظهور هذا في كونها جنة الخلد وأنه اعتذر لهم بأنه لا يحسن منه أن يستفتحها وقد اخرج منها بخطيبته من أظهر الأدلة . قال الآباء ألم قولكم إن من قال أنها جنة في الأرض فهو من المخالف والملاحدين والمعزلة أو من أخوانهم فقد أوجدنَاكم من قال بهذا وليس من أحد من هؤلاء . ومشاركة أهل الباطل للحق في المسألة لا يدل على بطلانها ولا تكون اضافتها لهم موجبة لبطلانها مالم يختص بها فان أردتم انه لم يقل بذلك الا هؤلاء فليس كذلك وان أردتم أن هؤلاء من جملة القائلين بهذا لم يفديكم

شيئاً . قالوا وأما قولكم سلف الأئمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول فمحن
 نطالكم بقول صحيح عن واحد من الصحابة ومن بعدهم من أئمة السلف فضلاً عن
 أئقاهم . قالوا ولا يوجد عن صاحب ولا تابع ولا تابع تابع خبر يصح موصولاً
 ولا شاداً ولا مشهوراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أسكن آدم جنة
 الخلد التي هي دار المتقين يوم المعاد . قالوا وهذا القاضي منذر بن سعيد قد حكى عن
 غير واحد من السلف أنها ليست جنة الخلد . فقال ونحن نوجدكم أن أبا حنيفة فقيه
 العراق ومن قال بقوله قد قالوا إن جنة آدم التي خلقها الله ليست جنة الخلد وليسوا
 عند أحد من العالمين من الشاذين بل من رؤساء المخالفين وهذه الدوافع مشحونة
 من علومهم . وقد ذكرنا قول ابن عيينة وقد ذكر ابن مازين في تفسيره . قال
 سألت ابن نافع عن الجنة مخلوقة فقال السكوت عن هذا أفضل . قالوا فلو كان عند ابن
 نافع أن الجنة التي أسكنها آدم هي جنة الخلد لم يشك أنها مخلوقة ولم يتوقف في ذلك
 . وقال ابن قديمة في كتابه غريب القرآن في قوله تعالى (وقلنا اهبطوا منها) قال ابن
 عباس رضي الله عنهما في رواية أبي صالح هو كذا يقال هبط فلان أرض كذا وكذا ولم
 يذكر في كتابه غيره فإن اجماع سلف الأئمة وأئمتها . قالوا وأما احتجاجكم بقوله تعالى
 (ولكم في الأرض مستقر) عقیب قوله اهبطوا فهذا الأبدل على أنهم كانوا في جنة الخلد
 فان أحد الأقوال في المسألة أنها كانت جنة في السماء غير جنة الخلد كحکاه الماوردي في
تفسيره وقد تقدم . وأيضاً فان قوله (ولكم في الأرض مستقر) يدل على أن لهم مستقراً
 إلى حين في الأرض المفطعة عن الجنة ولا بد فان الجنة أيضاً لها أرض أيضاً قال تعالى عن
 أهل الجنة (وقلوا الحمد لله الذي نصدقنا وعده وأورثنا الأرض ثبوتاً من الجنة حيث
 نشاء فعم أجر العالمين) فدل على أن قوله (ولكم في الأرض مستقر) المراد به الأرض
 الخالية من تلك الجنة لا كل مايسعى أرضاً وكان مستقرهم الأول في أرض الجنة ثم صار
 في أرض الابتلاء والامتحان ثم يصير مستقر المؤمنين يوم الجزاء أرض الجنة أيضاً فلا
 تدل الآية على أن جنة آدم هي جنة الخلد . قالوا وهذا هو الجواب بعيته عن استدلالكم
 بقوله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) فان المراد به الأرض التي أهبطوا
 إليها وجعلت مسكنآ لهم بدل الجنة . وهذا تفسير المستقر المذكور في البقرة مع تضمينه
 ذكر الالهارج منها . قالوا وأما قوله تعالى لا بليس (أهبط منها ها يكون لك أن تكبر
 فيها) . وقولكم ان هذا إنما هو في الجنة التي في السماء والا جنة الأرض لم يمنع ابليس
 من التكبر فيها فهو دليل لنا في المسألة فان جنة الخلد لا سبيل لا بليس الى دخولها والتكبر

فيها أصلاً . وقد أخبر تعالى أنه وسوس لآدم وزوجه وكذبها وغرهما وخانهما وتكبر
عليهما وحسدهما وهما حيثـنـ في الجنة فدل على أنها لم تكن جنة الخلد ومحال أن يصعد
إليها بعد أهباطه وآخرـاجـه منها . قالوا والضمير في قوله أهبطـواـ منها إما أن يكون عائداً
إلى السـماءـ كـاـهـ هو أحد القـولـينـ وعلى هذا فيـكونـ سـبـحـانـهـ قد أهـبـطـهـ مـنـ السـماءـ عـقـبـ
أـمـتـاعـهـ مـنـ السـجـودـ وأـخـبـرـ آـنـ لـيـسـ لـهـ أـنـ يـتـكـبـرـ ثـمـ تـكـبـرـ وـكـذـبـ وـخـانـ فـيـ الـجـنـةـ فـدـلـ
عـلـىـ اـنـهـ لـيـسـ فـيـ السـمـاءـ أـوـ يـكـوـنـ عـائـداـ إـلـىـ الـجـنـةـ عـلـىـ القـوـلـ الـآـخـرـ وـلـاـ يـلـزـمـ مـنـ هـذـاـ
الـقـوـلـ أـنـ تـكـوـنـ الـجـنـةـ الـقـىـ كـاـذـبـاـ فـيـ تـكـبـرـ الـقـىـ أـهـبـطـهـ مـنـهـ بـلـ
الـقـرـآنـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـهـ غـيرـهـ كـاـذـرـاـ فـعـلـ التـقـدـيرـينـ لـاـتـدـلـ الـآـيـةـ عـلـىـ اـنـ الـجـنـةـ الـقـىـ
جـرـىـ لـآـدـمـ مـعـ اـبـدـىـسـ مـاـجـرـىـ فـيـهـ جـنـةـ الـخـلـدـ . قـالـواـ وـأـمـاـ قـوـلـكـ أـنـ بـنـ اـسـرـاـئـيلـ
كـانـواـ بـحـيـالـ السـرـةـ الـمـشـرـفـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ الـقـىـ يـهـبـطـونـ وـهـمـ كـانـواـ يـسـرـيـونـ وـيـرـحلـونـ فـلـذـاتـ
قـيـلـ هـمـ أـهـبـطـوـاـ فـهـذـاـ حـقـ لـاـنـزـاـءـكـمـ فـيـ وـهـوـ بـعـيـنـهـ جـوـابـ لـنـاـ فـانـ الـهـبـوتـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ
تـلـكـ الـجـنـةـ كـانـتـ أـعـلـاـ مـنـ الـأـرـضـ الـقـىـ أـهـبـطـوـاـ إـلـيـهـ وـأـمـاـ كـوـنـهـ جـنـةـ الـخـلـدـ فـلـاـ . قـالـواـ
وـالـفـرـقـ بـيـنـ قـوـلـهـ أـهـبـطـوـاـ مـدـرـاـ وـقـوـلـهـ أـهـبـطـوـاـ إـلـيـهـ فـانـ الـأـوـلـ لـهـيـاـ الـهـبـوتـ وـغـايـتـهـ
وـأـهـبـطـوـاـ إـلـيـهـ مـقـضـيـنـ بـلـيـدـهـ وـأـوـلـهـ لـاـتـأـنـرـ لـهـ فـيـهـ مـنـ كـذـاـ إـلـىـ كـذـاـ
يـتـضـمـنـ مـعـنـيـ الـأـنـتـالـ مـنـ مـكـانـ عـالـ إـلـىـ مـكـانـ سـافـلـ فـأـيـ تـأـنـرـ لـاـبـدـاءـ الـغـاـيـةـ وـنـهـاـيـتـهـ فـيـ
تـعـيـنـ مـحـلـ الـهـبـوتـ بـاهـ جـنـةـ الـخـلـدـ . قـالـواـ وـأـمـاـ قـصـةـ مـوـسـىـ وـلـوـمـهـ لـآـدـمـ عـلـىـ اـخـرـاجـهـ مـنـ
الـجـنـةـ فـلـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـهـ جـنـةـ الـخـلـدـ وـقـوـلـكـ لـاـيـظـنـ بـيـسـيـ أـنـ يـلـومـ آـدـمـ عـلـىـ اـخـرـاجـهـ نـفـسـهـ
وـذـريـتـهـ مـنـ بـسـانـ فـيـ الـأـرـضـ تـشـبـيـعـ لـاـيـغـدـ شـيـثـاـ أـفـتـرـيـ كـانـ ذـلـكـ بـسـانـاـ مـثـلـ آـحـادـ هـذـهـ
الـبـسـاتـينـ الـمـقـطـوـعـةـ الـقـىـ هـيـ عـرـضـ الـأـفـاتـ وـالـتـعـبـ وـالـتـصـبـ وـالـقـلـمـاـ وـالـحـرـثـ وـالـسـقـ
وـالـتـقـبـ وـسـاـئـرـ وـجـوـهـ التـصـبـ الـذـىـ يـاـحـقـ هـذـهـ الـبـسـاتـينـ وـلـاـ رـيـبـ أـنـ مـوـسـىـ عـلـىـهـ
الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ أـعـلـمـ وـأـجـلـ مـنـ أـنـ يـلـومـ آـدـمـ عـلـىـ خـرـوجـهـ وـاـخـرـاجـهـ بـيـهـ مـنـ بـسـانـ هـذـاـ
شـائـهـ وـلـكـنـ مـنـ قـالـ بـهـذـاـ وـأـنـاـكـانـتـ جـنـةـ لـاـيـلـحـقـهـ آـفـةـ وـلـاـ تـقـطـلـ نـارـهـ وـلـاـ تـغـورـ
أـنـهـارـهـ وـلـاـ يـجـمـعـ سـاـكـنـهـ وـلـاـ يـذـلـمـ وـلـاـ يـضـحـىـ لـلـشـمـسـ وـلـاـ يـعـرـىـ وـلـاـ يـسـهـ فـيـهـ التـعـبـ
وـالـتـصـبـ وـالـشـفـاءـ وـمـثـلـ هـذـهـ الـجـنـةـ يـحـسـنـ لـوـمـ الـأـنـسـانـ عـلـىـ التـصـبـ فـيـ خـرـوجـهـ مـنـهـ
قـالـواـ وـأـمـاـ اـعـتـذـارـ آـدـمـ عـلـىـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـاـهـلـ الـوـقـفـ بـأـنـ خـطـيـتـهـ
هـيـ الـقـىـ أـخـرـجـتـهـ مـنـ الـجـنـةـ فـلـاـ يـحـسـنـ أـنـ يـسـتـفـحـهـ طـمـ فـهـذـاـ لـاـيـسـتـازـمـ أـنـ تـكـوـنـ هـيـ
بـعـيـنـهـ الـقـىـ أـخـرـجـهـ مـنـهـ بـلـ إـذـاـكـانـ شـيـرـهـاـكـانـ أـبـلـغـ فـيـ الـأـعـتـذـارـ فـاـنـهـ إـذـاـكـانـ الـخـرـوجـ مـنـ
غـيرـ جـنـةـ الـخـلـدـ حـمـلـ بـسـبـبـ الـخـطـيـتـهـ فـكـيـفـ يـلـيقـ اـسـفـتـاحـ جـنـةـ الـخـلـدـ وـالـشـفـاءـ فـيـهـ

نُمْ خَرَجَ مِنْ غَيْرِهَا بِخُلُقِهِ فَهُنْ مَوْقِفُ نَظَرِ الْفَرِيقَيْنِ وَنَهَايَةُ أَقْدَامِ الطَّائِفَتَيْنِ فَنَّ كَانَ لَهُ
فَضْلٌ عِلْمٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَيَجِدَ بِهِ فَهُنْ وَقْتُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَنْ عِلْمٌ مُنْتَهَىٰ خَطْلُونَهُ
وَمَقْدَارٌ بِصَنَاعَتِهِ فَلَيَكُلُّ الْأُمْرِ إِلَىٰ عَالَمٍ وَلَا يَرْضِي لِنَفْسِهِ بِالْتَّقْيِصِ وَالْأَزْرَاءِ عَلَيْهِ وَلِكُلِّ
مِنْ أَهْلِ التَّلَوْلِ الَّذِينَ هُمْ نِظَارَةُ الْحَرْبِ إِذَا مَا يَكُنُ مِنْ أَهْلِ الْكُرْ وَالْفَرْ وَالْطَّعْنِ وَالْفَرْبِ
فَقَدْ تَلَاقَتِ الْفَحْوُلُ وَتَعَاهَنَتِ الْأَقْرَانُ وَضَاقَ بِهِمُ الْجَالُ فِي حَاجَةِ هَذَا الْمَيْدَانِ

اَذَا تَلَاقَتِ الْفَحْوُلُ فِي جَلْبٍ * فَكَيْفَ حَالَ الْغَصِيصُ فِي الْوَسْطِ

هَذِهِ مَعَاقِدُ حِجَاجِ الْعَلَافِتَيْنِ بِحِتَازَةِ بَابِكَ وَالْبَلْكَ تَاقَ وَهَذِهِ بِصَنَاعَتِ شَجَارِ الْعَلَمَاءِ
يَنَادِي عَلَيْهَا فِي سُوقِ الْكَادِلَاتِ فِي سُوقِ النَّفَاقِ فَنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَسَابِ الْبَيَانِ
وَالْبَشَرَةِ فَلَا يَعْدُمُ مِنْ قَدْ اسْتَرْغَ وَسَعِهِ وَبِذَلِكَ جَهَدُهُ مِنْهُ التَّصْوِيبُ وَالْمُعَذْرَةُ وَلَا
يَرْضِي لِنَفْسِهِ بَشَرُ الْخَطَّيْنِ وَالْخَنْسُ الْخَطَّيْنِ جَهَلُ الْحَقِّ وَأَسْبَابُهُ وَمَعَادَةُ أَهْلِهِ وَطَلَابُهُ
وَإِذَا عَظَمَ الْمَطْلُوبُ وَأَتَوْزَكَ الرَّفِيقُ النَّاصِحُ الْعَلَمُ فَارْحَلَ بِهِمْتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ
وَعَلَيْكَ بِعِلْمِ إِبْرَاهِيمَ فَقَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ النَّقُولِ وَالْأَدَلَةِ وَالنَّكَتِ الْبَدِيعَةِ
مَا لَعَلَهُ لَا يَوْجِدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْمَصْنَفَيْنِ وَلَا يَعْرُفُ قَدْرُهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفَضَلَاءِ
الْمَصْنَفَيْنِ وَمَنْ أَلْهَمَ بِسُبْحَانِهِ الْإِسْتِمْدَادَ وَعَلَيْهِ التَّوْكِلُ وَالْإِيمَانُ الْإِسْتِنَادُ فَانْهُ لَا يَخِبِّبُ مِنْ تَوْكِلِ
عَلَيْهِ وَلَا يَضِيعُ مِنْ لَادِهِ وَفَوْضُ أَمْرِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْ وَكِيلُ

فَصْلٌ

وَلَا اهْبَطْلَهُ بِسُبْحَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَعَرَضَهُ وَذَرَيْتَهُ لِأَنْوَاعِ الْخَنْ وَالْبَلَاءِ أَعْطَاهُمْ أَفْضَلَ مَا
مَنْعَمْ وَهُوَ عَبْدُهُ الَّذِي عَبَدَ إِلَيْهِ وَالِيَّ بَنِيهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ تَمَسِّكِهِ مِنْهُمْ صَارَ إِلَى رِضْوَانِهِ
وَدَارَ كَرَامَتَهُ . قَالَ تَعَالَى عَتَبَ أَخْرَاجَهُ مِنْهَا (قَالَا اهْبَطُوا مِنْهَا جِيَعاً فَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِنْ هَذِي
فَنَّ أَتَعْ هَدَىٰي فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُنُونَ) وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ قَالَ (اَهْبَطْلَمُهُمْ جِيَعاً
فَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِنْ هَذِي فَنَّ أَتَعْ هَدَىٰي فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمِنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَكْرِي فَانْ
لَهُ مَعِيشَةٌ حَسْكَةٌ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الزِّيَادَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبُّنَا حَسْرَتِنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كَنْتَ بِصِيرَاتِ
قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتِنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تَسْنِي) فَلَمَّا كَسَرَهُ بِسُبْحَانِهِ بِأَهْبَاطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ
جَبَرَهُ وَذَرَيْتَهُ بِهِذَا الْمَهْدَى الَّذِي عَبَدَهُ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ تَعَالَى (فَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِنْ هَذِي) وَهَذِهِ
هِيَ أَنَّ الشَّرْطِيَّةَ الْمُؤَكِّدَةَ بِمَا الدَّالَّةِ عَلَى اسْتَغْرَاقِ الزَّمَانِ . وَالْمَعْنَى أَيُّ وَقْتٍ وَأَيُّ حِينٍ
أَنْتُمْ مِنْ هَذِي وَجَعَلْ جَوَابَ هَذَا الشَّرْطِ جَلَةً شَرْطِيَّةً وَهِيَ قَوْلُهُ (فَنَّ أَتَعْ هَدَىٰي
فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) كَمَا تَقُولُ أَنَّ زَرْتِنِي فَنَّ بَشَرَنِي بِقَدْوَمِكَ فَهُوَ حَرْ وَجَوَابُ الشَّرْطِ

يكون جملة تامة اما خبراً محضًا كقولك ان ذرتني أكرمتك أو خبراً مفروناً بالشرط كهذا أموئكداً بالقسم او بأن واللام كقوله تعالى (وان اطعتموه انكم لمشركون) . واما طلباً كقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأله الله واذا استعنت فاستعن بالله وقوله واذا لقيتهموهم فاصبروا وقوله تعالى (اذا حلمتم فاصطادوا اذا اسلخ الاشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدتهم) وأكثر ما يأتي هذا النوع مع اذا التي تفيد تحقيق وفوع الشرط لسر وهو افادته تحقيق الطالب عند تحقيق الشرط ففي تحقيق الشرط فالطلب متحقق فاني اذا الدالة على تحقيق الشرط فعلم تحقيق الطالب عندها وقد يأتي مع ان قليلاً كقوله تعالى (وان كذبوا فقل لي عملي ولكم عملكم) . واما جملة انشائية كقوله لعبد الكافر ان أسلمت فأنت حر ولا مرأة ان فعلت كذا فأنت مطالق فهذا انشاء للعتق والطلاق عند وجود الشرط على رأي او انشاء له حال التعليق ويتأخر نفوذه الى حين وجود الشرط على رأي آخر . وعلى التقديرين بحواب الشرط جملة انشائية . والمقصودان بحواب الشرط في الآية المذكورة جملة شرطية وهي قوله (فمن اتبع هدای فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا الشرط يقتضي ارتباط الجملة الأولى بالثانية ارتباط العلة بالمعنى والسبب بالسبب فيكون الشرط الذي هو ملزم علة ومقتضياً للجزاء الذي هو لازم فان كان بينهما تلازم من العطرين كان وجود كل منهما بدون دخول الآخر متسماً بدخول الجنة بالاسلام وارتفاع الخوف والحزن والصال والشقاء مع متابعة الهدى وهذه هي عامة شروط القرآن والسنة فاتها اسباب وعلل والحكم ينتهي باشتفاء عاته وان كان التلازم بينهما من أحد العطرين كان الشرط ملزماً وما خاصاً والجزء الازم مما عامة حتى تتحقق الشرط الملزوم الخاص تتحقق الجزء الازم العام ولا يلزم العكس كما يقال ان كان هذا انساناً فهو حيوان وان كان بیع صحیحاً فالمالک ثابت . وعدها غالباً ما يأتي في قيام الدالة حيث يكون الشرط دليلاً على الجزء فيلزم من وجوده وجود الجزء لأنّ الجزء الازم ووجود الملزوم يستلزم وجود الازم ولا يلزم من عدمه عدم الجزء وان وقع هذا الشرط بين علة ومعنوي فان كان الحكم معللاً بحال صحيحة ذلك وجاز أن يكون الجزء أعم من الشرط كقولك ان كان هذا مرتدأ فهو حلال الدم فان حل الدم أعم من حله بالردة . الا ان يقال ان حكم العلة المعينة ينتهي باشتفاءها وان ثبت الحكم بعملة أخرى فهو حكم آخر وأما حكم العلة المعينة ف الحال ان يبني مع زوالها وحينئذ فيعود التلازم من العطرين ويلزم من وجود كل واحد من الشرط والجزء وجود الآخر ومن عدده عدمه و تمام تحقيق هذا في مسألة تعابيل الحكم الواحد بعاتين ولناس فيه

نزاع مشهور وفصل الخطاب فيها ان الحكم الواحد ان كان واحداً بال النوع سُكُل الدم
 ونبوت الملك ونفي الطهارة جاز تعليمه بالعلل المختلفة وان كان واحداً بالعين سُكُل الدم
 بالردة ونبوت الملك بالبيع أو الميراث ونحو ذلك لم يجز تعليمه بعاتين مختلفتين وبهذا
 التفصيل يزول الاشتباه في هذه المسألة والله أعلم . ومن تأمل أدلة الطائفتين وجد كل
 ما احتاج به من رأى تعليل الحكم بعلل مختلفة إنما يدل على تعليل الواحد بال نوع بها
 وكل من في تعليل الحكم بعاتين إنما يتم دليله على نفي تعليل الواحد بالعين بهما
 فالقولان عند التحقيق يرجعان إلى شيء واحد . والمقصود أن الله سبحانه جعل أتباع
 هدائه وعهده الذي عهده إلى آدم سبباً ومقتضاها لعدم الخوف والحزن والضلال والشقاء
 وهذا الجزء ثابت بتقويم الشرط منتف باتفاقه كما تقدم بيانه وفي الخوف والحزن عن
 متبع الهدى نفي جميع أنواع الشرور فأن المكروه الذى ينزل بالعبد متى علم بمحصوله
 فهو خائف منه أن يقع به وإذا وقع به فهو حزين على ما أصابه منه فهو داعماً في خوف
 وحزن وكل خائف حزين فكل حزين خائف وكل من الخوف والحزن يكون على
 فعل المحبوب ومحصول المكروه . فالأنواع أربعة خوف من فوت المحبوب ومحصول
 المكروه وهذا جماع الشر كله ففي الله سبحانه ذلك عن متبع هدائه الذي أزله على
 ألسنة رسله وأن في نفي الخوف بالاسم الدال على نفي الثبوت واللازم فأن أهل الجنة
 لا يبد طم من الخوف في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيمة حيث يقول آدم وغيره من
 الأنبياء نفسي فأخبر سبحانه أنهم وإن خافوا فلا خوف عليهم أي لا يتحققون
 الخوف الذى خافوا منه وأن في نفي الحزن بالفعل المضارع الدال على نفي التجدد
 والحدوث أي لا يتحققون حزن ولا يحدث لهم إذا لم يذكروا ماسنفهم بل هم في
 سرور دائم لا يعرض لهم حزن على ماقات . وأما الخوف فلما كان تعلقه بالمستقبل دون
 الماضي نفي لخوفه طم جملة أي الذى خافوا منه لا يتألم ولا يلم بهم والله أعلم . فالحزين إنما
 يحزن في المستقبل على ماضي والخائف إنما يخاف في الحال مما يستقبل فلا خوف عليهم
 أي لا يتحققون ما خافوا منه ولا يعرض لهم حزن على ماقات . وقال في الآية الأخرى
 (فَنَاتَّبْعَ هَدَائِي فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى) فمعنى عن متبع هدائه أسرى الضلال والشقاء
 قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تتكلل الله من قرأ القرآن وعمل بما فيه أن
 لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ (فَلَمَا يَأْتِنَكُمْ مِنْ هَدَىٰ فَنَاتَّبْعَ هَدَائِي
 فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى) والأية نفت مسعي الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقاً فاقتضت
 لا يأنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها فأن المراتب أربعة

هدي وشقاوة في الدنيا وهدى وشقاوة في الآخرة . لكن ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في كل دار أظهر مرتبتها فذكر الضلال في الدنيا اذ هو أظهر لنا وأقرب من ذكر الضلال في الآخرة . وأيضاً فضلال الدنيا أضل ضلال في الآخرة وشقاء الآخرة مستلزم لضلال فيها فبها بكل مرتبة على الاخرى فبها بنى ضلال الدنيا على نفي ضلال الآخرة فان العبد يموت على ما عاش عليه ويبعث على مماته عليه . قال الله تعالى في الآية الاخرى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنك ومحشره يوم القيمة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أنت آياتنا فنسيناها وكذلك اليوم ننسى) وقال في الآية الاخرى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) فأخبر أن من كان في هذه الدار ضالا فهو في الآخرة أضل وألما نفي شقاء الدنيا فقد يقال انه لما انتفى عنه الضلال فيها وحصل له المهدى والهدى فيه من برد اليقين وطمأنينة القلب وذاق طعم الاعيان فوجد حلاوه وفرحة القلب به وسروره والتشعم به ومصير القلب حياً بالاعيان مستثيراً به قوياً به قد نال به غذاءه ورواهه وشقاءه وحياته ونوره وقوته ولذته ونعمته ما هو من أجمل أنواع النعيم وأطيب العطيات وأعظم اللذات . قال الله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو ألق وهو مؤمن فلنحيئه حياة ولنجزئهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فهذا خبر أصدق الصادقين ومحبته عند أهله عين اليقين بل هو حق اليقين ولا بد لكل من عمل صالحاً أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله ولكن يغلط الجفاة الأجلاف في مسمى الحياة حيث يظنونها التم في أنواع المآكل والمشابك والملابس والمناكح أو لذة الرياضة والمال وقهر الاعداء والتغلب بأنواع الشهوات ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم بل قد يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الانسان فمن لم تكن عنده لذة الا لذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعام فذلك من ينادي عليه من مكان بعيد ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر اذا خالطت بشاشته الغلوب سلي عن البناء والنساء والآوطان والاموال والاخوان والمساكن ورضي برتكا كلها والخروج منها رأساً وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاكل وهو متخل بهذا مندرج الصدر به يطيب له قتل ابنته وأبيه وصاحبته و أخيه لاتأخذه في ذلك لومة لائم حق ان أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول فرز ورب الكعبة ويستطيل الآخر حياته حتى يلتقي قوته من يده ويقول أنها حياة طوية ان صبرت حق آن كلها ثم يتقدم الى الموت فرحا مسروراً ويقول الآخر مع فقره لو علم الملوك وأبناء المسلمين ما نحن عليه جالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر انه لم يمر بالقلب اوقات يرقص فيها طرباً

• وقال بعض العارفين انه لغير بي أوقات أقول فيها ان كان أهل الجنة في مثل هذا ائم
 لني عيش طيب ومن تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ناههم عن الوصال فقالوا
 انك تواصل فقال اني لست كهينكم اني أخلع عند ربى يطعمني ويسقيني علم أن هذا
 طعام الارواح وشرابها وما يفينا عليها من أنواع البهجة واللذة والسرور والنعيم الذى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدورة العليا منه وغيره اذا تعلق بعياره رأى ملك
 الدنيا ونعمتها بالنسبة اليه هباء منثورا بل باطلا وغورا وغلط من قال انه كان يأكل
 ويشرب طعاماً وشراباً يغتنى به بدنه لوجوهه • أحدهما انه قال أخلع عند ربى يطعمني
 ويسقيني ولو كان أكلاً وشربًا لم يكن وصالاً ولا حوماً • الثاني أن النبي صلى الله عليه
 وسلم أخبرهم أنهم ليسوا كائنات في الوصال فانهم اذا وصلوا تضرروا بذلك وأما هو صلى
 الله عليه وسلم فانه اذا وصل لا يتضرر بالوصل فلو كان يأكل ويشرب لكان الجواب
 وأنه أيضاً لا وصل بل آكل وأشرب كما تأكلون وتشربون فاما قررهم على قوله
 انك تواصل ولم ينكره عليهم دليلاً انه كان موصالاً وأنهم يمكن يأكلوا وشربوا يغترر
 الصائم • الثالث انه لو كان أكلاً وشربًا يغترر الصائم لم يصح الجواب بالفارق بينهم وبينه
 فانه حينئذ يكون صلى الله عليه وسلم هو وهم مشتركون في عدم الوصال فكيف يصح
 الجواب بقوله لست كهينكم وهذا أمر يعلم به غالب الناس ان القلب متى حصل له ما يفرجه
 ويسره من نيل مطلوبه ووصل حبيبه أو ما يغدوه ويسوفه ويحزنه شغل عن العلم
 والشراب حتى ان كثيراً من العشاق تبرأ به الأيام لا يأكل شيئاً ولا تطلب نفسه أكلاً •

وقد أفصح الفائل في هذا المعرف

هذا أحاديث من ذكر الكث الشفاعة • عن الثراب وتلتها عن الزاد
 طا بوجهك نور تستحي به • ومن حدائقك في اعتقادها حادي
 اذا اشتكت من كالال السير وعدها • روح القدوم فتحيا عند ميعاد
 والمقصود ان الهدى مستلزم لسعادة الدنيا وطيب الحياة والنعيم العاجل وهو أمر يشهد
 به الحسن والوجود وأما سعادة الآخرة فغريب يعلم بالإيمان فذكرها ابن عباس رضي الله
 عنهما لكونها أئم و هي الغاية المطلوبة وصال الدين أظهر وبالتجاهله منه ينجو من كل شر
 وهو أضل ضلال الآخرة وشقائها فلذاته ذكره وحده والله أعلم

— فصل —

وهذهان الصالاتان أعن الصالات والشقاوة ذكرها سحابة كثيرافي كلامه ويختبر انها

حفظ أعداءه ويدرك ضدهما وهم الهوى والفالح كثيراً ويخبر أنهم حفظ أولئك . أما الأول فكقوله تعالى (ان المجرمين في ضلال وسرع) فالضلال الضلال والسرع هو الشقاء والعذاب . وقال تعالى (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين) . وأما الثاني فكقوله تعالى في أول البقرة وقد ذكر المؤمنين وصفاتهم (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وكذلك في أول لقمان . وقال في الأنعام (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الآمن وهم مهتدون) وما كانت سورة أم القرآن أعظم سورة في القرآن وأفرجتها قراءة على الأمة وأجمعها لكل ما يحتاج إليه العبد وأعمها تفعلاً ذكر فيها الأمرين فأمرنا أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنت أنت عليهم) فذكر الهداية والنعمة وهم الهوى والفالح ثم قال (غير المضوب عليهم ولا العذابين) فذكر المضوب عليهم وهم أهل الشقاء والضاللين وهم أهل الضلال وكل من الطائفتين له الضلال والشقاء لكن ذكر الوصفين معاً لتكون الدلالة على كل منهما بصربيخ لفظه . وأيضاً فإنه ذكر ما هو أظهر الوصفين في كل طائفة فإن الغضب على اليهود أظهر لعنادهم الحق بعد معرفته والضلال في النصارى أظهر لغلبة الجهل فيهم . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

— درجات الرؤوفة —

فصل

وقوله تعالى (فاما يأنسكم في هدى) هو خطاب لمن أحبطه من الجنة بقوله (اهبطوا منها جميعاً بغضكم لبعض عدو) ثم قال (فاما يأنسكم في هدى) وكل الخطابين لا يبني الثقابين وهو دليل على أن الجن مأمورون منيوبون داخلون تحت شرائع الأنبياء وهذا مما لا خلاف فيه بين الأمة وإن نبينا بعث إليهم كما بعث إلى الإنس كالاختلاف بينها أن مسيئهم مستحق للعقاب . وإنما اختلف علماء الإسلام في المسلم منهم هل يدخل الجنة فالجمهور على أن محسنهم في الجنة كما أن مسيئهم في النار وقيل بل نوابهم سلامتهم من الجحيم . وأما الجنة فلا يدخلها أحد من أولاد آدم وانما هي لبني آدم وصالحي ذريته خاصة . وحكي هذا القول عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى . واحتج الأولون بوجوه . أحدها هذه الآية فإنه سبحانه أخبر أن من أتبع هداه فلا يخاف ولا يحزن ولا يضل ولا يشقى وهذا مستلزم لكتاب النعيم . ولا يقال إن الآية إنما تدل على نفي العذاب فقط ولا خلاف أن مؤمنهم لا يعاقبون . لأننا نقول لو لم تدل الآية إلا على أمر عديمي فقط لم يكن مدحًا لمؤمني الإنس ولما كان فيها إلا مجرد أمر عديمي وهو عدم الخوف

والحزن • ومعلوم أن سياق الآية ومقصودها إنما أريد به ان من أتبع هدى الله الذى
 أزله حصل له غاية النعيم واندفع عنه غاية الشقاء وعبر عن هذا المعنى المطلوب بمعنى
 الا مور المذكورة لافتضاء الحال بذلك فإنه لما أهبط آدم من الجنة حصل له من الخوف
 والحزن والشقاء ما حصل فأخبره سبحانه أنه معطليه وذرته عهداً من أتبعه منهم انتقام
 عنه الخوف والحزن والضلال والشقاء • ومعلوم أنه لا يتنى ذلك كله إلا بدخول دار
 النعيم ولكن المقام بذكر التعمير بمعنى غاية المكرهات أولى • الثاني قوله تعالى (إِذ
 صرفا إِلَيْكُمْ نَفَرَ أَنَّ الْجِنَّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوْا فَلَمَا قُنْتُمْ
 إِلَى قَوْمِهِمْ مِنْذِرِينَ قَلُوا يَا قَوْمِنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابَكُمْ أَنْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْسَىٰ مَصْدِقاً مَا بَيْنَ
 يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمِنَا أَجِبُوكُمْ دَاعِيَ اللَّهَ وَآمِنُوكُمْ بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ
 مِنْ ذَنْبِكُمْ وَيُجْزِيَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ) فأخبرنا سبحانه عن مذيرهم أخباراً بقوله إن من
 أجاب داعيه غفر له وأجاره من العذاب ولو كانت المغفرة لهم إنما ينالون بها مجرد النجاة
 من العذاب كان ذلك حاصلاً بقوله (وَيُجْزِيَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ) بل تمام المغفرة دخول
 الجنة والنجاة من الناز فكل من غفر الله له فلا بد من دخوله الجنة • الثالث قوله تعالى
 في الحور العين (لَمْ يَطْمَئِنُ إِنْسٌ قِبَامٌ وَلَا جَانٌ) فهذا يدل على أن مؤمني الجن والأنس
 يدخلون الجنة وإنهم يسبق من أحد منهم طمت لأحد من الحور فدل على أن مؤمنيهم
 يتلقى منهم طمت الحور العين بعد الدخول كما يتلقى من الإنس ولو كانوا من لا يدخل
 الجنة لما حسن الأخبار عنهم بذلك • الرابع قوله تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعِلُوا وَلَنْ تَفْعِلُوا
 فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَحْتَ الْأَنْهَارِ كَمَا رَزَقُوا مِنْهُمْ ثَمَرَةً رِزْقًا قَالُوا هَذَا
 الَّذِي رَزَقَنَا مِنْ قَبْلِ وَأَنَّا بِمِثَابِهِمْ وَلَمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَلَدُونَ) والجن
 منهم مؤمن و منهم كافر كما قال صالحهم (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ) فكما دخل
 كافرهم في الآية الثانية وجب أن يدخل مؤمنهم في الأولى • الخامس قوله عن
 صالحهم (فَنَّ أَسْلَمَ فَأُولَئِكُمْ تَخْرُوا رَشِداً) والرشد هو الهدى والصلاح وهو الذي يهدي
 إليه القرآن ومن لم يدخل الجنة لم يبلغ غاية الرشد بل لم يحصل له من الرشد إلا مجرد
 العلم • السادس قوله تعالى (سَابَقُوكُمْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرَضَهَا كَعَرَضِ السَّهَاءِ
 وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ) ومؤمنهم من آمن بالله ورسوله فيدخل في المبشرين ويتحقق البشرة • السابع
 قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ^ء
 م

سبحانه بالدّعوة وخص بالطّامة المفظية إليها فن هدأه إليها فهو من دعاء اليهافن اهتدى
من الجن فهو من المدعون إليها • الثانٍ قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً يا معاشر
الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمع بعضاً ببعض
وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار متواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله أن ولي حكيم
علم وكذاك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون يا معاشر الجن والانس ألم يأتكم
رسول منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا
وخرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم إنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربكم مهلك
القري بظلم وأهلها غافلون ولكن درجات مما عملاً • وهذا عام في الجن والانس فأخبرهم
تعالى أن لكم درجات من عمله فاقفي أن يكون لحسنهم درجات من عمله كما لحسن
الانس • الثالث قوله تعالى (ان الذين قلوا ربنا الله ثم استقاموا تسلّل عليهم الملائكة
أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وقوله تعالى (ان الذين
قلوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) ووجه التساؤل بالآية من وجده ثالثة •
أحدها عموم الموصول فيها • الثاني ترتيبه الجزء المذكور على المسألة ليدل على
أنه مستحق بها وهو قول ربنا الله مع الاستقامة والحكم به بعموم عنته فإذا كان
دخول الجنة مرتبًا على الاقرار بالله وربوبيته مع الاستقامة على أمره فـ فـ أـنـيـ
ذلك استحق الجزء • الثالث أنه قال (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك
أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) فـ دـلـيـلـيـ انـ كـلـ مـنـ لـاـ خـوـفـ عـلـيـهـ
وـ لـاـ حـزـنـ فـ هـوـ مـنـ أـهـلـ الجـنـةـ وقد تقدم في أول الآيات قوله تعالى (فـ قـنـ اـتـيـعـ هـدـايـ
فـ لـاـ خـوـفـ عـلـيـهـ وـ لـاـ حـزـنـ فـ هـوـ مـنـ أـهـلـ الجـنـةـ • العـاـشـرـ إـنـ اـذـ دـخـلـ مـسـيـئـهـ النـارـ
بـعـدـ اللـهـ فـ دـخـلـ مـحـسـنـهـ الجـنـةـ بـعـقـلـهـ وـ رـحـمـتـهـ أـوـلـيـ فـإـنـ رـحـمـتـهـ سـبـقـتـ غـصـبـهـ وـ الفـضـلـ
أـغـلـبـ مـنـ الـعـدـلـ وـ هـذـاـ لـاـ يـدـخـلـ النـارـ إـلـاـ مـنـ عـمـلـ أـعـمـالـ أـهـلـ النـارـ • وـ أـمـاـ الجـنـةـ
فـ يـدـخـلـهـ مـنـ لـمـ يـعـمـلـ خـيـراـ قـطـ بـلـ يـلـيـشـيـ هـاـ أـقـوـامـ يـسـكـنـهـ إـلـاـهـاـ مـنـ غـيرـ عـمـلـ عـمـلـهـ
وـ يـرـفـعـ فـيـهـ دـرـجـاتـ العـيـدـ مـنـ غـيرـ سـيـ منهـ بـلـ بـماـ يـصـلـ إـلـيـهـ مـنـ دـعـاءـ المؤـمـنـينـ وـ صـلـاـتـهـ
وـ صـدـقـهـ وـ أـعـمـالـ الـبـرـ الـتـيـ يـهـدـوـهـ إـلـيـهـ بـخـالـفـ أـهـلـ النـارـ فـاـنـهـ لـاـ يـعـذـبـ فـيـهـ بـغـيرـ عـمـلـ
أـصـلـاـ • وـ قـدـ بـدـتـ بـتـصـ القـرـآنـ وـاجـعـ الـأـمـةـ أـنـ مـسـيـيـ الـجـنـ فـيـ النـارـ بـعـدـ اللـهـ
وـ بـمـاـ كـانـواـ يـكـسـبـونـ فـمـحـسـنـهـ فـيـ الجـنـةـ بـعـقـلـ اللـهـ وـ بـمـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ • لـكـنـ قـيـلـ أـنـهـ

(٦ - مفتاح - اول)

يكونون في ربع الجنة يراثم أهل الجنة ولا يرونهم كما كانوا في الدنيا يرون بنى آدم من حيث لا يرونهم ومثل هذا لا يعلم الا بتوقيف تقطع الحجة بهذه فان ثبتت حججه يجب اتباعها والا فهو مما يحيى ليعلم وحثه موقوفة على الدليل والله أعلم

————— * * * * —————

(فصل)

ومتابعة هدى الله التي رتب لها هذه الامر هي تصديق خبره من غير اعتراض شبهة تفريح في تصديقه وامتنال أمره من غير اعتراض شبهة تمعن امثاله وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان وهذا تصديق الخبر وطاعة الأمر وينبع الأمران آخران وهما في شهادتين الباطل الواردة عليه المانعة من كمال التصديق وان لا يحيى بها وجه تصديقه ودفع شهوات النبي الواردة عليه المانعة من كمال الامتثال فهنا أربعة أمور أحدها تصديق الخبر . الثاني بذل الاجتياز في رد الشهادات التي توحى بها شياطين الجن والانس في معارضته . الثالث طاعة الامر والرابع مجاهدة النفس في دفع الشهوات التي تحول بين العبد وبين كمال الطاعة وهذهان الأمران أعني الشهادات والشهوات أصل فساد العبد وشقاوته في معيشته ومعاده كأن الأصلين الآرئين وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر أصل سعادته وفلاحه في معيشته ومعاده وذلك ان العبد له قوتان قوة الادراك والنظر وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام وقوته الارادة والحب وما يتبعه من النية والعزيم والعمل فالشبهة تؤثر فساداً في القوة العاملية المظاربة مالم يداوها بدفعها والشهمة تؤثر فساداً في القوة الارادية العملية مالم يداوها باخراجها قال الله تعالى في حق نبيه يذكر مامن به عليه من تراهته وظاهراته مما يتحقق غيره من ذلك (والنجم اذا هوى ما مثل صاحبكم وما غوى) فما خل دليل على كمال عالمه ومعرفاته وأنه على الحق المبين وما غوى دليل على كمال رشدته وأنه أبر العالمين فهو الكامل في سنته فقال عليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى رواد التزمى وغيره فالراشد خد الغاوي والمهدي خد الفضال وقد قال تعالى (كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقتهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك جبعت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم انفسهم (فذكر تعالى الاصلين وما داء الاولين والآخرين أحددهما الاستمتع بالخلاف وهو النصيب من الدنيا والاستمتع به متضمن لغسل الشهوات المانعة من متابعة الامر بخلاف المؤمن فإنه وان تال من الدنيا وشهواتها فإنه لا يستمتع بمنصبه كله ولا

يذهب طيباته في حياته الدنيا بل ينال منها ليتقوى به على التزود لمعاده والثاني الخوض بالتهات الباطلة وهو قوله (وختنم كالذى خاضوا) وهذا شأن النفوس الباطلة التي لم تخلق للآخرة لازوال ساعية في نيل شهواتها فإذا نالتها فاعماهى في خوض بالباطل الذى لا يجدى عليها الا الفرار العاجل والآجل ومن تمام حكمة الله تعالى انه يبتلى هذه النفوس بالشقاء والتعب في تحصيل مراداتها وشهواتها فلا تفرغ لخوض بالباطل الا قليلا ولو تفرغت هذه النفوس الباطلية وكانت أئمه تدعوا إلى الدار وهذا حال من تفرغ منها كما هو مشاهد بالبيان سواء كان المعنى وختنم كالحزب الذى خاضوا أو كالفرق الذى خاضوا فإن الذى يكون للأحد والجمع ونظيره قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المؤمنين) لكن لا يجرى على جمع تصحيح فلا يجيء المسالمون الذى جاؤا واما يجيء غالبا في اسم الجمع كالحزب والفريق او حيث لا يذكر الموصوف وان كان جمعا كقول الشاعر

وان الذى جاءت تقييم دماءهم هم اليوم كل اليوم أيام خالد

او حيث يراد الجنس دون الواحد والعدد كقوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) نعم قال (أولئك هم المتقون) ونظيره الآية التي نحن فيها وهي قوله (وختنم كالذى خاضوا) أو كان المعنى على التوالي الآخر وختنم خوضاً كخوض الذى خاضوا فيكون صفة مصدر مخدوف كقولك اضرب كالذى ضرب وأحسن كالذى أحسن ونظائره وعلى هذا فيكون العائد منصوباً مخدوفاً ومحذف في مثل ذلك قياس مطرد على القولين فقد ذهب سبعانه على الخوض بالباطل وتابع الشهوات وأخبر ان من كانت هذه حاله فقد جحظ عمله في الدنيا والآخرة وهو من الخاسرين ونظير هذا قول أهل النار لا هل الجنة وقد سألهم كيف دخلوها (قاوموا نك من المصليين ولم نك نعلم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب ب يوم الدين) فذكروا الأصلين الخوض بالباطل وما يتبعه من التكذيب ب يوم الدين وابتدا الشهوات وما يستلزمها من ترك المسؤوليات واطعام ذوى الحاجات فهذا ان الأصلان هما ماما والله ولن التوفيق

(فصل)

والقلب السليم الذى يحيى من عذاب الله هو القلب الذى قد سلم من هذا وهذا فهو القلب الذى قد سلم لربه ولم لامره ولم تسبق فيه منازعة لامرره ولا معارضة لخبره فهو سليم مما سوى الله وأمرره لا يريد الا الله ولا يفعل الا ما أمرره الله قاله وحده غايته وأمرره وشرعه

وسائله وطريقته لا تعرّضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره لكن لا تتر علىه الا وهي
متجازة تعلم انه لا يقر اطلاقا ولا شهادة تحول بينه وبين متابعة رضاه ومتي كان القلب
كذلك فهو سليم من الشرك وسليم من البدع وسليم من الفي وسليم من الباطل وكل
الاقوال التي قيلت في تفسيره كذلك يتضمنها وحقيقة انه القلب الذي قدسلم لعبودية ربه
حياة وخوفاً وطمأنة ورجله ففي بمحبه عن حب مساواه وبخوفه عن خوف مساواه وبرجائه
عن رجله مساواه وسلم لامر ربه ورسوله تصدقاً وطاعة كما تقدم واستلم لقضائه وقدره فلم
يتباهي ولم ينماز عه ولم يتسرّع خط لا قدراته فاسلم لربه انيقاداً وحضوراً وذلاً وعبودية وسلم
جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه وما جده ظاهراً وباطناً من مشكلة رسوله
وعرض ما جاء من سواها عليها ما وافقها قبله وما خالفها رده ومالم يتبن له فيه موافقة
ولا مخالفه وقت أمره وأرجاء الى أن يتبن له وسلام أولياءه وحزبه المفلحين الذين عن
دينه وسنة نبيه القائرين بها وعادى أعداءه المخالفين لكتابه وسنة نبيه انكار جين عنهم ما
الداعين الى خلافهما

- فصل -

وهذه التلاوة هي التلاوة التي أتى الله على أهلها في قوله تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) وفي قوله (الذين آتياهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمرون به) والمعنى يتبعون كتاب الله حق اتباعه وقال تعالى اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة (وقال إنما أمرت أن أعبد رب هذه البدة الذي حرمتها وله كل شيء) وأمرت أن تكون من المسامين وأن أتلوا القرآن) سفينة التلاوة في هذه الموضع هي التلاوة المطلقة الناتمة وهي تلاوة اللفظ والمعنى فالتلاوة المختصر جزء مسمى التلاوة المطلقة وحقيقة المختصر انعاهي الاتباع يقال اتل أثر فلان وتلوات أثره وقوته وقصدته بمعنى تبعث خالقه وهذه قوله تعالى (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها) أي تبعها في الطارق بعد غيابها ويقال جاء القوم يتلو بعضهم بعضاً أي يتبع وسي تالي الكلام تاليآ لأنه يتبع بعض الحروف بعضاً لا يخرجها حلة واحدة بل يتبع بعضها بعضاً مرتبة كما انفعى حرف أو كلمة أسبعة بحرف آخر وكلمة أخرى وهذه التلاوة وسيلة وطريقة ٠ والمقصود التلاوة الحقيقة وهي تلاوة المعنى وأتباعه تصديقاً بخبره وإنارة بأمره وانتهاه بنبيه وأنحاماً به حيث ماقاد ذلك انقدت معه فتلاوة القرآن تناول تلاوة لفظه ومعنىه وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة المفظ وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الشفاء في الدنيا والآخرة فانهم أهل تلاوة ومتابعة سفينة

— فصل —

ثم قال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكًا ومحشره يوم القيمة أعمى) لما أخبر سبحانه عن حال من أتبع هداه في معاشه ومعاده، أخبر عن حال من أعرض عنه ولم يتبعه فقال (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكًا) أي عن الذكر الذي أزله فالذكرين مصدر مضاف إلى الفاعل كقيامي وقراءتي لا إلى المفعول وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنى ومقتضاه من وجه آخر سند ذكره . وأحسن من هذا الوجه أن يقال الذكر هنا مضاف إضافة الأسماء لاضافة المصادر إلى معمولاتها . والمعنى ومن أعرض عن كتابي ولم يتبعه فان القرآن يسمى ذكرًا قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أزليه) وقال تعالى (ذلك نلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) وقال تعالى (وما هو الا ذكر للعاملين) وقال تعالى (ان الذين كفروا بالذكرين لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) وقال تعالى انتذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن) وعلى هذا فاصفاته كاضافة الأسماء الجوامد التي لا يقصد بها إضافة العامل إلى معموله ونظيره في إضافة اسم الفاعل (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) فان هذه الإضافات لم يقصد بها قصد الفعل المتعدد واما قصد بها قصد الوصف النابت اللازم وكذلك جرت أوصافا على أعرف المعرف وهو اسم الله تعالى في قوله تعالى (تزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير)

—————

— فصل —

وقوله تعالى (فان له معيشة ضنكًا) فسرها غير واحد من السلف بعذاب القبر وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر ولهذا قال (ومحشره يوم القيمة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أنت آياتنا فسيتها وكذلك آياتنا في اليوم نفي) أي ترك في العذاب كما ترك العمل بما يأتنا فذكر عذاب البرزخ وعذاب دار البوار ونظيره قوله تعالى في حق آل فرعون (النار يعرضون عليها غدوا وعشياً) فهذا في البرزخ (ويوم تفوح السامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) فهذا في القيمة الكبرى ونظيره قوله تعالى (ولو ترى اذ الفالملون في غمرات الموت والملائكة باسطروا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاباً أهون مما كنتم تقولون على الله غير الحق

وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ تُسْكِنُونَ) فَقُولُ الْمَلَائِكَةِ الْيَوْمَ تُبَزَّوْنَ عَذَابُ الْهُوَنِ امْرَادُهُ عَذَابُ
الْبَرْزَخِ الَّذِي أُولَئِكَ يَوْمَ الْقِبْضِ وَالْمَوْتِ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَوْ تَرَى إِذَا يَوْمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) فَهَذِهِ الْإِذْاقَةُ
هِيَ فِي الْبَرْزَخِ وَأُولَئِكَ هُنَّ الْوَفَّادُونَ فَانَّهُ مَعْلُومٌ عَلَيْهِ (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)
وَهُوَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَذْهُوفِ مَقْوِلُهُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ كَظَاهِرُهُ وَكَلَامُهَا وَاقِعٌ وَقَوْتُ الْوَفَّادَةِ وَقَوْلُ
الصَّحِيحِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (يَسْبِبُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ نَزَّلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَالْاَحَادِيثِ فِي عَذَابِ
الْقَبْرِ تَكَادُ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَارِثِ وَالْمَتَصُودُونَ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ أَخْبَرَ أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَكْرِهِ
وَهُوَ الْهَدِيُّ الَّذِي مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَضُلُّ وَلَا يُشْقِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَكَفُّلًا مَنْ حَفَظَ
عَهْدَهُ أَنْ يَحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَيَجْزِيَهُ أَجْرَهُ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ تَعَالَى (مَنْ حَفَظَ صَاحَّاً مِنْ
ذَكْرِ أَنْفُسِهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنْ يُحِينَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنْ يَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا حَسِنُوا يَعْمَلُونَ)
فَأَخْبَرَ سَبَّحَهُ أَنَّ فَالَّذِي مَاتَ مُكْثِكَ بِعِهْدِهِ عَالِمًا وَعَمَلاً فِي الْعَاجِلَةِ بِالْحَيَاةِ الْطَّلِيفَةِ وَفِي الْآخِرَةِ
بِمَا حَسِنَ الْجَزَاءُ وَهَذَا بَعْكَسٌ مِنْ لَهُ الْمَعِيشَةِ الضَّنكِ فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ وَنَسْيَانِهِ فِي الْعَذَابِ
بِالْآخِرَةِ وَقَالَ سَبَّحَهُ (وَمَنْ يَعْتَشُ عَنْ ذَكْرِ الرَّحْمَنِ فَقَبِضَ لَهُ شَيْطَانًا فِي الْقَرِينِ
وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَلَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهَتَّدُونَ) فَأَخْبَرَ سَبَّحَهُ أَنَّ مَنْ ابْتَلَاهُ بِقَرِينِهِ
مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَّاهُ بِهِ أَنَّمَا كَانَ بِسَبِيلِ أَعْرَاضِهِ وَعَشَوْهُ عَنْ ذَكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ
فَكَانَ عَقُوبَةُ هَذَا الْأَعْرَاضِ أَنْ قَبِضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقْارِنُهُ فِي صَدِّهِ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِ وَطَرِيقِهِ
فَلَاحَهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَهْتَدٌ حَتَّى إِذَا وَافَرَ بِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ وَعَانَ هَلَالَكَ وَأَفَالَسَّهَ
قَالَ (يَا لَيْلَتِي يَبْنِي وَيَنْتَلِكَ بَعْدَ الْمُشْرِقِينَ فِيَّنِ الْقَرِينِ) وَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْاَهْتِدَاءِ
بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذَكْرُ اللَّهِ فَلَا بُدُّ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ • فَإِنْ قِيلَ فَهُلْ طَذَا عَذَرَ فِي
ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّهُ عَلَى هُدَىٰ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَلَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهَتَّدُونَ) • قِيلَ لَا
عَذَرٌ طَذَا وَأَمْتَالُهُ مِنَ الظَّالِمِ الَّذِينَ مَنَّا ضَلَالَهُمْ الْأَعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ خَانَ أَنَّهُ مَهْتَدٌ فَانَّهُ مُفْرَطٌ بِاعْرَاضِهِ عَنْ أَبْيَاعِ دَاعِيِ الْهَدِيِّ
فَإِذَا ضَلَّ فَإِنَّمَا أَنِّي مِنْ تَفْرِيظِهِ وَأَعْرَاضِهِ وَهَذَا بِخَلَافِ مَنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعدَمِ بُلوغِ الرِّسَالَةِ
وَعَجزَهُ عَنِ الْوَصْولِ إِلَيْهَا فَذَلِكَ لَهُ حُكْمُ آخِرٍ وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّمَا يَتَأَوَّلُ الْأُولُّ وَأَمَّا
الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بِعِدَّةٍ إِقْامَةِ الْحِجَةِ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَمَا كُنَّا مَعْذِلِينَ
حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) وَقَالَ تَعَالَى (رَسَالَةُ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَهَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ
بَعْدَ الرَّسُولِ) • وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ (وَمَا خَلَقْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) • وَقَالَ

تعالى (أَن تقول نفس ياحسرتني على ما فرطت في جنب الله وان كنت من الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فاً كون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت به واستكبرت وكت من الكافرين) وهذا كثير في القرآن

﴿ فصل ﴾

وقوله تعالى (ونحشره يوم القيمة أعمي قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيراً) اختلف فيه هل هو من عمي البصرة أو من عمي البصر والذين قالوا هو من عمي البصرة إنما حملهم على ذلك قوله (أشع بهم وأبصر يوم يأتوننا) • قوله (لقد كنت في غفلة من هذا فكشتنا عنك غطاءك فصر لك اليوم حديد) • قوله (يوم يرون الملائكة لا يشري يومئذ للمجرمين) • قوله (لتزورون الجحيم ثم لتزورنها عين اليقين) (ونظائر هذا مما يثبت لهم الرؤية في الآخرة كقوله تعالى (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينتظرون من طرف خلق) • قوله (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنت بها تكذبون أفسحر هذا أم أتم لا تبصرون) • قوله (ورأى الجنون النار فذروا أنهم مواقعواها) والذين رجحوا أنه من عمي البصر قالوا السياق لا يدل إلا عليه لقوله (قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيراً) وهو لم يكن بصيراً في كفره قط بل قد ترين له حينئذ أنه كان في الدنيا في عمي عن الحق فكيف يقول وقد كنت بصيراً وكيف يجيب بقوله (كذلك أنت آياتنا فتنينا وكذلك اليوم تنسى) بل هذا الجواب فيه تبيه على أنه من عمي البصر وأنه جوزى من جنس عمله فإنه لما أعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته أعمي الله بصره يوم القيمة وتركه في العذاب كما ترك الذكر في الدنيا بجازاه على عمي بصيرته عمي بصره في الآخرة وعلى تركه ذكره تركه في العذاب وقال تعالى (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فإن شجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجودهم عمياً وبكاء وصراً) وقد قيل في هذه الآية أيضاً أنهم عمي وبكم وصم عن الهدى كما قيل في قوله (ونحشره يوم القيمة أعمي) قالوا لأنهم يتكلمون يومئذ ويسمعون وبصرهم ومن نصر أنه العمى والبكاء والصم المضاد لبصر والسمع والتعلق قال بعضهم هو عمي وصمم وبكم مقيد لامعلاق فهم عمي عن رؤية ما يسرهم وسماعه • وهذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يرون شيئاً يسرهم • وقال آخرون هذا الحشر حين تفاهم الملائكة يخرجون من الدنيا كذلك فإذا قاموا من قبورهم إلى الموقف

قاموا كذلك ثم انهم يسمعون ويفسرون فيما بعد وهذا مروى عن الحسن . وقال آخر من
 هذا اننا يكون اذا دخلوا النار واستقرروا فيها سبوا الاسماع والابصار والنطق حين
 يقول لهم رب تبارك وتعالى (اخسوا فيها ولا تكلمون) فيندى يتقطع الرجا وتبكم عقوتهم
 فيفسرون باجمعهم عمياً وبكاصا لا يفسرون ولا يسمعون ولا يتلقون ولا يسمع منهم الا
 ازفير والشهيق . وهذا منقول عن مقاتل والذين قالوا المراد به العمى عن الحججة انما
 مرادهم انهم لا حججة لهم ولم يريدوا أن لهم حججه عمى عنهم عن الهدى كما كانوا
 في الدنيا فان العبد يموت على ما اتاه عليه ويبعث على مماته عليه وبهذا يظهر ان الصواب
 هو القول الآخر وأنه عمى البصر فان الكافر يعلم الحق يوم القيمة شياناً وضرعاً كان يتجدد
 في الدنيا فليس هو عمى عن الحق يومئذ (وفصل الخطاب) ان الخشر هو الفم والطبع ويراد
 به تارة الخشر الى موقف القيمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم انكم محشورون الى الله
 حفاة عراة غرلاً وكقوله تعالى (واداً الوجه حشرت) وكقوله تعالى (وحشر ناهم فلم
 نغادر منهم أحداً) ويراد بالفم والطبع الى دار المستقر خشر المتقين جمعهم وضمهم الى الجنة
 وحشر الكافرين جمعهم وضمهم الى النار . قال تعالى (يوم خشر المتقين الى الرحمن
 وقداً) . وقال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
 فادعوهم الى صراط الجحيم) فهذا الخشر هو بعد حشرهم الى موقف وهو حشرهم
 وضمهم الى النار لانه قد أخبر عنهم أنهم (قالوا يا رب انا نحن يوم الدين هؤلاء الذين
 كنتم به تذكرتون) . ثم قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وهذا الخشر
 الثاني وعلى هذا فهم ما بين الخشر الاول من القبور الى موقف والخشر الثاني من الموقف
 الى النار فبعد الخشر الاول يسمعون ويفسرون ويجادلون ويتكلمون وعند الخشر الثاني
 يخترون على وجوههم عمياً وبكاصا فلكل موقف حال يليق به ويقتضيه عدل الرب
 تعالى وحكمة فالقرآن يصدق بعضه ببعض (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
 اختلافاً كثيراً)

فصل

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لما اقتضت حكمته ورحمته اخراج آدم وذراته من
 الجنة اغضفهم أفضلاً منها وهو ما أعاد لهم من عهده الذي جعله سبباً موصلاً لهم اليه وطريقاً
 واضحاً بين الدلالة عليه من تمسك به فاز واهتدى ومن اعرض عنه شقى وغوى . وما
 كان هذا العهد الكرام والصراط المستقيم والتبا العظيم لا يوصل اليه أبداً الا من با

العلم والارادة فالارادة باب الوصول اليه والعلم مفتاح ذلك الباب المتوقف فتحه عالياً وكل كمن
 انسان انتا يتم بهذين النوعين حمة ترقى وعلم يبصره ويهديه فان من اسباب السعادة والنلاح
 انتا تفوت العبد من هاتين السجدين او من احداهما اما ان لا يكون له علم بها فلا يحرك
 في طلبها او يكون علماً بها ولا تهض همتها اليها فلا يزال في حضيض طبعه محبوساً وقابله
 عن كل الذي خلق له مسدوداً منكوساً قد أسام نفسه مع الأفعام راعياً مع الهمم
 واستطاب اقيمات الراحة والبطالة واستلان فراث العجز والكلل لاكن رفع له علم
 فشعر اليه وبورك له في قفرده في طريق طلبه فلزمته واستقام عليه قدامت غلبات شوقة
 الا طهارة الى الله ورسوله ومقتت نفسه ازفقاء الا ابن سيدل برافقه في سيدله . وما
 كان كل الارادة بحسب كل مرادها وشرف العلم تابع لشرف معلومه كانت نهاية سعادة
 العبد الذي لسعادة له بدعوها ولا حياة له الا بها ان تكون ارادته متعلقة بالمراد الذي
 لا يسللي ولا يفوت وعزمات همه مسافرة الى حضرة الحبي الذي لا يموت ولا سيدل له
 الى هذا المطلب الا نقى والخط الا في الابالعم الموروث عن عبده ورسوله وخليله وحبيبه
 الذي بعثه لذلك داعياً وأقامه على هذا الفريق هادياً وجعله واسطة بينه وبين الانام
 وداعيا لهم باذنه الى دار السلام وأبا سحانه ان يفتح لاحد منهم الاعلى يديه او يقبل من
 أحد منهم سيداً الا ان يكون مبتدأ منه ومنتها اليه . فالطرق كلها الا طريقه صلى الله
 عليه وسلم مسدودة والقلوب باسرها الا قلوب اتباعه المتقدة اليه عن الله محبوسة مسدودة
 شرق على من كان في سعادة نفسه ساعياً وكان قبله حياً عن الله واعياً أن يجعل على هذين
 الاصلين مدار أقر الله وأعماله وأن يصيرها أختيته التي إليها مفرغه في حياته وطاه له
 فلا جرم كان وضع هذا الكتاب مؤسساً على هاتين القاعدتين وقصدوا التعريف بشرف هذين
 الأصلين (وسميت مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والارادة) . اذ كان
 هذا من بعض النزل والتحف التي فتح الله بها على حبين انقطاعي اليه عند بيته وإنقاذه
 نفسي ببابه مسكنياً ذيلاً وتمرضي لشحاته في بيته وحوله بكرة وأصيلاً فاختاب من أُنزل
 به حوالئه وعلق به آماله وأصبح ببابه مقيناً وبخدمه زيلاً . ولما كان العلم أمّم الارادة
 ومقدماً عليها ومنصلاً لها ومن شداً لها قدمنا الكلام عليه على الكلام على الحبة . ثم تبعه
 ان شاء الله بعد الفراغ منه كتاباً في الكلام على الحبة وأقسامها وأحكامها وفوائدها ونعتها
 وأسبابها وموانعها وما يقويها وما يضعفها والاستدلال بسائر طرق الادلة من النقل والعقل
 والنقلة والقياس والاعتبار والذوق والوجود على تعلقها بالله الحق الذي لا له غيره بل
 لا ينبغي أن تكون الا له ومن أجله والرد على من انكر ذلك وتبين فساد قوله عقولاً ونقاً

وفطرة وقياساً وذوقاً ووجداً فهذا مضمون هذه التحفة وهذه عرائس معانها الآن
 تحلى عليك وخدود أبكارها البدعة الجمال ترفل في حلالها وهي تزف إليك فاما شمس منازلها
 بسعد الاسعد وأما خود ترق الى ضرير مقعد فاخت لنفسك احدى الخطتين وانزلها
 فيما شئت من المزاراتين ولا بد لكل نعمة من حاسد ولكل حق من جاحد ومعاند هذا وإنما
 أودع من المعان والتفايس رهن عند متأمله ومطالعه له غنمته وعلى مؤلفه غرمته وله
 غرمه ومنفعته ولصاحبه كله ومشقته مع تعرضه لطعن الطاغين ولاعتراض المناقشين
 وهذه بضاعته المزاجة وعقده المكدوود يعرض على عقول العالمين وإلقائه نفسه وعرضه
 بين خالب الحاسدين وأنياب البغاة المعتدين فلك أية القاري صفوه ومؤلفه كدره
 وهو الذي تخشم غرمه وتعبه ولك غرمه وهو قد استهدف لسيام الراشدين واستعذر
 الى الله من الزلل والخطأ ثم الى عباده المؤمنين اللهم فعياداً بك من قصر في العلم والدين
 باعه وطالات في الجهل وآذى عبادك ذراعه فهو جعله يرى الاحسان اساءة والسنة بدعة
 والعرف نكرأ ولظاهره يجزي بالحسنة سيدة كاملة وبالسبعين الواحدة عشرة قد أخذ بطر
 الحق وغمط الناس سلاماً الى ما يجده من الباطل ويرضاه ولا يعرف من المعروف ولا ينكرون
 النكرا الا ما وافق ارادته او حالف هواه يستطيل على أولياء الرسول وحزبه باصغره ويجالس
 أهل الغي والجهالة وزبانيتهم وركبته قد ارتوى من ما آجنه وتضلع واستشرف الى مراتب
 ورقة الانبياء وتطبع برؤسهم في ميدان جهمه مع الجاهلين ويزرع عليهم في الجهة فمظلن
 أنه من السابقين وهو عند الله ورسوله والمؤمنين عن تلك الوراثة التبوية عزى واذ أزال
 الوراثة منازلهم منها فنزلته منها أقصى وأبعد منزل

نزلوا بعكة في قبائل هاشم * وزلت بالبيداء أبعد منزل

وعياداً بك من جعل الملامة بضئلته والعدل نصيحته فهو داعياً يبدى في الملامة
 ويعيد * ويكرر على العدل فلا يغى ولا يستفيض * بل عياداً بك من عدو في صورة ناصح
 وولي في مسالخ بعيد كأشجع يجعل عداوه وأذاته حذراً وإشغالاً وتنفيره وتحذيره - عافاً
 وإرافقاً وإذا كانت العين لا تكاد الا على هؤلاء تفتح والميزان بهم يخف ولا يرجح ثنا
 احرى للبيت بأن لا يغيرهم من قبله جزاً من الالتفات ويسافر في طريق مقصدده بهم
 سفره الى الاحباء بين الاموات وما احسن ما قال القائل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله * وأجسامهم قبل القبور قبور

وارواحهم في وحشة من جسمهم * وليس لهم حتى النشور نشور

اللهم فلك الحمد واليك الشنكري وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا

حول ولا قوة إلا بك وأنت حسبنا ونعم الوكيل • فلنشرع الآن في المقصود بحول الله
وقوته فنقول

﴿الأصل الأول في العلم وفضله وشرفه﴾

(وبيان عموم الحاجة إليه وتوقف كل العبد ونجاته في معاشه ومعاده عليه)

قال الله تعالى (شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَاعِدًا بِالْقَسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال (شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَاعِدًا بِالْقَسْطِ) وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوهه • أحدها استشهادهم دون غيرهم من البشر • والثاني افتتان شهادتهم بشهادته • والثالث افتتانها بشهادة الملائكة • والرابع أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعدياتهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول ومنه الأثر المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلق عدوه يغفون عنه تحرير الغالين واتخال المبطلين وتأويل الجاهلين • وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة رأيت رجلا قد مر جلا إلى اسماعيل بن اسحق القاضي فادعى عليه دعوى فسأل المدعى عليه فأنكر فقال للمدعى ألم يتبة قال نعم فلان وفلان قال أما فلان فمن شهودي وأما فلان فليس من شهودي قال فيعرفه القاضي قال نعم قال بماذا قال أعرقه يكتب الحديث قال فكيف تعرف في كتبه الحديث قال ما علمنت إلا خيراً • قال فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمل هذا العلم من كل خلق عدوه فمن عذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من عذر له أنت فقال قم فهاته فقد قبلت شهادته • وسيأتي إن شاء الله الكلام على هذا الحديث في موضوعه • الخامس أنه وصفهم بكونهم أولى الناس وهذا يدل على اختصاصهم به وأئمهم وأصحابه ليس بمستعار لهم • السادس أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد نعم شهادته خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكتفي بهم بهذا فضلا وشرفاً • السابع أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأنه غلامه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكبر الخلق وساداتهم • الثامن أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المكربين فهم بذلة أدلة وإياته وبراهين الدالة على توحيدته • التاسع أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ولم يعطهم شهادتهم بفعل آخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكان أنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنفطتهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه

إقامة وإنطافاً وتعلماً وهم الشاهدون بها له إقراراً واعترافاً وتصديقاً وإعاناً . العاشر
أَنَّه سُبْحَانَه جَعَلَهُم مُؤْدِين لِتَهْتَهْ عَنْدَ عِبَادَهُ بِهَذَا الشَّهَادَةِ فَإِذَا أَدْوَهَا فَقَدْ أَدْوَى الْحَقَّ
الْمُشَهُودُ بِهِ فَبَتَّ الْحَقَّ الْمُشَهُودُ بِهِ فَوْجَبَ عَلَى الْخَلْقِ الْإِقْرَارُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ غَايَةَ سَعَادَتِهِمْ
فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَكُلُّ مَنْ نَاهَهُ الْهُدَى بِشَهَادَتِهِمْ وَأَقْرَبَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ شَهَدَ
مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِهِ وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ لَا يَدْرِي قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ شَهَدَ
بِهَا عَنْ شَهَادَتِهِمْ فَلَمَّا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِهِ أَيْضًا فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَوْجَهٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ
• الْحَادِي عَشْرَ فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَفْقَةِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ كَمَا
نَفَقَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ • فَقَالَ تَعَالَى (قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) كَمَا قَالَ تَعَالَى (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ) وَهَذَا يَدُلُّ
عَلَى غَايَةِ فَضْلِهِمْ وَشَرْفِهِمْ • الْوَجْهُ الثَّانِي عَشْرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَهْلَ الْجَهَنَّمَ بِنَزْلَةِ الْعُمَيْنِ
الَّذِينَ لَا يَبْصِرُونَ فَقَالَ (أَفَنْ يَعْلَمُ أَنَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ الْمَسْقَى كُمْ هُوَ أَعْمَى) هَذَا إِلَّا
عَلَمَ أَوْ أَعْمَى وَقَدْ وَجَنَّ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْجَهَنَّمَ بَأْنَهُمْ صَمَّ بَعْضَهُمْ عَنِّي فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ
• الْوَجْهُ الْحَالِثُ عَشْرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أُولَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِ
هَذِنَا وَجَعَلَ هَذَا تَنَاهُ عَلَيْهِمْ وَاسْتَشَهَدَ بِهِمْ • فَقَالَ تَعَالَى (وَرَبِّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي
أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ) • الْوَجْهُ الرَّابِعُ عَشْرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمْرَ بِسُؤْلِهِمْ وَالرَّجُوعُ
إِلَى أَقْوَاطِهِمْ وَجَعَلَ ذَلِكَ كَالشَّهَادَةِ مِنْهُمْ • فَقَالَ (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكُمْ إِلَّا وَجَاهُوا نُوحِ
إِلَيْهِمْ فَاسْتَأْتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ • الْوَجْهُ الْخَامِسُ عَشْرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهَدَ لِأَهْلِ الْمُشَهَّدَةِ فِي ضَيْبِهَا الْإِسْتَشَهَادُ
بِهِمْ عَلَى صَحَّةِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَقَالَ تَعَالَى (أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصِلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَرْئِيَّ مِنْ رَبِّكُمْ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) • الْوَجْهُ الْسَّادِسُ عَشْرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ سُلْطَنُ نَبِيِّهِ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِهِ وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَعْبُأُ بِالْجَاهَلِينَ شَيْئًا • فَقَالَ تَعَالَى (وَقَرَأْنَا فِرْقَتَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى
مَكْثٍ وَنَزْلَاتٍ تَنْزِيلًا قَلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تَؤْمِنُوا أَنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَلَقَّبُونَ
يَخْرُجُونَ لِلَّادِقَانِ سَجَدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ وَبَيْنَ أَنَّ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولًا) وَهَذَا شَرْفٌ
عَظِيمٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَتَخْتَهُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَدْ عَرَفُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَسَدَقُوا فَسَوَاءَ آمَنَ بِهِ
غَيْرُهُمْ أَوْ لَا • الْوَجْهُ السَّابِعُ عَشْرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَدْحُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ وَشَرْفُهُمْ بِأَنَّ
جَعَلَ كِتَابَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِهِمْ وَهَذِهِ خَاصَّةٌ وَمُنْقَبَّةٌ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ • فَقَالَ تَعَالَى
(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ هُوَ لَاءُ مَنْ يَؤْمِنُ بِهِ)

بِهِ وَمَا يُجْحِدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ وَمَا كُنْتَ تَنْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُلْهُ بِيَنْتِكِ
إِذَا لَأْرَتَابِ الْمُبَطَّلُونَ بِلْ هُوَ آيَاتِ يَنْتَاتِ فِي صَدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحِدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الظَّالِمُونَ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى إِنَّ الْقُرْآنَ مُسْتَقِرٌ فِي صَدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ نَاتَتْ فِيهَا مَحْفُوظَةٌ
وَهُوَ فِي نَفْسِهِ آيَاتِ يَنْتَاتِ فَيَكُونُ أَخْبَرُ عَنْهُ بَخْرَيْنَ وَأَحْدَهُمَا أَنَّهُ آيَاتِ يَنْتَاتِ وَالثَّانِي أَنَّهُ
مَحْفُوظٌ مُسْتَقِرٌ نَاتَتْ فِي صَدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَأَوْ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ آيَاتِ يَنْتَاتِ فِي صَدُورِهِمْ
أَيْ كَوْنُهُ آيَاتِ يَنْتَاتِ مَعْلُومٌ طَمْ نَاتَتْ فِي صَدُورِهِمْ وَالْقُولَانُ مَتَّلِزْمَانُ لِيَا بِمُخْتَلِفَيْنَ وَ
وَعَلَى التَّقْدِيرِ فَوْمَدْحُ طَمْ وَنَتَاءُ عَلِيمٍ فِي ضَمِّنِهِ الْإِسْتَشَاهَادِ بِهِمْ فَتَأْمَلْهُ وَالْوَجْهُ الثَّامِنُ عَشَرُ
أَنَّهُ سَبَحَهُ أَمْرٌ نَبِيٌّ أَنْ يَسْأَلَهُ مِنْ زِيدِ الْعِلْمِ وَفَقَالَ تَعَالَى (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجُلْ
بِالْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ وَقُلْ رَبُّ زَدْنِي عِلْمًا) وَكَفِيَ بِهَذَا شَرْفًا لِلْعِلْمِ أَنَّ
أَمْرَ نَبِيٍّ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ وَالْوَجْهُ التَّاسِعُ عَشَرُ أَنَّهُ سَبَحَهُ أَخْبَرُ عَنْ رِفْعَةِ درَجَاتِ
أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ خَاصَّةً وَفَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفْسِحُوا فِي
الْمَغَالِسِ فَافْسِحُوا يَسْجُنَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اشْرِزُوا فَانْشِرُوا يَرْفِعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ) وَقَدْ أَخْبَرَ سَبَحَهُ فِي كِتَابِهِ يَرْفِعُ
الْدَرَجَاتِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ وَأَحْدَدُهَا هَذَا وَالثَّانِي قَوْلُهُ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمَا دَرْزَقَنَاهُمْ شَقَقُونَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقَّا هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ)
وَالثَّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَنْ يَأْتِمُهُ مِنَّا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلْيَى) وَالرَّابِعُ
قَوْلُهُ تَعَالَى (وَفَضْلُ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ)
فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعٍ فِي ثَلَاثَةِ مِنْهَا الرِّفْعَةُ بِالْدَرَجَاتِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالرَّابِعُ الرِّفْعَةُ بِالْجَهَادِ فَعَادَتْ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ كَلَّا إِلَى الْعِلْمِ وَالْجَهَادِ
الَّذِينَ يَهْمِلُونَ قَوْلَ الْمَوْلَانَ قَوْلُ السَّكَنَارِ وَفَقَالَ تَعَالَى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْجَنَّمُونَ
مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يَوْمَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبَثْتُمْ فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ فَهُنَّا يَوْمُ الْبَعْثَ وَلَكُنُوكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) الْوَجْهُ الْخَادِيُّ وَالْمَشْرُونُ
أَنَّهُ سَبَحَهُ أَخْبَرَهُمْ أَهْلَ خَشْيَتِهِ بِلِ خَصْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِذَلِكِ وَفَقَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا
يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَامِمَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَنِ يَرِى غَفُورٌ) وَهَذَا حَصْرُ خَشْيَتِهِ فِي أُولَى الْعِلْمِ وَ
وَفَقَالَ تَعَالَى (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدَنٌ تَبَرِّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ مَا نَحْنُ خَشِيَ رَبِّهِ وَقَدْ أَخْبَرَنَ أَهْلَ خَشْيَتِهِ هُمُ الْعَامِمَاءُ

فدل على ان هذا الجزء المذكور للعلماء يجمعه النصين • وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية الله علما وكتفى بالاعتراض بالله جهلا • الوجه الثاني والعشرون انه سبحانه أخبر عن أمثاله التي يضر بها العباده يدفهم على صحة ما أخبر به ان أهل العلم هم المنتفعون بها الختصون بعلمهها فقال تعالى (و تلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون) • وفي القرآن بضعة وأربعون مثلا وكان بعض السلف اذا مر بيثل لا يفهمه يبكي ويقول لست من العالمين • الوجه الثالث والعشرون انه سبحانه ذكر مناظرة ابراهيم لا بيه وقومه وغلبتهم بالحججة وأخبر عن قصصيه بذلك ورفع درجته بعلم الحججة فقال تعالى عقيب مناظرته لا بيه وقومه في سورة الانعام (و تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه زرفع درجات من شاء ان ربكم حكيم عالم) قال زيد بن أسلم رضي الله عنه زرفع درجات من شاء بعلم الحججة • الوجه الرابع والعشرون انه سبحانه أخبر انه خلق اخلق ووضع بيته الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد ليعلم عباده انه بكل شيء عالم وعلى كل شيء قادر فقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض متاهن يتزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قادر وان الله قد أحاط بكل شيء علما) فدل على ان علم العباد بربهم وصفاته وعبادته وحده هو الغاية المطلوبة من الخلق والامر • الوجه الخامس والعشرون ان الله سبحانه أمر اهل العلم بالفرح بما آتاهم وأخبر انه خير ما يجمع الناس فقال تعالى (قل بفضل اللذور حته فذلك فليفرحو فهو خير مما يجتمعون) وفسر فضل الله بالإيمان ورحمته بالقرآن والإيمان والقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح والهدى ودين الحق وهذا أفضى علم وأفضل عمل • الوجه السادس والعشرون • انه سبحانه شهد لهن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيراً كثيراً • فقال تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أُوتِي خيراً كثيراً) قال ابن قتيبة والجمهور الحكمة اصابة الحق والعمل به وهي العلم النافع والعمل الصالح • الوجه السابع والعشرون • انه سبحانه عذر نعمه وفضله على رسوله وجعل من أجلاها أن آتاه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم • فقال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمت ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظما) • الوجه الثامن والعشرون • انه سبحانه ذكر عباده المؤمنين بهذه الدعمة وأمرهم بشكرها وان يذكروه على اسدائهما لهم فقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم وبعثكم الكتاب والحكمة وبعلمهكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكريكم واثكروا لي ولا تكفرون) الوجه التاسع والعشرون • انه سبحانه لما أخبر ملائكته بأنه يريد ان يجعل في الارض خليفة قالوا له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

الصورة الحية ولو كانت أجمل صورة . وهذا وجه مستقل في تفضيل العلم مضاف إلى ما تقدم فتم به تلاؤن وجهاً . الوجه الحادى والثالثون أذن سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى (ولكنْ كثُرُهُمْ يجهلُونَ) أو قال (ولكنْ كثُرُهُمْ لا يعلَمُونَ) أو قال تعالى (أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ كَثُرُهُمْ يسمَعُونَ أَوْ يَعْنَلُونَ إِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ أَخْلَقُ سَبِيلًا) فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهل بالاعماق حتى جعلهم أخلق سبيلاً منهم . وقال (إِنَّ شَرَ الدُّوَابِ هُنَّ أَنفَاقٌ مِّنَ الْجَمِيعِ وَالسَّبَاعِ وَالْكَلَابِ وَالْخَنَبَرَاتِ وَسَائِرَ الدُّوَابِ فَإِنَّهُمْ بِالشَّرِّ مِنْهُمْ وَلَيْسُ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ أَضْرَرُ مِنَ الْجَهَلِ بِلَّهُمْ أَعْدَأُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ) . وقال تعالى لنبهه وقد أغاده (فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهَلِينَ) . وقال كلامه موسى عليه الصلاة والسلام (أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهَلِينَ) . وقال لأول رسالته نوح عليه السلام (إِنِّي أَعْنَلُكَ أَنْ تَكُونُ مِنَ الْجَاهَلِينَ) فهذه حال الجاهلين عنده الاول حال أهل العلم عنده . وأخبر سبحانه عن عقوبته لاعدائه انه من عهم علم كتابه ومعرفته وفقهه . فقال تعالى (وَإِذَا قرأتُ الْقُرْآنَ جعلنا يبنك وربين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجباباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أَكْنَةً أَنْ يفهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقِرَاءَةً وَأَمْرَ نَبِيًّا بِالاعْرَاضِ عَنْهُمْ فَقَالَ (وَأَعْرَضْنَا عَنِ الْجَاهَلِينَ) وَأَنْتَ عَلَى عِبَادِهِ بِالاعْرَاضِ عَنْهُمْ وَمُتَارِكُهُمْ كَافِ قَوْلَهُ (وَإِذَا سَمِعُوا الْمَقْوِعَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يَنْتَغِي الْجَاهَلِينَ) . وقال تعالى (وَإِذَا خَاطَبُهُمْ الْجَاهَلُونَ قَالُوا سَلَامًا) . وكل هذا يدل على قبح الجهل عنده وبغضه لاجهله وأهله وهو كذلك عند الناس فان كل أحد يتبرأ منه وان كان فيه . الوجه الثاني والثالثون ان العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة والشر كله سببه عدم الحياة والنور والخير كله سببه التور والحياة فان النور يكشف عن حفائق الاشياء وبين مراتبها والحياة هي المصححة لصفات الكمال الموجبة لتسديد الاقوال والاعمال فكلما تصرف من الحياة فهو خير كله كالحياة الذي سببه كمال حياة القلب وتصوره حقيقة القبح ونفرته منه وضده الواقعه والفحش وسيبه موت القلب وعدم نفرته من القبيح وكالحياة الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء . قال تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ مِنَّا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَعْنِي بِهِ فِي النَّاسِ كُنْ مُنْتَهِيًّا) . قال مينا فأحييناه وجعلنا له نوراً يعنى به في الناس كمن متنه في الظلمات ليس بخارج منها) كان مينا بالجهل قبله فأحياءه بالعلم وجعل له من الإيمان نوراً يعنى به في الناس . وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَوْا اللَّهُ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُجَعَّلُ لَكُمْ نُورًا تَشْوَنُ بِهِ وَيُغَفَّرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لَّهُ يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابَ أَنَّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ يَبْدِئُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) • وَقَالَ تَعَالَى (اللَّهُ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرُجُوهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُ يَخْرُجُوهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكُمْ أَعْنَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) • وَقَالَ تَعَالَى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاكَ نُورًا نَّهَىٰ بِهِ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَنَا وَالَّذِي لَهُدَىٰ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) فَأَخْبَرَ أَنَّ رُوحًا تَحْصُلُ بِهِ إِلَيْهَا وَنُورٌ يَحْصُلُ بِهِ إِلَيْهَا وَالْإِشْرَاقُ يَقْبِعُ بَيْنَ الْأَصْدِينِ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ • وَقَالَ تَعَالَى (قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ النُّورِ وَكِتَابٌ مِّبْيَانٌ يَهُدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ أَثْبَعِ دِرْبِهِ سَبِيلَ السَّلَامِ وَيَخْرُجُوهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِذَلِكَ وَيَهُدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) وَقَالَ تَعَالَى (فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرْهَانٌ مِّنْ أَرْبِكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مِّنْ نَّاَنِ) وَقَالَ تَعَالَى (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا وَسُلْطَانًا يَنْلُو بِهِ إِلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ مِنْ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورٍ كَمَشْكَافَ فِيهَا مَصَابِحُ الْمَصَابِحِ فِي زَجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ كَأُنْهَا كُوكِبٌ دَرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مِّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنْسَهْ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهُدِيَ اللَّهُ نُورُهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فَضَرَبَ سَبِيلَهُ مِثْلًا لِنُورِهِ الَّذِي قَدْ فَرَأَهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ أَبِي بَنْ كَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ نُورُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي أَعْطَاهُ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ فِي آخرِ الْآيَةِ (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يَعْنِي نُورَ الْإِيمَانِ عَلَى نُورِ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلْفِ يَكَادُ الْمُؤْمِنُ يَنْطَلِقُ بِالْحِكْمَةِ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فِيهَا بِالْأَثْرِ فَإِذَا سَمِعَ فِيهَا بِالْأَثْرِ كَانَ نُورًا عَلَى نُورٍ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سَبِيلَهُ بَيْنَ ذَكْرِ هَذِينَ النُّورَيْنِ وَهُمَا الْكِتَابُ وَالْإِيمَانُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِّنْ كِتَابِهِ كَفُولَهُ (مَا كَنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاكَ نُورًا نَّهَىٰ بِهِ مِنْ نَّشَاءَ مِنْ عِبَادَنَا) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (قُلْ بِعَنِّي اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرُحُوا هُوَ خَيْرٌ مَا يَحْمِلُونَ) فَفَضَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ وَرَحْمَتَ الْقُرْآنِ • وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أُوْ مَنْ كَانَ مِنْ مِنَّا فَأَوْحَيْنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَمْ يَسْخُرْ مِنْهَا) وَقَدْ تَقدَّمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ • وَقَالَ فِي آيَةِ النُّورِ (نُورٌ عَلَى نُورٍ) وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ عَلَى نُورِ الْقُرْآنِ . وَفِي حَدِيثِ النَّوَائِسِ بْنِ سَعْدِانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مِثْلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى كُنْقِيَّ الصِّرَاطِ دَارَانِ لَهَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ سَوْرٌ وَدَاعٌ يَدْعُ عَلَى الصِّرَاطِ وَدَاعٌ يَدْعُ فَوْقَهُ (وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهُدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كُنْقِيَّ الصِّرَاطِ حَدُودٌ لِلَّهِ فَلَا يَقْعُدُ أَحَدٌ فِي حَدُودٍ (- ٨ - مِنْتَاج)

الله حتى يكشف الستر والذى يدعونى من فوقه واعطى رب رواه الترمذى وهذا لفظه
 والامام أحمد ولفظه الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعى فوق الصراط واعطى
 الله في قلب كل مؤمن فذكر الأصلين وهو داعي القرآن وداعي الإيمان • وقال حذيفة
 حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل
 القرآن فعملا من الإيمان ثم علموا من القرآن • وفي الصحيحين من حديث أبي موسى
 الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن
 ككل الأرجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل المرة
 طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالمريخانة ريحها طيب وطعمها
 مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنطة طعمها مر ولا ريح لها أشعل الناس
أربعة أقسام أهل الإيمان والقرآن وهم خيار الناس . الثاني أهل الإيمان الذين لا يقرؤون
القرآن وهم دونهم فهو لا هم السعداء والأشقياء قسمان . أحدهما من أوقى قرآنًا بلا
إيمان فهو منافق . والثاني من لا أوقى قرآنًا ولا إيمانًا . والمقصود أن القرآن والإيمان
هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده وانهما أصل كل خير في الدنيا والآخرة
وعلامهما أعلم العلوم وأفضلها بل لا علم في الحقيقة ينفع صاحبه إلا علامهما (والله يهدى
من يشاء إلى صراط مستقيم) الوجه الثالث والثلاثون ان الله سبحانه جعل صيد الكلب
الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المعلم وهذا أيضًا من شرف العلم انه لا يباح
إلا صيد الكلب العالم وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم
وفضله . قال الله تعالى (يا أبا نوك ماذا احل لهم قل أحل لكم العلييات وما علمنم من
الجوارح مكليين تعلمون من ما علمنكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذ ذكروا اسم الله عليه
وأتفق الله ان الله سريع الحساب) ولو لا مزية العلم والتعليم وشرفهم كان صيد الكلب المعلم
والجاهل سواء . الوجه الرابع والثلاثون ان الله سبحانه أخبرنا عن صفاته وكليمه الذي
كتب له التوراة بيده وكله منه إليه انه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه ويزداد علماً إلى
عاصمه فقال (واذ قال موسى لفتاه لا أربح حتى أبلغ مجتمع البحرين أو أمضى حقباً) حرصاً منه
على لقاء هذا العالم وعلى التعلم منه فلما لقيه سلك معه مسلك التعلم مع معاشه وقال له (هل
أتبغ على أن تعلم من ما علمنت وشدآ) فبرأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته وأنه
لا يتبعه إلا باذنه وقال (على أن تعلمني مما علمنت وشدآ) فلم يجيء متحفنا ولا متعنتنا وإنما جاءه
متعلمًا متزيداً على ما علمه . وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم فان نبي الله وكليمه سافر
ورحل حتى لقى النصب من سفره في تعلم ثلاثة مسائل من رجل عالم وما سمع بهم يقر له

قرار حتى لقيه وطلب منه متابعته وتعلمه وفي قضيما عبر وآيات وحكم ليس هذا
 موضع ذكرها . الوجه الخامس والثلاثون قوله تعالى (وما كان المؤمنون ينفروا كافة
 فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليتذرروا قومهم اذا رجعوا اليهم
 لعلهم يحذرون) ندب تعالى المؤمنين الى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم اذا
 رجعوا اليهم وهو التعليم . وقد اختلف في الآية فقيل المعنى ان المؤمنين لم يكونوا
 ينفروا كلهم للتفقه والتعلم بل يعني أن ينفر من كل فرقه منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة
 ثم ترجع تعلم القاعدين فيكون التفريح على هذا نغير تعلم والطائفة فقال على الواحد ها
 زاد قالوا فهو دليل على قبول خبر الواحد وعلى هذا حملها الشافعى وجاءة . وقالت
 طائفة أخرى المعنى وما كان المؤمنون ينفروا الى الجihad كلهم بل يعني أن تنفر طائفة
 للجهاد وفرقه تبعد تفهه في الدين فإذا جاءات الطائفة التي نفرت ففهمها القاعدة وعادتها
 ما أُنزل من الدين والخالل والحرام . وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهو وايتذرروا لفرقه
 التي نفرت منها طائفة وهذا قول الأكثرين وعلى هذا فالتفريح نغير جهاد على أصله فإنه
 حيث استعمل إنما يفهم منه الجهد . قال الله تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً وجاحدوا
 بأموالكم وأنفسكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
 وإذا استفرتم فانفروا وهذا هو المعروف من هذه النافلة . وعلى القولين فهو ترغيب في
 التفقه في الدين وتعلمها وتعلمه فان ذلك يعدل الجهد بل وبما يكون أفضل منه كاسياً في
 تقريره في الوجه الثامن والمائة ان شاء الله تعالى . الوجه السادس والثلاثون قوله تعالى
 (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوافقوا بالحق وتوافقوا
 بالصبر) قال الشافعى رضى الله عنه لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكنهم (وبيان
 ذلك) ان المراتب الأربع وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله . احدها معرفة الحق . الثانية
 عمل به . الثالثة تعليمه من لا يحسن . الرابعة صبره على تعلمها والعمل بها وتعلمه فذكر
 تعالى المراتب الأربع في هذه السورة وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر ان كل
 أحد في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به
 فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق وهذه مرتبة أخرى
 . وتوافقوا بالحق وصبروا ببعضهم بعضًا على الصبر عليه والثبات فيه وهذه مرتبة رابعة وهذا نهاية
 الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وكامله باصلاح قوته
 العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالایمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات

وتكتميله غيره بتعاليمه اياه وصبره عليه وتصنيفه بالصبر على العمل والعمل فيه الدورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن لأخير بمحذفه والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ماء وآه شافياً من كل داء هادياً إلى كل خير . الوجه السابع والتلذعن انه سبحانه ذكر فضله ومنتها على أنبيائه ورسله وأوليائه وعباده بما آتاهم من العلم فذكر نعمته على خاتم الأنبياء ورسله بقوله (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيم) وقد تقدمت هذه الآية . وقال في يوسف (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي الحسينين) وقال في كلامه موسى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي الحسينين) وما كان الذي آتاه موسى من ذلك أمراً عظيماً خصه به على غيره ولا يثبت له إلا الأقواء أولو العزم ها هو بعد أن بلغ أشده واستوى يعني تم ونلت قوه . وقال في حق المسيح (يا عيسى ابن مریم اذ ذكرت نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تکام الناس في المهد وكلاً وإذ علمناك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) وقال في حقه ويعمله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل بجعل تعليمه مما يبشر به أمه وأقر عينها به . وقال في حق داود (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وقال في حق الخضر صاحب موسى وفتاه (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعانته من لدنا علماً) فذكر من نعمه عليه تعليمه وما آتاه من رحمة . وقال تعالى يذكر نعمته على داود وسليمان (وداود وسليمان إذ يحيكان في الحرج إذ نفشت فيه غنم القوم وكذلك لهم شاهدين فهم منها سليمان وكلاً آتيناه حكماً وعلماً) فذكر النبيين الكريمين وأئمـاـماـ بالحكـمـ والـعـلـمـ وـخـصـ بـفـهـمـ الـقـضـيـةـ أـحـدـهـاـ وـقـدـ ذـكـرـتـ الحـكـمـينـ الدـاوـدـيـ وـالـسـلـيـمانـيـ وـوـجهـهـماـ وـمـنـ صـارـ مـنـ الـأـئـمـةـ إـلـىـ هـذـاـ وـمـنـ صـارـ إـلـىـ هـذـاـ وـتـرـجـيـحـ الحـكـمـ السـلـيـمانـيـ مـنـ عـدـةـ وـجـوـهـهـ وـمـوـافـقـتـهـ لـالـقـيـاسـ وـقـوـاعـدـاـ شـرـعـ فـيـ كـتـابـ الـاجـهـادـ وـالـتـقـيـيدـ وـقـالـ تـعـالـىـ (قـالـ مـنـ أـنـزـلـ الـكـتـابـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ مـوـسـىـ نـورـاـ وـهـدـىـ لـلـدـاسـ تـجـمـعـاـنـهـ قـرـاطـيـسـ تـبـدوـنـهـ وـتـخـفـونـ كـثـيرـاـ وـعـلـمـ مـلـمـ تـعـلـمـوـ أـنـتـمـ وـلـاـ آـبـاؤـكـمـ قـلـ اللهـ) يـعـنيـ الذـيـ أـنـزـلـهـ جـعـلـ سـبـحـانـهـ تعـلـيمـهـ مـلـمـ يـعـلـمـ رـهـمـ وـلـاـ آـبـاؤـهـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ صـحـةـ النـبـوـةـ وـالـرـسـالـةـ إـذـ لـاـ يـنـالـ هـذـاـ الـعـلـمـ إـلـاـ مـنـ جـهـةـ الرـسـلـ فـكـيـفـ يـقـولـونـ مـاـ أـنـزـلـ اللهـ عـلـىـ يـاـشـرـ مـنـ شـيـ وـهـذـاـ مـنـ فـضـلـ الـعـلـمـ وـشـرـفـهـ وـأـنـ دـلـيـلـ عـلـىـ صـحـةـ النـبـوـةـ وـالـرـسـالـةـ وـالـهـمـ المـوـفـقـ لـالـرـشـادـ وـقـالـ تـعـالـىـ (أـنـدـ مـنـ اللهـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ إـذـ بـعـثـ فـيـهـ رـسـوـلـاـ مـنـ أـنـفـسـهـ يـتـلـوـ عـلـيـهـ آـيـهـ وـيـزـكـيـهـ وـيـعـلـمـهـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـ وـإـنـ كـانـواـ مـنـ قـبـلـ لـفـقـدـ ضـلـالـ مـبـيـنـ) وـقـالـ تـعـالـىـ (هـوـ الـذـيـ بـعـثـ فـيـ الـأـمـيـنـ رـسـوـلـاـ مـنـهـ يـتـلـوـ عـلـيـهـ آـيـهـ)

ويزكيهم ويعالمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني وبعث في آخرين منهم لما يلحقوا بهم وقد اختلف في هذا المحقق المنفي فقيل هو المحقق في الزمان أى يتأخر زمانهم عنهم ويقال هو المحقق في الفضل والسبق وعلى التقديرين فامتن عليهم سبحانه بان عالمهم بعد الجهل ودهاهم بعد الضلاله وباطها من منه عظيمة فاتت المنف وجلت أن يقدر العباد لها على ثمن ما ووجه الثامن والثلاثون ان أول سورة أرْزَقَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ سُورَةَ الْقَلْمَنْ فَذَكَرَ فِيهَا مَا مِنْ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ تَعْلِيمٍ فَذَكَرَ فِيهَا فَضْلَهُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ الْإِنْسَانَ بِمَا عَلِمَهُ إِيَّاهُ وَذَكَرَ يَدُلُّ عَلَى شَرْفِ التَّعْلِيمِ وَالْعِلْمِ ۝ فَقَالَ تَعَالَى (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مِمَّا يَعْلَمُ) فافتتح السورة بالامر بالقراءة الناشئة عن العلم وذكر خلقه خصوصاً وعموماً ۝ فقال (الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الْأَكْرَمُ) وخص الانسان من بين المخلوقات لما أودعه من عجائبها وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكته وكمال رحمته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه وذكر هنا مبدأ خلقه من علق لكون العلاقة مبدأ الأطوار التي استقلت بها النطفة فهي مبدأ تعلق التخليق ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبراً عن نفسه بأنه الْأَكْرَمُ وهو الافعل من الكرم وهو كنزة الخير ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه. فان الخير كله بيده. والخير كله منه والعلم كلها هو مولتها والكمال كله والمجد كلها فهو الْأَكْرَمُ حقاً ثم ذكر تعليمه عموماً وخصوصاً ۝ فقال الذي علم بالقلم فهذا يدخل فيه تعليم الملائكة والناس ثم ذكر تعليم الانسان خصوصاً ، فقال (عَلِمَ الْإِنْسَانَ مِمَّا يَعْلَمُ) فاشتملت هذه الكلمات على انه معطي الموجودات كلها بجميع أقسامها فان الوجود له مراتب أربعة احدهاها من بينها الخارجية المدلول عليها بقوله خارق ، المرتبة الثانية الذهنية المدلول عليها بقوله (علم الانسان ما لم يعلم) ، المرتبة الثالثة والرابعة المفظية والخطابية فالخطابة مصرح بها في قوله الذى علم بالقلم واللفظية من لوازם التعليم بالقلم فان الكتابة فرع النطق والنطق فرع التصور فاشتملت هذه الكلمات على مراتب الوجود كلها وانه سبحانه هو معطيها بخلقه وتعليمه فهو الخالق المعلم وكل شيء في الخارج بخلقه وجد وكل علم في الذهن فبتعليمه حصل وكل لفظ في اللسان أو خط في البناء فبقادره وخلقه وتعليمه وهذا من آيات قدرته وبراهين حكته لا إله الا هو الرحمن الرحيم ، والمقصود أنه سبحانه تعرف الى عباده بما عالمهم اي انه بحكمته من الخط واللغة والمعنى فكان العلم أحد الا أدلة

الدالة عليه بل من أعظمها وأظهرها وكفى بهذا شرفا وفضلا له . الوجه التاسع والثلاثون
 انه سبحانه سمي الحجة العالمية سلطاناً ، قال ابن عباس رضي الله عنه كل سلطان في
 القرآن فهو حجة وهذا كقوله تعالى (قلوا أتَخْذَ اللَّهَ وَلَدًا) سبحانه هو الغنى له مافي
 السموات وما في الأرض ان عندكم من سلطان بهذا انقولون على الله مالا تعلمون) يعني
 ما عندكم من حجة بما قاتم ان هو الا قول على الله بلا علم ، وقال تعالى (ان هي الا آيات
 يسمى بها انت وآباؤك ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ما نزل بها حجة ولا برهاناً بل
 هي من نقاء أنفسكم وآباءكم ، وقال تعالى (ألم لكم سلطان مبين فائتوا بكتابكم ان
 كنتم صادقين) يعني حجة واحدة فائتوا بها ان كنتم صادقين في دعواكم الا موضع واحداً
 اختلف فيه وهو قوله (ما أغنى عن مالي هلك عن سلطانيه) فقيل المراد به القدرة والمال
 اي ذهب عن مالي وملكي فلا مال لي ولا سلطان وقيل هو على بايه اي انقطعت حجتها
 وبطلت فلا حجحة لي . والمقصود ان الله سبحانه سمي علم الحجة سلطاناً لأنها توجب
 تسلط صاحبها واقتداره فله بها سلطان على الجاهلين بل سلطان العلم أعظم من سلطان
 اليه وهذا يقاد الناس للحجية مالا يقادون لايدهان الحجية تقاد طا القلوب وأما اليده فاما
 يقاد لها البدن فالحجية تأسير القلب وتفوده وتذلل الخالف وان أظهر العناد والمكابرة فقبله
 خافع لها ذليل مقهور تحت سلطانها بل سلطان الجاه ان لم يكن معه علم يساس به فهو
 بمثابة سلطان السابع والاسود ونحوها قدرة بلا علم ولا رحمة بخلاف سلطان الحجية فانه
 قدرة على علم ورحمة وحكمة ومن لم يكن له اقتدار في علمه فهو اما اضعف حجته وسلطانه
 واما القهر سلطان اليه والسيف له والا فالحجية ناصرة نفسها ظاهرة على الباطل قاهرة له ،
 الوجه الأربعون ان الله تعالى وصف أهل النار بالجهل وأخبر انه سد عليهم طرق العلم
 فقال تعالى حكاية عنهم (وقلوا لو كنا نسمع او نعقل ما كننا في أصحاب السعير فاعترفوا
 بذنهم فسحقاً لاصحاب السعير) فاخبروا ائمهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون والسمع
 والعقل هما أصل العلم وبهما يسأل ، وقال تعالى (ولقد درأنا عليهم كثيراً من الجن
 والانس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها
 أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فاخبر سبحانه انهم لم يحصل لهم علم من
 جهة من جهات العلم الثلاث وهي العقل والسمع والبصر كما قال في موضع آخر (صم كم
 عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى (ألم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو
 آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأ بصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) وقال
 تعالى (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأنفاسة فما أعني بهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أنفاسهم

من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) فقد وصف أهل الشقاء كما ترى بعدم العلم وشبههم بالانعام وتارة بالحمار الذي يحمل الأسفار وتارة جعلهم أضل من الانعام وتارة جعلهم شر الدواب عنده وتارة جعلهم أمواتاً غير أحياء وتارة أخبر انهم في ظلمات الجهل والضلال وتارة أخبر ان على قلوبهم كثرة وفي آذانهم وقرا وعلى أبصارهم غشاوة وهذا كله يدل على قبح الجهل وذم أهله وبغضه لهم كما انه يجب أهل العلم وعدهم وينفي عليهم كاتقدماً والله المستعان ، الوجه الحادى والأربعون ما في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وهذا يدل على ان من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيراً كأن من أراد به خيراً فقهه في دينه ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيراً اذا أربد بالفقه العلم المستلزم للعمل وأما ان أربد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقهه في الدين فقد أربد به خيراً فان الفقه حينئذ يكون شرطاً لارادة الخير وعلى الاول يكون موجباً والله أعلم • الوجه الثانى والأربعون ما في الصحيحين أيضاً من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما يعنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى اتاهى قيغان لأنفسك ما ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقهه في دين الله ونفعه ما يعنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به شبه صلى الله عليه وسلم العلم والهدى الذى جاء به بالغirth لما يحصل بكل واحد منها من الحياة والثناية والاغذية والادوية وسائل مصالح العباد فانها بالعلم والمطر وشبه القلوب بالاراضى التي يقع عليها المطر لأنها احمل الذى يمسك الماء فنبت سائر أنواع النبات الثناية كأن القلوب تني العلم فينمر فيها ويزكو وتطهر بركته ونعته ثم قم الناس الى ثلاثة أقسام بحسب قوتهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستبطاط أحکامه واستخراج حكمه وفوائده • أحددها أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستبططوا وجود الأحكام والحكم والنوابذ منه فهو لاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء وهذا بمنزلة الحفظ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستبطاط فانه بمنزلة انبات الكلأ والعشب بالماء فهذا مثل الحفاظ للفقهاء أهل الرواية والدرایة • القسم الثاني أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله ووضعيه ولم يرزقا تفهاماً معانياً ولا استبطاطاً ولا استخراجاً لوجود الحكم والنوابذ

منه فهم ينزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وأعرابه ولم يرزق فيه فهم خاصاً
 عن الله كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا فهم يؤتى به الله عبداً في كتابه
 والناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت فرب شخص يفهم من النص
 حكماً أو حكماً ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين فهو لاء ينزلة الأرض التي أمسكت الماء
 لانسان فاستفدوه وهذا يشرب منه وهذا يسقي وهذا يزرع فهو لاء القسمان هم السعداء والآلون
 أرفع درجة وأعلى قدرأ (وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم)
 *القسم الثالث الذين لا تنصيب لهم منه لاحفظاً ولا فهماً ولا رواية ولا دراية بل لهم ينزلة
 الأرض التي هي قيungan لا تحيط ولا تحيط الماء وهو لاء هم الاشقياء والناسان الأولان اشتراكاً
 في العلم والتعليم كل بحسب ما قبله ووصل إليه فهذا يعلم الناظر القرآن ويحفظها وهذا يعلم
 معانيه وأحكامه وعلومه والقسم الثالث لا علم ولا تعليم فهم الذين لم يرثوا بهدی الله رئيساً
 ولم يقبلوه وهو لاء شر من الانعام وهم وقود النار فقد اشتغل هذا الحديث الشريف
 الغظيم على التنبیه على شرف العلم والتعليم وعظم موقعه وشقاء من ليس من أهله وذكر
 أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيهم وسعیدهم وتقسم سعيدهم إلى سابق مقرب وصاحب
 يمين مقتصد وفيه دلالة على أن حاجة العباد إلى العلم ك حاجتهم إلى المطر بل أعظم وإنهم
 اذا فقدوا العلم فهم ينزلة الأرض التي فقدت الغيث . قال الإمام أحمد الناس يحتاجون
 إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم
 مررة أو مرتين والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس وقد قال تعالى (أنزل من السماء ماء)
 فسألت أودية يقدرهما فاحتمل السيل زبدأ رابياً وما يقدرون عليه في النار ابتلاء حلة
 أو متع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل) . شبه سبحانه العلم الذي أزله
 على رسوله بالماء الذي أزله من السماء مما يحصل لكل واحد منها من الحياة ومصالح
 العباد في معاشهم ومعادهم ثم شبه القلوب بالأودية فقارب كبير يسع عدداً كثيراً كواد
 عظيم يسع ماء كثيراً وقارب صغير إنما يسع عدماً قليلاً كواد صغير إنما يسع ماء قليلاً .
 فقال (فسألت أودية يقدرهما فاحتمل السيل زبدأ رابياً) هذا مثل ضربه الله تعالى للعلم
 حين تختلط القلوب بشانته فإنه يستخرج منها زبد الشهوات الباطلة فيطفو على وجه القلب
 كما يستخرج السيل من الوادي زبدأ يعلو فوق الماء وأخبر سبحانه أنه راب يطفو ويعلو
 على الماء لا يستقر في أرض الوادي كذلك الشهوات الباطلة إذا أخر جها العلم ربت فوق
 القلوب وطفت فلاتستقر فيه بل تجف وترمى فيستقر في القلب ما ينفع صاحبه والناس
 من الهدي ودين الحق كما يستقر في الوادي الماء الصافى ويدهب الزبد جفاء وما يعقل

عن الله أمن الله إلا العالمون ثم ضرب سبحانه له ذلك مثلاً آخر . فقال (وما يوقدون عليه في النار استغاثة حلية أو متاع زبدهن) . يعني أن ما يوقد عليه بنو آدم من الذهب والفضة والنحاس والحديد يخرج منه خبثه وهو الزيد الذي تلقىه النار وتخرج منه من ذلك الجوهر بسبب مخالطتها فانه يهذف ويماقى به ويستقر الجوهر الخالص وحده وضرب سبحانه مثلاً بالماء لما فيه من الحياة والتبريد والتنفسة ومثلاً بالنار لما فيها من الاضاءة والاشراق والاحراق فآيات القرآن تحيي النlob كتحيا الأرض بماء وتحرق خبثها وتبهتها وشهواتها وسخافتها كما تحرق النار ما ياتي فيها وتهيز جيدها . من زبدتها كما تهيز النار الحبوب من الذهب والفضة والنحاس ونحوه منه . فبذا بعض مافي هذا المثل العظيم من العبر والعلم . قال الله تعالى (وتلك الأمثال نفتر بها الناس وما يعقلها إلا العاون) . الوجه الثالث والأربعون ماقيل الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه لأن يهدى الله بكل رجل واحداً خيراً لك من حرمك . وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيراً له من حرمك وهي خيارها وأشرفها عند أهله لها الفلن . من يهتدى به كل يوم طائف من الناس . الوجه الرابع والأربعون ماروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يتقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الآثم مثل آثم من تبعه لا يتقص ذلك من آثامهم شيئاً . أخيراً صلى الله عليه وسلم أن المتسبب إلى الهدى بدعوه له مثل أجر من اهتدى به . والمتسبب إلى الضلال بدعوه عليه مثل إثم من ضل به لأن هذا بذلك قدرته في هداية الناس وهذا بذلك قدرته في ضلالهم فنزل كل واحد منهم بما ينزله الفاعل الآثم وهذه قاعدة الشريعة كما هو مذكور في غير هذا الموضع . قال تعالى (ليحملوا أوزارهم كالمية يوم القيمة ومن أوزار الذين يضللونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) . وقال تعالى (وليرحملن أثقالهم وأنقلوا مع أثقالهم) وهذا يدل على أن من دعا الأمة إلى غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عدوه حقاً لأنه قطع وصول أجر من اهتدى بيته إليه وهذا من أعظم معاداته فهو باليه من الخذلان . الوجه الخامس والأربعون ما خرج في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في المتنين . رجل آتاه الله مالا فسلكه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يغنى بها ويعاملها . فما ذكر

(٩ - مفتاح)

صلى الله عليه وسلم أله لا ينبغي لأحد أن يحصد أحداً يعني حصد غبطة وينهى مثل حاله
 من غير أن ينفي زوال نعمة الله عنه إلا في واحدة من هاتين الحصتين وهي الإحسان
 إلى الناس بعلمه أو بحاله • وما عدا هذين فلا ينبغي غبطه ولا تمنى مثل حاله لقلة منفعة
 الناس به • الوجه السادس والاربعون قال الترمذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا
 سلمة بن رجاء حدثنا الوليد بن حميد حدثنا القاسم عن أبي أمامة الباهلى قال ذكر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رجالان أحدهما عالم والآخر عابد فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فضل العالم على العابد كفضل على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى الغلة في جحرها وحتى الحوت في البحر
 يصلون على معلمى الناس الخير • قال الترمذى هذا حديث حسن غريب سمعت أبا
 عماد الحسين بن حرث المخزاعي • قال سمعت الفضيل بن عياض يقول عالم حامل معلم
 يدعى كبيراً في مملكت السموات وهذا مروي عن الصحابة قال ابن عباس علماء هذه
 الأمة رجالان فرجل أعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صدراً ولم يشتري به ثمناً
 أولئك يصلى عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاذبون
 ورجل آتاه الله علماً فضلن به عن عباده وأخذته صدراً وشتري به ثمناً فذلك يأتي يوم
 القيمة يلجم بالجام من نار ذكره ابن عبد البر مرفوعاً وفي رفعه نظر • وقوله إن الله
 وملائكته وأهل السموات والارض يصلون على معلم الناس الخير لما كان متعلمه للناس
 الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نقوتهم جزاء الله من جنس عمله بإن جعل عليه
 من صلاتة وصلة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه
 • وأيضاً فإن معلم الناس الخير لما كان مظيراً للدين الرب وأحكامه ومعرفة لهم باسلائه
 وصفاته جعل الله من صلاتة وصلة أهل سماته وأرضه عليه ما يكون توبيها به وتنزيها
 له واظهاراً للشأن عليه بين أهل السماء والارض • الوجه السابع والاربعون مارواه
 أبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول من سللت طريقاً يذهب فيك فيه علماً سلك الله به طريقةً إلى الجنة وإن
 الملائكة لتشعر أجمعها رضا اطلاع العلم وإن العالم ليستقر له من في السموات ومن
 في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب
 إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إلهاً ورثوا العلم فمن أخذه
 أخذ بمحظ وافر • وقد رواه الوليد بن سلم عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أبي عيين عن
 أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غدا للعلم يتعلميه فتح

أَللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَفَرَسَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَكْنَا فَهَا وَصَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَحِيتَانُ
 الْبَحْرِ وَالْعَالَمِ مِنَ النَّفَلِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرُ لِيَلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَارِرِ الْكَوَاكِبِ وَالْعَالَمَاتِ
 وَرَبِّ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَبْرُونُوا دِينَارًا وَلَا دَرِهَا إِنَّا وَرَنَوْا الْعِلْمَ فَنَأْخُذُ بِالْعِلْمِ أَخْذَ بِحَظْ
 وَافِرِ وَمَوْتِ الْعَالَمِ مَصِيرَةً لَا تَخْبِرُ وَنَثَمَةً لَا تَسْدِي وَنَجْمَ طَمْسٍ وَمَوْتَ قَبْلَةً أَيْسَرَ مِنْ مَوْتِ
 عِلْمٍ وَهَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ وَالْعَارِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا إِلَى الْجَنَّةِ جَزَاءَ عَلَى مَلَوكِ الدُّنْيَا طَرِيقَ
 الْعِلْمِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى رَضَا رَبِّهِ وَوَضْعُ الْمَلَائِكَةِ أَجْنَحَتْهَا لَهُ تَوَاضِعًا لَهُ وَتَوْقِيرًا وَأَكْرَامًا إِلَيْهِ
 يَحْمِلُهُ مِنْ مَبْرَاثِ النَّبُوَّةِ وَيَطْلُبُهُ وَهُوَ يَدْلِي عَلَى الْحَبَّةِ وَالْعَقَالِيمِ فَنِنْ مَحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَعْظِيمِهِ
 تَضَعُ أَجْنَحَتْهَا لَهُ لَا يَهُ طَالِبٌ لِمَا يَهُ حَيَاةُ الْعَالَمِ وَنَجْمَهُ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيَدِهِ وَيَنْهَمِ
 تَنَاسُبٌ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَحُ خَاقَنَ اللَّهِ وَأَنْفَعُهُمْ لِيَ آدَمَ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ حَصْلَ طَمْ كُلُّ سَعَادَةٍ
 وَعِلْمٍ وَهُدًىٰ وَمِنْ نَعْيَمِ لِيَ آدَمَ وَنَصْحَمِ أَهْمَمَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَسْهُمْ وَيَتَنَوْنَ عَلَى مَؤْمِنِهِمْ
 وَيَعْيَنُونَهُمْ عَلَى أَعْدَاهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَيَحْرُصُونَ عَلَى مَصَاحِبِ الْعَبْدِ أَغْنَافَ حَرْصِهِ عَلَى
 مَصْلَحةِ نَفْسِهِ بَلْ يَرِيدُونَ لَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا لَا يَرِيدُهُ الْعَبْدُ وَلَا يَنْخُطُ
 بِبَالِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ وَجَدَنَا الْمَلَائِكَةَ أَنْصَحُ خَاقَنَ اللَّهِ لِعِبَادَهِ وَوَجَدَنَا الشَّيَاطِينَ
 أَغْنَى اِنْخَاقَ لِعِبَادٍ وَقَالَ تَعَالَى (الَّذِينَ يَحْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
 وَيَؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رِبَّنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةُ وَعَدَمًا فَاغْفَرَ لِلَّذِينَ
 تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقَوْمٌ عَذَابُ الْجَمِيعِ رِبَّنَا وَأَدْخَلُمِ جَنَّاتَ عَدَنَ إِلَيْهِ وَعَدَتْهُمْ وَمِنْ
 صَالِحٍ مِنْ آلِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمُ الَّتِي أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقَوْمُ الْبَيَّنَاتِ وَمِنْ تَقْ
 السَّيَّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتْهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فَإِيَّ نَصْحَ لِعِبَادَهِ مِنْلَهُ هَذَا الْأَنْصَحُ
 الْأَنْيَاءُ فَإِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ فَقَدْ سَعَى فِي أَعْظَامِ مَا يَنْصَحُ بِهِ عِبَادُ اللَّهِ فَلَذِكَ تَحْبَبُ الْمَلَائِكَةُ
 وَتَعْظِيمُهُ حَتَّى تَضَعُ أَجْنَحَتْهَا لَهُ رَضَا وَمَحْبَةُ وَتَعْظِيمُهُ وَقَالَ أَبُو حَاتَمَ الرَّازِيَ سَعَتْ أَبْنَ
 أَبِي أُوْيِسْ يَقُولُ سَعَتْ مَالِكَ بْنَ أَنْسَ يَقُولُ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 تَضَعُ أَجْنَحَتْهَا يَعْنِي تَبَاهِلُهَا بِالْدُّعَاءِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِدَلَالٍ مِنَ الْأَيْدِي وَقَالَ أَمْهَدُ بْنُ مُرْوَانَ
 الْمَالِكِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَالَةِ لَهُ حَدَّثَنَا زَكْرِيَّاً بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ وَقَالَ سَعَتْ أَحَدُ
 أَبْنَ شَعِيبٍ يَقُولُ كَمَا عَنِّي بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ بِالْبُعْرَةِ حَدَّثَنَا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتْهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَفِي الْجَلْسِ مَعْنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُعَزَّلَةِ جَعَلَ يَسْهُرُ
 بِالْحَدِيثِ فَنَالَ وَاللهُ لَا طَرَقَنِي غَدًا نَعْلَى بِسَامِيرٍ فَأَنْبَأَهُ أَجْنَحَةَ الْمَلَائِكَةِ فَفَعَلَ وَمَشَ فِي
 النَّعْلَيْنِ بِنَفْتِ رِجَالِهِ جَيْعَانًا وَوَقَعَتْ فِيهِمَا الْأَكْلَةُ وَقَالَ الطَّبَّارِيُّ سَعَتْ أَبَا يَحْيَى زَكْرِيَّاً
 أَبْنَ يَحْيَى السَّاجِيِّ وَقَالَ كَمَا نَشَّى فِي بَعْضِ أَرْقَةِ الْبَصَرَةِ إِلَى بَابِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ

فامرعنـا المـشـوـقـةـ وـكـانـ مـعـنـا رـجـلـ مـاجـنـ مـهـمـ فـي دـيـنـهـ فـقـالـ اـرـفـعـواـ أـرـجـلـكـمـ عـنـ أـجـنـحةـ
 الـمـلـائـكـةـ لـاـ تـكـسـرـوـهـاـ كـالـسـرـزـيـ هـاـزـالـ مـنـ مـوـضـعـهـ حـقـيـ جـفـتـ رـجـلـهـ وـسـقـطـ وـفـيـ
 السـنـ وـالـسـانـسـدـ مـنـ حـدـيـثـ صـفـوانـ بـنـ عـسـالـ .ـ قـالـ قـلـتـ يـاـ رـسـولـ اللهـ أـنـ جـثـ
 أـطـابـ الـعـلـمـ قـالـ مـرـحـباـ بـعـالـبـ الـعـلـمـ أـنـ طـابـ الـعـلـمـ لـتـحـفـ بـهـ الـمـلـائـكـةـ وـتـظـالـهـ بـأـجـنـحـتـهـ
 فـيـرـكـ بـعـصـبـهـ بـعـضـاـ حـقـيـ سـبـلـ الـسـماءـ الـدـنـيـاـ مـنـ جـبـهـمـ لـاـ يـطـلـبـ .ـ وـذـكـرـ حـدـيـثـ السـاحـ
 عـلـىـ الـخـفـينـ .ـ قـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـحـاـكـمـ اـسـنـادـهـ صـحـيـحـ .ـ وـقـالـ أـبـنـ عـبـدـ الـبـرـ هـوـ حـدـيـثـ
 صـحـيـحـ حـسـنـ نـاـبـتـ مـخـفـوظـ مـرـفـوعـ وـمـثـلـهـ لـاـ يـقـالـ بـالـرأـيـ فـيـ هـذـاـ حـدـيـثـ حـفـ الـمـلـائـكـةـ
 لـهـ بـأـجـنـحـتـهـ إـلـىـ السـماءـ وـفـيـ الـأـوـلـ وـضـعـهـ أـجـنـحـتـهـ لـهـ فـالـوـضـعـ تـوـاضـعـ وـتـوـقـيرـ وـتـبـحـيلـ وـالـخـفـ
 بـالـأـجـنـحـةـ حـفـظـ وـحـيـاةـ وـصـيـاهـ فـتـضـمـنـ الـحـدـيـثـانـ تـعـلـيمـ الـمـلـائـكـةـ لـهـ وـجـبـهـ إـيـاهـ وـحـيـاطـهـ
 وـحـفـظـهـ فـلـوـمـ يـكـنـ لـطـابـ الـعـلـمـ إـلـاـهـاـ اـسـطـعـ الـبـرـزـيلـ لـكـيـ بـهـ شـرـفـاـ وـفـضـلـاـ .ـ وـقـوـلـهـ صـلـ
 اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ الـعـلـمـ لـيـسـتـغـفـرـ لـهـ مـنـ فـيـ السـمـوـاتـ وـمـنـ فـيـ الـأـرـضـ سـقـ الـجـيـتـانـ فـيـ
 الـمـاءـ فـاـنـهـ لـاـ كـانـ الـعـلـمـ سـيـاـنـ فـيـ حـصـولـ الـعـلـمـ لـذـيـهـ بـهـ نـجـاهـ النـفـوسـ مـنـ أـنـوـاعـ الـمـهـلـكـاتـ
 وـكـانـ سـعـيـهـ مـقـصـورـاـ عـلـىـ هـذـاـ وـكـانـ نـجـاهـ الـعـبـادـ عـلـىـ يـدـيـهـ جـوـزـيـ مـنـ جـنـسـ عـلـمـهـ وـجـعـلـهـ
 مـنـ فـيـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ سـاعـيـاـ فـيـ نـجـاهـ مـنـ أـسـابـ الـمـلـكـاتـ باـسـتـغـفـارـهـ لـهـ وـإـذـ كـانـ
 الـمـلـائـكـةـ تـسـتـغـفـرـ لـلـمـؤـمـنـينـ فـكـيـفـ لـاـ تـسـتـغـفـرـ خـاصـتـهـ وـخـلاـصـتـهـ .ـ وـقـدـ قـيـلـ أـنـ مـنـ فـيـ
 السـمـوـاتـ وـمـنـ فـيـ الـأـرـضـ الـمـسـتـغـفـرـينـ لـالـعـلـمـ عـامـ فـيـ الـحـيـوـانـاتـ نـاطـقـهـاـ وـبـهـمـهاـ طـيرـهـاـ وـغـيرـهـ
 وـبـرـئـهـاـ فـوـلـهـ حـقـ الـجـيـتـانـ فـيـ الـمـاءـ وـحـقـ الـخـلـةـ فـيـ جـعـرـهـاـ .ـ فـقـيـلـ سـبـبـ هـذـاـ الـسـتـغـفـارـ
 أـنـ الـعـلـمـ يـعـلـمـ اـخـلـاقـ مـرـاعـةـ هـذـهـ الـحـيـوـانـاتـ وـيـعـرـفـهـمـ مـاـيـحـلـهـمـ وـمـاـيـحـرـمـ وـيـعـرـفـهـمـ كـيـفـيـةـ
 تـنـاوـهـاـ وـاسـتـخـدـامـهـاـ وـرـكـوبـهـاـ وـالـإـنـقـاعـبـهـاـ وـكـيـفـيـةـ ذـبـحـهـاـ عـلـىـ أـحـسـنـ الـوجـوهـ وـارـفـهـاـ
 بـالـحـيـوـانـ وـالـعـلـمـ أـشـفـقـ النـاسـ عـلـىـ الـحـيـوـانـ وـأـقـوـمـهـ بـيـانـ مـاـخـلـقـ لـهـ وـبـالـجـلـةـ فـالـرـحـمةـ
 وـالـاحـسـانـ الـقـيـ خـلـقـهـمـ وـهـمـاـ الـحـيـوـانـ وـكـتـبـ طـمـاـ حـفـظـهـمـ مـنـهـ أـنـمـاـيـعـرـفـ بـالـعـلـمـ فـالـعـلـمـ
 مـعـرـفـ لـهـذـاـكـ فـاسـتـحـقـ أـنـ تـسـتـغـفـرـ لـهـ الـبـاشـمـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ .ـ وـقـوـلـهـ وـفـضـلـ الـعـلـمـ عـلـىـ الـعـبـادـ
 كـفـضـلـ الـقـمرـ عـلـىـ سـاـرـ الـكـوـاـكـ بـتـشـيـيـهـ مـعـاـبـقـ حـلـ الـقـمـرـ وـالـكـوـاـكـ فـاـنـ الـقـمـرـ
 يـضـيـ الـآـفـاقـ وـيـمـتـدـ نـورـهـ فـيـ اـقـطـارـ الـعـالـمـ وـهـذـهـ حـالـ الـعـابـدـ وـأـمـاـ الـكـوـاـكـ فـوـرـهـ
 لـاـ يـجـاـوزـ نـفـسـهـ أـوـ مـاـقـرـبـهـ مـنـهـ وـهـذـهـ حـالـ الـعـابـدـ الـذـيـ يـضـيـ نـورـ عـبـادـهـ عـلـيـهـ دونـ
 غـيرـهـ وـاـنـ جـاـوزـ نـورـ عـبـادـهـ غـيرـهـ فـاـنـمـاـيـجـاـوزـهـ غـيرـ بـعـيدـ كـاـيـجـاـوزـ ضـوءـ الـكـوـكـ لـهـ
 بـجـاـوزـةـ يـسـيـرـةـ .ـ وـمـنـ هـذـاـ الـأـرـ المـرـوـيـ اـذـكـانـ بـيـومـ الـقـيـامـةـ يـقـولـ اللـهـ لـلـعـابـدـ اـدـخـلـ
 الـجـنـةـ فـاـنـمـاـ كـانـ مـنـفـعـتـكـ لـنـفـسـكـ وـيـقـالـ لـلـعـلـمـ اـشـفـعـ تـشـفـعـ فـاـنـمـاـكـانـ مـنـفـعـتـكـ لـلـنـاسـ

وروى ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهمَا اذا كان يوم القيمة يُؤتى بالعباد والفقير فيقال للعبد ادخل الجنة ويقال للفقير اشفع تشفع وفي التشبيه المذكور لطيفة أخرى وهو أن الجهل كالليل في ظلمته وخدسه والعلماء والعباد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظلامة وفضل نور العالم فياعلى نور العباد كفضل نور القمر على الكواكب . وأيضاً فالدين قوامه وزينته وآياته بعماهه وعباده فإذا ذهب علماؤه وعباده ذهب الدين كما ان السماء اضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها فإذا خسف فرقها وانشرت كواكبها أثارها ما توعده وفضل علماء الدين على العباد كفضل ما بين القمر والكواكب . فلن قيل كيف وقع تشبيه العالم بالقمر دون الشمس وهي أعظم نوراً . قيل فيه فائدتان . احدهما أن نور القمر لما كان مستفاداً من غيره كان تشبيه العالم الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس . الثانية أن الشمس لا يختلف حالي في نورها ولا يتحققها محقق ولا تفاؤت في الاشارة . وأما القمر فإنه يقل نوره ويكثر ويعنى ويتقصى كأن العلماء في العلم على مراتبهم من كثرتهم وقلتهم فيفضل كل منهم في عالمه بحسب كثرته وقلته وظهوره وخفائه كأن يكون القمر كذلك فعلم كالبدر ليلاً ثم وآخر دونه بليلة ونائية ونائية وما بعدها إلى آخر مراتبه وهم درجات عند الله . فلن قيل تشبيه العلماء بالنجوم أمر معلوم كقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم وهذا هي في تعبير الرؤيا عبارة عن العلماء فكيف وقع تشبيههم هنا بالقمر . قيل أما تشبيه العلماء بالنجوم فلن النجوم يهتدى بها في طلبات البر والبحر وكذاك العلماء والنجوم مزيته لاسماء . فكذاك العلماء زينة للأرض وهي رجوم الشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع لثلاث ليسوا بما يسترون من الوحي الوارد إلى الرسل من الله على أيدي ملائكته وكذاك العلماء رجوم الشياطين الانس والجن الذي يوحى بعضهم إلى بعض رزخون القراءة غروراً فالعلماء رجوم هذا الصنف من الشياطين ولو لاهم لطممت معلم الدين بتلبيس المضلين . ولكن الله سبحانه أقامهم حراساً وحافظة لدينه ورجوماً لاعدائهم وأعداء رسالته فهذا وجه تشبيههم بالنجوم وأما تشبيههم بالقمر فذلك كان في مقام تقضيائهم على أهل العبادة الجبردة وموازنة ما بينهما من الفضل والمعنى انهم يفضلون العباد الذين ليسوا بعلماء كما يفضل القمر سائر الكواكب فكل من التشبيهين لائق بوضعه والحمد لله . وقوله ان العلماء ورثة الانبياء هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فان الانبياء خير خلق الله فورتهم خير الخلق بعدهم . وما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته اذهم الذين يقومون مقامه من بعدهه ولم يكن بعد الرسل من يقوم

مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به الا العلماء كانوا أحق الناس بغير أنهم . وفي هذا تنبئه على أنهم أقرب الناس إليهم فان الميراث إنما يكون لأقرب الناس الى الموروث وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو في ميراث النبوة والله يختص برحمته من بناء و فيه أيضاً ارشاد وأمر للامة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم واجلالهم فانهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الامة وخلفاؤهم فيهم . وفيه تنبئه على ان محبتهم من الدين وبغضهم متناف للدين كما هو ثابت لموروثهم وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة الله كما هو في موروثهم . قال على "كرم الله وجهه ورضي عنه مجتبى العلماء دين يدان به . وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربنا عز وجل من عادى لي ولأياً فقد بازني بالمحاربة وورثة الانبياء سادات أولياء الله عز وجل . وفيه تنبئه لعلماء على سلوك هدى الانبياء وطريقهم في التبليغ من الصبر والاحتمال ومتاباة إساءة الناس اليهم بالاحسان والرفق بهم واستجلا بهم الى الله باحسن العارق وبذل ما يمكن من الصدقحة لهم فانه بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره الجليل خغاره . وفيه أيضاً تنبئه لأهل العلم على تربية الأمة كاي رب الوالد ولده فيربونهم بالتدريج والترق من صغائر العام الى كباره وتحميهم منه ما يعلقون كما يفعل الآباء بولدهم العقول في إيصال الغذاء اليه فان أرواح البشر بالنسبة الى الانبياء والرسل كالاطفال بالنسبة الى آباءهم بل دون هذه النسبة بكثير وهذا كل روح لم تربها الرسل لم تفلاح ولم تصاحح لصالحة كا قبل .

ومن لا يربيه الرسول ويستقه « لبان الله قد در من ندى قدسه »

فذلك لقيط ماله نسبة الولا « ولا يتعدى طور ابناء جنسه »

وقوله ان الانبياء لم يورنوا ديناراً ولا درهما إنما ورثوا العلم هذا من كمال الانبياء وعظم نصحهم للامم و تمام نعمة الله عليهم وعلى أنفسهم أن أواخج جميع العمال وحسم جميع الموارد التي توهم بعض التفوس ان الانبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملوكها شفاههم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية . ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا ولده من بعده ويسهي ويتعب ويحرم نفسه لولده سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيراً من التفوس التي تقول فعلمه ان لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال صلى الله عليه وسلم ثم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركتنا فهو صدقة فلم تورث الانبياء ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم . وأما قوله تعالى وورث سليمان داود فهو ميراث العلم والنبوة لا غير . وهذا بالاتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثير سوى سليمان فلو كان الموروث

هو المال لم يكن سليمان مختصاً به . وأيضاً فان كلام الله يصان عن الاخبار يمثل هذافاته بمثابة أن يقال مات فلان وورثه ابنته . ومن المعلوم ان كل أحد يرثه ابنه وليس في الاخبار بثل هذا قاعدة . وأيضاً فان ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال . قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان حلماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) وإنما سبق هذا بيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب وهو العلوم والنبوة (إن هذا هو الفضل المبين) . وكذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام (وإن خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا يربني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيأ) فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله والا فلا يظنبني كريم أنه يخاف عصبه أن يرثوه ماله . فيسأل الله العظيم ولدآ ينبعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه الله أبايله ورسله عن هذا وأمثاله فبعداً من حرف كتاب الله ورد على رسوله كلامه ونسب الانبياء إلى ما هم برآء منه هؤون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته . ويدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه من بالسوق فوجدهم في تجارة لهم وبساعاتهم فقال أنت هنا فيما أنت فيه ويرث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في مسجدده فقاموا سراعاً إلى المسجد . فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر وبمحالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبو هريرة . فقال هذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم بين ورثته وليس بمواريثكم ودنياكم أو كما قال . وقوله فمن أخذه أخذ بحفظه وأفر أعظم الحظوظ وأحداها مانع العبد ودام نفعه له وليس هذا إلا حظه من العلم والدين فهو الحظ الدائم النافع الذي اذا انقطعت الحظوظ لا يرباها فهو موصول له أبداً لا يذهب وذلك لأنه موصول بالحي الذي لا يموت فإذا لك لا ينقطع ولا يفوت وسائر الحظوظ تendum وتسلishi بتلاشى متعلقاتها كما قال تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل يجعلناه هباء منثوراً) فان الغاية لما كانت منقطعة زائدة تبعها أعماظهم فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل الى عمله وهذه هي المصيبة التي لا تخبر عيادة بالله واستعانته به وافتخاراً وتوكلها عليه ولا حول ولا قوة الا بالله . وقوله موت العالم مصيبة لا تخبر ونامة لاتد ونجم طمس وموت قبره أيسر من موت عالم . لما كان صلاح الوجود بالعاماء ولو لا هم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا تخبرها الا خائف غيره . وأيضاً فان العلماء هم الذين يت sposون العباد والبلاد والمال فهؤتهم فساد لغام العالم وهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالقاً عن سالف يحافظ بهم دينه وكتابه وعباده .

وتأمل اذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وساجدهم الى ما عنده
شديدة وهو محسن اليهم بكل ممكناً ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فوت العالم
أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت يومه أم وخلاقه كما قيل
تعلم ما الرزية فقد مال ولا شاء تموت ولا بغير
ولكن الرزية فقد حر يومه بموجة بشر كثير
وقال آخر

ما كان قيس هلك هلك واحد ولكن بنيان قوم هدموا

* الوجه اثنان والاربعون ما روى الترمذى من حديث اوليد بن مسلم حدثنا روح
ابن جناح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيه أشد على الشيطان من ألف عايد . قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من هذا
الوجه من حديث اوليد بن مسلم قلت قد رواه ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي
اليقظى حدثنا عمر بن سعيد بن سنان حدثنا هشام بن عمار حدثنا اوليد بن مسلم
حدثنا روح بن جنح عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الخطيب الاول هو المحفوظ عن روح مجاهد عن ابن عباس وما أرى
الوهم وقع في هذا الحديث الا من أبي جعفر لأن عمر بن سنان عنده عن هشام بن
عمار عن اوليد عن روح عن الزهرى عن سعيد حديث في السماء يقال له البيت
المعمور حيال الكعبة وحديث ابن عباس كان في كتاب ابن سنان عن هشام يتلو
أحدها الآخر فكتب أبو جعفر استاد حديث أبي هريرة رضى الله عنه ثم عارضه
ل فهو أوزاغ نظره فنزل الى متى حديث ابن عباس فركب متى هذا على استاد هذا
وكل واحد منها ثقة مأمون برأه من تعمد الغلط وقد رواه ابو أحمد بن عدى عن
محمد بن سعيد بن مهران حدثنا شيبان أبو الربيع الشهان عن أبي الزناد عن الاعرج عن
أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ دعامة ودعامة
الاسلام الفقه في الدين والفقىء أشد على الشيطان من ألف عايد ولهذا الحديث علة وهو
انه روى من كلام أبي هريرة وهو أشبه رواه همام بن يحيى حدثنا يزيد بن عياض حدثنا
صفوان بن سليم عن سليمان عن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماعبد الله بقى أفضل من فقه في الدين قال وقال أبو هريرة لأن أفتنه
ساعة أحب إلى من أن أحى ليلة أصلحتها حتى أصبح والفقىء أشد على الشيطان من ألف
عايد ولكل شئ دعامة ودعامة الدين الفقه وقد روى باسناد فيه من لا يختج به من حديث

عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عمر بن الخطاب يرفعه أن الفقيه أشد على الشيطان من ألف ورع والفت بجهد وألف متبعه . وقال المنزري روى عن ابن عباس أنه قال إن الشياطين قالوا لا ياليس يا سيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم مالا تفرح بموت العابد والعالم لانصيبه ، والعابد فصيب منه . قال انطلقا فانطلقا إلى عابد فاتوه في عبادته فقالوا أنا نريد أن نسألك فانصرف فقال ابليس هل يقدر ربكم أن يجعل الدنيا في جرف بيضة فقال لا أرى قدر أترونه كفر في ساعة ثم جاؤا إلى عالم في حلفته يضعك أصحابه ويخذلهم فقالوا أنا نريد أن نسألك فقال سل هل يقدر ربكم أن يجعل الدنيا في جوف بيضة قال نعم قالوا كيف قال يقول كن فيكون فقال أترون ذلك لا يعود نفسه وهذا يفسد على عالمًا كثيراً . وقد رويت هذه الحكاية على وجه آخر وانهم سألا العابد فقالوا هل يقدر ربكم أن يخلق مثل نفسه فقال لا أدرى فقال أترون لم تتعذر عبادته مع جهله وسألا العالم عن ذلك فقال هذه المسئلة محال لأنه لو كان مثله لم يكن مخلوقاً فكونه مخلوقاً وهو مثل نفسه مستحيل فإذا كان مخلوقاً لم يكن مثله بل كان عبداً من عبده وخلقاً من خلقه فقال أترون هذا يهدم في ساعة ما أبنيه في سفين أو كما قال * زروي عن عبد الله بن عمر وفضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً وذلك أن الشيطان يضع البدعة فيه مرها العالم وينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها وهذا معناه صحيح فإن العالم يضد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبنيه فكل ما أراد إحياء بدعة وإماماة سنة حل العالم بيته وبين ذلك فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكنون من افساد الدين وإنفاس الأمة . وأما العابد فليست أن يخاذه لسلم منه في خاصة نفسه وهيئاته له ذلك . الوجه التاسع والأربعون ما روي الترمذى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ملعونة ما دون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ولم ومتل . قال الترمذى هذا حديث حسن . ولما كانت الدنيا حقيقة عند الله لا تساوى لديه جنابه بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد عنه وهذا هو حقيقة الأغنة وهو سبحانه أنها خلقها من روعة الآخرة ومعبراً إليها يتزود منها عباده إليه فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمناً لاقامة ذكره ومقتضياً إلى حمايه وهو العلم الذي به يعرف الله ويعبد ويدرك ويأني علىه ويمجد وهذا خلقها وخلق أهلها . كما قال تعالى (وما خلقت الجن والآنس إلا ليعبدون) . وقال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثاين ينزل الأرض بينهن لنعمه وأن الله على كل)

شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً) فتضمنت هاتان الآيات أنما خلق السموات والارض وما بينهما ليعرف بسماته وصفاته وليعبد بهذا المطلوب وما كان طريقاً إليه من العلم والتعلم فهو المستني من اللعنة واللعنة واقعة على ماعداه اذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه وهذا هو متعلق العقاب في الآخرة فانه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمن الذم والبغض فهو متعلق العقاب والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته ومحبته ولو الزم ذلك وما أفضى إليه وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده + الوجه الخمسون ما رواه الترمذى من حديث أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع + قال الترمذى هذا حديث حسن غريب رواه بعضهم فلم ير فمه وإنما جعل طاب العلم من سبيل الله لأن به قوام الاسلام كأن قوامه بالجهاد فقام الدين بالعلم والجهاد وهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحججة والبيان وهذا جهاد خاصة من أتباع الرسول وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعلمه منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه + قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية (ولو شئت لبعنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع الكافرين واجههم به جهاداً كيراً) فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين وهو جهاد المتفقين أيضاً فان المتفقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم في الناصر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا + فقد قال تعالى (يا أيها النبي جاعد الكفار والنازفين وأغاظ عايمهم) ومعلوم أن جهاد المتفقين بالحججة والقرآن + والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخالق به إلى الله + وهذا قال معاذ رضى الله عنه عليكم بطلب العلم فان تعلمتم لله خشية ومدارسته عبادة ومذكرة تسبح والبحث عنه جهاد وهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزل والجديد الناصر + كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الجديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ولعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) فذكر الكتاب والجديد اذ بهما قوام الدين كما قيل

فاحوالا الوحي أوحد من حرف * تميل ظباء أخدعا كل ما يليل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل * وهذا دواء الداء من كل جاهل
ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحججة والسيف يسمى سبيل الله فسر الصحابة رضي الله
عنهم قوله (أطیعوا الله وأطیعوا الرسول وأولى الامر منکم) بالأمراء والعلماء فائهم

المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بآيديهم وهؤلاء بالسنتهم فطلب العلم وتعلمه من أعظم سبيل الله عن وجہ . قال كعب الاخبار طالب العلم كالغادى الرابع في سبيل الله عزوجل . وجاء عن بعض الصحابة رضى الله عنهم اذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد وقال سفيان بن عيينة من طلب العلم فقد بايع الله عزوجل . وقال أبو الدرداء من رأى الغدو والروح الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه ، الوجه الحادى والحسون ما رواه الترمذى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبوأسامة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، قال الترمذى هذا حديث حسن قال بعضهم ولم يقل في هذا الحديث صحيح لانه يقال دلس الأعمش في هذا الحديث لاته رواه بعضهم فقال حدثت عن أبي صالح والحديث رواه مسلم في صحيحه من أوجهه عن الأعمش عن أبي صالح قال الحاكم في المستدرك هو صحيح على شرط البخارى ومسلم رواه عن الأعمش جماعة منهم زيادة وأبو معاوية وابن ثور وقد تقدم حديث أبي الدرداء في ذلك والحديث محفوظ وله أصل وقد تظاهر الشرع والقدر على أن الجزاء من جنس العمل فكما سلك طريقاً يطاب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقاً يحصل له ذلك . وقد روی من حديث عائشة رواه ابن عدى من حديث محمد بن عبد الملك الانصاري عن الزهرى عن عروة عنها مرقاً ولفظه أوحى الله إلى أنه من سلك مسلكاً يطلب العلم سهل له طريقاً إلى الجنة . الوجه الثانى والحسون ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا من سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنصرة وهي البهجة ونشاراة الوجه ومحسيته فى الترمذى وغيره من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصر الله امرأ سمع مقالى فوعاه وحفظها وبلغها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم إخلاص العمل لله ومن اصحاب أمة المسلمين ولزوم جاعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم وروى هذا الاصل عن النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وجابر بن مطعم وأنس بن مالك وزيد بن ثابت والنعمان بن بشير قال الترمذى حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وحديث زيد بن ثابت حديث حسن وأخرج الحاكم في صحيحه حديث جابر بن مطعم والنعمان بن بشير وقال في حديث جابر على شرط البخارى ومسلم ولو لم يكن في فضل العلم الا هذا وحده لكنه شرفًا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعى من سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه وهذه هي مراتب العلم . او طارئها ماعنه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه أى عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشئ الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه

و كذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشد و تذهب و لهذا كان الوعي والعقل قدرًا زايدًا على مجرد ادرك المعلوم ، المرتبة الثالثة تعاذه و حفظه حتى لا ينساه فيذهب ، المرتبة الرابعة تبلغه وبشه في الامة ليحصل به ثماره ومقصوده وهو شه في الامة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الارض الذي لا ينتهي منه وهو معرض لذهابه فان العلم مالم ينتهي منه و يعلم فانه يوشك أن يذهب فإذا أتفق منه ذلك وذاك على الانفاق فلن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة بجمل الظاهر والباطن فان التضرة هي البهجة والحسن الذي يكاد الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذبه فتفاهه هذه البهجة والسرور والفرحة فضارة على الوجه وهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والتضرة ، كا في قوله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نصرة وسروراً) فالتضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم فالنعم وطيب القلب يظهر فضارة في الوجه ، كما قال تعالى (تعرف في وجوههم نصرة العيم) ، والمقصود ان هذه التضرة في وجه من سمع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدها وخفتها وبلغها فمبيأ اثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه ، وقوله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه الى من هو أفقه منه تنبئه على فائدة التبليغ وان المبلغ قد يكون أفهم من المبلغ فيحصل له في تلك المقالة مالم يحصل للمبلغ او يكون المعنى ان المبلغ قد يكون أفقه من المبلغ فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحبن وجهها واستبعط فقيها وعلم المراد منها ، وقوله صلى الله عليه وسلم ذات لا يغل على بين قلب مسلم الى آخره اى لا يحمل الغل ولا يبتق فيه مع هذه الثلاثة فانها تنفي الغل والغش وهو فساد القلب وسمخاته فالمخلاص للإخلاص يمنع غل قلبه وينحرجه ويزيله جلة لانه قد انصرف دواعي قلبه وارادته الى مرضاة ربها فلم يبق فيه موضع للغل والغش كما قال تعالى (كذلك انصرف عنك السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء فانصرف عنه السوء والفحشاء ، وهذا ما اعلم ابداً أنه لا سبيل له على أهل الاخلاص استئنافه من شرطته التي اشتراطه اللغواية والادراك فقال (فتعزتك لاغوريهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) ، قال تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من أتيتك من القوادر) فالإخلاص هو سبيل المخلصين والاسلام هو مركب الاسلام والاعيان خاتم الامان ، وقوله ومناححة أئمة المسلمين هذا أيضًا مناف للغل والغش فان النصيحة لا تجتمع الغل اذا هي ضده فمن نصح الامة والامة فقد برى من الغل ، وقوله ولزوم جاعتهم هذا أيضًا مما يظهر القلب من الغل والغش فان

صاحبه للزوجه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ويكره
 ما يكره لهم ويكره ما يكرههم وهذا بخلاف من الخواص عنهم وانتقل بالطعن عليهم والغيبة
 والذم لهم كفعل الرافضة والخوارج والمعزلة وغيرهم فان قالو لهم مثالثة غالاً وغثاً وهذه الجماعة
 الرافضة أبعد الناس من الاخلاص وأغثتهم للامة والامة وأشدتهم بعداً عن جماعة
 المسلمين فهو لاء أشد الناس غالاً وغثاً بشهادة الرسول والامة عليهم وشهادتهم على أنفسهم
 بذلك فانهم لا يكونون فقط الا أعدانا وظهرأ على أهل الاسلام فاي عدو قام للمسلمين كانوا
 أعدوان ذلك العدو وبطانته وهذا أمر قد شاهدته الامة منهم ومن لم يشاهد فقد سمع
 منه ما يضم الآذان ويشجي القلوب . وقوله فان دعوتهم تحيط من ورائهم هذا من أحسن
 الكلام وأوجزه وأشده معنى شبه دعوة المسلمين بالسور والسياج الحبيط بهم المانع من
 دخول عدوهم عليهم فتلك الدعوة التي هي دعوة الاسلام وهم داخلونها لما كانت سورة
 وسياج عليهم أخبر أنت من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة
 الاسلام كما أحاطت بهم فالدعوه تجتمع شمل الامة وتلزم شعراها وتحيط بها فمن دخل في جماعتها
 أحاطت به وشملته . الوجه الثالث والخمسون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتبلیغ
 العلم عنه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر و قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا
 عني ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبواً متعمداً
 من النار . وقال ليبلغ الشاهد منكم الغائب روى ذلك أبو بكرة ووابصة بن معبود عمار
 ابن ياسر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأسماء بنت يزيد بن السكن وحجر وأبو
 قريع وسرى بنت نهيان ومعاوية بن حيدة الفشيري وعم أبي حرة وغيرهم فأمر صلى
 الله عليه وسلم بتبلیغ عنه بما في ذلك من حصول اهله بتبلیغ ولهم صلى الله عليه وسلم أجر
 من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ وكما كثر التبلیغ عنه تضاعف له التواب فله من
 الأجر بعد كل مبلغ وكل مهند بذلك البلاغ سوى ما له من أجر عمله المختص به فكل
 من هدى وأهتدى بتبلیغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه ولو لم يكن في تبلیغ العلم عنه
 الا حصول ما يحبه صلى الله عليه وسلم لكنفي به فضلاً . وعلامة الحب الصادق أن يسمى في
 حصول محبوب محبوبه ويبذل جهده وطاقته فيها . ومعلوم أنه لاشئ أحب إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من إيصاله الهدى إلى جميع الامة فالمبالغ عنه ساع في حصول محباته
 فهو أقرب الناس منه وأحبه إليه وهو نائب وخليفة في أمره وكيف بهذا فضلاً وشرفاً
 للعلم وأهله . الوجه الرابع والخمسون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تم بالنهضات العلمية
 في أعلى الولايات الدينية وأشرفها وقد قدم بالعلم بالفضل على غيره . فروي وسلم في تحريره

من حديث أبي مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم إسلاماً أو سنّاً وذكر الحديث فقدم في الامامة تفضيله العلم على تقدم الاسلام والهجرة • ولما كان العلم بالقرآن أفضلي من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به لكن انصاراعي التقديم بالعلم ثم بالعمل وراغي التقديم بالعلم بالافضل على غيره وهذا يدل على شرف العلم وفضله وإن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية • الوجه الخامس والخمسون مثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وتعلم القرآن وتعلمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيها وتعليمها وهو أشرف قسم علمه وتعليمه فإن المعنى هو المقصود واللفظ وسبيله إليه فتعلم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها وتعلم اللفظ الجرى وتعليمه تعلم الوسائل وتعليمها وبينهما كما بين الغايات والوسائل • الوجه السادس والخمسون مارواه الترمذى وغيره في نسخة عمرو ابن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يشفع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة • قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وهذه نسخة معروفةرواها الناس وساق أحد في المسند أكثراها أو كثيرا منها وهذا الحديث شواهد بجعل النبي صلى الله عليه وسلم النعمة في العلم وعدم الشبع منه من لوازم الإيمان وأوصاف المؤمنين وأخبر أن هذا لا يزال دأب المؤمن حتى دخوله الجنة وهذا كان أئمة الاسلام اذا قيل لاحدهم الى متى تطلب العلم فيقول الى الممات • قال نعيم ابن حماد سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول وقد عاشه قوم في كثرة طلبه للحديث فقالوا له الى متى تسمع قال الى الممات • وقال الحسين بن منصور الجصاص قلت لاحد بن حنبل رضي الله عنه الى متى يكتب الرجل الحديث قال الى الموت • وقال عبد الله بن محمد البغوي سمعت أحد بن حنبل رضي الله عنه يقول انما أطلب العلم الى أن أدخل القبر • وقال محمد بن اسماعيل الصانع كنت أصوغ مع أبي ببغداد فرقينا أحد بن حنبل وهو يعدونعلاه في يديه فأخذ أبي بbagam نوبه فقال يا عبد الله لأنستجي الى متى تعمدو مع هؤلاء قال الى الموت • وقال عبد الله بن بشر الطالقاني أرجو أن يأتيني أمر الله والخبرة بين يدي ولم يفارقني العلم والخبرة • وقال حميد بن محمد بن يزيد البصري جاء ابن سطام الحافظ يسألني عن الحديث فقلت له ما أشد حرصك على الحديث فقال او ما احب أن تكون في قطار آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل

لبعض العلماء متى يحسن بالمرء أن يتعلم قال ماحسنت به الحياة وسئل الحسن عن الرجل
له ثمانون سنة أىحسن أن يطلب العلم قال إن كان يحسن به أن يعيش • الوجه السابع والثمنون
مارواه الترمذى أيضاً من حديث ابراهيم بن الفضل عن المقربى عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن سفيت وجدها
فهو أحق بها • قال الترمذى هذا حديث غريب لأنعرفه الا من هذا الوجه وابراهيم
ابن الفضل المدينى المخزومى يضعف فى الحديث من قبل حفظه • وهذا أيضاً شاهد
لما تقدم قوله شواهد والحكمة هي العلم فإذا فقد المؤمن فهو عزلة من فقد ضالة نفسه
من نفائسه فإذا وجدها قر قلبه وفرحت نفسه بوجدائها كذلك المؤمن إذا وجد ضالة
قلبه وروحه القى هو دائمًا فى طلبها ونشداتها والتفتيش عاليها وهذا من أحسن الامثلة فإن
قلب المؤمن يطلب العلم حيث وجده أعظم من طلب صاحب الضالة ها • الوجه الثامن
والثمنون • قال الترمذى حدثنا أبو كريب حدثنا خافق بن أيوب عن عوف عن ابن
سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان
في منافق حسن سمعت وفقيه في الدين • قال الترمذى هذا حديث غريب ولا يعرف
هذا الحديث من حديث عوف الامن حديث هذا الشيخ خافق بن أيوب العاصمي ولم أر
أحداً يروى عنه غير أبي كريب محمد بن العلاء ولا أدرى كيف هو وهذه شهادة بأن من
اجتمع فيه حسن السمع والفقه في الدين فهو مؤمن وأخرى بهذا الحديث أن يكون حقاً
وان كان استاده فيه جهالة فان حسن السمع والفقه في الدين من أخص علامات الإيمان وإن
يجتمعهما الله في منافق فإن النفاق ينافيهما وينافي أنه الوجه التاسع والثمنون قال الترمذى
حدثنا مسلم بن حاتم الانصارى حدثنا أبو حاتم البصرى حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى
عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب • قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني ان قدرت ان تصبح وتنسى وليس في قلبك غشن
ل احد فافعل ثم قال يابني وذلك من سنن ومن أحيا سنن فقد أحبنى ومن أحبني كان
مبي في الجنة وفي الحديث قصة طويلاً • قال الترمذى هذا حديث حسن غريب من هذا
الوجه ومحمد بن عبد الله الانصارى صدوق وأبوه ثقة وعلي بن زيد صدوق الا أنه ربما
يرفع الشىء الذى يوقفه غيره سمعت محمد بن بشار يقول قال أبو الوليد قال شعبة حدثنا
علي بن زيد وكان رفاعا • قال الترمذى ولا يعرف لسعيد بن المسيب عن أنس رواية
الا هذا الحديث بطوله وقد روى عباد المقرى هذا الحديث عن علي بن زيد عن أنس
ولم يذكر فيه عن سعيد بن المسيب وذا كرت به محمد بن اسماعيل فلم يعرفه ولم يعرف لسعيد

ابن المسمى عن أنس هذا الحديث ولا غيره • ومات أنس سنة ثلاث وتسعين وسعيد
 ابن المسمى سنة خمس وتسعين بعده بستين • قات وهذا الحديث شواهد منها ما رواه
 الدارمي عبد الله حدثنا محمد بن عبيدة عن مروان بن معاوية الفزاروي عن كثير بن عبد الله
 عن أبيه عن جده أناثي صلى الله عليه وسلم قال بلال بن الحارث أعلم قال ما أعلم يارسول الله
 قال أعلم يابلال قال ما أعلم يارسول الله قال أنه من أحياسته من سنتي قد أميته بعدي
 كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم ذي وبن ابتدع
 بدعة ضالة لا يرضها الله ورسوله كان عليه مثل آنام من عمل بها لا ينقص ذلك من
 أوزار الناس شيئاً رواه الترمذى عنه وقال حديث حسن • قال و محمد بن عبيدة مصبعي
 شامي وكثير بن عبد الله هو ابن عمرو بن عوف المزني وفي حديثه ثلاثة أقوال لأهل
 الحديث منهم من يصححه ومنهم من يحسنها وها للترمذى • وهم من يضعه ولا يراه
 حجحة كلاماً أحاديث وغيره ولكن هذا الأصل ثابت من وجوه سخريات من دعا إلى هدى
 كان له من الأجر مثل أجور من اتبأه وهو صحيح من وجوه • وحديث من دل على
 خير فله مثل أجر قاعده وهو حديث حسن رواه الترمذى وغيره فهذا الأصل محفوظ
 عن النبي صلى الله عليه وسلم فالحديث ضعيف فيه يتزلة الشواهد والمتابعات فلا يضر
 ذكره • الوجه السادس أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بطلبة العلم خيراً وما ذاك إلا
 لفضل مطلوبهم وشرفه • قال الترمذى حدثنا سفيان بن وكيح حدثنا أبو داود الحفرى
 عن سفيان عن أبي هرون قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرجحاً بوصية رسول الله صل
 الله عليه وسلم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الناس لكم تبع وان رجالاً يأتونكم
 من أقطار الأرض ينتقدون في الدين فإذا أتوكم فاستو صوابهم خيراً حدثنا قتيبة حدثنا
 روح بن قيس عن أبي هرون العبدى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فإذا جاؤكم فاستوصوا بهم خيراً فكان أبو سعيد
 إذا رأانا قال مرجحاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال الترمذى هذا الحديث
 لأنعرفه إلا من حديث أبي هرون العبدى عن أبي سعيد قال أبو بكر العطار قال علي
 ابن المدينى قال يحيى بن سعيد كان شعبة يضعف أبا هرون العبدى قال يحيى وما زال ابن
 عوف يروى عن أبي هرون حتى مات وأبو هرون اسمه محارة بن جوين • الوجه الحادى
 والستون رواه الترمذى من حديث أبي داود عن عبد الله بن سنحرة عن سنحرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم كان كفارة لما مضى هذا الأصل لم أجده فيه
 إلا هذا الحديث وليس بشيء فإن أبا داود هو نفع الأعمى غير نفقة ولكن قد تقدم أن العالم

يستغفر له من في السموات ومن في الارض وقد رويت آثار عديدة عن جماعة من الصحابة في هذا المعنى منها مارواه التوري عن عبد الكريم عن مجاهد عن ابن عباس أن ملكاً موكلًا بطالب العلم حتى يرده من حيث أبداء مغفوراً له و منها مارواه قطر بن خليفة عن أبي الطفيلي عن على ما اتعلم عبد الله طلاق ولا يخفف ولا يلبس ثوباً ليغدو في طلاق العلم إلا غفرت ذنبه حيث ينخلو عند باب بيته وقد رواه ابن عدي مرفوعاً وقال ليس برويه عن قطر غير اسماعيل بن يحيى التميمي قالت وقد رواه اسماعيل بن يحيى هذا عن التوري حديثنا محمد بن أيوب الجوزجاني عن مجالد عن الشعبي عن الاسود عن عائشة مرفوعاً من اتعلم ليتعلم خيراً غفر له قبل أن ينخلو وقد رواه عبد الرحمن بن محمد الحاربي عن قطر عن أبي الطفيلي عن علي و هذه الآسانياد وإن لم تكن يغفر دها حجة طلاق العلم من أفضل الحسنات والحسنات يذهبن السبات بغير أن يكون طلاق العلم ابتلاء وجه الله يكفر ما مأذن من السبات فقد دلت النصوص أن اتباع السيدة الحسنة تمحوها فكيف بما هو من أفضل الحسنات وأجل العطاءات فالعمدة على ذلك لا على حديث أبي داود والله أعلم وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال شهامة فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجلس العلامة والوجه الثاني والستون مارواه ابن ماجه في سنته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا في المسجد مجلسان مجلس ينتهيون و مجلس يدعون الله تعالى ويسألونه فقال كلا مجلسين إلى خير أما هؤلاء فيدعون الله وأما هؤلاء فيتعلمون ويتفقهون الجاحد هؤلاء أدنى بالتعاليم أرسات ثم قعد معهم والوجه الثالث والستون أن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالقوم الذين يتذاكرون العلم ويدذكرون الله ويحمدونه على مامن عليهم به منه قال الترمذى حديثنا شهد بن بشار حديثنا مرحوم بن عبد العزىز العطار حديثنا أبو نعامة عن أبي عثمان عن أبي سعيد قال خرج معاوية إلى المسجد فقال ما مجلسكم قالوا مجلسنا نذكر الله عن وجل قال الله ما مجلسكم الا ذلك قالوا الله ما مجلسنا الا ذلك قال أما اني لم استحلفكم تهمة لكم وما كان أحد يننزلني من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل حديثاً عنه مني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلة من أصحابه قال ما مجلسكم قالوا مجلسنا نذكر الله ونحمد الله لما هدانا للإسلام ومن علينا بك قال الله ما مجلسكم الا ذلك قالوا الله ما مجلسنا الا ذلك قال أما اني لم استحلفكم تهمة لكم انه أنا في جهنم فأخبرني ان الله تعالى يباهى بكم الملائكة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب

(١١ - مفتاح - اول)

لا نعرف الا من هذا الوجه وأبو نعامة السعدي اسمه عمرو بن عيسى وأبو عثمان التهدى
 اسمه عبد الرحمن بن مل فهؤلاء كانوا قد جاسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلامه
 ويثنون عليه بذلك ويدركون حسن الاسلام ويعترفون لله بالفضل العظيم اذ هداهم له ومن
 عليهم برسوله وهذا أشرف علم على الاطلاق ولا يعني به الا الراسخون في العلم فإنه
 يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله ودينه ورسوله وبمحبة ذلك وتعظيمه والفرح به واحرى
 بأصحاب هذا العلم أن يباهاي الله بهم الملائكة وقد يبشر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي
 كان يحب سورة الاخلاص وقال احبها لاتها صفة الرحمن عن وجل فقال حبل ايها أدخلك
 الجنة . وفي لفظ آخر اخبروه ان الله يحبه فدل على ان من أحب صفات الله أحبه الله
 وأدخله الجنة والجنة أشد الناس نفراً وتغيراً عن صفاته ونحوت كالأياعاقبون ويدعون
 من يذكرها ويقرؤها ويجمعها ويعتنى بها وطنا لهم المقت والنقم عند الامة وعلى لسان كل
 علم من علماء الاسلام والله تعالى أشد بعضاً ومقتاً لهم جراء وفاقاً . الوجه الرابع
 والستون . ان أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة فالله يصطفى من الملائكة
 رسلاً ومن الناس وكيف لا يكون أفضلاً الخلق عند الله من جعلهم وسائله بيته وبين
 عباده في تبليغ رسالته وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ومن أرضيه ومساخطه
 ونوابه وعقابه وخصومه بوجهه واختصهم بتفضيله وارتضائهم لرسالته الى عباده وجعلهم
 ازكي العالمين نفوساً وأشرفهم أخلاقاً وأكمتهم علوماً وأعمالاً وأحسنهم خلقةً وأعظمهم
 محبة وقبولاً في قلوب الناس وبرأهم من كل ودموع وعيوب وكل خلق دنيٍّ وجعل أشرف
 مراتب الناس بعدهم مرتبة خالقهم ونبيائهم في أنهم فائزون بخلافتهم على منهاجم وطردتهم
 من فسيحهم للأمة وارشادهم الضال وتعليمهم الجاهل ونصرهم المظلوم وأخذهم على
 يد الفظالم وأمرهم بالمعروف وفعله ونهيهم عن المنكر وتركه والدعوة الى الله بالركة
 لاستجبيين والمواعنة الحسنة للمعرضين الغافلين والجدال بالتي هي أحسن للمعاذين
 المعارضين . فهذا حال أتباع المرسلين وورثة النبيين . قال تعالى (قل هذه سبيل ادعوا
 الى الله على بصيرة أنا ومن آتني) وواه كان المعنى أنا ومن آتني على بصيرة وأنا ادعوا
 الى الله أو المعنى أدعوا الى الله على بصيرة والقولان متلازمان فإنه لا يكون من أتباعه
 حفا الا من دعا الى الله على بصيرة كما كان متبعه يفعل صلى الله عليه وسلم فهؤلاء خلفاء
 الرسل حقاً وورثتهم دون الناس وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به عالماً وعملاً
 وعداية وارشاداً وصبراً وجهاداً وهؤلاء هم الصديقون وهم أفضل أتباع الأنبياء
 ورأسهم ومامهم الصديق الأكبر أبو بكر رضى الله عنه . قال الله تعالى (ومن يطع الله

والرسول فاؤلئك مع الذين ألم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك النضل من الله وكفى بالله شليماً) فذكر مراتب السعداء وهي أربعة وبدأ بآعلاهم مرتبة ثم الذين يلونهم إلى آخر المراتب وهو لواء الاربعة هم أهل الجنة الذين هم أهلها جعلنا الله منهم مجده وكرمه • الوجه الخامس والستون إن الإنسان أباً يسر على غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان والا فغيره من الدواب والمساع أكثراً كلامه وأقوى بطشاً وأكثراً جماعاً وأولاداً وأطول أعماراً وإنما يسر على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية الحسنة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شرداً منهم كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس (إن شر الدواب عند الله الصم البقم الذين لا يعقلون) فهو لواء هم الجهاد (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم) أي ليس عندهم محل قابل للخبر (ولو) كان محالهم قابلاً للخبر (لاسمعهم) أي لافهمهم والسمع هنا سمع فهم والا فسمع الصوت حاصل لهم وبه قامت حججة الله عليهم • قال تعالى (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) • وقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينفع بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بكم على فهم لايعقلون) وسواء كان المعنى ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينفع بما لا يسمع من الدواب الا أصواتاً مجردة أو كان المعنى ومثل الذين كفروا حين ينادون ككل دواب الذي ينفع بها فلاتسمع الا صوت الدعاء والنداء فالقولان متلازمان بل هما واحد وان كان التقدير الثاني أقرب الى الافتراض وأبلغ في المعنى فعلى التقديرين لم يحصل لهم من المدعوة الا الصوت الحاصل للانعام فهو لواء لم يحصل لهم حقيقة الانسانية التي يعزز بها صاحبها عن سائر الحيوان والسمع يراد به ادرك الصوت ويراد به فهم المعنى ويراد به القبول والاجابة واللامانة في القرآن فمن الأول قوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تجاورك ان الله سميع بصير) وهذا أصرح ما يكون في آيات صفة السمع لله ذكر الماضي والماضي باسم الفاعل سمع ويسمع وهو سميع وله السمع كما قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الا صوات لتجادلات الجحادة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت وانه ليخفى على بعض كلامها فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) • والنافي سمع الفهم كقوله (لو علم الله فهم خيراً لاسمعهم) أي لافهمهم (لو) اسمعهم لتولوا وهم معرضون) لما في قوله من الكبر والاعراض عن قبول الحق فشيئم آفان احداثها أئم لايفهمون الحق بجهلهم ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه

لكرهم وهذا نهاية النقص والعيوب الثالث سمع القبول والاجابة كقوله تعالى (او
 خرجوا فيكم مازادوكم الا خبلا ولا وضعوا خلالكم ببغونكم الفتنة وفيكم سماعون
 لهم) اى قابلون مستجيون . ومنه قوله (سماعون للكذب) اى قابلون له مستجيون
 لا له . ومنه قول المصلي سمع الله من حده اى اجل الله حمد من حده ودعا من
 دعاه . وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام سمع الله من حده فقوله اربنا ولله
 الحمد يسمع الله لكم اى يحييكم . والمقصود ان الانسان اذا لم يكن له علم بما يصلحه في
 معاشة ومعاده كان الحيوان البهيم خيرا منه لسلامته في المعاد مما يهلك دون الانسان
 الجاهل . الوجه السادس والستون ان العلم حاكم على مساواه ولا يحكم عليه شيء فكل
 شيء اختلاف في وجوده وعدمه ومخته وفساده ومحنته ومضره ورجحانه ونفعاته وكاه
 ونفعه ودارجه وذمه ومرتبته في الخير وجوده ورداهه وقربه وبعده وافتائه الى مطلوب
 كلها وعدم افضائه وحصول المقصود به وعدم حصوله الى سائر جهات المعلومات فان العلم
 حاكم على ذلك كله فإذا حكم العلم انقطع النزاع ووجب الاتساع وهو الحاكم على الممالك
 والسياسات والأموال والاقلام فذلك لا يتآيد بعلم لا يقوم وسيف بلا علم خراف
 لاعب وقلم بلا علم حرفة عابث والعلم مسلط حاكم على ذلك كله ولا يحكم شيء من ذلك
 على العلم وقد اختلف في تفصيل مداد العلماء على دم الشهداء وعکه وذكر لكل قول
 وجوه من التراجيح والادلة ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته فان
 الحاكم في هذه المسألة هو العلم فيه واليه وعنه يقع التحاكم والتخاصم والفضل منها من
 حكم له بالفضل . فان قيل فكيف يقبل حكمه لنفسه . قيل وهذا أيضا دليل على تفضيله
 وعلى مرتبته وشرفه فان الحاكم انما يبغ أن يحكم لنفسه لاجل مصلحة الامة والعلم
 لا تتحقق نعمه في حكمه لنفسه فإنه اذا حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته وشقاوه
 بالقبول ويستحيل حكمه لئمة فإنه اذا حكم بها انعزل عن مرتبته وانحط عن درجة
 فهو الشاهد المزكي العدل والحاكم الذي لا يحمور ولا يعزل . فان قيل فاذا حكم في
 هذه المسألة التي ذكرت عنها . قيل هذه المسألة كثر فيها الجدال واتسع المجال وأدى كل
 منها بمحاجته واستعلى بمرتبته والذي يفصل النزاع ويعيد المسألة الى موقع الاجاع الكلام
 في أنواع مراتب الكمال وذكر الافضل منها والنظر في اى هذين الامرین أولى به
 وأقرب اليه . فهذه الاصول الثلاثة تبين الصواب ويعق بها فصل الخطاب . فاما مراتب
 الكمال فاربع النبوة والصديقية والشهادة والولاية وقد ذكرها الله سبحانه في قوله (ومن
 يعلم الله والرسول فأولئك مع الذين أتم الله عليهم من النبیین والصدیقین والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقاؤك الفضل من الله وكفى بالله عاليماً) وذكر تعالى هؤلاء الأربع في سورة الحديد فذكر تعالى الإيمان به وبرسوله ثم ندب المؤمنين إلى أن تخشع قلوبهم لكتابه ووجهه ثم ذكر مراتب الخلاائق شقيهم وسعدهم . فقال (إن المصدقين والصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم وطم أجر كريم والذين آمنوا بآياته ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) . وذكر المافقين قبل ذلك فاستوعبت هذه الآية أقسام العباد شقيهم وسعدهم . والمقصود أنه ذكر فيها المراتب الاربعة الرسالة والصديقة والشهادة والولاية فاعتلا هذه المراتب النبوة والرسالة وبها الصديقة فالصديقون هم أممأة أتباع الرسول ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة فأن جرى قلم العالم بالصديقة وسال مداده بها كان أفضلاً من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقة وإن سال دم الشهيد بالصديقة وقطر عليها كان أفضلاً من مداد العالم الذي قصر عنها فاقتضي ما صديقهما فأن استوي في الصديقة استوي في الرتبة والله أعلم . والصديقة هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علاماً وتصديقاً وقياماً به فهي راجمة إلى نفس العلم فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول وأكمل تصديقاً له كان أتم صديقة فالصديقة شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وذرتها العمل فهذه كلات جامعة في مثابة العالم والشهيد وأيهما أفضلاً . الوجه السابع والستون إن النصوص النبوية قد تواترت بأن أفضل الأعمال إيمان بالله فهو رأس الأمر والأعمال بعده على مراتها ومنازلها والإيمان له ركنان . أحدهما معرفة ماجاء به الرسول والعلم به . والثاني تصدقه بالقول والعمل والتصديق بدون العلم والمعونة بحال فإنه فرع العلم بالشيء المصدق به فإذا العلم من الإيمان بنزلة الروح من الجسد ولا تقوم شجرة الإيمان إلا على ساق العلم والمعونة فالعلم إذا أجل المطالب وأسف المواجب . الوجه الثامن والستون إن صفات الكمال كلها ترجع إلى العلم والقدرة والارادة والقدرة فرع العلم فلما استلزم الشعور بالمراد فهي منتقرة إلى العلم في ذاتها وحقيقةها والقدرة لا تؤثر إلا بواسطة الارادة والعلم لا يفتقر في تعلقه بالمعلوم إلى واحدة منها . وأما القدرة والارادة فكل منها يفتقر في تعلقه بالمراد والمقدور إلى العلم وذلك يدل على فضلياته وشرف منزلته . الوجه التاسع والستون إن العلم أعم الصفات تعلقاً بتعلقه وأوسعها فلما يتعاقب بالواجب والممكن والمستحب والجائز وال موجود والمعدوم فذات الرب سبحانه وصفاته وأسماؤه معلومة له ويعلم العباد من ذلك ما علمهم العليم الخبر وأما القدرة والارادة فكل منها خاص التعاقب أما القدرة فلما تعاقب بالمعنى خاصة لا بالمستحب ولا بالواجب

فهي أخص من العلم من هذا الوجه وأعم من الارادة فان الارادة لاتنبع الا ببعض المكانت وهو ما يريد وجوده فالعلم أوسع وأعم وأشمل في ذاته ومتعلقه بالوجه السبعون ان الله سبحانه أخبر عن أهل العلم بأنه جعلهم أئمة يهدون بأمره ويأتم بهم من بعدهم فقال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا باياتنا يوفون) . وقال في موضع آخر (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا فرقاً أعين واجمعنا لامتنا إماماً) أى أئمة يقتدى بنا من بعدهنا . فأخبر سبحانه ان بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين وهي ارفع مراتب الصديقين واليقين هو كمال العلم وغايته فبتكميل مرتبة العلم تحصل امامية الدين وهي ولادة آيتها العلم يختص الله بها من يشاء من عباده . الوجه الحادي والسبعون ان حاجة العباد الى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم الى الغذاء لأن الجسم يحتاج الى الغذاء في اليوم مرة او مرتين وحاجة الانسان الى العلم بعدد الانفاس لأن كل نفس من أنفاسه فهو يحتاج فيه الى أن يكون مصاحباً لایمان أو حكمة فان فارقه الایمان او حكمة في نفس من أنفاسه فقد عطى وقرب هلاكه وليس الى حصول ذلك سبب الابالعلم فالحاجة اليه فوق الحاجة الى الطعام والشراب وقد ذكر الامام أحمد هذا المعنى بعيته فقال الناس أخوچ الى العلم منهم الى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج اليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج اليه كل وقت . الوجه الثاني والسبعون ان صاحب العلم أقل تعباً و عملاً وأكثر أجرًا واعتبر هذا بالشاهد فان الصناع والاجراء يعاونون الاعمال الشاقة بأنفسهم والاستاذ المعلم يجلس بأمرهم وبنياهم ويرسم كيفية العمل ويأخذ أضعاف ما يأخذونه . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى حيث قال أفضل الاعمال ایمان بالله ثم الجهاد فالجهاد فيه بذل النفس وغاية المشقة والإيان علم القلب وعمله وتصديقه وهو أفضل الاعمال مع أن مشقة الجهاد فوق مشقة باغضاف مضايقة وهذا لأن العلم يعرف مقدار الاعمال ومراتبها وفضائلها من مفضولها وراجحها من مرجوحها فصاحبها لا يختار لنفسه الا أفضل الاعمال والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة في كثرة المشقة فهو يحمل المشاق وان كان ما يعيشه مفضولاً ورب عمل فاضل والمفضول أكثر مشقة منه واعتبر هذا بحال الصديق فإنه أفضل الامة . ومعולם أن فيهم من هو أكثر عملاً وحججاً وصوماً وقراءة وصلة وقراءة منه . قال أبو بكر بن عياش ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بيتي وقر في قلبه وهذا موضع المثل المشهور

من لي يمثل سيرك المدلل * تبني رويداً وتحب في الاول
الوجه الثالث والسبعون ان العلم امام العمل وقائد له والعمل تابع له ومؤتم به فكل عمل

لَا يَكُون خَلْفُ الْعِلْمِ مُقْتَدِيًّا بِهِ فَهُوَ غَيْرُ نَافِعٍ لِصَاحِبِهِ بِلِ مُضِرَّةٍ عَلَيْهِ ۝ كَمَا قَالَ بَعْضُ
السَّلْفِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشٍ كَمَا يَفْسُدُ أَكْثَرُ مَا يَصْلَحُ وَالْأَعْمَالُ إِنَّمَا تَفَاقُتُ فِي الْقَبُولِ
وَالرَّدِّ بِحَسْبِ مَوْافِقَتِهَا لِلْعِلْمِ وَمُخَالَفَتِهَا لِهِ فَالْعَمَلُ الْمُوَافِقُ لِلْعِلْمِ هُوَ الْمُقْبُولُ وَالْمُخَالَفُ لِهِ هُوَ
الْمُرْدُودُ فَالْعِلْمُ هُوَ الْمَرْزَانُ وَهُوَ الْمَحْكُمُ ۝ قَالَ تَعَالَى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْوِكَمْ
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) ۝ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ هُوَ أَخْلَاصُ الْعَمَلِ
وَأَصْوَبُهِ قَالُوا يَا أَبا عَلِيٍّ مَا أَخْلَاصُهُ وَأَصْوَبُهِ قَالَ إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا
لَمْ يَقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَغْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا فَإِنَّ الْخَالِصَ الَّذِي
يَكُونُ لَهُ ۝ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السَّنَةِ ۝ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (فَنَّ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ
فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) فَهَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمُقْبُولُ الَّذِي لَا يَغْبَلُ
اللَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ سُوَاهُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَاءِ
بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَلَا يَمْكُنُ الْعَامِلُ مِنَ الْإِيمَانِ بِعَمَلٍ يُجْمِعُ هَذِينَ الْوَصْفَيْنِ إِلَّا بِالْعِلْمِ فَإِنَّهُ أَنَّ
لَمْ يَعْلَمْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَمْ يَكُنْ قَصْدَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْبُودَهُ لَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ وَحْدَهُ
فَلَوْلَا عِلْمُ مَا كَانَ عَمَلَهُ مَقْبُولاً فَالْعِلْمُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الْمُتَابِعَةِ
۝ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّمَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقِنِينَ) وَأَحْسَنَ مَا قَبِيلَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ أَنَّهُ إِنَّمَا
يَقْبِلُ اللَّهُ عَمَلُ مِنْ اتِّهَامِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ وَتَفَوَّهُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ لِوَجْهِهِ عَلَى مَوْافِقَةِ أَمْرِهِ
وَهَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْعِلْمِ وَإِذَا كَانَ هَذَا مَرْزَانُهُ الْعَامِ وَمَوْقِعُهُ عَلَمَ أَنَّهُ أَشْرَفَ شَيْءًا وَأَجْلَهُ
وَأَفْضَلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ۝ الْوَجْهُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونُ أَنَّ الْعَامِلَ بِلَا عِلْمٍ كَالسَّائِرِ بِلَا دَلِيلٍ ۝
وَمَعْلُومُ أَنَّ عَطْبَ مِثْلِ هَذَا أَقْرَبُ مِنْ سَلَامَتِهِ وَانْ قَدْرِ سَلَامَتِهِ اتِّهَامًا نَادِرًا فَهُوَ غَيْرُ
مُحْمُودٍ بِلَا مَذْمُومٍ عَنْدَ الْعَقَالِاءِ ۝ وَكَانَ شِيخُ الْإِسْلَامِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمِيمٍ يَقُولُ مِنْ فَارِقِ الدَّلِيلِ ضَلَّ
السَّبِيلُ وَلَا دَلِيلٌ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ۝ قَالَ الْحَسَنُ الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ
طَرِيقٍ وَالْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مَا يَفْسُدُ أَكْثَرُ مَا يَصْلَحُ فَاطَّلَبُوا عِلْمًا لِاتَّصِرُوا بِالْعِبَادَةِ
وَاطَّلَبُوا الْعِبَادَةَ طَلَبًا لِاتَّصِرُوا بِالْعِلْمِ فَإِنْ قَوْمًا طَلَبُوا الْعِبَادَةَ وَرَكُوا عِلْمًا حَتَّى خَرَجُوا
بِإِسْبَافِهِمْ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ طَلَبُوا عِلْمًا لَمْ يَدْهُمُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا وَالْفَرَقُ
بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا قَبْلَهُ أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ تَبَّتِهِ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ مِنْ تَبَّةِ الْمَطَاعِ الْمُتَبَّعِ الْمُقْتَدِيِّ بِهِ
الْمُتَبَّعُ حَكْمُهُ الْمَطَاعُ أَمْرُهُ وَمِرْتَبُهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ مِنْ تَبَّةِ الدَّلِيلِ الْمَرْشِدِ إِلَى الْمَطَلُوبِ
الْمَوْصِلِ إِلَى الْغَایِةِ ۝ الْوَجْهُ الْأَخِسِنُ وَالسَّبْعُونُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبَّتَ فِي
الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبِّ جَبَرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَمْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تُحْكَمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ بِخَلْفَهُمْ أَهْدَنِي لِمَا

خالف فيه من الحق باذنك ألم تهدي من شاء إلى صراط مستقيم • وفي بعض السنن أنه كان
 أكبر تكبيرية الاحرام في صلاة الليل ثم يدعوا بهذا الدعاء • والهدایة هي العلم بالحق مع
 قصده وايشاره على غيره فالمهتمي هو العامل بالحق المرشد له وهي أعظم نعمة لله على
 العبد ولهذا أمرنا سبحانه أن نسأل الله هداية الصراط المستقيم كل يوم وليلة في صلواتنا الخمس
 فإن العبد يحتاج إلى معرفة الحق الذي يرضي الله في كل حركة ظاهرة وباطنة فإذا عرفها
 فهو يحتاج إلى من يفهمه قصد الحق فيجعل ارادته في قلبه ثم إلى من يقدرها على فعلها
 ومعلوم أن ما يجهله العبد أضعاف أضعف ما يعلمه وإن كان ما يعلم أنه حق لا يطأ عليه
 نفسه على ارادته ولو أراده لعجز عن كثير منه فهو مضطرب كل وقت إلى هداية تتعلق
 بالماضي وبالحال والمستقبل أما الماضى فهو يحتاج إلى محاسبة نفسه عليه وهل وقع على السداد
 فيشكر الله عليه ويستدعيه أم خرج فيه عن الحق فيتوب إلى الله تعالى منه ويستغفره
 ويعزم على أن لا يعود • وأما الهدایة في الحال فهي مطلوبة منه فإنه ابن وقته فيحتاج أن
 يعلم حكم ما هو متلبس به من الأفعال هل هو صواب أم خطأ • وأما المستقبل شاجته
 في الهدایة أظهر ليكون سيره على الطريق • وإذا كان هذا شأن الهدایة علم أن العبد أشد
 شيء اضطراراً إليها وأن ما يورده بعض الناس من المسوال الفاسد وهي أنا إذا كنا مهتمين
 فما هي حاجةتنا أن نسأل الله أن يهدينا وهل هذا الا تحصيل الحاصل أفسد سؤال وأبعد
 عن الصواب وهو دليل على أن صاحبه لم يحصل معنى الهدایة ولا أحاط علاماً بحقيقةتها
 ومن هنا فلما ذكرنا ذلك تكشف الجواب عنه بأن المعنى بتتنا على الهدایة وأدمنها ومن
 أحاط علاماً بحقيقة الهدایة وحاجة العبد إليها علم أن الذي لم يحصل لها منها أضعف ما حصل
 له وأنه كل وقت يحتاج إلى هداية تجدد لأسماها والله تعالى خالق أفعال القلوب والجوارح
 فهو كل وقت يحتاج أن يخلق الله له هداية خاصة ثم إن لم يصرف عن الملوان والصوارف
 التي تمنع موجب الهدایة وتصر فيها لم ينتفع بالهدایة ولم يتم مقصودها له فإن الحكم لا يكفي
 فيه وجود مقتضيه بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافي • ومعلوم أن وساوس العبد
 وخواطره وشهوات الغي في قوله كل منها مانع وصول أمر الهدایة إليه فإن لم يصرفها الله عنه
 لم يتم هدايتي تماماً فاحتاجه إلى هداية الله مقرونة باتفاقه وهي أعظم حاجة للعبد • وذكر
 النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء العظيم القدر من أوصاف الله وربوبيته ما يناسب
 المطلوب فان فطر السموات والأرض توسل إلى الله بهذه الوصف في الهدایة لافتقاره إلى ابتدأ
 الخلق عليها فذكر كونه فاطر السموات والأرض والمطلوب تعليم الحق والتوفيق له فذكر
 علمه سبحانه بالغيب والشهادة وإن من هو بكل شيء عالم جدير أن يطلب منه عده أن

يعلمه ويرشهده ويهديه وهو منزلة التوسل الى الغنى بفناء وسعة كرمه أن يعطي عبده شيئاً من ماله والتلوّل الى الغفور بسعة مغفرته أن يغفر لعبده وبعفوه أن يغفو عنه وبرحمته ان يرحمه ونظائر ذلك وذكر ربوبيته تعالى جبريل وميكائيل وأسرافيل وهذا والله أعلم لأن المطلوب هدى يحيى بالقلب و هو لواء النبلاء الاملاك قد جعل الله تعالى على أيديهم أسباب حياة العباد . أما جبريل فهو صاحب الوحي الذي يوحى الله الى الانبياء وهو سبب حياة الدنيا والآخرة . وأما ميكائيل فهو الم وكل بالقطع الذي به سبب حياة كل شيء . وأما سرافيل فهو الذي يفتح في الصور فيحيى الله الموتى بفتحته فاذهم قيام لرب العالمين . والهدایة لها أربع مراتب وهي مذكورة في القرآن . المرتبة الاولى الهدایة العامة وهي هدایة كل مخلوق من الحيوان والآدمي لصالحه التي بها قام أمره قال الله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي) فذكر أموراً أربعة اخلاق والتسوية والتقدیر والهدایة فسوي مخلقه وأتقنه وأحکمه ثم قدر له أسباب مصالحه في معيشته وتقلباته وتصريفاته وهدایة تعليم فذكر أنه الذي خلق وعلم كذا ذكر نظير ذلك في أول سورة أزنيط على رسوله وقد تقدم ذلك . وقال تعالى حكاية عن عدوه فرعون انه قال لموسى (فَنِرْبَكَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) وهذه المرتبة أسبق مراتب الهدایة وأعمها . المرتبة الثانية هدایة البيان . والدلالة التي أقام بها حجته على عباده وهذه لاستلزم الاعتداء الثامن . قال تعالى (أَمَّا ثُمُودٌ فَهُدُيَتُهُمْ فَاسْتَحْجُوا الْعِنْيَ على الْهُدُى) يعني بذاته ولذاتهم وصرفناهم فأنروا الضلال والعمى . وقال تعالى (وعاداً وثُمُودٌ وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدتهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وهذه المرتبة أخص من الاولى وأعم من الثالثة . وهي هدى التوفيق والاطمئنان . قال الله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) فعم بالدعوة خلقه وخصوص بالهدایة من شاء منهم . قال تعالى (إِنَّكَ لَهُدُى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) لأنك أحببت ولكن الله يهدى من يشاء مع قوله (وَإِنَّكَ لَهُدُى إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) فأثبتت هدایة الدعوة والبيان ونبي هدایة التوفيق والاطمئنان . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الحاجة من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له . وقال تعالى (إن تحرض على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل) أي من يضل الله لا يهتدى أبداً وهذه الهدایة الثالثة هي الهدایة الموجبة المستلزمة للاعتداء . وأما الثانية فشرط لاموجب فلا يستحبيل تختلف الهدى عنها بخلاف الثالثة فإن تختلف الهدى عنها مستحبيل . المرتبة الرابعة الهدایة في الآخرة الى طريق الجنة والنار . قال تعالى (أَخْرِسُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ

وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الْجَحِّمِ) ۚ وأما قول أهل الجنة
 (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا ليهدا ولا أن هدانا الله) فيحتمل أن يكونوا أرادوا
 الهدية الى طريق الجنة وأن يكونوا أرادوا الهدية في الدنيا التي أوصاتهم الى دار النعيم
 ولو قيل ان كلا الامرين مراد لهم وانهم حدوا الله على هدایته لهم في الدنيا وهذا بهم
 الى طريق الجنة كان أحسن وأبلغ وقد ضرب الله تعالى مان لم يحصل له العلم بالحق
 واساعه مثلاً مطابقاً لحاله . فقال تعالى (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا
 وزر على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهونه الشياطين في الارض حيران له أصحاب
 يدعونه الى الهدى انت قال ان هدى الله هو الهدى وأمرنا نسلم لرب العالمين) ۖ الوجه
 السادس والسبعين ان فضيلة الشيء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته وتارة من شدة
 الحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه وتارة من ظهور الفقש والشر بفقده وتارة من حصول
 اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوباً ملائعاً فادرأ كم يعقب غاية اللذة وتارة من
 كمال المعرفة المترتبة عليه وشرف عاته الغائية وافتراضه الى أجل المطالب وهذه الوجوه
 ونحوها تنشأ وتظهر من متعلقه فإذا كان في نفسه كلاماً وشرفاً بقطع النظر عن متعلقاته
 جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلقاته ۖ ومعולם أن هذه الجهات بأسرها حاصلة
 لعلم فإنه أعم شيء نفعاً وأكثره وأدومه والحاجة اليه فوق الحاجة الى الغذاء بل فوق
 الحاجة الى التنفس اذا غاية ما يتصور من فقدتها فقد حياة الجسم ۖ وأما فقد العلم فيه
 فقد حياة الذات والروح فلا غنى للعبد عنه طرفة عين ۖ وهذا اذا فقد من الشخص كان
 شرماً من الخير بل كان شرماً من الدوافع عند الله ولا شيء أبغض منه حينئذ وأما حصول
 اللذة والبهجة بوجوده فلانه كان في نفسه وهو ملائماً غاية الملازمة للفسوس فان الجهل مرض
 ونقص وهو في غاية الایذاء والايلام لانفس ومن لم يشعر بهذه الملازمة والمنافرة فهو لفقد
 حبه ونفسه وما يجرح ميت ايام * مخصوصاً لنفس ادرك منها لغاية محبوبها واقبالها به
 وذلك غاية لذتها وفرحتها وهذا يحسب المعلوم في نفسه ومحبة النفس له ولذتها بغيره والعلوم
 والمعلومات متفاوتة في ذلك أعظم التفاوت وأبینه فليس علم النسوس يفاضلها وباريها ومبدعها
 ومحبته والتقارب اليه كعاصها بالطبيعة واحوالها وعوارضها ومحبته وفضائلها وحركتها وهذا
 يتبيّن بالوجه السابع والسبعين وأن شرف العلم تابع لشرف معلومه لوثوق النفس بادلة
 وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة الى معرفته وعظم النفع بها ولا ريب ان أجل معلوم
 وأعظمها وأكثره فهو الله الذي لا إله الا هو رب العالمين وقيوم السموات والارضين
 الملك الحق المبين الموصوف بالكمال كله المزه عن كل عيب ونقص وعن كل تمثيل وتشبيه

في كماله . ولارب أن العلم به وبإمامه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبة إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومتقرر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به متقرر في تتحقق ذاته إليه فالعلم به أصل كل علم كما أنه سبحانه رب كل شيءٍ ومليكه وموجده . ولارب أن كمال العلم بالسبب التام وكونه سيماً يستلزم العلم بعميه كما أن العلم بالعلة التامة ومعرفة كونها علة يستلزم العلم بعمله وكل موجود سوى الله فهو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع إلى صانعه والمعنى على ذلك فإنه فالعلم بذلك سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو في ذاته رب كل شيءٍ ومليكه والعلم به أصل كل علم ومنشأه هن عرف الله عرض متساوٍ ومن جهل ربه فهو لما سواه أجمل . قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسوا أنفسهم) . فتأمل هذه الآية تجد تحيتها معنى شرطنا عقولنا وهو أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه بل نسي ما به صالحه وفلا حرج في معاشه ومعاده فصار معطلاً مهلاً بغير لذة الانعام السائبة بل ربما كانت الانعام أخبار بمصالحها منه ليقائمه على هداها الذي أعد لها إياها خالقها وأما هذا فخرج عن فطرته التي خلق عاليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاته وما تكمل به وتركته وتوسعت به في معاشه ومعادها . قال الله تعالى (ولا تطبع من أغفلنا قابه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) فعقل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه فلا تنفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكى به نفسه وقلبه بل هو مشتلت القلب مضيئه مفترط الامر حيران لا يهتدى سبيلاً . والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم وهو أصل علم العبد بسعاده وكماله ومصالح دنياه وآخرته والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكاملها وما تزكى به وتفلاح به فالعلم بسعادة العبد والجهل به أصل شقاوته يزيده ایضاً حرجاً . الوجه الثامن والسبعون انه لاشيء أطيب للعبد ولا أذى ولا أهان ولا أنم لقلبه وعيشه من محنة فاطره وباريه ودوم ذكره والسي في مرضاته وهذا هو الكمال الذي لا يكامل للعبد بدونه وله خلق الخلق ولا جله نزل الوحي وأرسلت الرسل وقامت السموات والارض ووجدت الجنة والنار ولا جله شرعت الشرائع ووضع البت الحرام ووجب حجه على الناس إقامة لذكره الذي هو من توابع محنته والرضا به وعنه ولا جله هذا أمر بالجهاد وضرر أعناف من أباءه وأنه غيره عليه وجعل له في الآخرة دار الهوان خالداً مخدداً وعلى هذا الامر العظيم أست الملة ونهايتها القبلة وهو قطب رحى الخلق والامر الذي مدارها عليه ولا سيل إلى الدخول الي ذلك الا من باب العلم فان محنة الشيء فرع عن

الشعور به وأعرف الخلق بأنه أشدهم حبًا له فكل من عرف الله أحبه ومن عرف
 الدنيا وأهلها زهد فيهم فالعلم يفتح هذا الباب العظيم الذي هو سر الخلق والامر كسيائي
 بيانه ان شاء الله تعالى . الوجه النابع والسبعون ان اللذة بالمحبوب تضعف وتفوي بحسب
 قوته الحب وضعفه فكما كان الحب أقوى كانت اللذة أعظم ولهذا تعظم لذة الخطاآن
 بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء وكذلك الجائع وكذلك من أحب شيئاً كانت لذته
 على قدر حبه إيه والحب تابع للعلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظاهر والباطن فلذة التغزير الى
 الله بعد لفائمه بحسب قوته حبه وارادته وذلك بحسب العلم به وبصفات كماله فإذا العلم هو أقرب
 الطرق الى أعظم اللذات وسيأتي تقرير هذا فيما بعد ان شاء الله تعالى . الوجه المثانون ان
 كل ما سوى الله يفتقر الى العلم لا قوام له بدونه فان الوجود وجودان وجود الخلق
 وجود الأمر والخلق والامر مصدرها علم الرب وحكمته فكل ما صدره الوجود من
 خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته فاقامت السموات والارض وما ينتمي الى الالعلم ولا
 بعثت الرسل وأنزلت الكتب الالعالم ولا عبد الله وحده وحده وأنت عليه وبحد الا بالعلم
 ولا عرف الحلال من الحرام الا بالعلم ولا عرف فضل الاسلام على غيره الالعلم . وانختلف
 هنا في مسئلة وهي أن العلم صفة فعلية أو افعالية فقالت طائفة هو صفة فعالية لأن شرط
 أو جزء وسبب في وجود المفعول فان الفعل الاختياري يستدعي حياة الفاعل وعلمه
 وقدره وارادته ولا يتصور وجوده بدون هذه الصفات . وقالت طائفة هو افعالية فانه
 تابع للمعلوم متعلق به على ما هو عليه فان العالم يدرك المعلوم على ما هو به فادرأكه تابع له
 فكيف يكون متقدماً عليه . والصواب ان العلم قسمان علم فعلى وهو علم الفاعل المختار بما
 يريد أن يفعله فانه موقوف على ارادته الموقوفة على تصوره المراد وعلمه به فهذا عالم قبل النعل
 متقدم عليه مؤثر فيه وعلم افعالي وهو العلم التابع للمعلوم الذي لا تؤثر له فيه كعائنا بوجود
 الانبياء والامم والملوك وسائر الموجودات فان هذا العلم لا يؤثر في المعلوم ولا هو شرط
 فيه فكل من الطائفتين نظرت جزئياً وحكمت كلياً وهذا موضع يغاظ فيه كثير من
 الناس وكلا القسمين من العلم صفة كمال وعدمه من أعظم النقص يوحشه . الوجه الحادي
 والمثانون أن فضيلة الشيء تعرف بضرره فالضرر يظهر حسنة الفرد وبضذه تبين الاشياء
 ولا ريب أن الجهل أصل كل فساد وكل ضرر يلحق العبد في دنياه وأخراه فهو نتيجة
 الجهل والا فع العلم النافع بان هذا الطعام مثلاً مسموم من أكله قطع أمعاءه في وقت معين
 لا يقدم على أكله وإن قدر أنه قدم عليه لغيبة جوع أو استعجال وفاة فهو لعلمه بعواقبه
 أكله لمقصوده الذي هو أحب إليه من العذاب بالجحود أو بغيره . وهذا اختلف في

ظلموا أهواه هم بغير علم فن يهدى من أضل الله) • وقال تعالى (وقال الذين لا يعلمون
 لولا يكلنا الله أو تأثينا آية) • وقال تعالى (قل هل يستوي الدينون والذين لا
 يعلمون) ولو كان الفضلال يجتمع العلم لكان الدين لا يعلمون أحسن حالاً من الدين
 يعلمون والنعنى بمخالفة القرآن مخلوٌ بباب العلم والمعرفة عن الكفار فتارة يصفهم بأنهم
 لا يعلمون وتارة بأنهم لا يعقلون وتارة بأنهم لا يشعرون وتارة بأنهم لا يفهمون وتارة بأنهم لا
 يسمعون • والمراد بالسمع المنفي سمع الفهم وهو سمع القلب لا ادراك الصوت وتارة بأنهم لا
 لا يصرون فدل ذلك كله على ان الكفر مستلزم للجهل مناف للعلم لا يجتمعه ولهذا يصف
 سبحانه الكفار بأنهم جاهلون • كقوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يعشون على الأرض
 هوناً • وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا إسلاماً) • وقوله تعالى (وإذا سمعوا المغوغ أعرضوا عنه
 وقالوا لنا أعملنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لأنبئني الجاهلين) • وقوله تعالى (خذ العفو
 وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ قومه من اذا
 ذلك المبلغ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي الصحيحين عنه من يردد الله به خيراً يفهه
 في الدين فدل على أن الفقه مستلزم لارادة الله الخير في العبد ولا يقال الحديث دل على
 أن من اراد الله به خيراً فقهه في الدين ولا يدل على أن كل من فقهه في الدين فقد أراد به
 خيراً وبذلك ينافي دليلكم إنما يتم بالتقدير الثاني والحديث لا يقتضيه • لأننا نقول النبي صلى
 الله عليه وسلم جعل الفقه في الدين دليلاً وعلامة على ارادة الله بصاحبها خيراً والدليل
 مستلزم المدلول ولا يختلف عنه فإن المدلول لازمه وجود المدلوم بدون لازمه محال .
 وفي الترمذى وغيره عنه صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سمعت
 وفقه في الدين ثم عمل الفقه في الدين متنافية للتفاق بل لم يكن السلف يطابقون اسم الفقه
 الا على العلم الذى يصحبه العمل كما سئل سعد بن ابراهيم عن أفقه أهل المدينة قال أتفاهم .
 وسأل فرق السنن الحسن البصري عن شيء . فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال
 الحسن نكتلك أملك فرقاً وهل رأيت بعينيك فقيها إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
 في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربِّه الذي لا يهمز من فوقه ولا يسخر بمن دونه
 ولا يبتغي على علمه الله تعالى أجراً . وقال بعض السلف إن الفقيه من لم يقتضي الناس
 من رحمة الله ولم يؤمِّن بمكر الله ولم يدع القرآن ورغبة عنه إلى مساواه . وقال ابن مسعود
 رضي الله عنه كفى بخشية الله علماً وبالاعتراض بالله جهلاً . قالوا فهذا القرآن والسنة واطلاق
 السلف من الصحابة والتابعين يدل على أن العلم والمعرفة مستلزم للهداية وأن عدم الهداية
 دليل على الجهل وعدم العلم . قالوا ويدل عليه أن الإنسان مadam عقله معه لا يؤثر حلاله

نفسه على نجاتها وعذابها العظيم الدائم على نعيمها المقيم والحس شاهد بذلك . وهذا وصف الله سبحانه أهل معصيته بالجهل في قوله تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملونسوء بجهالة ثم يتوبون من قرب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهم حكما) . قال سفيان التورى كل من عمل ذنباً من خلق الله فهو جاحد كان جاحداً أو علماً أن كان علماً فلن أجهل منه وإن كان لا يعلم فلن ذلك . وقوله (ثم يتوبون من قرب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهم حكما) . قال قبل الموت . وقال ابن عباس رضي الله عنهمما ذنب المؤمن جهل منه . قال قتادة اجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل شيء عصي الله فيه فهو جهة . وقال السدى كل من عصى الله فهو جاحد . قالوا ويدل على صحة هذا أن مع كمال العلم لا تصدر المعصية من العبد فإنه لورأى شيئاً يتعلّم عليه من كوة لم تحرّك جوارحه لواقعه الفاحشة فكيف يقع منه حال كمال العلم بمنظار الله إليه ورؤيته له وعقابه على الذنب وتحريمه له وسوء عاقبته فلا بد من غفلة القلب عن هذا العلم وغيبته عنه شيئاً يكون وقوعه في المعصية صادراً عن جهل وغفلة ونسبيان مصادف للعلم والذنب محفوف بجهلتين جهل بحقيقة الآيات الصارفة عنه وجهل بحقيقة المفسدة المترتبة عليه وكل واحد من الجهليين تحت جهالات كثيرة فما عصي الله إلا بالجهل وما أطمع إلا بالعلم فهذا بعض ما احتجت به هذه الطائفة . وقالت الطائفة الأخرى العلم لا يستلزم اهداية وكثيراً ما يكون الضلال عن عمد وعلم لا يشك صاحبه فيه بل يؤثر الضلال والكفر وهو عالم بقيمه ومفسدته . قالوا وهذا شيخ الضلال وداعي الكفر وأمام الفجرة أليس عدو الله قد علم أمر الله له بالسجود لآدم ولم يشك فيه خالقه وعند الامر وباء باعنة الله وعذابه المدائم مع عاصيه بذلك ومعرفته به وأقسم له بعزته أنه يغوى خلقه أجمعين الاعباده منهم الخاسدين فكان غير شاك في الله وفي وحدانيته وفيبعث الآخر وفي الجنة والنار ومع ذلك اختيار الخلود في النار واحتلال لعنة الله وغضبه وطرده من سماء وجنته عن علم بذلك ومعرفة لم يحصل لكثير من الناس . وهذا (قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون) وهذا اعتراف منه بالبعث واقرار به وقد علم قسم ربهم لحملان جهنم منه ومن أتباعه فكان كفره كفر عباد محض لا كفر جهل . وقال تعالى أخباراً عن قوم نمود (وأمان نمود فهديناهم فاستحبوا الاعمى على الهدى) يعني بينما لهم وصرفناهم فعرفوا الحق ويتقنوه وآروا العمى عليه فكان كفر هؤلاء عن جهل . وقال تعالى حاكياً عن موسى أنه قال لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وانى لا خانتك يا فرعون منبورة) أي هالكا على قراءة من فتح النساء وهي قراءة الجھور وضمها الكسائي وحده وقراءة الجھور

أحسن وأوضح وأنفع معنى وبها تقويم الدلالات وتنمية الازام بتحقق كفر فرعون وعناده
 ويشهد لها قوله تعالى أخباراً عنه وعن قومه (فاما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر
 مبين وجحدوا بها واستيقنها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فأخبر
 سبحانه أنه انكذبهم وكفرهم كان عن يقين وهو أقوى العمل ظلماً منهم وعلوا لاجحلا
 وقال تعالى لرسوله (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فائهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
 بآيات الله يجحدون) يعني أنهم قد عرروا صدفك وأنك غير كاذب فيما تقول ولكن
 عاندوا وتجحدوا بالمعرفة قاله ابن عباس رضي الله عنهم والمفسرون • قال قتادة يعلمون
 أنك رسول ولكن يجحدون • قال تعالى (وتجحدوا بها واستيقنها أنفسهم ظلماً وعلوا).
 وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون
 الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) يعني تكفرون بالقرآن وبمن جاء به وأنتم
 تشهدون بصحته وبأنه الحق فكفركم كفر عناد وتجدد عن علم وشهود لاعنة جهل وخداع
 وقال تعالى عن السحرة من اليهود (ولقد علموا من اشتراهم ماله في الآخرة من خالق)
 أي علموا من أخذ السحر وقبله لأنصيبي له في الآخرة ومع هذا العلم والمعرفة
 فهم يشترونه ويقبلونه ويتعلمونه • وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
 أبناءهم) ذكر هذه المعرفة عن أهل الكتاب في القبلة كما في سورة البقرة وفي التوحيد
 كقوله في الانعام (أئكمل لتشهدون أن مع الله آلة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله
 واحد وانتي برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (وفي
 الكتاب أنه منزل من عند الله لقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من
 ربكم بالحق) • وقال تعالى (كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول
 حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين) • قال ابن عباس رضي الله عنهم هم
 قرينة والتضير ومن دان بدعهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا قبل مبعثه
 مؤمنين به وشهدوا له بالبوة وإنما كفروا بغياً وحسداً • قال الزجاج أعلم الله عن وجوب
 أنه لاجهة هدايتهم لأنهم قد استحقوا أن يضلوا بکفرهم لأنهم كفروا بعد البينات ومعنى
 كيف يهدىهم أي أنه لا يهدىهم لأن القوم عرفوا الحق وشهدوا به وتيقنوه وكفروا عمداً
 فمن أين تأتيمهم الهدایة فإن الذي ترجي هدايته من كان ضالاً ولا يدرى أنه ضال بل يظن
 أنه على هدى فإذا عرف الهدى اهتدى وأمام من عرف الحق وتيقنه وشهد به قبله ثم اختار
 الكفر والغلال عليه فكيف يهدى الله مثل هذا • وقال تعالى عن اليهود (فاما جاءهم
 ما عرّفوا كفروا به فلعن الله على الكافرين) ثم قال (بئسما اشترعوا به أنفسهم أن يكفروا

نَمْ قَالَ (بَئْسَ مَا اشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِعِيَّا أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى
مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) . قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِمَ يَكْنُونَ كُفُورَهُمْ شَكًا وَلَا اشْتَهَارًا
وَلَكِنْ بِعِيَّا مِنْهُمْ حِيثُ صَارَتِ النَّبُوَّةِ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . نَمْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ (وَلَمَاجَاهُمْ
رَسُولُ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ مَصْدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبْذٌ فِرْيقٌ مِنَ الظَّاهِرَةِ أَوْتَوْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ
ظَاهُورِهِمْ كَائِنٌ لَا يَعْلَمُونَ) فَلَمَّا شَبَهُهُمْ فِي فَعَلَهُمْ هَذَا بَنْ لَا يَعْلَمُ دَلْ عَلَى أَنَّهُمْ نَبْذُوهُ عَنْ
عِلْمٍ كَفَعْلَ مِنْ لَا يَعْلَمُ تَقُولُ أَذَا خَاطَبَتِ مِنْ عَصَاكَ عَمْدًا كَانَكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا فَعَلْتَ أَوْ كَانَكَ
لَمْ تَعْلَمْ بِهِيَ إِلَيْكَ وَمِنْهُ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنَ . قَوْلُهُ تَعَالَى (فَإِنْ تَوْلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمَبِينُ
يَعْرُفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَسْكُرُونَهَا وَأَكْثُرُهُمُ الْكَافِرُونَ) . قَالَ السَّدِيْرِ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَاتَمُ الْزَّجَاجُ . فَقَالَ يَعْرُفُونَ أَنْ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا ثُمَّ
يَسْكُرُونَ ذَلِكَ وَأَوْلَى الْآيَةِ يَشْهُدُ هَذَا الْقَوْلُ . وَقَالَ تَعَالَى (وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ بِمَا الَّذِي آتَيْنَاكُمْ
آتَيْنَاكُمْ فَإِنْلَيْخَنَّهَا فَأَتَبْعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاقِونَ . وَلَوْ شَتَّا لِرَفْعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ
إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ دُوَاهُهُ فَلَمَّا كَثُرَ الْكَلْبُ) . قَالُوا فَهَلْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ بَيْانٌ فَإِنْ هَذَا آتَاهُ
اللَّهُ آتَاهُ فَإِنْلَيْخَنَّهَا وَآتَرَ الضَّلَالَ وَالْنَّجْنَى * وَقَصَتْهُ مَعْرُوفَةٌ حَتَّى قَبْلَ أَنْ كَانَ أُوتِيَ الْاسْمُ
الْأَعْظَمُ وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَنْفَعْهُ عَالِمٌ وَكَانَ مِنَ الْغَاوِينِ فَلَوْ اسْتَلَازَمَ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ الْهَدَى
لَا سَلَازِمَهُ فِي حَقٍّ هَذَا . وَقَالَ تَعَالَى (وَعَادًا وَنَوْدَ وَقَدْ تَسْيِنَ لَكُمْ مِنْ مَا كَنْهُمْ وَزَنْ
هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاطُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْرِينَ) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنْ قَوْلَهُمْ
(يَاهُودُ مَا جَهَنَّمَ بَيْنَهُ وَمَا نَحْنُ بَيْنَكُمْ أَهْتَنَعْنَ قَوْلَكُمْ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) إِمَّا يَهُودُ
مِنْهُمْ وَجِهُودُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَا يَأْتِي الاقتراحُ وَالْعَنْتُ وَلَا يَجِدُ الْأَيْيَانُ بِهَا وَقَدْ وَصَفَ بِسَجَانَهُ
نَوْدَ بِهِمْ أَكْفَرُتُ عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِالْحَقِّ وَهَذَا قَالَ . (وَآتَيْنَا نَوْدَ النَّاقَةَ مِبْصَرَةً فَظَلَمُوا إِبَاهَا)
يَعْنِي بَيْنَهُمْ مَدِيَّةً . وَهَذَا كَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مِبْصَرَةً) أَيْ مَدِيَّةً وَحَقِيقَةً
الَّذِي لَا تَجِدُ مِنْ رَأْهَا مِبْصَرًا فَهُنَّ تَوْجِبُ لِهِ الْبَعْرُ فَتَبَعَّهُمْ أَيْ تَجْعَلُهُمْ ذَا بَصَرَ فَهُنَّ
مَوْحِدُهُمْ بَيْنَهُمْ يَقَالُ بَصُرُّ بِهِ إِذَا رَأَهُ كَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جَبِ). وَقَوْلُهُ (بَصَرَتْ
بِهَا لَمْ يَبْهُرُوا بِهِ) وَأَمَّا أَبْصَرُهُ فَلَمْ يَعْتِيَهُمْ بَعْنَيَانَ . أَحَدُهُمْ جَعَلَهُ بَاصَرًا بِالشَّيْءِ أَيْ ذَا بَصَرَ بِهِ كَأَيِّهِ
النَّهَارِ وَآيَةَ نَوْدَ وَالثَّاقِي بِعَنْيِّ رَأَهُ كَقَوْلُكُمْ أَبْصَرَتْ زَيْدًا وَفِي حَدِيدَتِ أَبِي شَرِيعِ الْعَدُوِّ أَحَدُكُمْ
قَوْلًا قَالَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَسَمِعَتْهُ أَذْنَانِي وَوَعَادَ قَابِيْ وَأَبْصَرَهُ
عَيْنَانِي حِينَ تَكَامَ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَتَوَلُّ عَنْهُمْ حَقِّ حِينَ وَأَبْصَرُهُمْ فَسُوفَ يَبْصِرُونَ)
قَبْلَ الْمَعْنَى أَبْصَرُهُمْ وَمَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ فَسُوفَ
يَبْصِرُونَكَ وَمَا يَقْضِي لَكَ مِنَ النَّصْرِ وَالْتَّأْيِدِ وَحْسَنَ الْعَاقِبَةِ وَالْمَرَادُ تَغْرِيبُ الْمَبْصَرِ مِنْ

المخاطب حق كأنه نسب عينيه ورأى ناظريه ، والمقصود ان الآية أوجبت طم البصيرة
 فأنروا الضلاله والكفر عن علم ويعين وظها والله أعلم ذكر قصتهم من بين قصص سائر
 الام في سورة الشمس وضحاها لانه ذكر فيها اقسام الفوس الى الرذكرة الراسدة
 المهدية والى الفاجرة الضالة الغاوية وذكر فيها الاصلين القدر والشرع ، فقال (فالمهمها
 بجورها وتفوهاها) فهذا قدره وقضاؤه ثم قال (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)
 فهذا أمره ودينه ونمود هداهم فاستحبوا العمى على الهدى . فذكر قصتهم ليسين سوء
 تاتيهم من آخر الفجور على التقوى والتدعى على الرذكرة والله أعلم بما أراد ، قالوا ويكتفى
 في هذا الخبره تعالى عن الكفار أنهم يقولون بعد ما عاينوا العذاب ووردوا القيمة
 ورأوا ما أخبرت به الرسل (يالبئنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل
 بذا طم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا العادوا لما هوا عنده وإنهم لکاذبون) فاي علم
 أربن من علم من ورد القيمة ورلأي ما فيها وذاق عذاب الآخرة ثم لو ورد الى الدنيا
 لاختار الضلال على الهدى ولم يسعه ما قد عاينه ورآه . وقال تعالى (ولو اتنا زلنا اليهم
 الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبل ما كانوا يؤمّنوا الا أن يشاء الله ولكن
 أكثراً منهم يجهلون) فهل بعد نزول الملائكة عيناً وتكميل الموتى طم وشهادتهم للرسول
 بالصدق وحشر كل شيء في الدنيا عليهم من بيان وإيضاح للحق وهدى ومع هذا فلا
 يؤمنون ولا يستجادون بالحق ولا يصدقون الرسول . ومن نظر في سيرة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مع قومه ومع اليهود علم أنهم كانوا جازمين بصدقه صلى الله عليه
 وسلم لا يشكون أنه صادق في قوله انه رسول الله ولكن اختاروا الضلال والكفر على
 الإيمان . قال المسور بن مخرمة رضي الله عنه لابي جهل وكان خاله أباً خال هل كتم
 تهمون محمدًا بالكذب قبل أن يقول مقالته التي قالها قال أبو جهل لعنة الله تعالى يا ابن
 أخي والله لقد كان شهيد علينا وهو شاب يدعى الامين ما جربنا عليه كذباً فقط فلما
 وخطبه الشيب لم يكن ليكذب على الله قال يا خال فلم لا تتبعونه قال يا ابن أخي تنازعنا
 نحن وبينكم الشرف فاطعموا وأطعمونا وستقوا وستقينا وأجاروا وأجرنا فلما تجاوزنا
 على الركب وكنا كفري ورهان قالوا منا نبي حتى ندرك هذه وهذا أمية بن أبي الصات
 كان ينتظره يوماً بيوم وعلمه عنته قبل مبعثه . وقصته مع أبي سفيان لما سافرا معاً
 معروفة واخباره برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما تيقنه وعرف صدقه قال لا
 أو من بنى من غير ثقيف أبداً وهذا هرقل تيقن أنه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولم يشك فيه وآخر الضلال والكفر استبقاء ملكه . وما سأله اليهود عن النسخ آيات

اليهات فاخبرهم بها قبلوا يده وقلوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تبعوني قالوا ان
 داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخشي ان انتنا اليهود
 فهو لا قد تحققوا نبوته وشهدوا له بها ومع هذا فآتروا الكفر والضلال ولم يصروا
 مسلمين بهذه الشهادة فقيل لا يصير الكافر مسلماً بمجرد شهادة ان محمد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حق يشهد الله بالوحدانية وقيل يصير بذلك مسلماً وقيل ان كان
 كفراً بتكييف الرسول كاليهود صار مسلماً بذلك وان كان كفراً بالشرك مع ذلك لم
 يصر مسلماً الا بالشهادة بالتوحيد كالنصارى والشراكين . وهذه الاقوال الالانة في
 مذهب الامام أحمد وغيره وعلى هذا فاما لم يحكم هؤلاء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة
 بحكم الاسلام لأن مجرد الاقرار والاخبار بصحة رسالته لا يوجب الاسلام الا أن يتزمن طاعته
 ومتابعته والا فلو قال أنا أعلم أنه نبي ولكن لا أتبعه ولا أدين بهديه كان من أكفر
 الكفار الحال هؤلاء المذكورين وغيرهم وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين
 وأئمة السنّة ان الایمان لا يكتفى فيه قول الانسان بمجرد معرفة القاتب مع ذلك بل
 لا بد فيه من عمل القاتب وهو حبه لله ورسوله وانقياده لدینه والتزامه طاعته ومتابعته
 رسوله وهذا خلاف من زعم أن الایمان هو مجرد معرفة النّاب واقراره وفيما تقدم كفاية
 في إبطال هذه المقالة ومن قال ان الایمان هو مجرد انتقاد صدق الرسول فيما جاء به وان
 لم يتزمن متابعته وعاداته وابغضه وقاتلته لزمه أن يكون هؤلاء كالمؤمنين وهذا إلزام
 لا يحيى عنه وهذا اضطراب هؤلاء في الجواب عن ذلك لما ورد عليهم وأجابوا بما
 يستحب العاقل من قوله كقول بعضهم إن ابايس كان مستهزئاً ولم يكن يقر بوجود
 الله ولا بان الله ربه وخالفه ولم يكن يعرف ذلك وكذا فرعون وقومه لم يكونوا
 يعرفون صحة نبوة موسى ولا يعتقدون وجود الصانع وهذه فضائح نعوذ بالله من
 الوقوع في أمثالها ونصرة المقالات وتقليد أربابها تحمل على أكثر من هذا ونعوذ بالله
 من الخذلان . قالوا وقد بين القرآن أن الكفر أقسام . أحدها كفر صادر عن جهل
 وضلال وتقليد الاسلاف وهو كفر أكثراً الاباع والعوام . الثاني كفر جمود وعند
 وقد مخالفة الحق كفر من تقدم ذكره وغالب ما يقع هذا النوع فيمن له رياضة
 علمية في قومه من الكفار أو رياضة سلطانية أو من له مالك وأموال في قومه فيخالف
 هذا على بيته وهذا على ماله وما كله فيؤثر الكفر على الایمان عمداً الثالث كفر
 اسراس مخصوص لا ينطر فيها جاء به الرسول ولا يحبه ولا يبغضه ولا يرويه ولا يعاديه بل
 هو معرض عن متابعته ومعاداته وهذا القسم أكثراً المتكلمين ينكر ونفيها ولا يثبتون

من الكفر الا الاول و يجعلون الثاني والثالث كفراً للدلالة على الاول لاله في ذاته
 كفر فليس عندهم الكفر الا مجرد الجهل . ومن تأمل القرآن والسنة وسير الانبياء
 في انهم سود عدوهم لهم وما جرى لهم جزءاً بخطأ أهل الكلام فيما قالوه وعلم أن
 عامة كفر الامم عن تيقن وعلم ومعرفة بصدق أديانهم وصححة دعواهم وما جاؤوا به وهذا
 القرآن مسلوب من الاخبار عن المشركين عباد الاصنام انهم كانوا يقررون بالله وأنه هو
 وحده ربهم وحالهم وأن الارض وما فيها له وحده وانه رب السموات السبع ورب
 العرش العظيم وانه بيده ملوكوت كل شيء وهو يحيي ولا يحيي عليه وانه هو الذي سخر
 الشمس والقمر وأنزل المطر وأخرج النبات والقرآن مناد عالم - بذلك محتاج بما أقروا
 به من ذلك على صحة ما دعوه اليه رسالته فكيف يقال ان القوم لم يكونوا مقررين فقط
 بان لهم ربآ وخالفآ وهذا بهتان عظيم فالكافر أمر وراء مجرد الجهل بل الكفر الا باطلاً
 هو ما أنكره هؤلاء وزعموا أنه ليس بكافر . قالوا والقلب عليه واجبان لا يصير مؤمناً
 الا بهما جميعاً واجب المعرفة والعلم وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون
 مؤمناً إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمناً اذا لم يأت بواجب الحب
 والانقياد والاستسلام بل اذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفراً
 وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلاً فان الجاهل اذا عرف وعلم فهو قريب الى الانقياد
 والابتعاد وأما المعاند فلا دواء فيه . قال تعالى (كيف يهدى الله قوماً كفروا
 بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وواجههم البينات والله لا يهدى القوم الضاللين) ، قالوا
 شعب الله ورسوله بل كون الله ورسوله أحب الى العبد من سواهما لا يكون العبد مسؤولاً
 الا به ولا ريب أن الحب أمر وراء العلم فما كل من عرف الرسول أحبه كما تقدم
 . قالوا وهذا الحاسد يحمله بعض المحسود على معاداته والسعى في أذاه بكل ممكن
 مع عاته بفضله وعاته انه لا شيء فيه يوجب عداوته الا محسنه وفضائله . وهذا قبل
 الحاسد عدو لائم والمكارم فالحاسد لم يحمله على معاداة المحسود جهله بفضله وكراهه واما
 جهله على ذلك فساد قصده وارادته كما هي حال الرسول وورثتهم مع الرؤساء الذين سلّبهم
 الرسول ووارثوهم رئاستهم الباطلة فعادوهم وصدوا النفوس عن متابعتهم ظناً ان الرئاسة
 تبقى لهم ويغدردون بها وسنة الله في هؤلاء ان يسلّبهم رئاسة الدنيا والآخرة ويصغرهم في
 عيون الخلق مقابلة لهم بتفريح قصدهم (وما ربك بظلام للعبد) فهذا موارد احتجاج
 الفريقين و موقف اقدام الطائفتين فاجلس أيها المنصف منها مجلس الحكومة وتوجه
 بعلمهك وعدلك فضل هذه الخصومة فقد أدل كل منهما بمحاجج لا تعارض ولا تنازع وجاء

بيانات لا ترد ولا تدّفع فهل عندك شيء غير هذا يحصل به فصل الخطاب وينكشف به
لطالب الحق وجه الصواب فيرضى الطاغترين ويزول به الاختلاف من بينه وإلا خلل
المطلي وحاديها واعط النقوس باريها

دع الهوى لأناس يُعرفون به قد كابدوا الحب حتى لان أصبعه
ومن عرف قدره وعرف لذى الفضل فضله فقد قرع باب التوفيق والله الفتاح
العام فنقول وبالله التوفيق

كلا الطاغترين ما خرجمت عن موجب العلم ولا عدلت عن سن الحق وإنما الاختلاف
والتبادر بينهما من عدم التوارد على محل واحد ومن اطلاق الفاظ بجملة بتفصيل معانيها
يرزول الاختلاف ويظهر ان كل طائفة موافقة الاخرى على نفس قوله + وبيان هذا ان
المقتضى قسمان مقتض لا يختلف عنه موجبه ومتضناه لتصوره في نفسه بل يستلزم استلزم
الصلة التامة لمعلوها ومقتضى غير تام يختلف عنه مقتضاه لتصوره في نفسه عن التمام أولئك
شرط اقتضاه أو قيام مانع منع ثانية وان أريد يكون العلم مقتضايا للإهتمام والاقتضاء التام
الذى لا يختلف عنه أثره بل يتلزم الإهتمام بالفعل + فالصواب قول الطائفة الثانية
وانه لا يلزم من العلم حصول الإهتمام المطلوب وان أريد يكونه موجباً أنه صالح للإهتمام
مقتض له وقد يختلف عنه مقتضاه لتصوره أو فوات شرط أو قيام مانع + فالصواب قول
الطائفة الأولى وتفصيل هذه الجملة أن العلم يكون الشيء سبباً لمصالحة العبد ولذاته وسروره
قد يختلف عنه عمله بمقتضاه لأسباب عديدة + السبب الأول ضعف معرفته بذلك + السبب
الثاني عدم الأهلية وقد تكون معرفته به تامة لكن يكون مشروطاً بزكاة العمل وقبوله
للتزكية فإذا كان العمل غير زكي ولا قابل للتزكية كان كالارض الصدمة التي لا يحيط بها الماء
فأنه ينتفع النبات منها لعدم أحديتها وقبوتها فإذا كان القلب قاسيأً حجرياً لا يقبل تزكية ولا
تؤثر فيه التصالح لما ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تنتفع الأرض الصدمة ولو أصابها كل معار ويدر
فيها كل بذر كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس (ان الذين حقت عليهم كلة رب لا
يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة
وكثيرون الموتى وحضرنا عليهم كل شيء فبالاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) وقال تعالى
(قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الآيات والذر عن قوم لا يؤمنون)
وهذا في القرآن كثير فإذا كان القلب قاسيأً غليظاً جافياً لا يعمل فيه العلم شيئاً
وكذلك اذا كان مريضاً مهيناً مائياً لاصلاحة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم +
السبب الثالث قيام مانع وهو اما حد او كبر وذلك مانع ابداً من الانقياد للامر وهو

داء الاولين والآخرين الا من عصم الله وبه تختلف اليمان عن اليهود الذين شاهدوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صحة نبوة ومن جرى بجرى ابراهيم وهو الذي منع عبد
 الله بن أبي من اليمان وبه تختلف اليمان عن أبي جهل وسائر المشركين فانهم لم يكونوا
 يرتابون في صدقه وان الحق معه لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر وبه تختلف اليمان
 عن أمية وأضرا به من كان عنده علم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم * السبب الرابع مانع
 الرياسة والملك وان لم يتم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق لكن لا يعكره أن مجتمع
 له الانقياد وملوكه ورياسته يملكونه سلاله هرقل وأضرا به من ملوك الكفار
 الذين علمنا بنبوته وصدقه وأفروا بها باطننا وأحبو الدخول في دينه لكن خافوا على ملوكهم
 وهذا داء أرباب الملك وأولياء الرياسة وقل من نجى منه الا من عصم الله وهو داء فرعون
 وقومه . وهذا قالوا (أتو من لبشرن مثنا وقومهما لنا عابدون) أنفوا أن يؤمّنوا ويتبعوا
 موسى وهرون ويستقادوا لهما وبنو اسرائيل عبيد لهم . وهذا قيل ان فرعون لما أراد
 متابعة موسى وتصديقه شاور هامان وزيره فقال يينا أنت إله تعبد تصير عبداً تعبد غيرك
 فإني العبودية واختيار الرياسة والاهمية الحال ، السبب الخامس مانع الشهوة والممال وهو
 الذي منع كثيراً من أهل الكتاب من اليمان خوفاً من بطشان ما كلامهم وأموالهم التي
 تصير اليهم من قومهم وقد كانت كفار قريش يصدون الرجل عن اليمان بحسب شهوته
 فيدخلون عليه منها فكانوا يقولون إن يحب الزنا ان محمداً يحرم الزنا ويحرم الحمر وبه
 صدوا الاعني الشاعر عن الاسلام وقد فاوضت غير واحد من أهل الكتاب في الاسلام
 ومحنه فكان آخر ما كلّي به أحدهم أنا لا أترك الحمر وأشربها أمنا فذا أسلمت حلم يبني
 ويدنها وجلد تونى على شربها . وقال آخر منهم بعد أن عرف ماقات له أقارب أرباب
 أموال واني ان أسلمت لم يصل إلي منها شيء وأنا أوصل أن أرائهم أو كقال . ولاريء أن هذا
 القدر في نفوس خلق كثير من الكفار فتنفق قوة داعي الشهوة والممال وضعف داعي
 اليمان فيجيب داعي الشهوة والممال ويقول لأرغب بنفسي عن آبائى وسلفي . السبب
 السادس محنة الأهل والأقارب والعشيره يرى أنه اذا اتبع الحق وخالفهم أبعدوه
 وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أطهارهم . وهذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر
 بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم . السبب السابع محنة الدار والوطن وان لم يكن له بهاعشيره
 ولا أقارب لكن يرى أن في متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه الى دار الغربة
 والنوى فيضن بوطنه . السبب الثامن تخيل ان في الاسلام ومتابعة الرسول ازراء وطعننا
 منه على آبائه وأجداده وذمها لهم وهذا هو الذي منع ابطال وأمثاله عن الاسلام

استعذموا آباءهم واجدادهم ان يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وان يختاروا خالق
ماختار أولئك لأنفسهم ورأوا انهم ان اسلموا سفهوا احلام أولئك وسلموا عقولهم
ورموهم بأقبح القبائح وهو الكفر والشرك . وهذا قال اعداء الله لاني طالب عند الموت
أترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر ما كلامهم به هو على ملة عبد المطلب فلم يدعه اعداء
الله الا من هذا الباب لعلهم بتعظيمه آباء عبد المطلب وانه اهنا حاز الفخر والشرف به
فكيف يأتي امراً يلزم منه غاية تنقيصه وذمه . وهذا قال لو لا ان تكون مسبة علىبني
عبد المطلب لا قررت بها عينك او كما قال وهذا شعره يصرح فيه بأنه قد علم وتحقق نبوة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدق كقوله

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لو جدتنى سمحًا بذلك ميتنا
(وفي قصيدة اللامية)

فوالله لو لا أن تكون مسبة تجر على أشياخنا في المخاوف
لكننا اتبعاه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد عاملوا ان ابناءاً مكذب لدينا ولا يعنى بقول الا باطل

والملبة التي زعم أنها تجر على أشياخه شهادته عليهم بالكفر والضلال وتسفيه الاحلام
وتفضيل العقول فهذا هو الذي منعه من الاسلام بعد تيقنه . السبب التاسع متابعة من
يعاديه من الناس لارساله وسبقه الى الدخول في دينه وشخصه وقربه منه وهذا القدر
منع كثيراً من اتباع الهدى يكون للرجل عدو ويبغض مكانه ولا يجب أرضأً ينتهي عاليها
ويقصد مخالفته ومناقضته فيراه قد اتبع الحق فيحمله قصد مناقضته ومعاداته على معاداته
الحق وأهله وان كان لا عداوة بينه وبينهم وهذا كما جرى لليهود مع الانصار فانهم كانوا
اعداءهم وكانوا يتواعدونهم بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وانهم يتبعونه ويقاتلونهم
معه فلما بدرهم اليه الانصار وأسلموا حاهم معادتهم على البقاء على كفرهم ويهوديتهم .
السبب العاشر مانع الالف والعاشر والمنشأ فان العادة قد تقوى حتى تغلب حكم الطبيعة
وهذا قيل هي طبيعة ثانية فيبني الرجل على المقالة وينشاً عليها صغيراً فيترى قلبه ونفسه
عليها كا يترى سمه وعظمه على الغداء المعتاد ولا يعقل نفسه الا عليها ثم يأتيه العلم ومهلة
واحدة يريد ازالتها وآخر ارجها من قلبه وان يسكن موضعها فيسر عليه الانتقال
ويصعب عليه الزوال وهذا السبب وان كان أضعف الاسباب معنى فهو أغلىها على الام
وأرباب المقالات والنحل ليس مع أكثراً لهم بل جميعهم الاماوى أن يشد الاعادة ومن بي

تربى عليه طفلاً لا يعرف غيرها ولا يحسن به فدين العواید هو الغالب على أكثر الناس
 فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة الى طبيعة ثانية فصلوات الله وسلامه على أئمته
 ورسله خصوصاً على خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم كيف غيروا عواید الام
 الباطلة ونقول لهم الى اليمان حق استخدنوا به طبيعة ثانية خرجوا بها عن عادتهم وطبيعتهم
 الفاسدة ولا يعلم مشقة هذا على النفوس الا من زاول نقل رجل واحد عن دينه
 ومقالة الى الحق بغير الله المرسلين أفضل ما جازى به أحداً من العالمين اذا عرف
 ان المقتضى نوعان فالهدى المقتضى وحده لا يوجب الاهتداء والهدى الثام يوجب
 الاهتداء . فالاول هدى البيان والدلالة والتعليم وهذا يقال هدى ما اهتدى . والثانى
 هدى البيان والدلالة مع اعطاء التوفيق وخلق الارادة فهذا الهدى الذي يستلزم الاهتداء
 ولا يختلف عنه موجبه ففي وجد السبب وانته الموضع لزم وجود حكمه . وهبنا دقة
 بها ينفصل النزاع وهي انه هل ينعدم من قيام المانع وعدم الشرط على المقتضى أمر
 يضعفه في نفسه ويبله افتضاءه وقوته او الاقتضاء بحاله وإنما غاب المانع فكان التأثير له
 . ومثال ذلك في مسئلتنا انه يوجد هذه الموضع المذكورة أو بعضها هل يضعف العلم
 حتى لا يصير موڑاً أبنة أو العلم بحاله ولكن المانع بقوته غاب فكان الحكم له . وهذا سر
 المسألة وفهمها فاما الاول فلا شك فيه ولكن الثانى في القسم الثانى وهو بقاء العلم بحاله
 والتحقق ان الموضع تحججه وتعيمه وربما قيلت حقيقته من القلب والقرآن قد دل على
 هذا . قال تعالى (إِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِنِمْ لَمْ تَؤْذُنُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِنَّمَا زَاغُوا أَزْغَاهُ اللَّهُ قَلَوْهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) فعاقبهم سبحانه بازالة
 قلوبهم عن الحق لما زاغوا عنه ابتداء . ونظيره قوله تعالى (وَنَقَابُ أَفْنَادِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
 كَمْ يَرُؤُونَ بِهِ أَوْلَى مِنْ وَنْدَرِهِمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ) وهذا قيل من عرض عليه حق
 فرده فلم يقبله عوقب بفساد قلبه وعنه ورأيه . ومن هنا قيل لا رأى لصاحب هوى
 فان هواء يحمله على رد الحق فينسد الله عليه رأيه وعقله . قال تعالى (فَمَا نَفَضُّهُمْ مِنْ نَاقِمِهِمْ
 وَكَفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَاتَلُهُمُ الْأَنْيَاءَ بِقَيْرَحَقْ وَقَوْطَمْ قَلْوَبَنَا شَافِفَ) أخبر سبحانه أن
 كفرهم بالحق بعد أن علموه كان سبباً اطمع الله على قلوبهم (بل طبع الله عليهم بکفرهم)
 حتى صارت غالباً والغالب جمّ أغلف وهو القلب الذي قد غشيه غالفاً كالسيف الذي
 في غالفة وكل شيء في غالفة فهو أغلف وجعله غالفاً يقال سيف أغلف وقوس غالفة
 ورجل أغلف واقلف اذا لم يختن ، والمعنى قلوبنا عليها غشاوة وغضباء فلا تفقه ما يقول
 يا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تتع شيئاً من قال أن المعنى أنها غالفة للعلم والحكمة أى

أوعية طافلا يحتاج إلى قوله ولا تقبله استفهام بما عندهم بوجوه أحدتها ان غلـفـ جـعـ
أغـلـفـ كـفـافـ وـأـفـافـ وـحـرـ وـأـحـرـ وـجـرـدـ وـأـجـرـدـ وـغـلـبـ وـأـغـلـبـ وـنـظـارـهـ وـالـأـغـلـفـ
من القـلـوبـ هو الدـاخـلـ في الغـلـافـ هـذـاـ هو المـعـرـوـفـ من الـلـغـةـ •ـ الثـانـيـ آـمـنـ مـنـ
الاستـعـمـالـ السـائـعـ الشـهـورـ آـنـ يـقـالـ قـلـابـ غـلـافـ لـكـذـاـ وـهـذـاـ لـاـ يـكـادـ يـوـجـدـ فـيـ شـىـ•ـ
ـمـنـ فـتـرـ كـلـامـهـ وـلـاـ نـظـمـهـ وـلـاـ نـظـرـ لـهـ فـيـ الـقـرـآنـ فـيـ حـمـلـ عـلـيـهـ وـلـاـ هـوـ مـنـ التـشـيـهـ الـبـدـيـعـ
ـمـسـتـحـسـنـ فـلـاـ يـجـوزـ حلـ الـآـيـةـ عـلـيـهـ •ـ الثـالـثـ آـنـ نـظـرـ قـوـلـ هـؤـلـاءـ قـوـلـ الـآـخـرـينـ مـنـ
ـالـكـفـارـ قـلـوبـنـاـ فـيـ أـكـنـةـ مـاـ تـدـعـنـاـ إـلـيـهـ وـالـأـكـنـةـ هـنـاهـيـ الـغـلـافـ الـقـلـوبـ هـؤـلـاءـ فـيـ هـنـاهـ
ـوـالـأـكـنـةـ كـلـاـ وـعـيـةـ وـالـأـغـطـيـةـ الـقـيـ تـفـطـيـ الـمـنـاعـ وـمـنـ الـكـنـانـةـ لـغـلـافـ السـهـامـ •ـ الرـابـعـ آـنـ
ـسـيـاقـ الـآـيـةـ لـاـ يـحـسـنـ مـعـ الـمـعـنـىـ الـذـىـ ذـكـرـهـ وـلـاـ يـحـسـنـ مـقـاـبـلـهـ بـقـوـلـهـ (ـبـلـ طـبـعـ اللـهـ عـلـيـهـ
ـكـفـرـهـ)ـ وـإـنـاـ يـحـسـنـ مـعـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ آـنـ يـسـابـ عـنـهـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـ الـتـىـ اـدـعـوـهـاـ كـمـ قـبـلـ طـمـ
ـمـاـ اـدـهـواـ ذـلـكـ (ـوـمـاـ أـوـتـيـمـ مـنـ الـعـلـمـ الـأـقـلـلـاـ)ـ •ـ وـأـمـاـ هـنـاـ فـلـمـ اـدـعـواـ آـنـ قـلـوبـهـمـ فـيـ أـغـلـيـةـ
ـوـأـغـشـيـةـ لـاـنـ طـبـعـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ •ـ وـلـاـ رـبـ آـنـ الـقـلـابـ إـذـاـ طـبـعـ عـلـيـهـ أـظـلـمـتـ صـورـةـ الـعـلـمـ فـيـهـ
ـوـأـنـطـمـسـتـ وـرـبـاـ ذـهـبـ أـنـرـاـ حـتـىـ يـصـيرـ السـبـ الـذـىـ يـهـتـدـيـ بـهـ الـمـهـتـدـوـنـ سـيـاـ لـضـلـالـ
ـهـذـاـ كـمـ كـاـلـ تـعـالـيـ •ـ (ـيـضـلـ بـهـ كـثـيرـاـ وـيـهـدـيـ بـهـ كـثـيرـاـ وـمـاـ يـضـلـ بـهـ الـأـفـاسـقـيـنـ الـذـيـنـ
ـيـقـنـونـ عـهـدـ اللـهـ مـنـ بـعـدـ مـيـشـاـقـهـ وـيـقـطـلـوـنـ مـاـ أـمـرـ اللـهـ بـهـ آـنـ يـوـصـلـ وـيـفـسـدـوـنـ فـيـ الـأـرـضـ
ـأـوـلـاـكـ هـمـ الـخـاسـرـوـنـ)ـ •ـ فـاـخـبـرـ تـعـالـيـ آـنـ الـقـرـآنـ سـبـ لـضـلـالـ هـذـاـ الصـنـفـ مـنـ النـاسـ وـهـوـ
ـهـدـاءـ الـذـىـ هـدـىـ بـهـ وـرـسـوـلـ وـعـادـةـ الـمـؤـمـنـ وـهـذـاـ أـخـبـرـ سـبـحـانـهـ آـنـ إـنـاـ يـهـنـدـيـ بـهـ مـنـ
ـالـبـعـدـ رـضـوانـ اللـهـ •ـ وـقـالـ تـعـالـيـ (ـوـاـذـاـ مـاـ لـزـلـتـ سـوـرـةـ فـتـهـ مـنـ يـقـولـ أـيـكـ زـادـهـ هـذـهـ
ـإـيـانـاـ فـاـمـاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ فـزـادـهـمـ إـيـانـاـ وـهـمـ يـسـتـشـرـوـنـ وـأـمـاـ الـذـيـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ فـزـادـهـمـ
ـرـجـسـاـ إـلـىـ رـجـسـهـمـ وـمـاتـواـ وـهـمـ كـافـرـوـنـ)ـ •ـ وـلـاـ نـيـ أـعـظـمـ فـسـادـاـ خـلـ الـعـلـمـ مـنـ صـيـرـورـهـ
ـبـحـثـ يـضـلـ بـهـ يـهـتـدـيـ بـهـ فـقـبـتـهـ إـلـىـ الـهـدـىـ وـالـعـلـمـ نـسـبـةـ الـفـمـ الـذـىـ قـدـ اـسـتـحـكـمـ فـيـهـ
ـالـمـرـأـةـ إـلـىـ الـمـاءـ الـعـذـبـ كـمـ قـبـلـ

وـمـنـ يـكـ ذـاـقـ مـرـ سـرـيـضـ •ـ يـجـدـ مـرـاـيـهـ الـمـاءـ الزـلـالـ

ـوـاـذـاـ فـسـدـ الـقـلـبـ فـسـدـ اـدـرـاـكـ وـاـذـاـ فـسـدـ الـقـلـمـ فـسـدـ اـدـرـاـكـ وـكـذـاكـ اـذـاـ فـسـدـ الـعـيـنـ
ـوـأـهـلـ الـمـعـرـفـةـ مـنـ الـصـيـادـفـ يـقـولـوـنـ آـنـ مـنـ خـافـ فـيـ نـقـدـهـ نـسـيـ الـقـدـ وـسـابـهـ فـاشـبـهـ عـلـيـهـ
ـالـخـالـصـ بـاـنـغـلـ •ـ وـمـنـ كـلـامـ بـعـضـ السـائـقـ الـعـلـمـ يـهـتـفـ بـالـعـلـمـ فـانـ أـجـابـهـ حـلـ وـالـأـرـجـلـ
ـوـقـالـ بـعـضـ السـائـقـ كـنـاـ نـسـبـيـنـ عـلـىـ حـفـظـ الـعـلـمـ بـالـعـلـمـ بـهـ فـتـرـكـ الـعـلـمـ بـالـعـلـمـ مـنـ أـقـوىـ
(ـ١٤ـ - مـفـتـاحـ أـوـلـ)

الأسباب في ذهابه ونسائه • وأيضاً فان العلم يراد للعمل فانه بعزلة الدليل للسائر فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلاته فنزل منزلة من لم يعلم شيئاً لأن من علم ولم يعمل بعزلة الجاهل الذي لا يعلم كما ان من ملك ذهباً وفضةً وجاع وعرى ولم يشتت مهتماً بكل ويليس فهو بعزلة الفقر العادم كما قيل

ومن ترك الانفاق عند احتياجه • مخافة فقر فالذى فعل الفقر (١)
والعرب تسمى الفحش والبذاء جهلاً أما لكونه نمرة الجهل فيسعى باسم سببه وهو وجهه
واما لأن الجهل يقال في جانب العلم والعمل قال الشاعر
ألا لا يجهل أحد علينا * فتجهل فوق جهل الجاهلين

ومن هذا قول موسى لقومه وقد قالوا (اخذنا هنوا قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين) فجعل الاستهزاء بالمؤمنين جهلاً ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف انه قال (والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكثن من الجاهلين) • ومن هذا قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ليس المراد اعراضه عنهم لا اعلم عنده فلا يعلمه ولا يرشده وإنما المراد اعراضه عن جهل من جهل عليه فلا يقارباه ولا يعاتبه • قال مقاتل وعروة والضحاك وغيرهم من نفسك عن مقابلتهم على سفههم وهذا كثير في كلامهم ومنه الحديث اذا كان صوم أحدكم فلا يصبح ولا يجهل ومن هذا تسمية المحسنة جهلاً • قال قتادة اجمع أصحاب محمد أن كل من عصى الله فهو جاهل وليس المراد أنه جاهل بالتحريم إذ لو كان جاهلاً لم يكن عاصياً فلا يترب الحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة على جاهل بالحرم بل نفس الذنب يسمى جهلاً وإن علم من تکه بغيريه أما انه لا يصدر الا عن ضعف العلم ونقصانه وذلك جهل فسمي باسم سببه وأما تزيلاً لاناعله منزلة الجاهل به • الثاني أنهم ماردوا الحق ورغبو عنه عوقبوا بالطبع والرين وساب العقل والفهم كما قال تعالى عن المتفقين (إذلوك باهتم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) • الثالث أن العلم الذي ينتفع به ويستانم التجاهة والغلاخ لم يكن حاصلاً لهم فساب عليهم حقيقته والثانية قد ينتفع لنفس نمرته والمراد منه • قال تعالى في ساكن النار (فإن له نار جهنم لا يعور فيها ولا يحيي) نفي الحياة لاستقاء، فائتها والمراد منها ويفقولون لام الامانة ولا علم الامانة • وهذا نفي عنهم سبحانه عن الكفار الامانة والابصار

(١) هكذا في الاصل والصواب

ومن ينفق الساءات في جمع ماله • مخافة فقر فالذى فعل الفقر

والعقل لما ينتفعوا بها . وقال تعالى (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً ما ألغى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله) وقال تعالى (ولقد ذرأنا عليهم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفتحون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها) ولما لم يحصل لهم الهدى المطلوب بهذه الحواس كانوا بمنزلة فاقديةها . قال تعالى (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) فالقلب يوصف بالبصر والمعنى والسمع والصم والنطق والبكير بل هذه له أصلاً وللعين والاذن والاسنان تبعاً فإذا عدمها القلب فصاحبها أعمى مفتوح العين أصم ولا آفة باذنه أبكم وإن كان فصيح اللسان . قال تعالى (فإنما لاتعني الإبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) فلا تناهى بين قيام الحججة بالعلم وبين سلبه ونفيه بالطبع والتحم والتقليل على قلوب من لا يعمل بوجب الحججة ويستقاد لها . قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً باستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يتفهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفوراً) . فاخبر سبحانه أنه منعهم فته كلامه وهو الأدراك الذي ينتفع به من فقهه ولم يكن ذلك مانعاً لهم من الأدراك الذي تقوم به الحججة عليهم فأنهم لو لم يفهموه جملة ما ولو على أدبارهم نفوراً عند ذكر توحيد الله فلما ولو عند ذكر التوحيد دل على أنهم كانوا يفهمون الخطاب وأن الذي غشى قلوبهم كالذى غشى آذانهم . ومعلوم أنهم لم يعدوا السمع جملة ويسيروا كالاصم . ولذلك ينسى سبحانه عنهم السمع تارة وينتهي أخرى قال الله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لا يسمعون) ومعلوم أنهم قد سمعوا القرآن وأمر الرسول بسماعهم إياه . وقال تعالى (وقالوا لو كانوا سمعوا الله فيه خيراً لا يسمعون به وهو فقه المعنى وعقله والا فقد سمعوا سمعاً تفوه به عليهم الحججة ولكن لما سمعوه مع شدة بغضه وكراهته ونفرتهم عنه لم يفهموه ولم يقلوه والرجل إذا اشتدت كراحته للكلام ونفرته عنه لم يفهم ما يراد به فينزل منزلة من لم يسمعه . قال تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يتصرون) إنما عنهم استطاعة السمع مع صحة حواسهم وسلامتها وإنما لغز بغضهم ونفرتهم عنه وعن كلامه صاروا بمنزلة من لا يستطيع أن يسمعه ولا يراه وهذا استعمال معروف لما خاصة والعامة يقولون لا أطيق أنظر إلى فلان ولا أستطيع أن اسمع كلامه من بغضه ونفرته عنه وبعض الجبرية يفتح بهذه الآية وتبهها على مذهبهم ولا دلالة فيها إذ ليس المراد سلام السمع والبصر الذي تقوم به الحججة قطعاً وإنما المراد سلام السمع الذي

يترتب عليه فائدته ونفعه والقدر حق ولكن الواجب تنزيل القرآن منازله ووضع الآيات مواضعها واتباع الحق حيث كان ومثل هذا اذا لم يحصل له فهم الخطاب لا يعذر بذلك لأن الآفة منه وهو بمنزلة من سد أذنيه عند الخطاب فلم يسمعه فلا يكون ذلك عذراً له • ومن هذا (قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) يعنيون أنهم في ترك القبول منه ومحبة الاستماع لما جاء به وإشار الآعراض عنه وشدة التفاف عنه بمنزلة من لا يعتقه ولا يسمعه ولا يبصر المخاطب لهم به فهذا هو الذي يقولون لا خلود في النار (ولو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهذا جعل ذلك مقدوراً لهم وذنبًاً أكتسبوا • فقال تعالى (فاعتربوا بذنبهم فسيحققاً لاصحاب السعير) والله تعالى يسقي تارة عن هؤلاء العقل والسمع والبصر فائمـا مدارك العلم وأسباب حصوله وتارة يسقي عـهم السمع والعـقل وتـارة يـسـقـي عـهم السـمعـ والـبـصـرـ وتـارة يـسـقـي عـهم العـقـلـ والـبـصـرـ وتـارة يـسـقـي عـهمـ وـحـدهـ فـنـيـ الـثـالـثـةـ نـقـيـ مـدـارـكـ الـعـلـمـ بـطـرـيـقـ الـمـطـابـقـةـ وـنـقـيـ بـعـدـهـاـ نـقـيـ لـهـ بـالـمـطـابـقـةـ وـالـآـخـرـ بـالـزـوـمـ فـاـنـ الـقـلـبـ اـذـاـ فـسـدـ السـمعـ وـالـبـصـرـ بـلـ أـصـلـ فـادـهـاـ مـنـ فـسـادـهـ وـاـذـاـ فـسـدـ السـمعـ وـالـبـصـرـ فـسـدـ الـقـلـبـ فـاـذـاـ اـعـرـضـ عـنـ سـعـ الحـقـ وـأـبغـضـ قـائـلـهـ بـحـيثـ لـاـ يـحـبـ رـوـيـتـهـ اـمـتـعـ وـصـولـ الـهـدـىـ إـلـىـ الـقـلـبـ فـسـدـ وـاـذـاـ فـسـدـ السـمعـ وـالـهـ قـلـ تـبـعـهـماـ فـسـادـ الـبـصـرـ فـكـلـ مـدـارـكـ مـنـ هـذـهـ يـصـحـ بـصـحةـ الـآـخـرـ وـفـسـدـ بـضـادـهـ • فـلـمـذـاـ يـجـبـ ،ـ فـيـ الـفـرـاتـ فـنـيـ ذـلـكـ صـرـيـحـاـ وـلـزـومـاـ • وـهـذـاـ التـفـصـيـلـ يـعـلـمـ اـتـفـاقـ الـاـدـلـةـ مـنـ اـجـانـيـنـ وـفـيـ اـسـتـدـلـالـ الطـاـعـةـ الثـانـيـةـ بـقـوـلـهـ (الـذـينـ آـتـيـاـهـمـ الـكـتـابـ يـعـرـفـونـ كـمـ يـعـرـفـونـ أـبـنـاهـمـ) وـنـظـاـرـهـاـ نـقـلـ فـاـنـ اللهـ تـعـالـيـ حـيـثـ قـالـ (الـذـينـ آـتـيـاـهـمـ الـكـتـابـ) لـمـ يـكـوـنـواـ الـامـدـوـحـيـنـ مـؤـمـنـيـنـ وـاـذـاـ أـرـادـ ذـمـهـمـ وـالـاخـبـارـ عـنـهـمـ بـالـعـنـادـ وـإـشـارـ الـضـالـلـ أـنـيـ يـغـفـلـ الـذـينـ أـتـوـاـ الـكـتـابـ مـبـيـنـاـ لـمـفـعـولـ فـلـاـ اـولـ كـفـوـلـهـ تـعـالـيـ (الـذـينـ آـتـيـاـهـمـ الـكـتـابـ مـنـ قـبـلـهـ هـمـ بـهـ يـؤـمـنـونـ وـاـذـاـ يـتـلـيـ عـلـيـهـمـ قـالـوـاـ آـمـنـاـ بـهـ اـنـهـ اـلـحـقـ مـنـ رـبـنـاـ إـنـاـ كـنـاـ مـنـ قـبـلـهـ مـسـلـمـيـنـ أـوـلـئـكـ يـؤـتـونـ أـجـرـهـمـ مـرـتـبـيـنـ بـاـصـرـهـ وـاـ)ـ الـآـيـاتـ وـكـفـوـلـهـ تـعـالـيـ (أـفـقـيـرـ اللهـ اـسـتـغـيـ حـكـمـاـ وـهـوـ الـذـيـ أـنـزـلـ إـلـيـكـمـ الـكـتـابـ مـفـصـلاـ وـالـذـينـ آـتـيـاـهـمـ الـكـتـابـ يـعـلـمـونـ اـنـهـ مـنـزـلـ مـنـ رـبـكـ بـالـحـقـ فـلـاـ تـكـوـنـ مـنـ الـعـزـرـيـنـ)ـ فـهـذـاـقـ مـدـحـيـهـ وـالـاسـتـشـهـادـ بـهـمـ لـيـسـ فـيـ سـيـاقـ ذـمـهـمـ وـالـاخـبـارـ بـعـنـادـهـمـ وـجـحـودـهـمـ كـمـ اـسـتـشـهـدـهـمـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ (قـلـ كـفـيـ بـالـهـ شـهـيدـاـ بـيـهـ وـيـسـكـ وـمـنـ عـنـدـهـ شـمـ الـكـتـابـ)ـ وـفـيـ قـوـلـهـ (فـاسـأـلـوـاـ أـهـلـ الـذـكـرـ إـنـ كـمـ لـاـ تـعـلـمـونـ)ـ وـقـالـ تـعـالـيـ (الـذـينـ آـتـيـاـهـمـ الـكـتـابـ يـتـأـوـلـهـ حـقـ تـلـاوـهـ أـوـلـئـكـ يـؤـمـنـوـنـ بـهـ وـمـنـ يـكـفـرـ بـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـخـاسـرـوـنـ)ـ وـاـخـتـافـ فـيـ النـسـيـبـ فـيـ

بتلوكه حق تلاوته فقيل هو ضمير الكتاب الذي أتواه قال ابن مسعود يخلون حاله
 ويحرمون حرامه ويقرؤنه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه قالوا وأزلت في مؤمني أهل
 الكتاب وقبل هذا وصف لاميين والضمير في بتلوكه للكتاب الذي هو القرآن وهذا
 بعيد اذ عرف القرآن يأبه ولا يرد على ما ذكرنا قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب
 يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فرقاً منهم ليكتسون الحق وهم يعلمون) بل هذا حجة
 لنا أيضاً لما ذكرنا فإنه أخبر في الأول عن معرفتهم برسوله صلى الله عليه وسلم ودينه وقباته
 كما يعرفون أبناءهم استشهاداً بهم على من كفرو شأنه عليهم وهذا ذكر المفسرون أنهم
 عبد الله بن سلام وأصحابه وشخص في آخر الآية بالذم طاغة منهم فدل على أن الأولين غير
 مذمومين وكونهم دخلوا في جملة الأولين بل فقط المضر لا يوجب أن يقال آتيناهم الكتاب
 عدد الاطلاق فأنهم دخلوا في هذا الافتراض ضمداً وتبعاً فلا يلزم تساوا لهم قصداً و اختياراً .
 وقال تعالى في سورة الانعام (قل أئنكم لتشهدون أن مع الله آلة أخرى قل لا أشهد
 قال إنما هو إله واحد وإنى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
 أبناءهم) قيل الرسول وصدقه وقيل المذكور هو التوحيد والقولان متلازمان إذ ذلك في
 معرض الاستشهاد والاحتجاج على المشركين لافي معرض ذم الذين آتيناهم الكتاب فان
 السورة مكية والمحاجج كان فيها مجمع أهل الشرك والسياق يدل على الاحتجاج لاذم المذكورين
 من أهل الكتاب . وأما الثاني فكقوله (وان الذين أتوا الكتاب يعلمون أنه الحق
 من ربهم وما الله يغافل عما يعملون ولئن أثبت الدين أتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا
 قبلك) فهذا شهادته سبحانه للذين أتوا الكتاب . وال一秒 شهادته للذين آتيناهم الكتاب
 بلهم يؤمدون . وقال تعالى (يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم
 من قبل أن نطمس وجوهنا فنردها على أدبارها) وقال تعالى (وقل للذين أتوا الكتاب
 والاميين أسلمتم) وهذا خطاب لم يسلم منهم والا فلم يؤمنوا الله عليه وسلم أن يقول
 هذا لمن أسلم منهم وصدق به وطندا لا يذكر سبحانه الدين أتوا نصيباً من الكتاب الا بالذم
 أيضاً كقوله (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلاله ويريدون
 الآية . وقال تعالى (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلاله ويريدون
 أن تضلوا السبيل) . وقال (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب
 الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) فالآقسام أربعة الذين آتيناهم
 الكتاب وهذا لا يذكره سبحانه الا في معرض المدح والذين أتوا نصيباً من الكتاب
 لا يكون قط الا في معرض الذم والذين أتوا الكتاب أعم منه فإنه قد يتناولهما ولكن

لا يفرد به المدحون فقط وأهل الكتاب بع الجنس كله ويتناول المدحون منه والمذموم
كقوله (من أهل الكتاب أمة قاتلة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسبدون يوم منون
باليه واليوم الآخر) الآية . وقال في النم (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركون منافقين) وهذا الفصل ينفع به جداً في أكبر مسائل أصول الإسلام وهي
مسألة الإيمان واختلاف أهل القيادة فيه وقد ذكرنا فيه تكتاً حساناً يتضمن بها الحق في
المسألة والله أعلم . الوجه الثاني والثانون ان الله سبحانه فاوت بين النوع الانساني أعظم
تفاوت يكمن بين الخلقين فلا يعرف انسان من نوع واحد بينما من التفاوت ما يم خير
البشر وشرهم والله سبحانه خلق الملائكة عقولاً بلا شهوات وخلق الحيوانات ذوات
شهوات بلا عقول وخلق الانسان من كذا من عقل وشهوة فمن غاب عقله شهوته كان
خيراً من الملائكة ومن غابت شهوته عقله كان شراً من الحيوانات وفاوت سبحانه بهم
في العلم بجعل عالمهم معلم الملائكة . كما قال تعالى (يا آدم أبئهم بأسمائهم) وتلك مرتبة
لامرتبة فوقها وجعل جاهلهم بمحبت لا يرضى الشيطان به ولا يصالح له كما قال الشيطان
جاهلهم الذي أطاعه في الكفر انى برىء منك و قال لهم الذين عصوا رسوله انى
برىء منكم فلله ما أنتد هذا التفاوت بين شخصين احدهما تسجد له الملائكة ويعملها بما
الله عالمه والاخر لا يرضى الشيطان به ولها وهذا التفاوت العظيم انا حصل بالعلم ونمره ولو لم
يكن في العلم الا القرب من رب العالمين والاتحقق بعلم الملائكة وصحبة الملائكة الاعلى لكنى
به فضلاً وشرفاً فكيف وعن الدنيا والآخرة منوط به ومشروط بحصوله . الوجه
الثالث والثانون ان أشرف ما في الانسان محل العلم منه وهو قلبه وسمعه وبصره . ولما
كان القلب هو محل العلم والسمع رسله الذي يأيه به والعين طاعته كان ملكاً على سائر
الاعضاء يأمرها فتتأمر لأمره ويصرفها فتقناد له طائعة بما يخص به من العلم دونها فلذلك
كان ملكها والمعطاع فيها وهكذا العالم في الناس كالقلب في الاعضاء . ولما كان صلاح
الاعضاء بصلاح ملكها ومعطاعها وفسادها بفساده كانت هذه حال الناس مع علمائهم
وملوكهم . كما قال بعض السلف صنفان اذا صالحَا صاحباً صاحب سائر الناس و اذا فسدَا فسدَ
سائر الناس العامة والامراء . قال عبد الله بن المبارك

وعل أفسد الدين الالمو لـ واجبار سوء ورهبها

ولما كان لا سمع والبصر من الادراك ما ليس لغيرها من الاعضاء كانوا في أشرف جزء من
الانسان وهو وجهه وكما من أفضل ما في الانسان من الاجزاء والاعضاء والمنافع .
واختلف في الافضل منها فقالت طائفة منهم أبو المعالى وغيره السمع أفضل قالوا الان به

تناول سعادة الدنيا والآخرة فلأنها تتحقق بمتابعة الرسل وقبول رسالاتهم وبالسمع عزف ذلك فان من لا يسمع له لا يعلم ماجاؤه • وأيضاً فان السمع يدرك به أجل شيء وأفضلاته وهو كلام الله تعالى الذي فضله على الكلام كفضل الله على خلقه • وأيضاً فان العلوم إنما تناول بالتفاهم والتخطاب ولا يحصل ذلك إلا بالسمع • وأيضاً فان مدركه أعم من مدرك البصر فإنه يدرك الكلمات والجزئيات والشاهد والغائب والموجود والمعدوم والبصر لا يدرك إلا بعض المشاهدات والسمع يسمع كل علم فain أحدتها من الآخر ولو فرضنا شخصين أحدتها يسمع كلام الرسول ولا يرى شخصه والآخر يصير يراه ولا يسمع كلامه لصعوبته هل كانا سواء • وأيضاً فقد البصر إنما يفقد ادراكه بعض الامور الجزئية المشاهدة ويمكّنه معرفتها بالصفة ولو تقريباً وأما فقد السمع فالذى فاته من العلم لا يمكن حصوله بمحاسنة البصر ولو قريراً • وأيضاً فان ذم الله تعالى للكافار بعدم السمع في القرآن أكثر من ذمه لهم بعدم البصر بل إنما يذمهم بعدم البصر تبعاً لعدم العقل والسمع • وأيضاً فان الذي يورده السمع على القلب من العلوم لا يتحقق فيه كلال ولا سامة ولا تعب مع كثرة وعظمه والذي يورده البصر عليه يتحقق فيه الكلال والضعف والتقصص وربما خشي صاحبه على ذهابه مع قلبه وزارته بالنسبة إلى السمع • وقالت طائفة منهم ابن قتيبة بن البصر أفضلي فان أعلى النعم وأفضليه واعظمه لذاته هو النظر إلى الله في الدار الآخرة وهذا إنما ينال بالبصر وهذه وحدتها كافية في تفضيله • قالوا وهو مقدمة القلب وطليعته ورائدته فنزلته منه أقرب من منزلة السمع وهذا كثيراً ما يقرن بهما في الذكر قوله (فاعتبروا بأولي الأ بصار) فلا اعتبار بالقلب والبصر بالعيون • وقال تعالى (ونغلب أفضليتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) ولم يقل وأسباعهم • وقال تعالى (فإنما لأنعمي الأ بصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (قلوب يومئذ واجفة أبصارها خائفة) وقال تعالى (يعلم خائنة الأ عين وما تخفي الصدور) وقال في حق رسوله (ما كذب الفؤاد مارأى) نعم قال (ما زاغ البصر وما طغى) وهذا يدل على شدة الوصلة والارتباط بين القلب والبصر وهذا يقرأ الإنسان ما في قلب الآخر من عينه وهذا كثير في كلام الناس لفهم ونثره وهو أكثر من أن نذكره هنا • ولما كان القلب أشرف الأعضاء كان أشدتها ارتباطاً به وأشرف من غيره • قالوا وهذا يأْتُه القلب مالا يأتُن السمع عليه بل اذا ارتتاب من جهة عرض ما يأتُه به على البصر ليزكيه أم يرده فالبصر حاكم عليه مؤمن عليه • قالوا ومن هذا الحديث الذي رووه أَحْمَد في مستذه مرفوعاً ليس الخبر كالمعابر • قالوا وهذا أخبر الله سبحانه موسى ان

قومه افتقروا من بعده وعبدوا العجل فلم يلحقوه في ذلك ماحقه عند رؤية ذلك ومعاينته من إقام الألواح وكسرها لفوت المعاينة على الخبر . قالوا وهذا ابراهيم خليل الله يسأل رباه أن يربه كيف يحيي الموت وقد علم ذلك بخبر الله له ولكن طاب أفضل المنازل وهي طمأنينة القلب . قالوا ولما يقين نلات صرات أو لها لاسمع ونانيا لاعين^(١) وهي المدحاء بعين اليقين وهي أفضل من المرتبة الأولى وأكمل . قالوا وأيضا فالبصر يؤدي الى القلب ويؤدي عما في العين مرآت القلب يظهر فيها ما يحبه من الحب والبغض والموالاة والمعاداة والمرور والحزن وغيرها . وأما الأذن فلا تؤدي عن القلب شيئاً ثبتاً واما من ت بها الارسال اليه حسب فالعين أشد تعلقاً به . والصواب ان كل مما له خاصية فضل بها الاخر فالمدرك بالسمع أعم وأشمل والمدرك بالبصر أتم وأكمل فالسمع له العموم والشمول والبصر له الظهور والثبات وكذا الادراك وأما نعم أهل الجنة فشيئان . أحدهما النظر الى الله . والثاني سمع خطابه وكلامه كارواه عبد الله بن احمد في المسند وغيره كأن الناس يوم القيمة لم يسمعوا القرآن اذا سعوه من الرحمن عزوجل . ومعلوم ان سلامه عليهم وخطابه لهم ومحاضرته ايامهم كما في الترمذى وغيره لا يشبهها شيء قط ولا يكون أطيب عندهم منها وهذا يذكر سبحانه في وعيه أعداته انه لا يكلهم كما يذكر اجيجهاته عنهم ولا يرونه فكلامه أعلى نعم أهل الجنة والله أعلم . الوجه الرابع والخاتدون ان الله سبحانه في القرآن يعدد على عباده من نعمه عليهم أن اعطائهم آلات العلم فيذكر الفؤاد والسمع والأ بصار ومرة يذكر الانسان الذي يتترجم عن القلب . فقال تعالى في سورة النم وهي سورة الفصل التي ذكر فيها أصول النعم وفروعها ومتماماتها ومكماليتها فعدد نعمه فيها على عباده وتعرف بها اليهم واقتضاهم شكرها وأخبر أنه يحبها عليهم ليعرفوها ويذكرها ويشكرها فأولها في أصول النعم وآخرها في مكماليتها . قال تعالى (ولله آخر حكم من يطون أمها لكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأ بصار والأ فؤاد لعدكم تشكون) فذكر سبحانه نعمته عليهم بأن آخر جهنم لا علم لهم من اعطائهم الاسماع والأ بصار والأ فؤاد التي نالوا بها من العلم ، والثانية وأنه فعل بهم ذلك ليشكرون . وقال تعالى (وجعلنا لهم سمعاً وأ بصاراً وأ فؤاد هما أثني عشر عملاً سمعهم ولا أ بصارهم ولا أ فؤادهم من شيء) وقال تعالى (ألم يجعل له عينين ولساناً وشفتين وهدى شاء التجدين) فذكر هنا العينين التي يبصر بها فيعلم المشاهدات وذكر هداية التجدين وهو طريقها الخير والشر وفي ذلك

(١) هكذا في الاصل بدون ان يذكر المرتبة الثالثة

الحديث مرفوع ومرسل وهو قول أكثـر المفسـرين ويدلـ علىـ الآيةـ الآخـرىـ (إـنـاـ هـدـيـتـاهـ السـبـيلـ إـمـاـ شـاكـراـ إـمـاـ كـفـورـاـ)ـ والـهـدـيـةـ تـكـوـنـ بـالـقـلـبـ وـالـسـمـعـ فـقـدـ دـخـلـ السـمـعـ فـذـكـرـ لـزـوـماـ وـذـكـرـ الـلـاسـانـ وـالـشـفـقـيـنـ الـلـتـيـنـ هـاـ آـلـةـ التـعـلـيمـ فـذـكـرـ آـلـاتـ الـعـلـمـ وـالـتـعـلـيمـ وـجـعـاـهـاـ مـنـ آـيـاتـ الـدـالـلـةـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ قـدـرـتـهـ وـوـحـدـائـتـهـ وـنـعـمـهـ الـقـىـ تـعـرـفـ بـهـاـ إـلـىـ عـادـهـ وـلـمـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ الـلـلـاـنـةـ الـقـىـ هـيـ أـشـرـفـ الـأـعـضـاءـ وـمـلـوـكـهاـ وـالـمـتـصـرـفـفـهـاـ وـالـحـاـكـمـ عـلـيـهـاـ خـصـصـهـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ بـالـذـكـرـ فـيـ السـوـالـ عـنـهـاـ مـقـالـ (إـنـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـفـؤـادـ كـلـ أـوـلـاثـ كـانـ عـنـهـ مـسـوـلاـ)ـ فـسـعـادـةـ الـإـنـسـانـ بـصـحـةـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ الـلـلـاـنـةـ وـشـقاـوـةـ بـضـادـهـ مـقـالـ اـبـنـ عـبـاسـ يـسـأـلـ اللـهـ الـعـبـادـ فـيـاـ استـعـمـلـوـاـ هـذـهـ الـلـلـاـنـةـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـفـؤـادـ وـالـعـالـةـ تـعـالـىـ أـعـطـيـ الـعـبـدـ السـمـعـ لـيـسـعـ بـهـ أـوـامـرـ رـبـهـ وـنـوـاهـيـ وـعـهـودـهـ وـالـقـلـبـ يـعـقـلـهـاـ وـيـقـهـيـهـاـ وـالـبـصـرـ لـيـرـىـ آـيـاتـ الـدـالـلـةـ فـيـسـتـدـلـ بـهـاـ عـلـىـ وـحـدـائـتـهـ وـوـرـوبـتـهـ فـالـقـصـودـ بـاعـطـاـهـ هـذـهـ الـأـلـاتـ الـعـلـمـ وـنـعـرـتـهـ وـمـقـضـيـاهـ مـوـلـيـهـ الـخـامـسـ وـالـثـانـيـونـ اـنـ أـنـوـاعـ السـعـادـةـ الـتـيـ توـزـرـهـاـ النـفـوسـ ثـلـاثـةـ سـعـادـةـ خـارـجـيـةـ عـنـ ذـاتـ الـإـنـسـانـ بـلـ هـيـ مـسـتـعـارـةـ لـهـ مـنـ غـيرـهـ تـزـولـ بـاستـرـدـادـ الـعـارـيـةـ وـهـيـ سـعـادـةـ الـمـالـ وـالـحـيـاةـ فـيـنـاـ الـمـرـءـ بـهـ سـعـيـداـ مـلـحـوـنـاـ بـالـعـيـانـ مـوـمـوقـاـ بـالـأـبـصـارـ اـذـ أـصـبـحـ فـيـ الـيـوـمـ الـواـحـدـ أـذـلـ مـنـ وـتـدـ بـقـاعـ بـشـجـ رـأـسـ بـالـفـهـرـ وـاجـيـ فـالـسـعـادـةـ وـالـفـرـجـ هـذـهـ كـفـرـ الـأـقـرـعـ بـجـمـيـعـ اـبـنـ عـمـهـ وـالـجـمـالـ بـهـ كـجـمـالـ الـمـرـءـ بـثـيـابـهـ وـبـزـيـتـهـ فـاـذـاـ جـاـوـزـ بـصـرـكـ كـوـتـهـ فـاـلـيـسـ وـرـاءـ عـبـادـانـ قـرـيـةـ مـوـيـحـيـ عـنـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ اـنـ رـكـبـ مـعـ تـجـارـ فـيـ مـرـكـ فـاـنـكـرـتـ بـهـمـ السـفـيـنـةـ فـاـصـبـحـوـاـ بـعـدـ عـنـ الـقـفـيـ فـيـ ذـلـ الـفـقـرـ وـوـسـلـ الـعـالـمـاـلـ الـبـلـدـ فـاـ كـرـمـ وـقـصـدـ بـأـنـوـاعـ الـتـحـفـ وـالـكـرـامـاتـ فـلـمـ أـرـادـوـاـ الرـجـوـعـ إـلـىـ بـلـادـهـمـ قـالـوـاـ لـهـ هـلـ تـكـنـ إـلـىـ قـوـمـكـ كـتـابـ أـوـ حـاجـةـ فـقـالـ نـعـ تـقـولـوـنـ لـهـمـ إـذـاـ اـخـذـتـمـ مـاـ لـأـيـفـرـقـ إـذـاـ اـنـكـرـتـ السـفـيـنـةـ فـاـخـذـوـاـ الـعـلـمـ تـجـارـةـ مـوـجـمـعـ رـجـلـ ذـوـ هـبـةـ حـسـنـةـ وـلـبـاسـ جـيـلـ وـرـاءـ بـرـجـ عـلـمـ شـيـسـ الـخـاصـةـ فـلـمـ يـرـ شـيـئـاـ فـتـالـوـاـ كـيفـ رـأـيـهـ فـقـالـ رـأـيـهـ دـارـاـ حـسـنـةـ مـزـخرـفـةـ وـلـكـنـ لـيـسـ بـهـ سـاـكـنـ مـسـعـادـةـ الـثـانـيـةـ سـعـادـةـ فـيـ جـسـمـهـ وـبـدـنـهـ كـصـحـةـ وـاعـتـدـالـ مـزـاجـهـ وـنـاسـبـ اـعـضـاءـهـ وـجـسـنـ تـرـكـيـهـ وـسـفـافـلـوـنـهـ وـقـوـةـ اـعـضـاءـهـ فـهـذـهـ الصـفـقـ بـهـ مـنـ الـأـوـلـيـ وـلـكـنـ هـيـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ خـارـجـةـ عـنـ ذـاـهـ وـحـقـيقـتـهـ فـاـنـ الـإـنـسـانـ اـنـسـانـ بـرـوـحـ وـقـابـهـ لـاـجـسـمـهـ وـبـدـنـهـ مـكـافـيـهـ

يـاـخـادـمـ الـجـسـمـ كـيـ يـشـقـيـ بـخـدمـتـهـ * فـاـنـتـ بـالـرـوـحـ لـاـبـاطـمـ اـنـسـانـ (١)

(١) هـكـذـاـ بـالـأـصـلـ وـالـبـيـتـ مـقـضـيـبـ مـنـ بـيـتـينـ وـهـاـ

فتبنة هذه الى روحه وقلبه كتبة ثيابه ولباسه الى بدنه فان البدن أيضاً عارية للروح
وآلة لها ومركب من مراكبها فسعادة بصحتها وجماله وحسن سعادة خارجة عن ذاتها
ـ وحقيقتها ـ السعادة الثالثة هي السعادة الحقيقية وهي سعادة نفسانية روحية قلبية وهي
سعادة العلم النافع وثمره ذاتها هي الباقي على تقلب الاحوال والمحاكمة للعبد في جميع
أسفاره وفي دوره الثالثة أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وبها يترقى معارج
الفضل ودرجات الكمال ـ أما الاولى فذاتها تصبح في القمة التي فيها ماله وجاهه
ـ والثانية تعرّضه لازوال والتبدل بعكس الخلق والرد الى الضعف فلا سعادة في
الحقيقة الا في هذه الثالثة التي كما طال الامد ازدادت قوّة وعلوّاً واذا عدم المال والجاه
فهي مال العبد وجاهه وتظاهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن اذا انقطعت
السعادات الاولىتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبحث على طلبها الا العلم بها فعادت
السعادة كلها الى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لامانع لما اعطي ولا معنى لما منع
ـ واما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها وعوره طريقها ومرارة
مبادئها وتعب تحصيلها وانما لاتزال الا على جد من التعب فذاتها لا تحصل الا بالجد الممض
ـ بخلاف الاولىين فانهما حظ قد يحوزه غير طالبه وبخت قد يحوزه غير جالبه من ميراث
او هبة او غير ذلك ـ وأما سعادة العلم فلا يورنك إليها الا ببذل الوسع وصدق الطلب
ومصححة النية ـ وقد أحسن الفائل في ذلك

فقل لمرجي معالي الامور * بغير اجتهد رجوت الحالا

﴿وَقَالَ الْآخِرُ﴾

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفتر والاقدام قتل

ومن طمحت هته الى الامور العالية فواجع عليه ان يشد على عبة الطرق الدينية وهي
السعادة وان كانت في ابتدائها لافتة عن ضرب من المشقة والكره والتاذى وانما متي
ـ اكرهت النفس عليها وساقط طائعة وكارهه اليها وصبرت على لا وانها وشدت افاض
ـ منها الى رياض موافقه مقاعد صدق ومقام كريم تجد كل لذة دونها لعب الصبي بالعصفور
ـ بالنسبة الى لذات الملوك فينند حال صاحبها كما قيل

ـ وكانت أرى أن قدستها في المهوى * الى غاية ما يبعدها لي مذهب

ـ ياخذم الجسم كي يشقى بخدمته * أطلب الربيع ما فيه خسران
ـ انقض الى الروح واستكمل فضائلها * فانت بالروح لا بالجسم انسان

فَلَمَا تَلَاقَنَا وَعَانِتْ حَسْنَاهُ • تَيقَّنْتُ أَنِّي أَنَا كُنْتُ أَعْبَرُ
فَالْمَكَارِمُ مِنْوَطَةُ الْمَكَارِهِ وَالسَّعَادَةُ لَا يَعْبُرُ إِلَيْهَا إِلَّا عَلَى جَسْرِ الْمُشَفَّةِ فَلَا تَقْطَعُ مَسَافَتَهَا إِلَّا
فِي سَفَيْرِ الْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ • قَالَ مُسْلِمٌ فِي حِجَّبِهِ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ لِأَيْنَالِ الْعِلْمِ بِرَاحَةِ
الْجَسْمِ • وَقَدْ قِيلَ مِنْ طَالِبِ الرَّاحَةِ تَرْكُ الرَّاحَةِ
فِي اِوْصَلِ الْحَيْبِ أَمَا إِلَيْهِ * بِغَيْرِ مُشَفَّةِ أَبْدًا طَرِيقَ

وَلَوْلَا جَهَلَ الْأَكْثَرُونَ بِمُخَالَوَةِ هَذِهِ الْمَذَذَةِ وَعَظَمِ قَدْرِهَا لِتَجَالِدُوا عَلَيْهَا بِالْبَيْوَفِ وَلَكِنْ
حَفَتْ بِحِجَابِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ وَحَجَبُوهَا عَنْهَا بِحِجَابِهِ مِنَ الْجَهَلِ لِيَخْتَصُ اللَّهُ هُنَّ مِنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ • الْوَجْهُ السَّادِسُ وَالْخَامُونُ انَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْمُوْجُودَاتِ
وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا كَلَّا يَخْتَصُ بِهِ هُوَ غَايَةُ شَرْفِهِ فَإِذَا دُمِّرَ كَالَّهُ أَنْتَلَ إِلَى الرَّتَبَةِ الَّتِي
دُونَهُ وَاسْتَعْمَلَ فِيهَا فَكَانَ اسْتَعْمَالُهُ فِيهَا كَالْأُمْتَالِ فَإِذَا دُمِّرَ تَلَكَ أَيْضًا نَقْلَ إِلَى مَادَوْنَهَا
وَلَا تَعْطُلُ وَهَكُنَا أَبْدًا حَتَّى إِذَا دُمِّرَ كُلُّ فَضْيَلَةٍ صَارَ كَالْشُوكِ وَكَالْحَطَبِ الَّذِي لَا يَصْاحِ
إِلَّا لِأَوْقُودِ فَالْفَرَسِ إِذَا كَانَتْ فِيهِ فَرُوسِيَّتِهِ التَّامَةُ أَعْدَمَ لِمَرَاكِبِ الْمُلُوكِ وَأَكْرَامِ مَنْهُ
فَإِذَا نَزَلَ عَنْهَا قَبْلًا أَعْدَمَ لِمَنْ دُونَ الْمَلَكِ فَإِنْ ازْدَادَ تَقْصِيرَهُ فِيهَا أَعْدَمَ لِآحَادِ الْأَجْنَادِ فَإِنْ
تَقْاصَرَ عَنْهَا جَمِيعَهُ اسْتَعْمَلَ الْحَمَارُ أَمَا حَوْلَ الْمَدَارِ وَأَمَّا نَقْلَ الزَّبَلِ وَنَحْوَهُ فَإِنْ دُمِّرَ
ذَلِكَ اسْتَعْمَلَ الْأَغْنَامُ لِلْذَّبَحِ وَالْأَعْدَامِ • كَمَا يَقَالُ فِي الْمَثَلِ إِنْ فَرَسِيَنِ التَّقْبَا
أَحَدُهُمَا نَحْتَ مَلَكٍ وَالْآخَرُ نَحْتَ الرَّوَايَا فَقَالَ فَرَسُ الْمَلَكِ أَمَا أَنْتَ صَاحِبِي وَكُنْتُ أَنَا
وَأَنْتَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ هُنَّ الَّذِي نَزَلَ بِكَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَقَالَ مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّكَ هَلْمَاجِتَ
قَبْلًا وَتَكَبَّعْتَ أَنَا • وَهَكُنَا السَّيفُ إِذَا نَبَأَ عَمَّا هِيَ لَهُ وَلَمْ يَصْاحِ لَهُ ضَرْبٌ مِنْهُ فَإِنْ
أُوْ منْشَارٍ وَنَحْوَهُ وَهَكُنَا الدَّوْرُ الْعَظَمُ الْحَمَارُ إِذَا خَرَبَتْ وَتَهَدَّمَتْ أَنْجَزَتْ حَظَائِرُ الْلَّغْمَ
أَوْ الْأَبْلَلِ وَغَيْرَهَا • وَهَكُنَا الْأَدْمِيُّ إِذَا كَانَ صَالِحًا لِاِصْطَفَاءِ اللَّهِ لَهُ بِرْسَالَهُ وَنَبْوَتَهُ أَنْجَزَهُ
وَسُولًا وَنَبِيًّا • كَمَا قَالَ تَعَالَى (اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ زَسَالَهُ) فَإِذَا كَانَ جَوْهَرَهُ قَاصِرًا عَنْ هَذِهِ
الْدَّرْجَةِ صَالِحًا لِخَلَافَةِ النَّبُوَةِ وَمِنْ أَنْهَا رَسْحَجَهُ لِذَلِكَ وَبَلَغَهُ إِلَيَّهِ فَإِذَا كَانَ قَاصِرًا عَنْ ذَلِكَ
قَابِلًا لِدَرْجَةِ الْوَلَايَةِ رَسَحَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ يُصْلَحُ لِالْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَةِ دُونَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ
جَعَلَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى إِلَيَّهِ الْدَّرْجَةُ عُومَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ تَفَسَّ عنْ هَذِهِ الدَّرْجَةِ وَلَمْ يَكُنْ
نَفْسَهُ قَابِلَةً لِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ أَصْلًا اسْتَعْمَلَ حَطَبًا وَوَقْدًا لِلنَّارِ • وَفِي أُثْرِ إِسْرَائِيلِيِّ إِنَّ
مُوسَى سَأَلَ رَبِّهِ عَنْ شَأْنٍ مِنْ يَعْذِبِهِمْ مِنْ خَلْفِهِ • فَقَالَ يَامُوسَى ازْرَعْ زَرْعاً فَزَرَعَهُ فَأَوْحَى
إِلَيْهِ أَنْ احْصِدَهُ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ اسْفَهَ وَذَرَهُ فَنَعَلَ وَخَاصَ الْحَبْ وَحْدَهُ وَالْعِيدَانُ
وَالْعَصْفُ وَجَدَهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنِّي لَأَجْعَلَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعِبَادِ مِنْ لَآخِرِ فِيهِ بَرْزَلَةُ الْعِيدَانِ

والشوك التي لا يصلح إلا النار . وهكذا الإنسان يترقى في درجات الكمال درجة بعد درجة حتى يصل إلى نهاية مثاله منها فكم بين حاله في أول كونه نطفة وبين حاله والرب يعلم عليه في داره وينظر إلى وجهه بكرة وعشياً . والذى صلى الله عليه وسلم في أول أمره لما جاءه الملك فقال له أقرأ فقال ما أنا بقاري . وفي آخره أمره يقول الله له (اليوم أكمت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي) ويقول له خاصة (وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمت مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا) . وحيث أن جماعة من الناس قد تحدنا فيها بغيرهم فقال قائل منهم ما أفلع عقول المسلمين بزعمون أن نبيهم كان راعي الغنم فكيف يصلح راعي الغنم للنبوة . فقال له آخر من بينهم أمهامه قوله أعقل منا كان الله بحكمته يستر عن النبي الحيوان الريح فإذا أحسن رعايته والقيام عليه فهو منه إلى رعاية الحيوان الناطق حكمة من الله وتدريجًا لعبده ولكن من حيث اتى مولود خرج من امرأة ياكل ويشرب ويبول ويبيكى فتناهيا هذا إلينا الذي خلق السموات والأرض فامسك القوم عنه . فكيف يحسن بذلك همة قد أراوح الله عنه عليه وعرفه السعادة والشقاوة أن يرضى بأن يكون حيواناً وقد أمكنه أن يصير إنساناً وبأن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً وبأن يكون ملكاً وقد أمكنه أن يكون ملكاً في متعدد صدق عند ملائكة مقتدر فتقوم الملائكة في خدمته وتدخل عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فهم عقى الدار . وهذا الكمال إنما يتأتى بالعلم ورعايته والقيام بوجهه فعاد الامر إلى العلم ونوره والله تعالى الموفق . وأعظم النقص وأشد الحسرة نقص القادر على الخاتم وحرسته على تقويته . كما قال بعض السلف إذا كبرت طرق الخير كان الخارج منها أشد حسرة . وصدق القائل

ولم أرقى عبوب الناس عيًّا * كفنتهم القادرين على التمام

فثبت أنه لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلاً عن الفضائل الدينية والعلوم النافعة والآعمال الصالحة فلن كان كذلك فهو من الهيج الرعاع الذين يقدرون الماء وينغلون الأسعار إن عاش عاش غير حميد وإن مات مات غير فقير فقد لهم راحة للبلاد والعباد ولا ينكى عليهم الماء ولا تستوحش لهم الغراء . الوجه السابع والثمانون أن القلب يعترضه مرض يتواردان عليه إذا استحکما فيه كان هلاكه وهو موتة وهو مرض الشهوات ومرض الشهوات هذان أصل داء الأخلاق إلا من عافاه الله . وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه . أما مرض الشهوات وهو أصعبهما وأقلهما المقرب ففي قوله في حق المنافقين (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) قوله (وليتهم الذين في قلوبهم مرض والكافرون

هذا أراد الله بهذا مثلاً) • وقال تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والفاشية قلوبهم) • فهذه ثلاثة مواضع المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشدة • وأما مرض الشهوة ففي قوله (يأنسَهُ الْمُرِّدُ لِتَنَكِّحَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ تَقِنَ فَلَا تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ فَيُطْعِمَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ) أي لأن الناس في الكلام في ياعم الذي في قلبه حبور وزراء • قالوا والمرأة ينبغي لها إذا خاطبت الآيات أن تغافل كلامها وتقويه ولا تلينه وتكسره فإن ذلك أبعد من الريبة والعلم فيها وللقلب أمراض أخرى من الرياء والكبر والعجب والحسد والغدر والخيال وحب الرياسة والعلو في الأرض وهذا المرض مركب من مرض الشدة والشهوة فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وارادة باطلة كالعجب والغدر والخيال والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شدة أو مركب منها • وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواءها العلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صاحب الشجاعة الذي افتوه بالغسل فات قتلوا فتاهم الله إلا سألاً إذ لم يعلموا إنما شفاءه في السؤال سبعل الهي وهو عي القلب عن العلم والسان عن التعاقب به مرضًا وشفاؤه سؤال العلماء فأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان لأن غاية مرض البدن أن يضفي بصاحبه إلى الموت • وأما مرض القلب فيضفي بصاحبه إلى الشقاء الابدي لاشفاء هذا المرض إلا بالعلم وهذا سبب الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور • وقال تعالى (يأيها الناس قد جاءكم موعدة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) • وهذا السبب نسبة العلماء إلى القلوب كنسبة الأطباء إلى الأبدان وما يقال للعلماء أطباء القلوب فهو لقد ر بما جامع بينهما والا فالامر أعظم فان كثيراً من الأم يستغنون عن الأطباء ولا يوجد الأطباء إلا في اليسير من البلاد وقد يعيش الرجل عمره أو يربه منه لا يحتاج إلى طبيب • وأما العلم بالله وأمره فهم حياة الموجود وروحه ولا يستغنى عنهم معرفة عين شاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء بل أعظم وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء لاسمك اذا فقدمه مات فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها وكنسبة سمع الأذن وكنسبة كلام الإنسان إليه فإذا عدمه كان كالعين العميم والاذن الصماء والسان الآخرين وهذا يصف سبحانه أهل الجهل بالعمى والصم والبكم وذلك حسنة قلوبهم حيث فقدت العلم النافع ففيت على عيالها وصمها وبكمها • قال تعالى (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَنْفَلْ سَبِيلًا) والمراد عي القلب في الدنيا • وقال تعالى (وَنَخْرُشُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وجوههم عيًّا وبيكًا وصماً وأهـم جهنـم) لأنهم هكذا كانوا في الدنيا والعبد يبعث على

مامات عليه . و اختلف في هذا العمى في الآخرة فقيل هو عمى البصرة بدليل إخباره تعالى عن رؤية الكفار ما في القيمة ورؤيه الملائكة ورؤيه النار وقيل هو عمى البصر ورجح هذا بان الاطلاق يصرف اليه وقوله (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) وهذا عمى العين فان الكافر لم يكن بصيراً بمحاجته . وأجاب هؤلاء عن رؤية الكفار في القيمة بان الله يخرب جهنم من قبورهم الى موقف القيمة بصراء ويخترون من الموقف الى النار عمياً قاله الفراء وغيره . الوجه الثامن والثانون ان الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدوأ ملماً بطرق هلاكه وأسباب الشر الذي يلقاها فيه متنافيها خيراً بها حريراً عليها لا يفتر يحظة ولا مناما ولا بد له من واحدة من ست ينالها منه . أحدها وهي غاية مراده منه أن يجعل بينه وبين العلم والآيات فليقع في الكفر فإذا ظفر بذلك فرغ منه واستراح فان فلتته هذه وهدى لاسلام حرص على تلو الكفر وهي البدعة وهي أحب اليه من المعصية فان المعصية يتاب منها و البدعة لا يتاب منها لازما حاجتها يرى انه على هدى . وفي بعض الآثار يقول ابليس أهلكتني آدم بالذنب وأهلكوني بالاستغفار وبالله الا الله فلما رأيت ذلك بثت فيهم الاهواء فهم يذوبون ولا يتذبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فذا ظفر منه بهذه صيره من رعاته وأمر الله فان أعزبه شغله بالعمل المنضول عما هو أفضل منه ليرجع عليه الذي ينهما وهي الخامسة فان أعزبه ذلك صار الى السادسة وهي تسليط حزبه عليه يؤذونه ويشتمونه ويرمونه بالعظام ليحزنه ويشغل قلبه عن العلم والارادة وسائر أعماله فكيف يمكن أن يحيط به من لا علم له بهذه الامور ولا يعوده ولا بما يحصنه منه فإنه لا يحيط به من عرف فهو عرف طرقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه وعرف تداخله ومخارجه وكيفية مخاربته وبای شيء يختاره وبما ذا يداوى جراحته وبای شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه وهذا كله لا يحصل الا بالعلم فالجاهل في غفلة وعمي عن هذا الامر العظيم والخطيب الجسيم . وهذا جاء ذكر العدو وشأنه وجنوده وكليده في القرآن كثيراً جداً حاجة النفوس الى معرفة عدوها وطرق مخاربته ومجاهدته فلو لا أن العلم يكشف عن هذا لما نجا من نجا منه فالعلم هو الذي تحصل به النجاة . الوجه الثامن والثانون ان أعظم الاسباب التي يحرم بها العبد خير الدنيا والآخرة ولذة النعم في الدارين ويدخل عليه عدوه منها هو الغفلة المضادة للعلم والكليل المضاد للارادة والعزيزية هذان أسل بلاه العبد وحرمانه منازل السعادة وهو من عدم العلم . أما الغفلة فمضادة للعلم منافية له وقد ذم سبحانه أهلها ونفي عن الكون منهم وعن طاعتهم والتقويل منهم . قال تعالى (ولا تكن

من الغافلين) • وقال تعالى (ولا تطبع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) • وقال تعالى (ولقد ذرأنا
بِجَهَنَّمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَبْصُرُونَ بِهَا وَهُمْ
آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولُوكٌ كَالاَنْعَامِ إِنْ هُمْ أَضَلُّ وَأُوْنَكُ هُمُ الْغَافِلُونَ) • وقال النبي صلى
الله عليه وسلم في وصيته لنساء المؤمنين لافتغان فتنين الرحمة سئل بعض العلماء عن عشق
الصور فقال قلوب غفت عن ذكر الله فابتلاها الله ببعودية غيره فالقلب الغافل مأوى
الشيطان فإنه وسواس خناس قد التقم قلب الغافل يقرأ عليه أنواع الوساوس والخيالات
الباطلة فإذا ذكر وذكر الله الجميع والنسم وخنس وتناءل لذكر الله فهو دائماً بين
الوسوة والخنس • وقال عروة بن رويه إن المسيح صلى الله عليه وسلم سأله ربه إن
يريه موضع الشيطان من ابن آدم سبلي له فإذا رأته رأس الحية واضح رأسه على ثرة
القلب فإذا ذكر العبد ربه خنس وإذا لم يذكر وضع رأسه على ثرة قلبه فناء وحدنه
• وقد روى في هذا المعنى حديث مرفوع فهو دائماً يترقب غفلة العبد فيتذر في قلبه
بذر الأماني والشهوات والخيالات الباطلة فينشر كل حنطة وكل شوك وكل بلاه ولا
يزال يعده بستيقنه حتى يغطي القلب وبعيمه • وأما الكسل فيتولد عنه الاضاعة والتفرط
والحرمان وأشد الندامة وهو مناف للارادة والعزيمة التي هي ثمرة العلم فأن من علم أن
كامله ونعيمه في شيء طلبه بجهده وعنم عليه بقلبه كله فأن كل أحد يسعى في تكميل
نفسه ولذاته ولكن أكثراهم أخطأ الطريق لعدم علمه بما يبني أن يطلب فالارادة
مبوبة بالعلم والتصور فتخلفها في الغالب أنها يكون لتخلف العلم والأدراك والافتقار للعلم
الناتم بان سعادة العبد في هذا المطلب ونجاته وفوزه كيف يتحققه كسل في التهوض إليه
و لهذا استعاد النبي صلى الله عليه وسلم من الكسل • ففي الصحيح عنه أنه كان يقول
اللهم أني أعوذ بك من الظماء والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضع الدين
وغبة الرجال فاستعاد من نعائمه أشياء كل شيئاً منها قريشان والفرق بينهما أن المكر و
الوارد على القلب أما أن يكون على ماضى أو لما يستقبل • فالاول هو الحزن • والثانى
الظماء وان شئت قلت الحزن على المكر و الذى فات ولا يتوقع دفعه والظماء على المكر و
المنتظر الذى يتوقع دفعه وتأمله والعجز والكسل قربان فأن تختلف مصالحة العبد
وكامله ولذاته وسروره عنه أما أن يكون مصدراً لعدم القدرة فهو العجز أو يكون قادرآ
عليه لكن تختلف لعدم ارادته فهو الكسل وصاحبها إلام عليه مالا يلام على العجز وقد
يكون العجز ثمرة الكسل فيما عليه أيضاً فكثيراً ما يكسل المرء عن الشيء الذي هو
 قادر عليه وتضعف عنه ارادته فيقضي به إلى العجز عنه وهذا هو العجز الذي يلوم الله

عليه في قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يلوم على العجز والعجز الذي لم يتحقق
 له قدرة على دفعه ولا يدخل معجوزه تحت القدرة لا يلام عليه . قال بعض الحكماء في
 وصيته إليك والكل والضرر فان الكل لا ينبع من المكرمة والضرر اذا نهض اليها
 لا يصبر عليها والضرر متولد عن الكل والعجز فلم يفرده في الحديث بالفظ ثم ذكر
 الجبن والبخل فان الاحسان المتوقع من العبد اما بماله واما بسنه فالبخيل مانع لنفع
 ماله والجبن مانع لنفع بده والمشهور عند الناس ان البخل مستلزم الجبن من غير عكس
 لان من يخل بماله فهو بنفسه يخل والشجاعة تستلزم الكرم من غير عكس لان من جاد بنفسه
 فهو بماله أسمح وأجود وهذا الذي قالوه ليس بلازم أكثرون فان الشجاعة والكرم واضد ادتها
 اخلاق وغراز قد تجتمع في الرجل وقد يعطي بعضها دون بعض وقد شاهد الناس من اهل الاقدام
 والشجاعة والبأس من هو يخل الناس وهذا كثيراً ما يوجد في أمة الترك يكون أشجع
 من ليث وأيخل من كلب فالرجل قد يسمح بنفسه ويضيّن بماله . وهذا يقاتل عليه حتى
 يقتل فيبدأ بنفسه دونه فلن الناس من يسمح بنفسه وماله ومنهم من يخل بنفسه ومنهم
 من يسمح بماله ويخل بنفسه وعكه والافسام الاربعة موجودة في الناس ثم ذكر ضاع
 الدين وغالية الرجال فان القهر الذي يطال العبد نوعان . احدهما قهر بحق وهو ضائع الدين
 . والثاني قهر بباطل وهو غالية الرجال فصلوات الله وسلامه على من أوفى جوامع الكلم
 واقتست كنوز العلم والحكمة من الفاظه . والمقصود ان الغفلة والكل والكلال كله الى
 أصل الحرمان سببها عدم العلم فعاد التقصي كله الى عدم العلم والعزيمة والكلال كله الى
 العلم والعزيمة والناس في هذا على أربعة أضرب . الضرب الاول من رزق علماً وأعني
 على ذلك بقوة العزيمة على العمل وهذا الضرب خلاصة الخلق وهم الموصوفون في القرآن
 بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالات) . وقوله (أولى الابد والابصار) . وبقوله (أفن
 كان ميتاً فاحيته وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الفلامات ليس بخارج
 منها) فباختصار تزال العزيمة وبالنور ينال العلم وآئنة هذا الضرب هم أولوا العزم من الرسل
 . الضرب الثاني من حرم هذا وهذا وهم الموصوفون بقوله (ان شر الدواب عند الله
 الصم اللكم الذين لا يعقلون) . وقوله (ألم تخسب ان أكثراً يسمعون أو يعتقدون ان
 هم الاكلاعهم بل هم أضل سبيلاً) . وبقوله (انك لانسمع الموتى ولا تسمع الصم الدباء)
 . وقوله (وما أذت يسمع من في القبور) وهذا الصنف شر البرية يضيقون الديار ويغلون
 الاسعار وعند أنفسهم أنهم يعلمون ولكن ظاهرآ من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
 غافلون ويتعامدون ولكن ما يضر هم ولا يفهمون وينتفعون ولكن عن الهوى ينتفعون

وينكلعون ولكن بالجهل يتكلمون وبؤمنون ولكن بالجليط والطاغوت ويعبدون ولكن
يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به
الحق ويتفكرون وبيتون ولكن مالا يرضي من القول بيتوون ويدعون ولكن مع الله
إلا آخر يدعون ويدكرون ولكن اذا ذكروا لا يذكرون ويسلون ولكنهم من المصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم برؤون ويتبعون المأعون ويحكمون ولكن حكم
الجاهلية يبغون ويكتبون ولكن يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشرروا به منها قليلا فويل لهم مما كتبوا أيديهم وويل لهم مما يكتبون ويقولون إنما نحن
مصلحون إلا أنفسهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون • فهذا الضرب ناس بالصورة
وشياطين بالحقيقة وجهم اذا فكرت فهم حير أو كلام أو ذاته وصدق البحترى في قوله
لهم يبقى من جل هذا الناس باقية • ينالها الوهم الاهنة الصور
﴿وقال آخر﴾

لأنخدعك الماء والصور • تسعة عشر من ترى يقر
في شجر السدر منهم مثل • طا رواه وما لها نسر
وأحسن من هذا كله قوله تعالى (و اذا رأيتم تعجبوا أجسامهم وان يقولوا تسمع لقوتهم
كأنهم خشب مسندة) عالمهم كما قيل فيه
زوابيل للاسفار لا علم عندهم • بجيدها الا كلام الاباعر
لعمري ما يدرى البعير اذا غدا • باوساقه اوراح ما في الغرائر
وأحسن من هذا وأبلغ وأوجز وأفصح قوله تعالى (كمثل الحمار يحمل أسفاراً
بتش مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) • الضرب الثالث
من فتح له باب العلم وأغلاق عنده باب العزم والعمل فهذا في رتبة الجاهل أو شر
منه • وفي الحديث المرفوع أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله يعلمه ثبت
أبو نعيم وغيره فهذا جهله كان خيرا له وأخف لعذابه من علمه فما زاده العلم الا
وبالا وعذابا وهذا لامطبع في صلاحه فان التائهة عن الطريق يرجي له العود
اليها اذا أبصرها فإذا عرفها وحاد عنها حمدآ ففي ترجي هدايته • قال تعالى (كيف
يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاهم البدنات والله
لا يهدى القوم الظالمين) • الضرب الرابع من رزق حظاً من العزيمة والإرادة ولكن
قل نصيحة من العلم والمعرفة فهذا اذا وفق له الاقتداء بداع من دعاء الله ورسوله كان
من الذين قال الله فيهم (و من يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أثموا الله عليهم من
(١٦ - مفتاح)

النبئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله
 وكفى بالله علیما . رزقنا الله من فضله ولا أحرمنا بسوء أعمالنا انه غفور رحيم
 • الوجه التسعون ان كل صفة مدح الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجة
 وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجه فدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبه ومدحه
 بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع ومدحه بالشکر والصبر والمسارعة في الخيرات
 والطلب له والاطهاف منه والرجاء والآيات والعلم والوقار والاب والعقل والعفة والكرم
 والإشار على النفس والصبيحة لعياده والرحمة بهم والرأفة وخفف البناج والعنو
 عن مسيئهم والصفح عن جانيهم وبذل الإحسان لكافئهم ودفع البغية بالحننة والامر
 بالمعروف والنهي عن المكر والصبر في مواطن الصبر والرضا بالتعذيب والذين لا يوليه
 والشدة على الأعداء والصدق في الوعيد والوفاء بالعهد والأعراض عن الجاهلين
 والقبول من الناصحين واليقين والتوكيل والطمأنينة والسكنية والتواصل والتماطف والعدل
 في الأقوال والاعمال والأخلاق والثورة في أمره وال بصيرة في دينه والقيام باداء حقه
 واستخراجه من المانعين له والدعوة اليه والى مرضاته وجنته والتحذير عن سبل أهل
 الفضلال وتبين طرق النبي وحال سالكيها والتوصى بالحق والتوصى بالصبر والحضور على
 طعام المسكين وبر الوالدين وصلة الارحام وبذل السلام لكافة المؤمنين الى سائر الأخلاق
 الحمودة والاعمال المرضية التي أقسم الله سبحانه على عظمها . فقال تعالى (ن والقلم وما
 يسطرون ما أنت بستعنة ربك بمجنون وانك لا جراً غير معون وانك لملي خاق عظيم)
 • قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
 كان خلقه القرآن فاكتفى بذلك السائل وقال فهمت ان أقوم ولا أسائل عن شيء
 بعدها فهذه الأخلاق ونحوها هي ثمرة شجرة العلم • وأما شجرة الجهل فتتر كل ثمرة
 قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم والبغى والعدوان والجزاء والظلم والكتمان
 والمعجلة والطيش والأخذة والفحش والبذاء والشح والبخل ولهذا قيل في حد البخل
 جهل مقرن بسوء الظن ومن نعمته الغش للخلق والكبر عليهم والغدر والخيانة
 والعجب والرياء والسمعة والذلة والكذب والخلاف الوعد والغافلة على الناس
 والانتقام ومقابلة الحسنة بالبغية والامر بالشکر والنهي عن المعروف وترك القبول من
 الناصحين وحب غير الله ورجائه والتوكيل عليه وإيصال رضاه على رضا الله وتقديم أمره
 على أمر الله والذلة عند حق الله والرنوقي بما عند حق نفسه والغضب لها والانتصار
 لها فإذا انتهكت حقوق نفسه لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم بها كثرة من حقه وإذا

انتهك محارم الله لم يغب له عرق غصباً لله فلا قوة في أمره ولا بصيرة في دينه ومن
 نعمتها المدعوة الى سبيل الشيطان والتي سلوك طرق البغي واتباع الهوى وابتار الشهوات
 على الطاعات وقيل وقال وكثرة السؤال واغناءة المال ووأد البنات وعقوق الامهات
 وقطيعة الارحام واسامة الجوار وركوب مركب الخزي والعار وبالمثل فالخير
 بجماعته غير يحيى من شجرة العلم والشر بجماعته شوك يحيى من شجرة الجهل
 فلو ظهرت صورة العلم لا يصار لزداد حسناً على صورة الشمس والقمر ولو ظهرت صورة
 الجهل لكن منظرها أقبح منظر بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت
 به الرسل وسبب عنه . وكذلك كل خير يكون الى قيام الساعة وبعدها في القيمة
 وكل شر وفساد حصل في العالم ويحصل الى قيام الساعة وبعدها في القيمة فيه مخالفة
 ما جاءت به الرسل في العلم والعمل ولو لم يكن للعلم أب ومرتب وسائل وزیر الا العقل
 الذي به عمارة الدارين وهو الذي أرشد الى طاعة الرسل وسلم القلب والجوارح
 ونفسهم وانقاد حكمه وعزل نفسه ولم الامر الى أهله لكن بشروا وفضلوا وقد
 مدح الله سبحانه العقل وأهله في كتابه في مواضع كثيرة منه وذم من لا يعقل له وأخبر
 انهم أهل النار الذين لاسمع لهم ولا عقل فبوا آلة كل علم ويزانه الذي به يعرف صحيحه
 من سقيمه وراجحه من مرجوحه والمرأة التي يعرف بها الحسن من القبيح . وقد
 قيل العقل ملك والبدن روحه وحواسه وحركاته كلها وعيته له فإذا ضفت عن القيام
 عليها وتعهدتها وصل الخلل اليها كلها ولهذا قيل من لم يكن عقه أغلب خصال الخير
 عليه كان حتفه في أغلب خصال الشر عليه . وروى انه لما هبط آدم من الجنة أتاه
 جبريل . فقال إن الله أحضرك العقل والدين والحياة لختار واحداً منها فقال أخذت
 العقل فقال الدين والحياة أمنا أن لا نفارق العقل حيث كان فاخذنا اليه والعقل
 عقلاً عقل غريبة وهو أب العلم ومربيه و Mentor وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم
 ونعته ونتيجته فإذا اجتمعوا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واستقام له أمره
 وأفقات عليه جيوش السعادة من كل جانب وإذا فقد أحد هما فالحيوان البشيم أحسن حالاً
 منه وإذا انفرد انقضى الرجل بقصان أحد هما ومن الناس من يرجح صاحب العقل
 الغريزي . ومنهم من يرجح صاحب العقل المكتسب . والتحقيق ان صاحب العقل
 الغريزي الذي لا يعلم ولا تخبر به عنده آفته التي يُؤتي منها الاحجام وترك اتهام الفرصة لان
 عقليه يعلمه عن اتهام الفرصة لعدم علمه بها وصاحب العقل المكتسب يُؤتي من الاقدام
 فإن علمه بالفرص وطرفيها يلقاها على المبادرة إليها وعقليه الغريزي لا يطبق رده عنه فهو

غالباً يُؤتي من اقدامه والاول من احجامه فاذا رزق العقل الغربي عقاياً مستفاداً
 من مشكاة النبوة لاعقالاً معيشياً ثاقباً يظن أربابه انهم على شيء لا انهم هم الكاذبون
 فانهم يرون العقل ان يرضوا الناس على طبقاتهم وبالموهم ويستجلبوا موادهم ومحبهم
 وهذا مع انه لا سبيل اليه فهو ايشار للراحة والدعة ومؤنة الاذى في الله والموالة فيه
 والمعاداة فيه وهو وان كان أسلم عاجلة فهو اهلك في الآجلة فانه ماذاق طعم الایمان من لم
 يوال في الله ويعاد فيه فالعقل كل العقل ما أوصل الى رضا الله ورسوله وانه الموفق
 المعين . وفي حديث مرفوع ذكره ابن عبد البر وغيره أوجي الله الى نبی من آنیاء بنی
 اسرائیل قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة وأما انقطاعك الى
 فقد اكتسبت به العز ما عملت فيما لي عايك قال وما لك على قال هل واليت في ولیا
 أو عادت في عدوا . وذكر أيضاً أنه أوجي الله الى جبریل أن اخسف بقرية كذا
 وكذا قال يارب ان فيهم فلانا العابد قال به فابداً انه لم يتغير وجهه في يوماً فقط . الوجه
 الحادى والتسعون حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررت برياض الجنة
 فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذکر فان الله سيارات من الملائكة
 يطلبون حلق الذکر فاذا أتوا عليهم صفووا بهم . قال عطاء مجلس الذکر مجلس الحلال
 والحرام كيف يشتري ويبيع ويصوم ويصلى ويتصدق وينكح ويطلق ويحج ذكره الخطيب
 في كتاب الفقيه والمتفقه وقد تقدم بيانه . الوجه الثاني والتسعون مارواه الخطيب أيضاً عن ابن
 عمر برفعه مجلس فقهه خير من عبادة ستين سنة وفي رفعه نظر . الوجه الثالث والتسعون مارواه
 أيضاً من حديث عبدالرحمن بن عوف برفعه سير الفقه خير من العبادة ولا ينتهي رفعه
 . الوجه الرابع والتسعون مارواه أيضاً من حديث أنس برفعه فقيهه أفضلي عند الله من
 ألف عابد وهو في الترمذى من حديث روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس من فواعاً
 وفي ثوبهما من فواعين نظر والظاهر ان هذا من كلام الصحابة فلن دونهم . الوجه
 الخامس والتسعون مارواه أيضاً عن ابن عمر برفعه أفضلي العبادة الفقه . الوجه السادس
 والتسعون مارواه أيضاً من حديث نافع عن ابن عمر برفعه ماعبد الله بشيء أفضلي
 من فقهه في دين . الوجه السابع والتسعون مارواه عن علي انه قال العالم أعظم أجراً
 من الصائم القائم الغازى في سبيل الله . الوجه الثامن والتسعون مارواه المخلص عن
 صاعد حدثنا القاسم بن الفضل بن بزيع حدثنا حجاج بن نصیر حدثنا هلال بن
 عبد الرحمن الجعفى عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي هريرة وأبي ذر انهم قالا باب من العلم
 تعلمته أحبت إليها من ألف ركعة تطوعاً وباب من العلم فعلمه عمل به أو لم يعمل أحبت

البنا من مائة ركعة تطوعاً وقلما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العالم وهو على هذه الحال مات شهيداً ورواه ابن أبي داود عن شاذان عن حجاج به . قلت وشاهده مامر من حديث الترمذى عن أنس يرفعه من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع . الوجه التاسع والتسعون مارواه الخطيب أيضاً عن أبي هريرة قال لأن أعلم بباباً من العلم في أمر أو نهى أحب إلى من سبعين غنة في سبيل الله وهذا ان صح فعناء أحب إلى من سبعين غنة بلا علم لأن العمل بلا علم فساده أكبر من صلاحه أو يريد علماً يتعلمه ويعلمه فيكون له أجر من عمل به إلى يوم القيمة وهذا لا يحصل في الفزو الجرد . الوجه المائة مارواه الخطيب أيضاً عن أبي الدرداء انه قال مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة . الوجه الحادى والمائة مارواه عن الحسن قال لأن أتعلم بباباً من العلم فاعلمه ملماً أحب إلى من أن يكون لي الدنيا في سبيل الله . الوجه الثانى والمائة قال مكحول ما عبد الله بأفضل من الفقه . الوجه الثالث والمائة قال سعيد بن المسيب ليست عبادة الله بالصوم والصلوة ولكن بالفقه في دينه وهذا الكلام يراد به أمران . احدهما أنها ليست بالصوم والصلوة الخاليين عن العلم ولكن بالفقه الذي يعلم به كيف الصوم والصلوة . والثانى أنها ليست الصوم والصلوة فقط بل الفقه في دينه من أعظم عباداته . الوجه الرابع والمائة قال اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أقرب الناس من درجة النبوة العلامة وأهل الجهاد والعلماء دلوا الناس على ماجاءت به الرسول وقد تقدم الكلام في تفضيل العالم على الشهيد وعكته . الوجه الخامس والمائة قال سفيان بن عيينة أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الرسل والعلماء . الوجه السادس والمائة قال محمد بن شهاب الزهرى ما عبد الله بمنزل الفقه وهذا الكلام ونحوه يراد به أنه ما عبد الله بمنزل أن يتبع بالفقه في الدين فيكون نفس التقى عبادة . كذا قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فإن طلبكم عبادة وسيأتي إن شاء الله ذكر كلامه بقائه وقد يراد به أنه ما عبد الله بعبادة أفضل من عبادة يصحبها الفقه في الدين لعلم الفقيه في دينه بمراتب العبادات ومفاسداتها وواجباتها وستفتها وما يكملها وما يتقصها وكل المعنيين صحيح . الوجه السابع والمائة قال سهل بن عبد الله التستري من أراد النظر إلى مجالس الآباء فلينظر إلى مجالس العلماء وهذا لأن العلماء خلفاء الرسول في أئمهم ووارثوهم في علمهم همجالسهم مجالس خلافة النبوة . الوجه الثامن والمائة إن كتبوا من الأئمة صرحوا بأن أفضل الأعمال بعد الفرائض طلب العلم . فقال الشافعى ليس شئ بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وهذا الذى ذكر أصحابه عنه انه مذهبهم . وكذا

قال سفيان الثورى وحكاء الحنفية عن أبي حنيفة . وأما الإمام أحمد فذكر عنه ثلاثة روايات أحدها هن أنه العلم فإنه قيل له أى شئ أحب إليك اجلس بالليل أنسخ أو أصل نعلوعاً قال نسخك تعلم به أمور دينك فهو أحب إلى . . . وذكر الخلال عنه في كتاب العلم فصوصاً كثيرة في تفضيل العلم . ومن كلامه فيه الناس إلى العلم أحرج منهم إلى العلامة والثراب وقد تقدم والرواية الثانية أن أفضل الاعمال بعد الفرائض صلاة التعلوه واحتاج هذه الرواية بقوله صلى الله عليه وسلم واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة وبقوله في حديث أبي ذر وقد سأله عن الصلاة فقال خير موضوع وبأنه أوصى من سأله موافقته في الجنة بكترة السجود وهو الصلاة . وكذلك قوله في الحديث الآخر عليك بكترة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا فعلت الله بها درجة وحدت عنك بها خطيئة وبالاحاديث الدالة على تفضيل الصلاة والرواية الثالثة أنه الجهاد فإنه قال لأعدل بالجهاد شيئاً ومن ذا يطيقه . ولاريء إن أكثر الاحاديث في الصلاة والجهاد . وأما مالك فقال ابن القاسم سمعت مالكا يقول إن أقواماً استغوا العبادة وأضاعوا العلم شرجو على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسيفهم ولو استغوا العلم لجزهم عن ذلك . قال مالك وكتب أبو موسى الشعري إلى عمر بن الخطاب أنه قرأ القرآن عندنا عدد كذا وكذا فكتب إليه عمر أن أفرض لهم من بيت المال فلما كان في العام الثاني كتب إليه أنه قد قرأ القرآن عندنا عدد كثير لا كثر من ذلك فكتب إليه عمر أن أطعم من الديوان فلن أخاف من أن يسرع الناس في القرآن أن يتلقهموا في الدين فيتاولوه على غير تأويله . وقال ابن وهب كفت بين يدي مالك بن أنس فوضعت ألواني وقت إلى الصلاة فقال ما الذي قلت إليه بأفضل من الذي تركته . قال شيئاً وهذا الأمور الثلاثة التي فضل كل واحد من الأئمة بعضها وهي الصلاة والعلم والجهاد هي التي قال فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو لا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها لو لا أن أحل أو أجهز جيشاً في سبيل الله ولو لا مكافحة هذا الليل ولو لا جائدة أقواماً ينتقدون أطياط الكلام كإيقاع أطياط القرآن لما أحببت البقاء . فالاول الجهاد . والثانى قيام الليل . والثالث مذاكرة العلم فاجتمع في الصحابة بكلام وفرقت فيمن بعدهم . الوجه التاسع والحادية ما ذكره أبو نعيم وغيره عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضل العلم خير من فعل العمل وخير دينكم الورع وقدروي هذا مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها وفي رفعه نظر وهذا الكلام هو فضل الخطاب في هذه المسألة فإنه اذا كان كل من العلم والعمل فرضًا فلا بد منهما كالصوم والصلاحة فإذا كانوا فضلين وهم النفلان المتعلق بهما

فضل العلم ونفعه خير من فضل العبادة ونفعها لأن العلم يعم فقهه صاحبه والناس معه
والعبادة يختص فعقها بصاحبها ولأن العلم يتيق فائدته وعاليه يعود موته والعبادة تستقطع
عنه ولما من الوجوه السابقة • الوجه العاشر يقصد المائة مارواه الخطيب وأبو نعيم
وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال تعلموا العلم فإن علمك لله خشية وطلب
عبادة ومدارسته تسبح والبحث عنه جهاد وتعلمه لمن لا يحسن صدقة وبذله لأهله
قربة به يعرف الله ويعد وبه يوجد وبه يعرف الحلال من الحرام وتوصيل الأرحام
وهو الآيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء
والوزير عند الأخلاص والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً
فيجعلهم في الخير قادة وسادة يقتدى بهم أدلة في الخير تفتقس آثارهم وترتفق أفعالهم
ورغب الملائكة في خلتهم وباحتثتها تسمح لهم يستقر لهم كل رطب وبارس حتى حيث
البحر وهو ماء وساع البر وأنعامه والسماء ومحبومها والعلم حياة القلوب من العمى ونور
للإبصار من الضلم وقوة للأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الإبرار والدرجات
على التفكير فيه يعدل بالصوم ومدارسته بالقيام وهو أمام القائم والعمل تابعه يلهمه
السعادة ويحرمه الشقاء هذا الأمر معروف عن معاذ ورواه أبو نعيم في المعجم من
حديث معاذ مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يثبت وحبه أن يصل إلى معاذ
• الوجه الحادي عشر بعد المائة مارواه يونس بن عبد الأعلى عن ابن أبي فديك حدثني
عمر وبن كثير عن أبي العلاء عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
جاهه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فينه وين الآباء في الجنة درجة النبوة
• وقد روى من الحديث على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا وإن كان لا يثبت أسناده فلا يبعد معناه من الصحة
فإن أفضل الدرجات النبوة وبعدها الصدقية وبعدها الشهادة وبعدها الصلاح • وهذه
الدرجات الأربع التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله (ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين أتموا الله عليهم من النبؤتين والصدقتين والشهادتين والصالحين وحسن
أولئك رفقاً) فمن طلب العلم ليحيي به الإسلام فهو من الصدقين ودرجته بعد درجة
النبوة • الوجه الثاني عشر بعد المائة قال الحسن في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا
حسنة) هي العلم والعبادة (وفي الآخرة حسنة) هي الجنة وهذا من أحسن التفسير فأن
أجل حسنهات الدنيا العلم النافع والعمل الصالح • الوجه الثالث عشر بعد المائة قال ابن
مسعود عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورجمه هلاك الملحمة فوالذي نفسى بيده ليودن رجال

قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبغضهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان أحدا لم يولد
 عالماً وإنما العلم بالتعلم • الوجه الرابع عشر بعد المائة قال ابن عباس وأبو هريرة وبعد هما
 أحمد بن حنبل تذاكر العلم بعض ليلة أحب الثناء احياتها • الوجه الخامس عشر
 بعد المائة قال عمر رضي الله عنه أنها الناس عليك بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن
 طلب ببابا من العلم رداء الله برداه فلن أذن ذنباً استعانته ثلاثة يسابه رداءه ذلك حتى
 يموت به • قلت ومعنى استعانته الله عبده أن يطلب منه أن يعتبه أى يزيل عتبه عليه
 بالتوبة والاستغفار والابادة فإذا أتاك إليه رفع عنك عتبه فيكون قد أعتبه ربه أى أزال
 عتبه عليه والرب تعالى قد استعانته أى طلب منه أن يعتبه • ومن هذا قول ابن مسعود
 وقد وقعت زلزلة بالكوفة ان ربكم يستعينكم فاعتبوه وهذا هو الاستعانت بالذى نفاه
 سبحانه في الآخرة في قوله (فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعيثون) أى لانطاب
 منهم ازالة عتبنا عليهم فان ازالت انت تكون بالتوبة وهي لاتتفق في الآخرة وهذا غير
 استعانت العبد ربها كما في قوله تعالى (فإن يصروا فالنار مثوى لهم وإن يستعثوا فما هم
 من المتعين) فهذا معناه أن يطالبوا ازالة عتبنا عليهم والعقوبة لهم من المتعين أى ما هم
 من بزال العتب عليهم وهذا الاستعانت يتفق في الدنيا دون الآخرة • الوجه السادس
 عشر بعد المائة • قال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحاله
 الله وحرامه ووجه قوله عرمان هذا العالم يهدم على ايديس كلما بنيه بعلمه وارشاده
 وأما العابد فنفعه مقصور على نفسه • الوجه السابع عشر بعد المائة قول بعض السلف
 اذا أتي على يوم لا أزداد فيه علاماً يقربني الى الله فلا بورك لي في شمس ذلك اليوم وقد
 رفع هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اليه باطل وحسبه أن يصدق الى
 واحد من الصحابة أو التابعين • وفي مشله قال القائل اذا مرت بي يوم ولم تستفد هدى
 ولم أكتب علاماً فما ذلك من عمري • الوجه الثامن عشر بعد المائة قال بعض السلف
 الايان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياة ونهرة العلم وقد رفع هذا أيضاً ورفعه
 باطل • الوجه التاسع عشر بعد المائة انه في بعض الآثار بين العالم والعبد مائة درجة
 بين كل درجتين حضر الجواب المضرم سبعين سنة وقد رفع هذا أيضاً وفي رفعه نظر
 • الوجه العشرون بعد المائة مارواه حرب في مسائله مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه
 وسلم يجمع الله تعالى العلماء يوم القيمة ثم يقول يا معاشر العلماء انى لم أضع علمي فيكم
 الا لعلىكم ولم أضع علمي فيكم لاعذبكم اذهباً فقد غفرت لكم وهذا وان كان
 غريباً فله شواهد حسان • الوجه الحادى والعشرون بعد المائة • قول ابن المبارك وقد

سئل من الناس قال العلماء قيل فن الملك قال الزهاد قيل فن السفلة قال الذى يأكل بيته • الوجه الثاني والعشرون بعد المائة ان من ادرك العلم لم يضره ما فاته بعد ادراكه اذ هو افضل الحظوظ والعطايا ومن فاته العلم لم يتمنه ما حصل له من الحظوظ بل يكون وبالا عليه وسيبا طلاكه وفي هذا قال بعض السلف أى شئ ادرك من فاته العلم وأى شئ فاته من ادرك العلم • الوجه الثالث والعشرون بعد المائة قال بعض العارفين أليس المريض اذا منع الطعام وانشراب والدواء يموت قالوا فكذلك القلب اذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت وصدق فان العلم طعام القلب وشرابه ودواؤه وحياته موقوفة على ذلك فإذا فقد القلب العلم فهو ميت ولكن لا يشعر به كأن الكoran الذى قد زال عنده والخائف الذى قد انتهى خوفه الى غايته والمحب والمفكر قد يتعلل احساسهم بأن الجراحات في تلك الحال فإذا سعوا وعادوا الى حال الاعتدال أدركوا آلامها هكذا العبد اذا خط عنه الموت أحمال الدنيا وشواغلها اختص بهلاكه وخسارته

شتام لا تصحو وقد قرب المدى • وختام لا يباب عن قبلك السكر
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطاء • وندكر قوله حين لا يفع الذكر
فإذا كثف الغطاء ورث الحفاء وبأيت السرائر وبدت الضمائر وبعثر ما في القبور وحصل
ما في الصدور حيث يكُون الجهل خلعة على الجاهلين والعلم حسرة على البطاليين • الوجه
الرابع والعشرون بعد المائة قال أبو الدرداء من رأى ان الفدو الى العلم ليس بجهاد
فقد نقص في رأيه وعقله وشاهد هذا قول معاذ وقد تقدم • الوجه الخامس والعشرون
بعد المائة قول أبي الدرداء أيضًا لأن أعلم مثلك أحب إلى من قيام ليلة • الوجه
السادس والعشرون بعد المائة قوله أيضًا العالم والمتعلم شريكان في الأجر وسائر الناس
هج لا خير فيهم • الوجه السابع والعشرون بعد المائة مارواه أبو حاتم بن جبان في
صحيحة من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من دخل
مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ومن دخله لغير ذلك كان
كالماظر إلى ماليس له • الوجه الثامن والعشرون بعد المائة مارواه أيضًا في صحبيه من
حديث الثلاثة الذين اتيوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في حلاقة
فأعرض أحدهم واستجئ الآخر بجلس خلفهم وجلس الثالث في فرجة في الحلاقة فقال الذي
صلى الله عليه وسلم أما أحدهم فاوي إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاتجه فاستحيى الله منه وأما
الآخر فاعتبره فاعتبره الله عنه فلو لم يكن أطالب العلم إلا أن الله يؤويه إليه ولا يعرض

عنه لكتفى به فضلاً • الوجه النافع والعشرون بعد المائة مارواه كميل بن زياد التخمي
 قال أخذت على بن أبي طالب رضي الله عنه بيده فاخرجني ناحية الجبانة فلما أصرح
 جعل يتنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية نفثها أو عاها احتفظ عق ما أقول لك
 الناس ثلاثة فعلم رباني وتعلم على سبيل نجاة وهمج رماع اتباع كل ناعق يملون مع كل
 رمع لم يستطعوا بنور العلم ولم ياجروا الى ركن ونبيك العلم خير من المال العلم يحرسك
 وأنت تحرس المال العلم يزكي على الانفاق وفي رواية على العمل والمال تنقصه النفقة
 العلم حاكم والمال محكوم عليه وبمحبة العلم دين يدان بها العلم يكتب العالم الطاعة في حياته
 وجبل الاحدوثة بعد وفاته وصنيعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياه
 والعلماء باقوت مابقي الدهر أعيانهم مفتودة وأمناظهم في القلوب موجودة هاه هاه
 ان ههنا علاماً وأشار بيده الى صدره لو أصبحت له حلة بل أسبته لفتاً غير مأمون عليه
 يستعمل آلة الدين الدنيا يستظهر بحججه الله على كتابه وبنعمه على عباده أو منقاداً
 لاهل الحق لا يهرب له في احياءه يتدرج الشك في قابه بأول عارض من شبهة لذا ولا
 ذلك أو منهوما للذات ساس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار ليسا من
 دعوة الدين أقرب شبهاتهم الانعام الساعة لذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بك ان تخنلو
 الارض من قسم الله بمحجته لكيلا تعطل حججه الله وينهانه أولئك الاقلون عدداً الاعظمون
 متند الله قيسلا هم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب
 أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوغر منه المترفون وأتوا بما
 اتوه منه الجبناء صبحوا الدنيا يبايدان أرواحها معلقة بالملائكة الاعلى أولئك خلفاء الله
 في أرضه ودعاته الى دينه هاه شوقا الى رؤيتهم وأنتغز الله لى ولك اذا شئت فقم
 ذكره أبو نعيم في الحياة وغيره • قال أبو كمر الخطيب هذا حديث حسن من أحسن
 الاحاديث معنى وأشرفها لفظاً وتقسيم أمير المؤمنين لذاتي في أوله تقسيم في غاية الصحة
 ونهاية السداد لأن الانسان لا يخلو من أحد الأقسام التي ذكرها مع كمال العقل وازاحة
 العمل اما أن يكون علماً أو متعلماً أو مغنالاً للعلم وطبيبه ليس بعلم ولا طالب له فالعلم
 الرباني هو الذي لا زبادة على فضله لفاضل ولا منزلة فوق منزلته بجنبه وقد دخل في
 الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يتصف بها العلم لاهله ويمنع وصفه بما خالفها، وهو معنى
 الرباني في الآية الرفيع الدرجة في العلم العالمي المنزلة فيه • وعلى ذلك حملوا قوله تعالى
 (لولا ينهاهم الربانيون) وقوله (كونواربانيين) قال ابن عباس حكماً فقهاء • وقال
 أبو رزين فقهاء علماء • وقال أبو عمر الزاهد سألت تعليماً عن هذا الحرف وهو الرباني

* ف قال سائل ابن الاعرابي ف قيل اذ كن الرجل عالما عامله معلمها قيل له «هذا رباني فإن خرم عن خصلة منها لم يقل له رباني

قال ابن الباري عن التحويين أن الربانين مندوبون إلى الرب وان الالف واللوف زيدتا لامبالغة في النسب كما تقول لحياني وجهاني اذا كان عظيم الاممية والجهة . وأما المتعلم على سبيل النجاة فهو الطالب بتعلمه والقاصد به نجاته من التفريط في تعبيع الفروض الواجبة عليه والرغبة بشئه عن اهتماطها واطراحها والافلة من مجانية البهائم . ثم قال وقد نقى بعض المتقديرين عن الناس من لم يكن من أهل العلم . وأما القسم الثالث فهم المهملون لأنفسهم الراضون بالعزلة الدينية والحال الحميسة التي هي في الحضيض الاسقط والهبوط الاستدلالي لعزلة بعدها في الجهل ولادونها في السقوط . وما أحسن ما شهّبوا بالطبع الراعي وبه يشبه دناءة الناس وأراذ لهم والراغع المتبدد المنافق والناعق الصانع وهو في هذا الموضع الراعي يقول نعم الراعي بالغم ينبع اذا صاح بها . ومنه قوله تعالى (ومثل الذين كفروا أكمل الذي ينبع بما لا يسمع الا دماء ونداه صم بكم عني فهم لا يعقلون) . ونحن نشير الى بعض ما في هذا الحديث من النوائد . فقوله رضي الله عنه القلوب أوعية يشبه القاب بالوعاء والأناء والوادي لانه وعاء للخير والشر . وفي بعض الآثار ان الله في أرضه آنية وهي القلوب تغيرها أرقها وأصلبها وأصفاها فهي أواني مملوءة من الخير وأواني مملوءة من الشر كما قال بعض السلف قلوب الابرار تغلي بالبر وقلوب الفجور تغلي بالفجور . وفي مثل هذا قيل في المثل . وكل آناء بالذى فيه يتفتح وقال تعالى (أنزل من السماء ما مافتلت أودية بقدرهما) شبه العلم بالآناء النازل من السماء والقلوب في سعتها وضيقها بالاودية فقلب كبير واسع يسع عالماً كثيراً كواكب ابر واسع يسع ماءً كثيراً وقب صغير ضيق يسع عالماً قليلاً كواكب صغير ضيق يسع ماءً قليلاً . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتسموا العرب الكرم فان الكرم قلب المؤمن فانهم كانوا يسمون شجر العنبر الكرم لكثره منافعه وخирه والكرم كثيرة الخير والمنافع فأخبرهم ان قلب المؤمن أولى بهذه التسمية لكثره ما فيه من الخير والبر والمنافع وقوله تغيرها أواعها يراد به أسرعها وعيها وأكترها وعيها وأنبتها وعيها ويراد به أيضاً أحنتها وعيها فيكون حسن الوعي الذي هو أيعاه لما يقال له في قلبه هو سرعته وكثره ونباته والوعاء من مادة الوعي فإنه آلة ما يوعى فيه كالقطاء والفرائش والبطاطس ونحوها ويوصف بذلك القلب والأذن كقوله تعالى (انا ملأنا طفلي الماء حملناكم في الجارия لنجعلها لكم تذكرة وتعها أذن واعية)

• قال قنادة أذن سمعت وعقلت عن الله ما سمعت • وقال الفراء لتحقظها كل أذن فتكون عذلة لمن يأني بعد فالوعي توصف به الأذن كما يوصف به القلب يقال قلب واع وأذن واعية لما بين الأذن والقلب من الارتباط فاعلم يدخل من الأذن إلى القلب فهي بابه والرسول الموصى إليه العلم كأن اللسان رسول المؤدي عنه ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها أن توصف بالوعي وأنها إذا وعى القلب • وفي حديث جابر في المثل الذي ضربته الملاك لبني صل الله عليه وسلم ولا منه وقول الملاك له اسمع سمعت أذنك وعقل قلبك فلما كان القلب وراءه والأذن مدخل ذلك الوعاء وبابه كان حصول العلم موقوفا على حسن الاستماع وعقل القلب والعقل هو ضبط ما وصل إلى القلب وأمساكه حتى لا يختلف منه • ومنه عقل البعير والدابة والعقال لما يعقل به وعقل الإنسان يسمى عقلا لأن يعقله عن أتباع الغي والهلاك وهذا يسمى حجر آ لأن يمنع صاحبه كاملاً من الحجر ما حواه فعقل الشيء أحسن من علمه ومعرفته لأن صاحبه يعقل ماعنته فلا يدعه يذهب كما تعقل الدابة التي يخاف شرودها وللادراك مراتب بعضها أقوى من بعض فاوها الشعور ثم الفهم ثم المعرفة ثم العلم ثم العقل ومراتبنا بالعقل المصدر لا القوة الغريرية التي ركبتها الله في الإنسان تغير القلوب ما كان واعياً بالخير ضابطاً له وليس كالقلب القاسي الذي لا يقبله • فهذا قلب حجري ولا كاللائج الآخرق الذي يقبل ولكن لا يحفظ ولا يضيئ ففهم الأول كالرسم في الحجر وفهم الثاني كالرسم على الماء بل خير القلوب ما كان لينا صلباً يقبل بينه ما يتطلع فيه ويحفظ صوره بصلاحاته فهذا ففيه كالرسم في الشمع وشبيهه • وقوله الناس ثلاثة فعلم رباني ومتعلم على سبيل التجاه وهم راعي هذا تقسيم خاص للناس وهو الواقع فإن العبد أما إن يكون قد حصل كلامه من العلم والعمل أولاً فالعلم الرباني والثاني أما إن تكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال سامية في ادرائه أولاً والثاني هو المتعلم على سبيل التجاه واثاث هو الدرج الرابع فالأخير هو الواسط والثالث هو الحروم • والعلم الرباني • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو المعلم أخذته من التربية أي يربى الناس بالعلم ويربيهم به كما يربى العاقل أبوه • وقال سعيد بن جبير هو الفقيه العالم الحكيم • قال سيدويه زادوا أنتا ونونا في الرباني اذا أرادوا تخصيصاً لهم الرب تبارك وتعالى كما قالوا شعراني وشجاعي ومعنى قول سيدويه رحمة الله ان هذا العالم لما نسب إلى علم الرب تعالى الذي بعث به رسوله وتخصص به نسب إليه دون سائر من علم عالما • قال الواحدى فالرباني على قوله منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب أي بعلم الشريعة وصفات

الرب سبارك وتعالى . وقال المبرد الرباني الذي يرب العلم ورب الناس به أى يعلمهم ويصلحهم . وعلى قوله فالرباني من رب رب ربا أى ربيه فهو منسوب الى التربية يرب عالمه ليكمل ويتيم بقيمه عليه وتعاهده اليه كايربي صاحب المال ماله وربى الناس به كما يربى الاطفال أولياً لهم . وليس هذا من قوله (وكأين من نبى قاتل معه ريدون كثيرون) فالريون هنا الجماعات باجماع المفسرين قيل انه من الربة يكسر الراء وهي الجماعة . قال الجوهرى الربى واحد الربيين وهم الاواف من الناس . قال تعالى (وكأين من نبى قاتل ريدون كثيرون ها وهنوا لما أصابهم) ولا يوسعن العالم بكونه ربانيا حتى يكون عاملا معه بعلمه معامله فهذا قسم . والقسم الثاني متعلم على سبيل نجاة أى قادرأ بعلمه النجاة وهو الخالص في تعلمه المتعلم ما ينتفعه العامل بما عالمه فلا يكون المتعلم على سبيل نجاة الا بهذه الامور ثلاثة فإنه ان تعلم ما يضره ولا ينتفعه لم يكن على سبيل نجاة وان تعلم ما ينتفع به لا للنجاة فكذلك وان تعلمه ولم يحصل به لم يحصل له النجاة وهذا وصفه بكونه على السبيل أى على الطريق التي تنجيه وليس حرف على وما عمل فيه متعلقاً بتعلم الا على وجه التضمين أى مفتش متطلع على سبيل نجاته فهذا في الدرجة الثانية وليس من تعلمه ليخاري به السفهاء أو يخجاري به العلامة أو يصرف وجوه الناس اليه فان هذا من أهل النار كما جاء في الحديث وبنبه أبو نعيم أيضا . قوله صلى الله عليه وسلم من تعلم عالما مما ينتفع به وجه الله لا يتعلمه الا يصيب به عرضا من الدنيا لم يجد رائحة الجنة . قال وبنبه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينتفعه الله بعلمه فهو لا يليس فيه من هو على سبيل نجاة بل على سبيل الهالكة نعود بالهة من الخذلان . القسم الثالث المخروم المعرض فلا عالم ولا متعلم بل همج رعاع والهج من الناس حقا لهم وجه لهم وأصله من الهمج جمع همجة وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والدواب وأعينها فشبها همج الناس به والهج أيضا مصدر قال الراجز قد هلكت جارتنا من الهمج وان تجع تأكل عنوداً او هاج

والهمج هذا مصدر ومعناه سوء التدبير في أمر المعيشة . وقولهم همج هاج مثل ليل لايل والربيع من الناس الحق الذين لا يعتقد بهم . وقوله اتباع كل فاعق أى من صالحهم ودعاهم سبعة سواء دعاهم الى هدى أو الى ضلال فائهم لاعلم لهم بالذى يدعون به أحق هو أم باطل فهم مستحبون لدعوه وهو لا يهم من أضر الخلق على الأديان فائهم لا يكتنون عدداً الا قلون عند الله قدرأ وهم حطبا كل فتنة بهم توقد ويشب ضرائبها فانها يهتز لها ألو الدين ويتولاها الهمج الرعاع وهي داعيهم ناعقا تشتبها لهم

بالانعام التي ينبع بها الراعي فتذهب معه أين ذهب . قال تعالى (ومثل الذين كفروا
كثيرون الذين ينبعون بالآيات من ادعاء ونداء لهم بكم على فهم لا يعقلون) وهذا الذي
وصفهم به أمير المؤمنين هو من عدم علمهم وظلمة قلوبهم فليس لهم نور ولا بصيرة
يفرقون بها بين الحق والباطل بل الكل عندهم سواء . وقوله رضي الله عنه يميلون
مع كل ريح وفي رواية مع كل صافع شبه عقوتهم الضعيفة بالغضن الضعيف وشبه الاهوية
والاراء بالرياح والغضن يميل مع الريح حيث مالت ويعقول هو لا يميل مع كل هوى
وكل داع ولو كانت عقولاً كاملاً كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تلاعب بها الرياح . وهذا
مخالفة المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لامة المؤمنين بالخاتمة من الزرع فقيمه الريح
مرة وتقيمه أخرى والمنافق كشجرة الأرض التي لا تقطع حتى تستحصد فان هذا المثل
ضرب للمؤمن وما يلقاه من عواصف البلاد والابواع والابوال وغيرها فلا يزال بين
غافقة وبلاه ومحنة ومنحة وصحة وسقم وأمن وخوف وغير ذلك فيقع مرارة ويقوم
آخرى ويغسل تارة ويعدل أخرى فيكف عنده بالبلاد ويتحصن به ويخلص من كدره
والكافر كله خبث ولا يصلح الا ل الوقود فليس في اصابته في الدنيا بأنواع الابلاء من
الحكمة والرحمة ما في اصابة المؤمن فهذه حال المؤمن في الابتلاء . وأما مع الاهواء
ودعاء الفتن والضلال والبدع فكما قبل

وصف بهما سبحانه المعلم الأول جبريل صلوات الله وسلامه عليه فقال (ان هو الاوحي يوحى
علمه شديد القوى) . وقال تعالى في سورة التكوير (انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين) فوصفه بالعلم والقوة وفيه معنى أحسن من هذا وهو الاشيه
يمراد على رضى الله عنه وهو أن هؤلاء ليسوا من أهل البصائر الذين استضافوا بنور
العلم ولا جلوا الى علم مستبصر فقدلدوه ولا متبعين مستبصر فان الرجل اما ان يكون
 بصيراً او أعمى متسلكاً ب بصير يفوده او أعمى يسير بلا قائد . وقوله رضى الله عنه العلم
خير من المال العلم يحرسك وأنت حرس المال . يعنى ان العلم يحفظ صاحبه ويحميه من
موارد الهدaka وموقع العطب فان الانسان لا ياتي نفسه في هذلك اذا كان عقله معه ولا
يعرضها لتفاوت الا اذا كان جاهلاً بذلك لاعلم له به فهو كمن يأكل طعاماً مسروقاً فالعالم
بالسم وضرره يحرسه علمه ويتبع به من أكله والتجاهل به يقتله جهله فهذا مثل حراسة
العلم للعلم وكذا الطبيب اذا تلقى بعلمه عن كثير ما يجلب له الامراض والاسقام
وكذا العالم بمخاوف طريق سلوكه ومع اطهابها يأخذ خذره منها فيحرسه عالمه من اطلاق
وهكذا العالم بالله وبآمره وبعد وعيه ومكايدته ومداخلته على العبد يحرسه عالمه من وساوس
الشيطان وخطراته والقاء الشك والريب والكدر في قلبه فهو بعلمه يتبع من قبول ذلك
فعالمه يحرسه من الشيطان فكلما جاء ليأخذه صاح به حرس العلم والایمان فيرجع خائضاً
خائباً . وأعظم ما يحرسه من هذا العدو المبين العلم والایمان فهذا السبب الذي من العبد
والله من وراء حفظه وحراسته وكلامه ثقى وكلام الى نفسه طرفة عين تحفظه عدوه .
قال بعض العارفين أجمع العارفون على أن التوفيق ان لا يكلك الله الى نفسك وأجمعوا
على ان الخذلان ان يختلي بذلك وبين نفسك . وقوله العلم يذكر على الانفاق والمال تتصدّه
النفقة العالم كما بذلك عالمه الناس وأنفق منه تفجّرت بتعاليه فازداد كثرة وقوّة
وظهروراً فيكتسب بتعاليه حفظ ما عالمه ويحصل له به علم مالم يكن عنده وربما تكون
المسئلة في نفسه غير مكتشوفة ولا خارجة من حيز الاستكشاف فاذا نكلم بها وعلمناها اتفتحت
له وأضاءت وانفتح له منها علوم آخر . وأيضاً فان الجزء من جنس العمل فكما عالم
الخلق من جهالهم جزاء الله بان علمه من جهالاته كافي صحيح مالم من حدث
عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حديث طويل وان الله قال لى
انفق أنيق عليك وهذا يتداول نفقة العلم اما بالفظه واما بتبييه واثارته وشواده وزركاه
العلم ونحوه طريقان أحددها تعاليه والثاني العمل به فان العمل به أيضاً ينفيه ويذكره
ويفتح لصاحب أبوابه وخياليه قوله . والمال تتصدّه النفقة . لا ينفي قول النبي صلى

الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال فان المال اذا قصدت منه وأنفقت ذهب ذلك
القدر وخلافه غيره • وأما العلم فكالقبس من النار لو اقتبس منها العالم لم يذهب منها شيء
بل يزيد العلم بالاقتباس منه فهو كالمعين التي كلما أخذ منها قوي ينبع عنها وجنس معينها
وفضل العلم على المال يعلم من وجوهه • أحدها ان العلم ميراث لآنياء المال ميراث
الملوك والاغنياء • والنافى ان العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله • والثالث ان
المال تذهب النفقات والعلم يزكي على النفقه • الرابع ان صاحب المال اذا مات فارقه ماله
والعلم يدخل معه قبره • الخامس ان العلم حاكم على المال والمال لا يتحكم على العلم • السادس
ان المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر والعلم النافع لا يحصل الا للمؤمن • السابع
ان العالم يحتاج اليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال اثنايحتاج اليه أهل العدم والفاقة
• الثامن ان النفس تشرف وتزكي على بجمع العلم وتحصيه وذلك من كلامها وشرفها والمال
لا يزكيها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال بل النفس تنقص وتشح وتختل بجمعها
والحرص عليه سرقها على العلم عين كلامها وحرصها على المال عين نفسها • التاسع ان المال
يدعوها الى الطفيان والغخر والخجل والعلم يدعوها الى التواضع والقيام بالعبودية فالمال
يدعوها الى صفات الملوك والعلم يدعوها الى صفات العبيد • العاشر ان العلم جاذب موصى
هذا الى سعادتها التي خلقت لها والمال حجاب بينها وبينها • الحادى عشر ان غنى العلم
أجل من غنى المال فان غنى المال غنى بأمر خارجي عن حقيقة الانسان لو ذهب في ليلة
أصبح فقيراً معدماً وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة أبداً فهو الغنى العالى
حقيقة كما قيل

غنى بلا مال عن الناس كلهم • وان الغنى العالى عن النوى لا به
• الثاني عشر ان المال يستبعد مجده وصاحبه فيجعله عبداً له كما قال النبي صلى الله عليه
 وسلم تمس عبد الدينار والدرهم الحديث والعلم يستبعد له ولديه وخلافه فهو لا يدعوه الا
 الى عبودية الله وحده • الثالث عشر ان حب العلم وطلبه أصل كل طاعة وحب الدنيا
 والمال وطلبه أصل كل سيئة • الرابع عشر ان قيمة الغنى ماله وقيمة العالم عالمه فهذا
 متقوم بما له فإذا عدم ماله عدمت قيمته ففي بلا قيمة والعلم لا تزول قيمته بل هي في
 تضاعف وزيادة دائمة • الخامس عشر ان جوهر المال من جنس جوهر البدن وجوهر
 العلم من جنس جوهر الروح كما قال يونس بن حبيب عالمك من روحك وممالك من
 بدنك والفرق بين الامررين كالفرق بين الروح والبدن • السادس عشر ان العالم لو عرض
 عليه بمحظة من العلم الدنيا بما فيها لم يرضها عوضاً من عالمه والمعنى العاقل اذا رأى شرف

العلم وفضله وابتهاجه بالعلم وكاله به يود لو أن له عالمه بفناء أجمع . السابع عشر انه
ما أطاع الله أحد قط الا بالعلم وعامة من يعصيه اثنا عشر عاصي بالمال . الثامن عشر أن العالم
يدعو الناس الى الله بعلمه وحاله وجماع المال يدعوهم الى الدنيا بحاله وماليه . التاسع عشر
ان غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه كثيراً فانه معشوق النفوس فذا رأى من يستأثر
معشوقها عليها سعت في هلاكه كاً هو الواقع وأما غنى العلم فسبب حياة الرجل وحياة
غيره به والناس اذاروا من يستأثر عليهم بروبيطه أحبوه وخدموه وأكرمواه . العشرون
ان الملاذة الحاصلة من غنى المال املاذة وهبة واما لذة بهيمية فان صاحبه ان التذ بنفس
جعه وتحصيله فتلاك لذة وهبة خيالية وان التذ باتفاقه في شهواته فهو لذة بهيمية وأما
لذة العلم فلذة عقلية وروحانية وهي تشبه لذة الملائكة ومجدها وفرق ما بين الملاذتين . الحادى
والعشرون ان عقلاه الام مطبقون على ذم الشره في جمع المال الحريص عليه وستقصه
والازراء به ومحظيون على تعظيم الشره في جمع العلم وتحصيله ومدحه ومحبته ورؤيته
بعين الكمال . الثاني والعشرون انهم مطبقون على تعظيم الزاهد في المال المعرض عن
جعه الذي لا ياتف اليه ولا يجعل قلبه عبداً له ومحظيون على ذم الزاهد في العلم الذي
لا ياتف اليه ولا يحرض عليه . الثالث والعشرون ان المال يدح صاحبه بخليه منه وآخر اجره
والعلم اثنا يدح بخليه به وانصافه به . الرابع والعشرون ان غنى المال مقررون بالخوف
والحزن فهو حزن قبل حصوله خائف بعد حصوله وكما كان أكتر كان الخوف أقوى
وغنى العلم مقررون بالأمن والفرح والسرور . الخامس والعشرون ان الغنى يماله لا بد ان
يفارقه غناه ويتعدب ويتألم بفارقة والغنى بالعلم لا يزول ولا يتعدب صاحبه ولا يتألم
فلذة الغنى بالمال لذة زائنة متقطعة يعقبها الام ولذة الغنى بالعلم لذة باقية مستمرة لا يلحقوها
أبداً . السادس والعشرون ان استلزم النفس وكالها بالغنى استكمال بعارية مؤدة فتجتمعاها
بالمال تحمل بتوب مستعار لابدان يرجع الى مالك يوماً ما وأما تحملها بالعلم وكالها به
فتجمل بصفة ثابتة لها راسخة فيها لا تفارقها . السابع والعشرون ان الغنى بالمال هو عين
فقر النفس والغنى بالعلم هو عين فقر النفس والغنى بالعلم هو غناها الحقيقي فتناها بعلمهها
هو الغنى وغناها بما لها هو الفقر . الثامن والعشرون ان من قدم وأكرم ماله اذا
زال ماله زال تقديره وأكرامه ومن قدم وأكرم عالمه لا يزيد اتقديرها وأكرامها .
النinth والعشرون ان تقديم الرجل ماله هو عين ذمه فانه نداء عليه ستقصه وانه لو لا ماله
لكان مستحقاً للتأخر والاهانة وأما تقاديره وأكرامه لعلمه فانه عين كاله اذ هو تقديم له
نفسه وبصفته القاعدة به لا بأمر خارج عن ذاته . الوجه اثنالاثنتون ان طالب الكمال بغير

المال كالمجتمع بين العذرين فهو طالب ملاسبيل له اليه (وبيان ذلك) ان القدرة صفة كمال
 وصفة الكمال محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير أيضاً صفة كمال محبوبة بالذات فإذا مال
 الرجل بطبعه الى السخاوة والجود و فعل المكرمات فهذا كمال مطلوب للعقلاء محبوب
 للنفوس وإذا التفت الى ان ذلك يقتضي خروج المال من يده وذلك يوجب نفسه
 واحتياجه الى الغير وزوال قدرته نفرت نفسه عن السخاوة والكرم والجود واصطدام
 المعروف وظن أن كماله في امساك المال وهذه البالية أمر ثابت لعامة الخلق لا ينفكون
 عنها فالأجل ميل الطبع الى الحصول المدح والثناء والتعظيم يحب الجود والسخاوة والمكارم
 ولا يجل فوت القدرة الحاسلة بباب اخراجها وال الحاجة المنافية لكمال الغنى يحب ابقاء ماله
 ويكره السخاوة والكرم والجود فيبقى قلبه واقفاً بين هذين الداعيين بتجاذبها ويعتبر ان
 عليه فيبقى القلب في مقام المعارضة ينبع ما في الناس من يترجح عنده حاب البذر
 والجود والكرم فيؤثره على الحاب الآخر . ومنهم من يترجح عنده جانب الامساك
 وبقاء القدرة والغنى فيؤثره فيهان نظران للعقلاء . ومنهم من يصل به الجهل والخفاقة الى
 حيث يريد الجمع بين الوجهين فيبعد الناس بالجود والسخاوة والمكارم طمعاً منه في فوزه
 بالمدح والثناء على ذلك وعند حضور الوقت لا يبق بما قال فيستحق الذم ويبدل باسانه
 ويسلك بقلبه ويده فيقع في أنواع القبائح والفضائح . وإذا تأملت أحوال أهل الدنيا من
 الآشخاص رأيهم تحت أمر هذه البالية وهم غالباً يكونون ويشكون وأما غني العالم فلا يعرض
 له شيء من ذلك بل كلما بذلك ازداد بيذهله فرحاً وسروراً وابتهاجاً وإن فاته لذة أهل
 الغنى وتمتعهم بأموالهم فهم أيضاً قد فاتهم لذة أهل العلم وتمتعهم بعلومهم وابتهاجهم بهافع
 صاحب العلم من أسباب اللذة ما هو أعظم وأقوى وادوم من لذة الغنى وتعبه في تحصيله
 وجمعه وضياعه أقل من تعب جامع المال سمعه وأنه دون الله كلامه قال تعالى لامؤمنين
 تسلية لهم بما يناظم من الألم والتعب في خلعته ومرضاته (ولا تهنووا في استغاثة القوم ان
 تكونوا تملون فائهم يملون كانوا تملون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله علماً حكماً)
 . الحادى والثلاثون إن اللذة الحاسلة من المال والغنى إنما هي حال تجددده فقط . وأما حال
 دوامه فاما ان تذهب تلك اللذة واما ان تستحسن ويدل عليه ان الطبع يبقى طالباً لغنى آخر
 حريضاً عليه فهو يحاول تحصيل الزيادة دائماً فهو في فقر مستمر غير منقض وله ملك
 خزان الأرض فقده وطلبها وحرصه باق عليه فإنه أحد المتهومين الذين لا يشعرون فهو
 لا يفارقه ألم الحرث والطلب . وهذا بخلاف غنى العلم والإيمان فإن لذته في حال بقاءه
 منها في حال تجددده بل أزيد وصاحبها وإن كان لا يزال طالباً للمزيد حريضاً عليه فطلبها

وحرصه مستصحب للذلة الحاصل ولذلة المرجو المطلوب ولذلة الطلب وابتهاجه وفرحة
به ° الثاني والثلاثون ان غنى المال يستدعي الانعام على الناس والاحسان اليهم فتضاجبه
اما ان يسد على نفسه هذا الباب واما ان يفتحه عليه فان سده على نفسه اشهر عند الناس
باباً بعد من الخير والنفع فابغضه ودموه واحتقره وكل من كان بغضاً عند الناس حقيراً
لديهم كان وصول الآفات والضررات اليه أسرع من النار في الخطب الياس ومن السيل
في منحدره واذا عرف من الخلق انهم ينتونه ويبغضونه ولا يقيمون له وزناً تالم قابله
غاية التالم واحضر الهدم والغموم والحزن وان فتح باب الاخسان والمعطاء فانه لا
يمكنه ايصال الخير والاحسان الى كل أحد فلا بد من ايه الله الى البعض وامساكه عن
البعض وهذا يفتح عليه باب العداوة والمذمة من المخروم والمرحوم أما المخروم فيقول
كيف جاد على غيري وبحل على وأما المرحوم فانه يلتذ ويترح بما حمل له من الخير
والنفع فيقي طاماً مستمراً لظهوره على الدوام وهذا قد يتعدى غالباً فيفضي ذلك الى
العداوة الشديدة والمذمة ° وهذا في كل اتق شر من احنت اليه وهذه الآفات
لا تعرض في غنى العلم فان صاحبه يمكنه بذلك للعالم كلهم واشتراكهم فيه والقدر انذول
منه باق لا خذه لا يزول بل يجربه فهو كالغاف اذا أعطي الفقير رأس مال يجربه حتى
يصير غنياً مثله ° الوجه الثالث والثلاثون ان بعض المال مقررون بثلاثة أنواع من الآفات
والمحن نوع قبله ونوع عند حصوله ونوع بعد مفارقتنه ° فاما الدرع الاول فهو الماشق
والانكاد والآلام التي لا يحصل الا بها ° وأما النوع الثاني فشقة حفظه وحراسته
وتعلق القاب به فلا يصبح الا مهموماً ولا يحيى الا مغموماً فهو بجزله عاشق مفترط
الحبة قد ظفر بعشيقه والعيون من كل جانب ترميشه والآلن والتلوب ترشقه فأي
عذش ولذلة ملن هذه حاله وقد علم ان اعداه وحـاده لا يفترون عن سعيهم في التفرق
بيـنه وبين عشيـقه وان لم يـتفروا هـم بـدونـه ولكن مقصـودـهم أـن يـزـيلـوا اـختـصاصـهـ بهـ
دونـهمـ فـانـ فـازـواـ بهـ وـالـاستـتوـواـ فـيـ الـحرـمانـ فـزـالـ الاـختـناسـ الـثـلـمـ الـمـغـوسـ وـلـوـ قـدرـواـ
عـلـىـ مـثـلـ ذـلـكـ مـعـ الـعـلـمـ لـفـعلـوهـ وـلـكـنـ مـاـ تـأـمـلـواـ اـهـلـ الـسـيـلـ إـلـىـ ١ـ عـلـمـ عـدـهـ وـاـلـيـ جـمـدـهـ
وـاـنـكـارـ رـمـوهـ بـالـعـنـاطـمـ وـنـبـوهـ إـلـىـ كـلـ قـبـيـحـ لـيـزـلـواـ مـنـ القـلـوبـ مـبـحـتـهـ وـبـسـكـنـاـ مـوـضـعـهاـ
الـفـرـةـ عـنـهـ وـبـقـضـهـ وـهـذـاـ شـغـلـ السـحـرـ بـعـيـنـهـ فـهـؤـلـاءـ سـحـرـ بـالـسـنـنـ فـانـ عـيـزـواـ اللهـ عـنـ
هـنـيـ منـ القـبـاعـ الـظـاهـرـ رـمـوهـ بـالـتـابـيـسـ وـالـتـدـلـيـسـ وـالـدـوـكـرـةـ وـالـرـيـاءـ وـحـبـ التـرـفـ وـطـابـ
الـجـاهـ وـهـذـاـ الـقـدـرـ مـعـادـةـ أـهـلـ الـجـهـلـ وـالـفـلـمـ لـعـلـمـاءـ مـثـلـ الـحـرـ وـالـبـرـدـ لـاـبـدـ مـنـهـ فـاـلـ

ينبغي لمن له مسكنة عقل أن يتاذى به اذا لا سبيل له الى دفعه بحال فليوطن نفسه عليه
 كما يومتها على بر الشتاء وحر الصيف . وان نوع الثالث من آفات الغنى ما يحصل للمعبد
 بعد مفارقه من تعلق قلبه به وكونه قد حيل بيته وبنته والمعطالية بمحفوظة والخاصة على
 مقبوشه ومصروفه من أين اكتسبه وفيماذا أفقه وغنى العلم والاعيان مع سلامته من
 هذه الآفات فهو كفيل بكل لذة وفرحة ومرور ولكن لا يتأتى الا على جسر من التعب
 والصبر والمشقة . الرابع والثلاثون ان لذة الغنى بالمال مقرنة بمخالطة الناس ولو لم يكن
 الا خدمه وأزواجه وسراريه واتباعه اذ لو افرد الغنى بمائه ولا النذاده به واذا كان كال
 بخادم أو زوجة أو أحد من الناس لم يكمل استفائه به ولا النذاده به وهذا كان كال
 لذته بفداء موقوفا على اتصاله بالغير فذلك منشأ الآفات والآلام ولو لم يكن الا اختلاف
 الناس وطبعاتهم وارادتهم فقيح هذا حسن ذاك ومصلحة ذاك مفسدة هذا ومنعه هذا
 مفسدة ذاك وبالعكس فهو مبتلى بهم فلا بد من وقوع النفرة والتبعض والتعادي بينهم
 وبينه فان ارضاهم كلهم بحال وهو جمع بين الضدين وارضاه بعضهم واسخاط غيره سبب
 الشر والمعداة وكل اطالت المخالطة ازدادت أسباب الشر والمعداة وقوتها وبهذا السبب
 كان الشر الحاصل من الاقرب والعشراء أضعاف الشر الحاصل من الاجانب والبعداه
 وهذه المخالطة اما حصلت من جانب الغنى بلئال اما اذا لم يكن فيه فضيلة لهم فالماء
 يحييون مخالطته ومعشرته فيستريح من اذى الخلة والعشرة وهذه الآفات معدودة في
 الغنى بالعلم . الخامس والثلاثون ان المال لا يراد لذاته وعینه فانه لا يحصل بذاته شيء من المنافع
 اصلا فانه لا يشع ولا يروي ولا يدفئ ولا يعنوانا يراد لهذه الاشياء فانه لما كان طريقها
 اليها يريد ارادة الوسائل . وعموم ان الغاليات اشرف من الوسائل فهذه الغاليات اذا اشرف منه
 وهي مع شرفها بالنسبة اليه ناقصة دينية وقد ذهب كثير من العقول الى انها لا حقيقة لها
 وانما هي دفع الالم فقط فان ليس الثبات مثلا ابدا فائدته دفع العقل بالسخر والبرد والريح
 وليس فيها لذة زائدة على ذلك وكذلك الاكل اما فائدته دفع الم الجوع ولهذا لم يوجد الم
 الجوع لم يستطع الاكل وكم ذلك الشرب مع العطش والراحة مع التعب . وعموم ان
 في مزاولة ذلك وتحصيله اما وضررا ولكن ضرره والله اقل من ضرر ما يدفع به والله
 في تحمل الانسان أخف الضررين دفعا لا عظمهما . وحكي عن بعض العقال انه قيل له
 وقد تناول قدحا كريبا من الدواء كيف حالك معه قال أصبحت في دار بليات أدفع آفات
 آفات . وفي الحقيقة فلذات الدنيا من المأكل والمشارب واللبس والمسكن والنكح من
 هذا الجنس ولذة التي يباشرها الحس ويخرك لها الجسد وهي الغاية المطلوبة له من لذة

الشكح والمأكل شهوي البطن والفرج ليس لهما ثالت البتة الا ما كان وسيلة اليهمها وطريقها
الي تحصيلها وهذه اللذة منفعة من وجوده عديدة • منها ان تصور زواها وانقضائها
وفنائها يوجب تنفسها • ومنها انها مزوجة بالآفات ومعجونة بالآلام مخاطلة بالمخاوف
وفي الغالب لاتفي آلامها بطيئها كما قيل

فأيست بين جهاها وفهاها فذا الملاحة بالنباحة لانفي

• ومنها أن الاراذل من الناس وسعدهم يشاركون فيها كبراءهم وعقالهم بل يزبدون
عليهم فيها أعظم زيادة وأشدها فنسبتهم فيها الى الافضل كتبة الحيوانات البرية اليهم
فشاركة الاراذل وأعلى الخفة والدناءة فيها وزياحتهم على العقلاء فيها مما يوجب النفرة
والاعراض عنها وكثير من الناس حصل له الزهد في المحبوب والمعشق منها بهذه
الطريق وهذا كثير في اشعار الناس ونثرهم كما قيل

سأرك جها من غير يغض ولتكن لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب علي طعام رأته يدي وفسي تشتهي
ونجتني الاسود ورود ماه اذا كان الكلاب يلغن فيه

• .وقيل لراحد ما الذي زهدك في الدنيا فقال خمسة شركائهم وفنهما وكثرة جفانيها
• .وقيل لا آخر في ذلك فقال مامددت يدي الى شيء منها الا وجدت غيري قد سبقني
إليه فاترك له • ومنها أن الانذاد بعوتها إنما هو يقدر الحاجة إليها وتألم بمعالجة
النفس لتناولها وكلما كانت شهوة الفائز بالشيء أقوى كانت اللذة الخاصة به بوجوده أكل
فلم يحصل تلك الشهوة لم يحصل تلك اللذة فقد ادار اللذة الخاصة في الحال مساوئه
الحاجة والالم والضرر في الماضي وحيث أنه يتقابل اللذة الخاصة والالم المتقدم في ساعاته
فتصير اللذة كأنها لم توجد وبصير بمنزلة من شق بطن رجل ثم خاطه وداوه بالمرادهم
أو بمنزلة من ضربه عشرة أسواط وأعطيه عشرة دراهم ولا تخرج لذات الدنيا غالباً عن
ذلك ومثل هذا لا يبعد لذة ولا سعادة ولا كلّا بل هو بمنزلة قضاء الحاجة من البول
والغائط فان الانسان يتضور بستله فإذا قضى حاجته استراح منه فلما ان بعد ذلك سعادة
وبهجة ولذة مطلوبة فلا • ومنها ان هاتين اللذتين هما أثر اللذات عند
الناس ولا سبيل الي نيلهما الا بما يقتربن بهما قياماً وبعدهما من ماضية القاذورات
وتألم الحاصل عنيهما مثل لذة الاكل فان العاقل لو نظر الي طعامه حال مخالطة ريقه
وعينيه به لنفتر نفسه منه ولو سقطت تلك اللقمة من فيه لنفتر طبعه من اعادتها اليه ثم
ان لذته به انما تحصل في بجري نحو الاربع الاسابيع فإذا فصل عن ذلك المجرى فالـ

تملذده به فإذا استقر في معدته وخلطه الشراب وما في المعدة من الأجزاء النضالية فإنه حينئذ يصير في غاية الحسنة فإن زاد على متقدار الحاجة أورث الأدواء المختلفة على تنوعها ولو لا أن بقاءه موقف على تناوله لكان تركه والحله هذه أليق به كما قال بعضهم
لولا تضاه جری نزعت أثماری عن ان تم بما كول ومشروب

وأما لذة الواقع فقدرها أربعين من إن نذكر آفةه ويدل عليه أن أثماره هذه اللذة هي عورة الإنسان التي يستحبها من رؤيتها وذكرها وستره أمر فعل الله عاليه عباده ولا تم لذة الملاحة إلا بالاطلاع عليها وإبرازها والثانـي بالرطوبات المستنذرة المتولدة منها ثم إن تمامها أنها يحصل بأفضل النتائج وهي اللذة المتصودة من الواقع وزمنها يشبه الآن الذي لا ينقسم فصعوبية تلك الملاحة والمحاولة والمحاولة والمرأومة والتعب الاجل لذة لحظة كمة العرض فain مقايسة بين هذه اللذة وبين التعب في طريق تحصيلها وهذا يدل على أن هذه اللذة ليست من جنس الحسـيرات والسعادات والكـمال الذي خلق له العبد ولا كـمال له بدونه بل ثم أمر وراء ذلك كـله قد هي له العـبد وهو لا يـعنـان له لغـافـته عنه وأعراضـه عن التـفـيـش عليهـ حقـ يـظـفـرـ بـعـرـفـهـ عنـ التـفـيـشـ عـلـيـ طـرـيقـ حقـ يصلـ إـلـيـ يـسـومـ نـسـمـ معـ الـنـعـامـ السـائـعـ

قد هيـوكـ لـامرـ لـوـ فـعلـتـ لـهـ فـارـيـ اـسـفـلـ اـنـ تـرـعـيـ مـعـ الـهـلـ

وموقع هذه اللذات من النفس كموقع لذة البراز من رجل احتبس في موضع لا يمكنه القيام إلى الخلاء وصار مضطراً إليه فإنه يجد مشقة شديدة وبلاه عظيمها فإذا هـنـكـ من الذهاب إلى الخلاء وقدر على دفع ذلك الحـبـثـ المؤـذـىـ وجـدـ لـذـةـ عـظـيمـةـ عندـ دـفـعـهـ وارـسـالـهـ وـلـاـ لـذـةـ هـنـاكـ الاـ رـاحـتـهـ منـ حـلـ ماـ يـؤـذـيهـ حـلـهـ فـعـلـ انـ هـذـهـ الـذـذـاتـ اـمـاـ انـ تـكـونـ دـفـعـ آـلـامـ وـاـمـاـ انـ تـكـونـ لـذـاتـ ضـعـيفـةـ خـسـيـةـ مـقـتـنـةـ باـفـاتـ تـرـىـ مـضـرـتـهاـ عـلـيـهـ وهذاـ كـاـ يـعـقـبـ لـذـةـ الـوـقـاعـ مـنـ ضـعـفـ القـلـبـ وـخـفـقـانـ الـفـؤـادـ وـضـعـفـ الـقـوىـ الـبـدنـيـةـ وـالـقـائـيـةـ وـضـعـفـ الـأـرـواـحـ وـاسـتـيـلـاـهـ الـعـفـوـةـ عـلـيـ كـلـ الـبـرـدـ وـاسـرـاعـ الـضـعـفـ وـالـخـلـورـ إـلـيـ وـاسـتـيـلـاـهـ الـاخـلاـطـ عـلـيـهـ اـضـعـفـ الـقـوـةـ عـنـ دـفـعـهـ وـقـهـرـهـاـ وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ انـ هـذـهـ الـذـذـاتـ لـيـسـتـ خـيـرـاتـ وـسـعـادـاتـ وـكـلـاـ أـنـ الـعـقـاءـ منـ جـبـ الـأـمـ مـطـبـقـونـ عـلـىـ ذـمـ مـنـ كـانـتـ هـنـمـهـ وـشـغـلـهـ وـمـعـرـفـهـ وـارـادـهـ وـالـازـرـاءـ بـهـ وـتـحـقـيرـ شـائـهـ وـالـحـاقـ بـالـبـاهـشـ وـلـاـ يـقـيمـونـ لـهـ وزـنـاـ وـلـوـ كـانـتـ خـيـرـاتـ وـكـلـاـ لـكـانـ منـ صـرـفـ الـبـاهـهـ أـكـلـ الـذـاسـ وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ ذـكـ انـ الـقـلـبـ الـذـيـ قـدـوجـهـ قـسـدـهـ وـارـادـهـ إـلـيـ هـذـهـ الـذـذـاتـ لـاـيـزاـلـ مـسـتـغـرـقاـ فـيـ الـطـمـومـ وـالـغـمـومـ وـالـاحـزانـ وـمـاـ يـسـأـلـهـ مـنـ الـذـذـاتـ فـيـ جـبـ هـذـهـ الـآـلـامـ كـفـطـرـةـ فـيـ بـحـرـ كـاـيـلـ

سروره وزن حبة وحزنه قططار فان القلب يجرى مجرى مجرى مرآة منصوبة على جدار وذلك
 الجدار يمر لانواع المشتريات والملائكة ذات المكر وهاكلات وكلام به شئ من ذلك ظهر
 فيه أثره فان كان محبوها مشتريا مال طبعه اليه فان لم يقدر على تحصيله تالم وتعذب بفقدده
 وان قدر على تحصيله تالم في طريق الحصول بالتعب والمشقة ومنازعة الغير له ويتألم حال
 حصوله خوفا من فراقه وبعد فراقه خوفا على ذهابه وان كان مكروها له ولم يقدر على
 دفعه تالم بوجوده وان قدر على دفعه اشتغل بدفنه ففاته مصالحة راجحة الحصول
 فيتألم لغواتها فعلم أن هذا القلب أبداً مستغرق في بحار الهموم والغموم والاحزان وان
 نفسه تضحك عليه وترضيه بوزن ذرة من لذته فيغيب بها عن شهوده القناطير من الله
 وعداته فإذا حيل بيته وبين تلك اللذة ولم يبق له إليها سبيل تجرب ذلك الألم وأحاط به
 واستولى عليه من كل جهة فقل ما ثبت في حال عبد قد غاب عنه سعاده وحظوظه
 وأفراحه وأحضر شفنته وهمومه وغمومه وأحزانه وبين العبد وبين هذه الحال ان يكتشف
 الغطاء ويرفع السر ويعجل الغبار ويحصل ما في الصدور فإذا كانت هذه غاية المذات الحيوانية
 التي هي غاية جمع الاموال وطابها الفتن يقدّر الوسيلة وأما غنى العلم والایمان فدائم
 اللذة متصل الفرحة مقتض لانواع المسرة والبهجة لا يزول فيحزن ولا يفارق فيؤلم بل
 أصحابه كما قال الله تعالى فيهم (لَا خوف علَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) السادس والثلاثون ان
 غنى المال يبغض الموت ولقاء الله فانه سبب ماله يكره مفارقه ويحب مقاهه ليتمتع به كما
 شهد به الواقع وأما العلم فانه يحب للعبد لقاء رب ويزهد في هذه الحياة النكدة الفانية
 • السابع والثلاثون ان الاغبياء يموت ذكرهم يوتهم والعلماء يموتون ويبيق ذكرهم كما
 قال أمير المؤمنين في هذا الحديث مات خزان الاموال وهم أحياه والعلماء باقون ما بقي
 الدهر نخزان الاموال احياء كاموات والعلماء بعد موتهم أموات كالحياء • الثامن والثلاثون
 ان نسبة العلم الى الروح كنسبة الروح الى البدن فالروح ميتة حياثا العلم كما ان الجسد ميت
 حياثه بالروح فالغافى بالمال غايته ان يزيد في حياة البدن وأما العلم فهو حياة القلوب
 والارواح كما تقدم تقريره • التاسع والثلاثون ان القلب ملك البدن والعلم زينته وعذته
 وما له وبه قوام ملكه والملك لا يلد له من عدد وعدة وما وزنته والعلم هو مركبه وعدته
 وحاله • وأما المال فغايته ان يكون زينة وجمالا لابدن اذا أفقه في ذلك فإذا خزنه ولم
 يستفقه لم يكن زينة ولا جمالا بل نقصا و وبالا • ومن المعلوم ان زينة الملك به وما به قوام
 ملكه أجمل وأفضل من زينة رعيته وجاهم فقوام القلب بالعلم كما ان قوام الجسم بالغذاء
 الوجه الرابعون ان القدر المقصود من المال هو ما يكفي العبد ويغطيه ويدفع ضرورته

حق يتحقق من قضاء جهازه ومن التزود لسفره الى ربه عن وجل فإذا زاد على ذلك شغله
وقطعه عن السفر وعن قضاء جهازه وتعيبة زاده فكان ضرره عليه أكثـر من مصلحتـه
وكـلا ازداد غـناه به ازداد تـبعـها وتـخـلفـا عن التجـهـيزـ لما أـمامـه . وأـمـا الـعـلمـ النـافـعـ فـكـلـماـ الزـادـ
منه اـزـدـادـ في تعـبـةـ الزـادـ وـقـضـاءـ الجـهاـزـ وـاعـدـادـ عـدـةـ المـسـيرـ وـالـلـهـ المـوـفـقـ وبـهـ الـاسـتـعـانـةـ
وـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـهـ فـعـدـةـ هـذـاـ السـفـرـ هـوـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ وـعـدـةـ الـاقـامـةـ جـمـعـ
الـأـوـالـ وـالـإـدـخـارـ وـمـنـ أـرـادـ شـيـئـاـ يـأـلـهـ عـدـتـهـ . قـالـ تـعـالـىـ (ولـوـ أـرـادـواـ اـلـخـرـوجـ
لـاـ عـدـواـ لـهـ عـدـةـ وـلـكـنـ كـرـهـ اللـهـ أـبـعـاـهـ يـمـنـ فـبـطـعـهـ وـقـيلـ اـقـعـدـواـ مـعـ الـقـاعـدـينـ) . قـوـلـهـ مـجـبـةـ
الـعـلـمـ أـوـ الـعـالـمـ دـيـنـ يـدـانـ بـهـ لـأـنـ الـعـلـمـ مـيـرـاتـ الـأـيـيـاءـ وـالـعـلـمـاءـ وـرـأـيـهـمـ فـجـبـةـ الـعـلـمـ وـأـهـلـهـ
مـجـبـةـ مـيـرـاتـ الـأـيـيـاءـ وـوـرـثـهـمـ وـبـعـضـ الـعـلـمـ وـأـهـلـهـ بـعـضـ مـيـرـاتـ الـأـيـيـاءـ وـوـرـثـهـمـ فـجـبـةـ الـعـلـمـ
مـنـ عـلـامـاتـ السـعـادـةـ وـبـعـضـ الـعـلـمـ مـنـ عـلـامـاتـ الشـفـاوـةـ وـهـذـاـ كـلـمـاـ هـوـ فـيـ عـلـمـ الرـسـلـ
الـذـيـ جـاؤـهـ وـوـرـنـوـهـ لـلـاءـةـ لـافـ كـلـمـاـ يـسـمـيـ عـلـمـاـ . وـأـيـضاـ فـانـ مـجـبـةـ الـعـلـمـ تـحـمـلـ عـلـىـ تـعـالـمـهـ
وـأـتـابـعـهـ وـذـلـكـ هـوـ الـدـيـنـ وـبـعـضـهـ يـنـهـيـ عـنـ تـعـلـمـهـ وـأـتـابـعـهـ وـذـلـكـ هـوـ الشـقـاءـ وـالـضـالـلـ .
وـأـيـضاـ فـانـ اللـهـ سـبـحـانـهـ عـلـيـمـ يـحـبـ كـلـ عـلـمـ وـأـنـمـاـ يـضـعـ عـلـمـهـ عـنـدـمـ يـحـبـ فـنـ أـحـبـ الـعـلـمـ وـأـهـلـهـ
فـقـدـ أـحـبـ مـاـ أـحـبـ اللـهـ وـذـلـكـ مـاـ يـمـاـدـانـ بـهـ . قـوـلـهـ يـكـبـ الـعـلـمـ يـكـبـ الـعـالـمـ الطـاعـةـ فـيـ حـيـاتـهـ وـجـيـلـهـ
الـإـدـوـنـةـ بـعـدـ مـاتـهـ يـكـبـهـ ذـلـكـ أـيـ يـجـعـلـهـ كـبـالـهـ وـبـورـنـهـ إـيـادـهـ وـيـقـالـ كـبـهـ ذـلـكـ عـنـ اـوـطـاعـةـ
وـأـكـسـهـ لـقـاتـانـ وـنـهـ حـدـيـثـ خـيـجـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـكـ لـتـنـدـلـ الرـحـمـ وـتـصـدـقـ الـحـدـيـثـ وـتـحـمـلـ
الـكـلـ وـتـكـبـ الـمـدـوـمـ روـيـ بـفـتـحـ النـاءـ وـضـمـهـ وـمـعـنـاهـ تـكـبـ الـمـالـ وـالـغـنـيـهـ هـذـاـ هـوـ
الـصـوـارـ وـقـالـ طـاغـةـ مـنـ روـاهـ بـضـمـهـاـ فـذـلـكـ مـنـ أـكـبـهـ مـاـ لـاـ وـعـنـآـ وـمـنـ روـاهـ بـفـتـحـهـاـ
فـعـتـاهـ تـكـبـ أـنـ الـمـالـ الـمـدـوـمـ يـعـرـفـتـكـ وـحـذـقـكـ بـاـتـجـارـةـ وـمـعـاذـ اللـهـ مـنـ هـذـاـ فـهـمـ
وـخـيـجـةـ أـجـلـ قـدـرـاـ مـنـ تـكـلـمـهـاـ بـهـذـاـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ الـعـظـيمـ أـنـ قـوـلـ لـرـسـوـلـ اللـهـ
صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـبـصـرـ فـوـالـلـهـ لـاـ يـخـزـيـكـ اللـهـ أـنـكـ تـكـبـ الدـرـهـمـ وـالـدـيـنـارـ وـنـحـنـ
الـتـجـارـةـ وـمـثـلـ هـذـهـ التـحـرـيـفـاتـ أـنـاـتـدـ كـلـ لـثـلـاـيـفـتـرـهـاـ فـيـ تـفـسـيـرـ كـلـامـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ . وـالـمـقـصـودـ
أـنـ قـوـلـهـ الـعـلـمـ يـكـبـ الـعـالـمـ الطـاعـةـ فـيـ حـيـاتـهـ أـيـ يـجـعـلـهـ مـطـاعـاـ لـأـنـ الـحـاجـةـ إـلـيـ الـعـلـمـ عـامـةـ
لـكـلـ أـحـدـ لـأـمـلـوـكـ فـنـ دـوـنـهـ فـكـلـ أـحـدـ مـخـتـاجـ إـلـيـ طـاعـةـ الـعـالـمـ فـانـ يـأـمـسـ بـطـاعـةـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ
فـيـجـبـ عـلـىـ الـخـلـاقـ طـاعـتـهـ . قـالـ تـعـالـىـ (وـأـيـهـاـ الـذـينـ آمـنـواـ أـطـيـعـواـ اللـهـ وـأـطـيـعـواـ الرـسـوـلـ
وـأـوـلـىـ الـأـمـرـ مـنـكـمـ) . وـفـسـرـ أـوـلـىـ الـأـمـرـ بـالـعـلـمـاءـ قـالـ اـبـنـ عـبـاسـ هـمـ الـفـقـهـاءـ وـالـعـلـمـاءـ أـهـلـ
الـدـيـنـ الـذـينـ يـعـلـمـونـ النـاسـ دـيـنـهـ أـوـ جـبـ اللـهـ تـعـالـىـ طـاعـتـهـ . وـهـذـاـ قـوـلـ مـجـاهـدـوـاـ لـحـنـ وـالـفـحـاكـ
وـأـحـدـيـ الـرـوـاـيـتـيـنـ عـنـ الـأـمـامـ أـحـدـوـفـسـرـواـ بـالـأـمـرـ أـوـهـ قـوـلـ اـبـنـ زـيـدـ وـاحـدـيـ الـرـوـاـيـتـيـنـ

عن ابن عباس وأحدوا الآية تناولها جميعاً فطاعة ولة الامر واجبة اذا أمروا بطاعة الله ورسوله وطاعة العلماء كذلك فالعلم بما جاء به الرسول العامل به أطوع في اهل الارض من كل أحد فاذا مات أحيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء فالعلم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس
كما قيل

وفي الجهنم قبل الموت موت لا يعلمه * وأجسامهم قبل النبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جحومهم * وليس لهم حق النشور نشور
﴿وقال الآخر﴾

قد مات قوم وما ماتت مكارיהם * وعاش قوم وهم في الناس أموات
﴿وقال آخر﴾

وما دام ذكر العبد بالغسل باقياً * فذلك حي وهو في الترب هناك
ومن تأمل أحوال أئمة الاسلام كائنة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم في العالمين
كائنة أحياء بينهم لم يفقدوا منهم الا صورهم والا فذكرهم وحدتهم والثناء عليهم غير
منتقطع وهذه هي الحياة حقاً حتى عد ذلك حياة ثانية . كما قال المنفي

ذكر الفتى عيشه الثاني و حاجته * ما فاته وفضول العيش اشغال

قوله وصنيعة المال تزول بزواله يعني أن كل صنيعة صنعت للرجل من أجل ماله من
اكرام ومحبة وخدمة وقضاء حوائج وتقديم واحترام وتولية وغير ذلك فانها انما هي
مراعاة ماله فإذا زال ماله وفارقه زالت تلك الصنائع كلها حتى انه ربها لا يسلم عليه من كان
يدأب في خدمته ويسعى في مصالحة . وقد أكثر الناس من هذا المعنى في اشعارهم
وكلامهم وفي مثل قوله من ودك لامر ملك عند انتقامه . قال بعض العرب

وكان بنو عمي يقولون من حبا * فلما رأوني معسراً مات من حب

ومن هذا مقابل اذا أكرمك الناس مالا أو سلطاناً فلا يعجبنيك ذلك فان زوال الكرامة
يزوالها ولكن ليعجبك ان أكرموك لعلم اودين وهذا أمر لا ينكر في الناس حتى
انهم يكرمون الرجل لنيله فاذ نزعهم لم يرمونهم تلك الكرامة وهو قال مالك بالغف
ان أبا هريرة دعى الى ولجة فاثنى سبب فرجع فليس غير تلك الثياب فادخل فلما وضع
الطعام أدخل كه في الطعام فعوتب في ذلك فقال ان هذه الثياب هي التي أدخلت فهى
تا كل حكاه ابن من بن الطائي على في كتابه وهذا مخلاف صنيعة العلم فانها لا تزول أبداً
بل كل ما لها في زيادة ماله يسلب ذلك العالم عليه وصنيعة العلم والدين أعظم من صنيعة المال
(١٩ - مفتاح - أول)

لأنها تكون بالقلب والسان والجوارح فهى صادرة عن حب وakeram لاجل ما أود عه
الله تعالى اياه من علمه وفضله به على غيره . وأيضاً فصنيعة العلم تابعة لنفس العلم وذاته
وصنيعة المال تابعة ماله المتصصل عنه . وأيضاً فصنيعة المال صنيعة معاوضة وصنيعة العلم والدين
صنيعة حب وتقارب وديانة . وأيضاً فصنيعة المال تكون مع البر والفاجر والمؤمن
والكافر وأما صنيعة العلم والدين فلا تكون الا مع أهل ذلك وقد يراد من هذا أيضاً معنى
آخر وهو ان من اصطنعت عنده صنيعة بمالك اذا زال ذلك المال وفارقه عدلت صنيعتك
عنه وأما من اصطنعت اليه صنيعة علم وهدى فان تلك الصنيعة لاتفارقه أبداً بل ترى
في كل وقت كأنك أسدتها اليه حبيباً . قوله مات خزان الاموال وهم أحياه قد تقدم
بيانه . وكذا قوله والعلماء باقون ما بقي الدهر . وقوله أعيانهم مفقودة وأمثالهم في
القلوب وجودة المراد بأمثالهم صورهم العافية وجودهم المنالى أى وان فقدت ذواتهم
صورهم وأمثالهم في القلوب لا تفارقها وهذا هو الوجود الذهنى العلمى لأن محبة الناس
 لهم واقداءهم بهم وانتفاعهم بعلوهم يجب أن لا يزروا نصب عيونهم وقبلة قلوبهم فهم
 موجودون معهم وحاضرون عندهم وان غابت عنهم أعيانهم . كما قيل

﴿ وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَشْكُوَ الْعَدْعَاشِقُ * وَهُلْ غَابَ عَنْ قَلْبِ الْحَبِيبِ
خِلَالَكَ فِي عَيْنِي وَذَكْرِكَ فِي فَيِّي * وَهُنْوَالُكَ فِي قَلْبِي فَأَنِّيْنَ تَعْبِرُ
قَوْلَهُ أَهَ أَنْ هَاهُنَا عَلَيْاً وَأَسْتَارُ إِلَيْيَ صَدْرِهِ يَدْلِي عَلَى جَوَازِ أَخْبَارِ الرَّجُلِ بِمَا عَنْهُدَهُ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْغَيْرِ لِيَقْبَسْ مِنْهُ وَلِيَتَفَعَّلْ بِهِ . وَمَنْ، قَوْلُ يُوسُفَ الْمَدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْعَلَنِي عَلَى خَزَانِ
الْأَرْضِ أَنِّيْ حَقِيقَتُ عَلَيْمَ فَنَ أَخْبَرَ عَنْ فَسَهِ بِمَثْلِ ذَلِكَ لِيَكْتُرْ بِهِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
الْخَيْرِ فَهُوَ شَمْوَدٌ وَهُدَّا غَيْرُهُمْ أَخْبَرَ بِذَلِكَ لِيَكْتُرْ بِهِ عَنْ النَّاسِ وَيَتَعَظَّمُ وَهُذَا يَجَازِيْهُ
الَّهُ بِعَقْتِ النَّاسِ لَهُ وَصَغْرَهُ فِي عَيْوَنِهِمْ وَالْأَوَّلُ يَكْتُرْ فِي قُلُوبِهِمْ وَعَيْوَنِهِمْ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالْبَيْانِ وَكَذَلِكَ إِذَا أَنْتَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ لِيَخَلُصَ بِذَلِكَ مِنْ مَظْلَمَةِ وَشَرِّ أُولِيَّ
الْسَّنَوْنِ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِمَحَالِهِ أَوْ لِيَقْطَعَ عَنْهُ أَطْمَاعَ السَّفَلَةِ فِيهِ أَوْ عَنْ دَخْلِهِ إِلَى
مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ وَالْأَحْسَنُ فِي هَذَا أَنْ يُوَكِّلَ مِنْ يَعْرِفُ بِهِ وَبِمَحَالِهِ فَإِنْ لَسْنَهُ سَنَاءُ الْمَرْءِ
عَلَى نَفْسِهِ قَصِيرٌ وَهُوَ فِي الْغَالِبِ مَذْمُومٌ لَا يَقْتَرَنُ بِهِ مِنَ الْفَخْرِ وَالتَّعَانِيمُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَصْنَافَ
جَمِيعِ الْعِلْمِ الَّذِينَ لَا يَصْلَحُونَ لِحَمْدِهِ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ مِنْ لَيْسَ هُوَ بِمَأْمُونِ عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي

﴿ وَقَالَ آخَرُ ﴾

وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَشْكُوَ الْعَدْعَاشِقُ * وَهُلْ غَابَ عَنْ قَلْبِ الْحَبِيبِ
خِلَالَكَ فِي عَيْنِي وَذَكْرِكَ فِي فَيِّي * وَهُنْوَالُكَ فِي قَلْبِي فَأَنِّيْنَ تَعْبِرُ
قَوْلَهُ أَهَ أَنْ هَاهُنَا عَلَيْاً وَأَسْتَارُ إِلَيْيَ صَدْرِهِ يَدْلِي عَلَى جَوَازِ أَخْبَارِ الرَّجُلِ بِمَا عَنْهُدَهُ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْغَيْرِ لِيَقْبَسْ مِنْهُ وَلِيَتَفَعَّلْ بِهِ . وَمَنْ، قَوْلُ يُوسُفَ الْمَدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْعَلَنِي عَلَى خَزَانِ
الْأَرْضِ أَنِّيْ حَقِيقَتُ عَلَيْمَ فَنَ أَخْبَرَ عَنْ فَسَهِ بِمَثْلِ ذَلِكَ لِيَكْتُرْ بِهِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
الْخَيْرِ فَهُوَ شَمْوَدٌ وَهُدَّا غَيْرُهُمْ أَخْبَرَ بِذَلِكَ لِيَكْتُرْ بِهِ عَنْ النَّاسِ وَيَتَعَظَّمُ وَهُذَا يَجَازِيْهُ
الَّهُ بِعَقْتِ النَّاسِ لَهُ وَصَغْرَهُ فِي عَيْوَنِهِمْ وَالْأَوَّلُ يَكْتُرْ فِي قُلُوبِهِمْ وَعَيْوَنِهِمْ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالْبَيْانِ وَكَذَلِكَ إِذَا أَنْتَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ لِيَخَلُصَ بِذَلِكَ مِنْ مَظْلَمَةِ وَشَرِّ أُولِيَّ
الْسَّنَوْنِ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِمَحَالِهِ أَوْ لِيَقْطَعَ عَنْهُ أَطْمَاعَ السَّفَلَةِ فِيهِ أَوْ عَنْ دَخْلِهِ إِلَى
مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ وَالْأَحْسَنُ فِي هَذَا أَنْ يُوَكِّلَ مِنْ يَعْرِفُ بِهِ وَبِمَحَالِهِ فَإِنْ لَسْنَهُ سَنَاءُ الْمَرْءِ
عَلَى نَفْسِهِ قَصِيرٌ وَهُوَ فِي الْغَالِبِ مَذْمُومٌ لَا يَقْتَرَنُ بِهِ مِنَ الْفَخْرِ وَالتَّعَانِيمُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَصْنَافَ
جَمِيعِ الْعِلْمِ الَّذِينَ لَا يَصْلَحُونَ لِحَمْدِهِ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ مِنْ لَيْسَ هُوَ بِمَأْمُونِ عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي

أُوقِي ذِكْرَهُ وَحْفَظَهُ وَلَكِنْ مَعْ ذَلِكَ لَمْ يَؤْتِ زَكَرْهُ فَهُوَ يَخْذُلُ الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ آلُهَ الدِّينِ آلُهَ الدُّنْيَا يَسْتَجْلِبُهُ وَيَسْتَوْسِلُ بِالْعِلْمِ إِلَيْهَا وَيَجْعَلُ الْبَضَاعَةَ الَّتِي هِيَ مَتْجَرُ الْآخِرَةِ مَتْجَرَ الدُّنْيَا وَهَذَا غَيْرُ أَمِينٍ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا يَجْعَلُهُ اللَّهُ أَمَانًا فِيهِ قَطْ فَإِنَّ الْأَمِينَ هُوَ الَّذِي لَا يَغْرِيْهُ لَهُ وَلَا يَرَادُهُ لِنَفْسِهِ إِلَّا اتِّبَاعُ الْحَقِّ وَمُوافِقَتُهُ فَلَا يَدْعُونَ إِلَى إِقْامَةِ رِيَاسَتِهِ وَلَا دِنَاءَهُ وَهَذَا الَّذِي قَدْ أَخْذَ بِبَضَاعَةَ الْآخِرَةِ وَمَتْجَرَهُ مَتْجَرًا لِلْدُنْيَا قَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ عِبَادَهُ وَخَانَ دِينَهُ فَلَمَّا قَالَ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ وَقُولَهُ يَسْتَظْهِرُ بِمُحَجَّجٍ اللَّهُ عَلَى كِتَابِهِ وَبِنَعْمِهِ عَلَى عِبَادِهِ هَذِهِ صَفَةُ هَذَا الْخَطَّانِ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَظْهِرَ بِتِلْكَ النِّعَمَةِ عَلَى النَّاسِ وَإِذَا تَعَلَّمَ عَلِمًا اسْتَظْهِرَ بِهِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَعْنَى اسْتَظْهِرَهُ بِالْعِلْمِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ شَكِيمَهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيمَهُ وَاقْمَاتِهِ دُونَهِ وَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِنْ يَمْحُصُّلُ لَهُ عِلْمٌ فَإِنَّهُ يَسْتَغْفِي بِهِ وَيَسْتَظْهِرُ بِهِ وَيُحَكِّمُهُ وَيَجْعَلُ كِتَابَ اللَّهِ تَبَعًا لَهُ يَقَالُ اسْتَظْهِرَ فَلَمَّا عَلِيَ كَذَا بَكَذَا أَيْ ظَهَرَ عَلَيْهِ بِهِ وَتَقْدِيمِهِ وَجَعَلَهُ وَرَاءَ ظَهَرِهِ وَلَيْسَ هَذَا حَالُ الْعَلَمَاءِ فَإِنَّ الْعَالَمَ حَقًّا يَسْتَظْهِرُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مَا سُواهُ فِي قَدْمِهِ وَيُحَكِّمُهُ أَمَامَهُ وَيَجْعَلُهُ عِيَارًا عَلَى غَيْرِهِ مُهِمَّا نَعْلَمُهُ كَاجْمَلِهِ لَهُ تَعَالَى كَذَلِكَ فَالْمُسْتَظْهِرُ بِهِ مُوفَّقٌ سَعِيدٌ وَالْمُسْتَظْهِرُ عَلَيْهِ مُحْذَّلٌ شَقِّيٌّ فَنَّ اسْتَظْهِرَ عَلَى الشَّقِّ فَقَدْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَاهِرٍ مَقْدِمًا عَلَيْهِ مَا اسْتَظْهِرَ بِهِ وَهَذَا حَالٌ مِنْ اشْتَغْلَلٍ بِغَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ عَنْهُ وَأَكْتَفَ بِغَيْرِهِ مِنْهُ وَقَدْمُهُ غَيْرُهُ وَآخِرُهُ وَالصَّنْفُ الثَّانِي مِنْ حَلَةِ الْعِلْمِ الْمُنْقَادُ الَّذِي لَمْ يَشَّاجِرْ لَهُ صَدْرُهُ وَلَمْ يَطْمَئِنْ بِهِ قَلْبُهُ بَلْ هُوَ ضَعِيفُ الْبَصِيرَةِ فِي هِيَ لَكِنَّهُ مُنْقَادٌ لَاهُهُ وَهَذَا حَالٌ اتِّبَاعُ الْحَقِّ مِنْ مَقْلُدِيهِمْ وَهُؤُلَاءِ وَانْ كَانُوا عَلَى سَبِيلِ نُجَاهَةٍ فَلَيْسُوا مِنْ دُعَاءِ الدِّينِ وَانْعَامًا هُمْ مِنْ مَكْرُرِي سَوَادِ الْجَيْشِ لَا مِنْ أَمْرَاهُ وَفَرِسانِهِ وَالْمُنْقَادِ مِنْ فَنْدَلِهِ يَقْوُدُهُ وَهُوَ مَطَاعُونُ الْأَلَانِيَّ وَأَسْلَهُ مَنْقِيدٌ كَمَكْتَبٍ نَمْ أَعْلَتِ الْيَاءُ الْأَلَانِيَّ طَرْكَتِهَا بَعْدَ فَتْحَةِ فَسَارِ مَنْقَادٍ قَوْلَ قَدْتَهُ فَانْقَادَ أَيْ لَمْ يَمْتَعِنْ وَالْاحْتَاءُ جَمْ جَمْ حَنْوَ بُوزَنْ عَلِمْ وَهِيَ الْجَوَابُ وَالْنَّوْاحِي وَالْعَرَبُ قَوْلَ أَزْجَرَ احْتَاءَ طَبِيكَ أَيْ أَمْسَكَ نَوْاحِي خَفْتَكَ وَطَبِيشَكَ بَيْنَاهَا وَأَمَامَاهَا وَخَلْفَاهَا قَالَ لِيَدِ

فَقَلْتَ أَزْدَجْرَ احْتَاءَ طَبِيكَ وَاعْدَنْ بِالْكَانِ قَدْمَتْ وَرَجَلَكَ عَازِرَ وَالْطَّيْرَ هُنَا الْخَلْفَةُ وَالْعَلَيْشَ وَقُولَهُ يَسْتَدِعُ الشَّكَ فِي قَلْبِهِ بِأَوْلَى عَارِضٍ مِنْ شَبَهَهُ هَذَا لَفْسُفُ عَلَيْهِ وَقَلَهُ بَصِيرَتُهُ إِذَا وَرَدَتْ عَلَى قَلْبِهِ ادْفَنِي شَبَهَهُ قَدْحَتْ فِي الشَّكَ وَالرِّبَبَ بِخَلْفِ الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَهِ بِعَدْدِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ مَا أَزَالتَ يَقِينَهُ وَلَا قَدْحَتْ فِي شَكَ لَانَهُ قَدْ رَسَخَ فِي الْعِلْمِ فَلَا تَسْتَزِهُ الشَّبَهَاتُ بَلْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ رَدَهَا حَرَسُ الْعِلْمِ وَجِيشُهُ مَقْلُولَةٌ «خَلْوَةُ وَالشَّبَهَةُ وَارِدٌ بِرَدٍ عَلَى الْقَلْبِ يَحْوِلُ بِهِ» وَيَنْ اِنْكَشَافَ

الحق له فتى باشر القاب حقيقة العلم ثم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى عالمه ويقيمه بردتها ومعرفة بطلانها ومنى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قبله قدحت في الشك بأول وهلة فأن تدار كما والاتباع على قلبه أمناها حق بصير شاكرا مرتبا والقلب يتوارده جيشان من الباطل جيش شهوات الفن وجيش شبهات الباطل فأيما قلب صفا اليهار كن اليهار بها وأمتلاها فينضج لسانه وجوارحه بموجها فان أشرب شبهات الباطل فتجزئ على لسانه الشكوك والشبهات والابادات فيظن الجاهل ان ذلك لسعة عالمه وإنما ذلك من عدم عالمه ويفتيه • وقال لي شيخ الاسلام رضي الله عنه وقد جعلت اوراد عاليه ايراداً بعد ايراد لا يجمل قلبك للابادات والشبهات مثل السفنجية فينشرها فلا ينضج الا بها ولكن اجعله كالرجاجة المصمتة تم الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفاته ويدفعها بصلاته والا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تم عليك صار مقرأ لشبهات أو كما قال هنا أعلم انني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك • وإنما سمعت الشبهة شبهة لاشبهاء الحق بالباطل فيها قاتلها تابس نوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر التاذل فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها • وإنما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يتجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فيكتشف له حقيقتها ومثال هذا الدوهم الزائف فإنه يغتر به الجاهل بالتفقد نظراً إلى ماعتيله من لباس الفضة والنقد البصیر يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك فيطالع على زيفه فالانفظ الحسن الفصيح هو لشبهة بمنزلة اللباس من القضية على الدرهم الزائف والمعنى كالتحاس الذي تحناهوك قدقتل هذا الاعنة من خلق لا يحصيم الا الله • وإذا تأمل العاقل النعلن هذا الفدر وتذيره رأى أكثر الناس يقبل المذهب والمقالة بالفخذ ويردها بعينها بالفخذ آخر • وقد رأيت أنا من هذا في كتب الناس ما شاء الله وكرد من الحق بتشبيه بلباس من الانفظ قبيح • وفي مثل هذا قال أئمة السنة منهم الامام أحمد وغيره لا تزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة شنعت فهو لاء الجهمية يسمون أئمّة صفات الكاف الله من حياته وعلمه وكلامه وسعده وبصره وسائل ما وصف به نفسه تشبيهاً وتخبيها ومن أثبت ذلك مشهباً فلا ينفر من هذا المعنى الحق لاجل هذه التسمية الباطلة الالعنقول الصغيرة الفاضحة خفافيش البصار وكل أهل نحله ومقالة يكتبون نحاتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الالتفاظ ومقالة مخالفتهم أقبح ما يقدرون عليه من الالفاظ ومن رزقه الله بصيرة فهو يكتشف بها حقيقة ما تحت تلك الالفاظ من الحق والباطل ولا تفتر بالانفظ • كما قيل في هذا المعنى قوله هذا جن النحل ت مدحه * وإن ثنا قلت ذاتي ، الزانية

مدحاؤذماً و مجاوزت وصفهما * والحق قد يعتريه سوء تعبير

فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل فيرده من لباس العبارة وجرد قلبك عن التغيرة والمدلل ثم أعط النظر حقه ناظراً بعين الاصاف ولا تكن من ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن فلنـه نظاراً تماماً بكل قلبه ثم ينظر في مقالة خصوصه ومن يسى طنه به كعطر الشزر والملاحظة فالتأثر بعين المساواة برى المخالن مساوى والاناظر بعين الحبة عكسه وما سلم من هذا الا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق *

وقد قبل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كأن عين السخط تبدى المساواة
﴿وقال آخر﴾

نظروا بعين عداوة لو أنها * عين الرخالات تحسنت ما استقبحوا
* فإذا كان هنا في نظر العين الذى يدرك الحسوات ولا يمكن من المكابرة فيها فها
الظن بنظر القلب الذى يدرك المعانى التي هي عرضة المكابرة والله المستعان على معرفة
الحق وقبوله ورد الباطل وعدم الاغترار به * وقوله بأول عرض من شبهة هذا دليل
ضعف عقله ومعرفته اذ تؤثر فيه البدائات ويستفز باوائل الامور بخلاف الثابت الثام
العاقل فإنه لا تستفزه البدائات ولا تزعجه وتفاقمه فان الباطل له دهشة وروعة في أوله
فإذا بنت له القلب رد على عقبيه والله يحب من عنته العلم والآئمة فلا ي明珠 بل يثبت
حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه ولا ي明珠 بأمر من قبل استحكامه فالعجبية والعليش
من الشيطان فمن بنت عند صدمة البدائات استقبل أمره بعلم وجزم ومن لم يثبت لها
استقبله بعجبية وطيش وعاقبته التدمامة وعاقبة الاول حمد أمره ولكن لا الاول آفة مني
قررت بالجزم والعزز بخاتمتها وهي الفوت فإنه لا يختلف من التشكيت الا الفوت فإذا اقتربت
به العزم والجزم تم أمره * وهذا في الدعاء الذى رواه الإمام أحمد والنسائي * عن
النبي صلى الله عليه وسلم لهم اني أسائل الثبات في الامر والعزمية على الرشد وهما
الكلمتان هما جماع الفلاح وما أتي العبد الا من قضييعهما أو قضييع أحدهما فما أتي أحد
الا من باب العجبة والعليش واستهزأز البدرات له او من باب التهاون والقاوت وقضييع
الفرصة بعد مواليتها فإذا حصل الثبات أولاً والعزمية ثانياً أفاد كل الفلاح والله ولـى
التوفيق * الصنف الثالث رجل نعمته في نيل لذاته فهو منقاد للداعى الشهوة أين كان
ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك ولا ينال العلم الا بمحاجة المذرات وتطابق الراحة
* قال مسلم في صحيفه قال يحيى بن أبي كثير لا ينال العلم براحة الجسم * وقال إبراهيم

الحربى أجمع عقلاً كل أمة ان النعيم لا يدرك بالعلم ومن آثر الراحة فانه الراحة فا
لصاحب للذات وما لدرجة وراثة الآباء

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالداراد

فإن العلم صناعة القلب وشغله فالمترغ لصناعته وشغلهم لم تصلها ولهم وجهة واحدة فإذا
وجهت وجهته إلى الذات والشهوات انصرفت عن العلم ومن لم يغلب لذة ادراكه العلم
وشهوه على لذة جسمه وشهوة نفسه لم يصل درجة العلم أبداً فإذا صارت شهوته في العلم
ولذته في كل ادراكه رجى له ان يكون من جملة أهله ولذة العلم لذة عقلية روحانية من
جنس لذة الملائكة ولذة شهوات الاكل والشراب والنكاح لذة حيوانية يشارك الانسان فيها
الحيوان ولذة الشر والظلم والفساد والعلو في الارض شيطانية يشارك صاحبها فيها باليدس
وجنوده وسائر الذات تعطل بفارقة الروح البدن الا لذة العلم والاعيان فانها تكمل بعد
المفارقة لأن البدن وشواغله كان يتقصها ويقتلها ويمحجها فإذا انطوت الروح عن البدن
التذكرة لذة كاملة بما حصلته من العلم النافع والعمل الصالح فن طلب لذة العظمي وأثر
النعم المقيم فهو في العلم والاعيان الذين بهما كمال سعادة الانسان . وأيضاً فان تلك الذات
سريعة الزوال وإذا انقضت أعقبت ها وغداً ولا يحتاج صاحبها أن يداويه بثقلها دفعاً لمه
روبياً كان معاودته طر مؤملاته كريها إليه لكن يحمله عليه مداواة ذلك الماء واطم فلين
هذا من لذة العلم ولذة الاعيان بالله ومحبته والاقبال عليه والتم بذكره فهذه هي اللذة
الحقيقة . الصنف الرابع من حرصه وهمته في جمع الاموال وثمرتها وادخارها فقد
صارت لذته في ذلك وفني بها عماسواه فلا يرى شيئاً أطيب له مما هو فيه فن أين هذا
ودرجة العلم فهو لاء الاصناف الاربعة ليسوا من دعاة الدين ولا من أئمة العلم ولا من
طلبة الصادقين في طلبه ومن تعلق منهم بشيء منه فهو من المتسلقين عليه المتشبعين
بحملته وأهله المدعين لوصاله المبتوتين من جباله وفتنه هو لاء فتنه لكل مفتون فان
الناس يتشبهون بهم لما يظلون عندهم من العلم ويقولون لنا خيراً منهم ولا نزغ
بأفسنا عنهم فهم حجة لكل مفتون . وهذا قال فيهم بعض الصحابة الكرام احذروا
فتنة العالم الفاجر والعادل الجاهل فان فتنهم فتنه لكل مفتون . وقوله أقرب شبهها بهم
الانعام السائمة وهذا التشبيه ما يخوذ من قوله تعالى (ان هم الا كالانعام بل هم أضل
سبلا) فما اقتصر سبحانه على تشبيههم بالانعام حتى جعلهم أضل سبلة منهم والسائلة
الراعية . وشبه أمير المؤمنين هو لاء بها لأن همهم في سعي الدنيا وحطامها والله تعالى
يشبه أهل الجهل والغي تارة بالانعام وتارة باعجر وهذا تشبيه لأن تعلم علماً ولم يعتله ولم

يعلم به فهو كالحمار الذي يحمل أسفاراً وتارة بالكلب وهذا من انساخ عن العلم وأخلي
إلى الشهوات والهوى . وقوله كذلك يموت العلم بموت حامليه هذا من قول النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله عنهم وغيرهما أن الله
لا يقبض العلم إنما ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق
علم انحدر الناس رؤساً جهالاً فسلوا بغير علم فضلوا وأضلوا رواه البخاري في
صحبيه فذهب العلم إنما هو بذهاب العلماء . قال ابن مسعود يوم مات عمر رضي الله عنه
عنه أن لا حسب تسعة عشر العلماء اليوم قد ذهب وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه
موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحال الله وحرامه . وقوله اللهم إلیك لن
نخلو الأرض من مجتهد قائم لله بحجج الله ويدل عليه الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك . ويدل عليه أيضاً ما رواه الترمذى عن قتيبة حدثنا
حماد بن يحيى الابع عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره قال هذا حديث حسن غريب . وبروى
عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان ينفي حماد بن يحيى الابع وكان يقول هو من
شيوخنا وفي الباب عن عمارة وعبد الله بن عمرو ولو لم يكن في أواخر الأمة قائم بحجج
الله مجتهداً لم يكونوا موصوفين بهذه الخصيصة . وأيضاً فإن هذه الأمة وكل الأمة وخير
أمة أخرجت للناس ونبيها خاتم النبيين لأنبياء بعده سُفِّلَ الله العلماء فيها كما هلك علم
خلفه عالم ثلاثة تعطمس معلم الدين وتخفي أعلامه . وكان بيتو إسرائيل كما هلك بي
خلفه بي فكانت توسيهم الآباء والعلماء هذه الأمة كالآباء في بي إسرائيل . وأيضاً
في الحديث الآخر يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له يتغرون عنه تحريف الغالين
وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهذا يدل على أنه لا يزال محمولاً في القرون قرناً بعد
قرن . وفي صحيح أبي حاتم من حديث الحولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملاه في طاعته وغرس الله هم أهل العلم
والعمل فلو خلت الأرض من علم خلت من غرس الله . وهذا القول حجج كثيرة لها
موقع آخر وزاد الكذابون في الحديث على إماماً ظاهراً مشهوراً وأما خفيها مستوراً أو ظنوا
أن ذلك دليل لهم على القول بالمنتفى ولكن هذه الزيادة من وضع بعض كذابيهم والحديث
مشهور عن على لم يقل أحد عنه هذه المقالة لا كذاب وحجج الله لانفسهم تخفي مستوراً
لابعد العلم له على خبر ولا ينتفعون به في شيء أصلًا فلا جاحد يتعلم منه ولا ضال

يُهْتَدِي بِهِ وَلَا يَخْتَفِي بِأَمْنِهِ وَلَا ذَلِيلٌ يَتَعَزَّزُ بِهِ فَأَيُّ حِجَّةٍ لَهُ قَامَتْ بَنْ لَابْرِي لَهُ
شَخْصٌ وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ كَلَةٌ وَلَا يَعْلَمُ لَهُ مَكَانٌ وَلَا سِيَّا عَلَى أَسْوَلِ الْقَاتِلِينَ بِهِ فَإِنَّ الَّذِي
دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَا يَدْرِي مَنْ فِي الْأَعْلَمِ بِالْمُكَافِئِينَ وَإِنْقِطَاعُ حِجَّتِهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي الْأَنْهَارِ
الْعَجْبُ أَيُّ لِعْنَتٍ حَصَلَ بِهِذَا الْمَعْدُومِ لِلْمَعْصُومِ وَأَيُّ حِجَّةٍ أَيْمَنُمْ لِلْخَاقَ عَلَى رَبِّهِمْ
بِأَصْلَكُمُ الْبَاطِلَ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْدُومَ إِذَا مَا يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ قَطْ إِلَى لِقَاءِهِ وَالْإِهْدَاءِ بِهِ فَهُلْ فِي
تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا وَهُلْ فِي الْعَذَرِ وَالْحِجَّةِ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ فِرَقَتْمُ
مَنْ وَقَعْتُمْ فِي شَرِّهِ وَكُنْتُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا قَبْلَ

الْمُسْتَجِيرُ بِعِبْرِي وَعِنْدَ كُرْسِتَهِ كَلْسَتِجِيرُ مِنَ الرَّمَضَانِ بِالثَّارِ

وَلَكُنْ أَبِي اللَّهِ الْأَدَانِ يَفْضُحُ مِنْ تَقْصُنِ الْصِّحَّاحَةِ الْأَخِيَّارِ وَبِسَادَةِ هَذِهِ الْأَمَّةِ وَأَنْ يَرَى
النَّاسُ عُورَتَهُ وَيَغْرِيَهُ بِكَشْفِهَا وَنَعْوَذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَذْلَانِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَاتِلُ
مَا آتَنَّ لِلسَّرِدَابِ أَنْ يَلِدَ الدَّى حَلَّتْمُوهُ بِزَعْمِكُمْ مَا آتَانَا
- فَعَلَى عَقْوَلِكُمُ الْعَفَاءِ فَإِنْكُمْ ثَلَثُ الْمَعْقَدَةِ وَالْغَيْلَانَ

وَلَقَدْ بَطَلَتْ حِجَّجُ اسْتَوْدِعَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْفَائِبِ وَضَاعَتْ أَعْظَمُ ضَيَّاعٍ فَاتَّمْ أَبْطَالَمْ حِجَّجَ
اللَّهِ مِنْ حِيثُ زَعْمِهِ حَفْظُهَا وَهَذَا تَصْرِيفٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ حَامِلَ حِجَّجَ
اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَحْيَيْتُ يَؤْدِيَهَا عَنِ اللَّهِ وَيَبْعَثُهَا إِلَى عِبَادَهُ مِثْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِثْلِ أَخْوَاهُ
مِنَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمِنَ اتَّبِعِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ • وَقَوْلُهُ لَكِيلَا تَبْطَلْ حِجَّجُ اللَّهِ
وَبِيَنَاهُ أَيُّ لَكِيلَا يَذْهَبُ مِنْ يَنْ يَدِي النَّاسِ وَتَبْطَلُ مِنْ صَدُورِهِمْ وَالْأَفْلَطَالَنْ مَحَالٌ
عَلَيْهَا لَا هَا مَازُومٌ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْبَطَالَنْ • فَإِنْ قَبِيلَ فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحِجَّجِ وَالْبَيْنَاتِ
• قَبِيلَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا إِنَّ الْحِجَّجَ هِيَ الْأَدَلَةُ الْعَالِمِيَّةُ الَّتِي يَعْقُلُهَا الْقَابُ وَتَسْمَعُ بِالْأَذْنِ قَالَ
نَعَالِي فِي مَذَاظِرَةِ ابْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ وَنَدِيَنَ بِطَالَنَ مَاهِمَ عَلَيْهِ بِالْذِيلِ الْعَالِمِيِّ (وَلَكَ حِجَّتَا
آتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نُرْفَعُ درَجَاتٍ مِنْ شَاءِ) قَالَ ابْنُ زِيدٍ بِعِلْمِ الْحِجَّةِ وَقَالَ نَعَالِي (فَإِنَّ
حَاجَوْكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لَهُ وَمِنْ أَتَبَعَنِي) وَقَالَ نَعَالِي (وَالَّذِينَ يَحْاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مَا سَتَجِيبُ لَهُ حِجَّتِهِمْ دَاهِشَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وَالْحِجَّةُ هِيَ اسْمٌ لِمَا يَحْتَجُ بِهِ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
قَالَ نَعَالِي (كَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حِجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْمَمُهُمْ) فَإِنَّهُمْ يَحْتَجُونَ عَلَيْكُمْ بِحِجَّةٍ
بَاطِلَةٍ (فَلَا تَخْشُوهُمْ وَلَا خُشُونَ) وَقَالَ نَعَالِي (وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَاتٌ مَا كَانُ حِجَّتِهِمْ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتُوَلَّ بِآيَاتِنَا أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وَالْحِجَّةُ الْمَفَاتِحَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الْحَقُّ وَقَدْ تَكُونُ
الْحِجَّةُ بِمَعْنَى الْمَخَاصِيَّةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَلَذِكَارُكَ فَادِعُ وَاسْتَغْفِرُكَ كَمَا أَمْرَتُ وَلَا تَبْغِ أَهْوَاهَهُمْ
وَقُلْ آمَنَتْ بِهَا أُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرَتْ لَا يَعْدِلُ بِيَنْكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا

ولكم أعمالكم لا حجة ينتنوا وينسكم) أى قد وضح الحق واستبان وظهر فلا خصومة ينتنوا بعد ظهوره ولا مجادلة فان الجدال شريعة موضوعة لتعاون على اظهار الحق فإذا ظهر الحق ولم يبق به خفاء فلا فائدة في الخصومة والجدال على بصيرة مخاصة المذكر وبجادلته عناء لائق فيه هذا معنى هذه الآية وقد يقع في وهم كثير من الجهال ان الشريعة لا احتجاج فيها وان المرسل بها صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يمتحن على خصومه ولا يجادله ثم ويظن جهال المنطقيين وفروخ اليونان ان الشريعة خطاب للجهنم ولا احتجاج فيها وان الآباء عوا الجهنم بطرق الخطابة والحجج للخواص وهم أهل البرهان يعنون نقوشهم ومن سلك طريقهم وكل هذا من جهاتهم بالشريعة والقرآن فان القرآن مملوء من الحجج والادلة والبراهين في مسائل التوحيد وأنبات الصانع والمعد وارسال الرسل وحدود العلم فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك الا وهو في القرآن بأوضح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى وأبعد عن الابادات والاسئلة وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمناخرين . قال أبو حامد في أول الاحياء فان قلت فلم تورد في أقسام العلم الكلام والفلسفه وتسين انهم مذمومون او مذدودون فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كسيانى بيانه وأما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بثقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذينات تزدريها الطبع وتعجبها الاصناف وبعضها خوض فيما لا يتعارق بالدين ولم يكن شيئاً منه مأثوراً في العصر الاول ولكن تغير الان حكمه اذا حدثت البدع الفارفة عن مقتضى القرآن والسنة لفقت طاشها وربت لها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك المحظوظ بحكم الفضورة مأذوناً فيه . وقال الرازى في كتابه أقسام اللذات لقد تamas الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فـا رأيتها تروى غالباً ولا تشفي عنينا و/or أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الابيات (إيه يصدع الكلم الطيب) (الرحن على العرش استوى) واقرأ في التقى ليس كمثله شئ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وهذا الذي وأشار اليه بحسب ما فتح له من دلالة القرآن بطرق الخبر والا فدلالة البرهانية العقلية التي يشير اليها ويرشد اليها فتشكون دليلاً سمعياً عقلياً امر تبيّن به القرآن وصار العالم به من الراسخين في العلم وهو العلم الذي يطعن اليه القلب وتسكن عنده النفس ويزكي به العقل و تستثير به البصيرة وتفوي به الحجة ولا سبيل لاحد من العالمين الى قطع من حاج به بل من خاصم به فاجت حجته وكسر شبهة خصميه وبه فتحت القلوب واستجيب لله ولرسوله ولكن

أهل هذا العلم لاتنكر الاعصار تسمح لهم الا بالواحد بعد الواحد فدلالة القرآن سمعية عقلية قطعية يقينية لاتنكر لها الشبهات ولا تستد او لها الاحتمالات ولا يتصرف القلب عنها بعد فهمها أبداً وقال بعض المتكلمين أفتنت عمرى في الكلام أطاب الدليل وأنا لا أزيد أبداً عن الدليل فرجعت إلى القرآن أتدرره وأفكر فيه وإذا أنا بالدليل حقا مي وأنا لأنأشعر به فقلت والله ما مثل الا كا قال القائل

ومن العجائب والعجبات جة قرب الحبيب وما إليه وصول

كالميس في البداء يقتلها الضما ولماء فوق ظهورها متحوال

قال فلما رجعت إلى القرآن اذا هو الحكم والدليل ورأيت فيه من أدلة الله وحججه وبراهينه وبياناته مالو جمع كل حق قاله المتكلمون في كتبهم وكانت سورة من سور القرآن وافية بضمونه مع حسن البيان وفصاحة المفظ وتعليق المفصل وحسن الاحتراز والتبيه على موقع الشبه والارشاد إلى جوابها وإذا هو كا قيل بل فوق ما قيل كفى وشفى ما في النزوات فلم يدع لذى أرب في القول جداً ولا هزاً

وجعلت جيوش الكلام بعد ذلك تقدى كا كانت وتتزاحم في صدرى ولا يأذن لها القلب بالدخول فيه ولا تلقى منه اقبالاً ولا قبولاً فترجع على ادبها • والمقصود ان القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الادلة والأقىسة الصحيحة وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فيه باقامة الحجة والجادلة • فقال تعالى (وجادهم بالتي هي أحسن)

• وقال (ولَا تجادلوا أهل الكتاب إلا بما هي أحسن) وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة فيه وهذه مناظرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خصوصاً واقامة الحجج عليهم لا يذكر ذلك الا جاهل مفرط في الجهل • والمقصود الفرق بين الحجج والبيانات • فقول الحجج الادلة العلمية والبيانات جمع بينة وهي صفة في الاصناف قال آية بينة وحججة بينة والبينة اسم لكل ما يبين الحق من عالمة منصوبة أو أمارة أو دليل علمي • قال تعالى (لَئِنْدَ أُولَئِنَّا رَسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) فإنيات الآيات التي أقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات والكتاب هو الدعوة وقال تعالى (إِنَّ أَوَّلَ مَيْتَ وَضَعَ لِلنَّاسِ مَذَى بَيْكَهُ مَبَارِكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقْنَمٌ إِبْرَاهِيمٌ) ومقام إبراهيم آية جزئية مرئية بالإعسار وهو من آيات الله الموجودة في العالم • ومنه قول موسى لفرعون وقومه (قَدْ جَعَلْتُكُمْ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَارْسَلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جَعَلْتَ بَآيَةً فَأَتَبِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقِ عَصَمَهُ) وكان القاء العصا وإنقلابها حبة هو البينة • وقال قوم هود يا هود ماجتنا ببينة يريدون آية الافتراض

وَالا فهُوَ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ الْيَسِمْ فَطَلَّ الْآيَةُ بَعْدَ ذَلِكَ تَعْنَتْ
وَاقْتَرَاجُ لَا يَكُونُ طَمِ عَذْرٌ فِي عَدَمِ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ وَهَذِهِ هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا
(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوْلَوْنَ) فَعَدَمِ اجْبَاتِهِ سُبْحَانَهُ إِلَيْهَا أَذْ
طَلَبَهَا الْكُنَّارُ رِحْمَةً مِنْهُ وَاحْسَانًا فَإِنَّهُ جَرَتْ سَنَتُهُ الَّتِي لَا تَبْدِيلَ لَهَا إِنْهُمْ إِذَا طَلَبُوا الْآيَةَ
وَاقْتَرَحُوهَا وَأَجْبَيُوهَا وَمَا يُؤْمِنُوا عَوْجَلَوْا بِعَذَابِ الْاِسْتِئْصَالِ فَلَمَّا عَلِمُ سُبْحَانَهُ أَنْ هُوَ لَا
لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَمْ يَجْبَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا فَلَمْ يَعْمَمُهُمْ بِعَذَابِ مَا أَخْرَجُ مِنْ بَنِيهِمْ
وَأَصْلَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَانْ أَكْثَرُهُمْ آمِنٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَزِيزِ الْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحُوهَا
فَكَانَ عَدَمُ اِزْرَالِ الْآيَاتِ الْمُغَلَّوْبَةِ مِنْ تَنَامِ حُكْمَةِ الرَّبِّ وَرِحْمَتِهِ وَاحْسَانِهِ بِخَلَافِ الْحَجَجِ
فَإِنَّهُمْ لَمْ تَرَلْ مُتَنَابِعَةً يَتَلَوْ بِعَذَابِهَا بَعْضًا وَهِيَ كُلُّ يَوْمٍ فِي مَزِيدٍ وَتَوْفِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْتِيَامَةِ • وَقَوْلُهُ أُولَئِكَ الْأَقْلَوْنَ عَدَدًا
الْأَعْظَمُونَ عَنْدَ اللَّهِ قَدْرًا يَعْنِي هَذَا الصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ أَقْلَى الْخَلَقِ عَدَدًا وَهَذَا سَبَبُ
غَرْبَتِهِمْ فَأَنْهُمْ قَلِيلُونَ فِي النَّاسِ وَالنَّاسُ عَلَى خَلَافِ طَرِيقِهِمْ فَلَمْ يَنْبُأْ وَلَمْ يَنْبُأْ • قَالَ
الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَا الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطَرَّبَ فِي الْعَرْبَيَا فَالْمُؤْمِنُونَ
قَلِيلُونَ فِي النَّاسِ وَالْعَالَمَاءِ قَلِيلُونَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ لَا يَكُونُ قَلِيلًا فِي الْعُلَمَاءِ وَإِنَّكَ إِنْ تَدْرِسْ بِعَايَغَتْرَ
بِهِ الْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ هُوَ لَا عَلَى حَقٍّ لَمْ يَكُونُوا أَقْلَى النَّاسِ عَدَدًا وَالنَّاسُ
عَلَى خَلَافِهِمْ • فَاعْلَمُ أَنْ هُوَ لَا يَكُونُ أَقْلَى النَّاسِ وَمِنْ خَلَافِهِمْ فَشَهُونَ بِالنَّاسِ وَلَيْسُوا بِنَاسٍ هَا
النَّاسُ إِلَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَانْ كَانُوا أَقْلَمُهُمْ عَدَدًا • قَالَ ابْنُ مُسَعُودٍ لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَامًا يَقُولُ
أَنَا مِنَ النَّاسِ لَيَوْطَنُ أَحَدُكُمْ فَسَهُ عَلَى أَنْ يَؤْمِنَ وَلَوْ كَفَرَ النَّاسُ • وَقَدْ فَمْ سُبْحَانَهُ
الْأَكْثَرُونَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَفَوْلَهُ (وَانْ تَطْعُمُ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)
• وَقَالَ (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِهِمْ مَتَّينَ) • وَقَالَ (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورِ)
• وَقَالَ (وَانْ كَثِيرًا مِنَ الْخَاطِئِينَ لِيَنْفِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ الْأَذْيَانِ آتَمُوا وَعَمِلُوا الْمُسَلَّحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) • وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ انْفَرَادَكَ فِي طَرِيقِ طَلْبِكَ دَلِيلٌ عَلَى صَدَقِ الْعَطَابِ
مِنْ بَدَاءِ الْهَوَى وَالْخَاطِئِ وَاطْرُقِ الْمَيِّي وَالْمَيِّونَ نَوَاضِرَ
لَا تَخْفَ وَحْشَةَ الْعَلَيْقِ إِذَا سَرَتْ وَكَنْ فِي خَنَادِرِ الْحَقِّ سَأْرَ

• وَقَوْلُهُ بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهَ عَنْ حَجَبِهِ حَقٌّ بِهِ وَهَالِي نَفَرَ أَهْلُهُمْ وَيَزْرُ عَوْهَا فِي قُلُوبِ أَشْيَاهُمْ
وَهَذَا لَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ضَمَنَ حَفْظَ حَجَبِهِ وَبَيْنَهُ وَأَخْبَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِنَّهُ لَا تَرَالْ طَائِفَةً مِنْ أَمْتَهُ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضْرُهُمْ مِنْ خَذْلَمٍ وَلَا مِنْ خَلْفَهُمْ إِلَى قِيَامِ
السَّاعَةِ فَلَا يَرَالْ غَرْسَ اللَّهِ الْذِيْنَ غَرَسُهُمْ فِي دِيَنِهِ يَغْرِسُونَ الْعِلْمَ فِي قُلُوبِ أَهْلِهِمْ إِذَا

أرى أشقياء الناس لا يؤمنوا
على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحب فلنها
سحابة صيف عن قليل تفشع

فرحات عن قلوب مدبرة كأثر حلت عن أهلها موليه وأقبلت الآخرة الى قلوبهم
سرعة كما أسرعت الى الخلق مقابله فامتطوا ظهور المزامن وعبروا المذمة المثام وما يليل
الحب بنائهم علموا طول الطريق وقلة المقام في منزل التزود فسارعوا في الجهاز وجد
هم السير الى منازل الاحباب فقطعوا المراحل وطروا المقاوز . وهذا كله من ثمرات
اليقين فان القلب اذا استيقن ما أمامه من كرامة الله وما أعد لا ولد له بمحبته كانه ينظر اليه
من وراء حجاب الدنيا ويعلم أنه اذا زال الحجاب رأى ذلك عيالاً زالت عنه الوحشة
التي يجدها المتخلقوون ولأن له ما استوعره المترفون وهذه المرتبة هي أول مراتب اليقين
وهي عالمه وبيته وهي اكتشاف المعلوم لاقلب بمحبته يشاهده ولا يشك فيه كاكتشاف
المرئ للبصر فنم يليها المرتبة الثانية وهي مرتبة عين اليقين ونسبتها الى العين كنسبة الاول
الى القلب ثم تليها المرتبة الثالثة وهي حق اليقين وهي مباشرة المعلوم وادراكه الا دراك
النام فالاولى كعماكم بيان في هذا الوادي ماه والثانية كرؤيته والثالثة كالشرب منه . ومن
هذا ما يروى في حديث حارنة . وقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارنة
قال أصبحت مؤمناً حتى قال ان لكل قول حقيقة ما حقيقة اي انك قال عنك نفسك
عن الدنيا وشهواتها فاسْهُرْتْ ليلٍ وأطمأتْ نهارٍ وكان أنظر إلى عرش رب بازداً
وكان أنظر إلى أهل الجنة يتزاوجون فيها وإلى أهل النار يتزاوجون فيها . فقال عبد نور
الله قبله فهذا هو عجمون العلم بصاحب على حقيقة الامر ومن وصل الى هذا استلان
ما يستوعره المترفون وأنس ما يستوحش منه الجاهلون ومن لم يثبت قدم ايمانه على
هذه الدرجة فهو ايام ضعيف وعلامة هذا اشراح الصدر لما زال الاعان والفساحه
وطمأنينة القلب لامر الله والابادة الى ذكر الله ومحبته والفرح بالقائم والتجافي عن دار
الغروب كما في الانزال المشهور اذا دخل النور القلب انفع وانشرح قيل وما علامه ذلك
قال التجافي عن دار الغروب والابادة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
وهذه هي الحال التي كانت تحصل لاصحاحه عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكرهم
الجنة والنار كما في الترمذى وغيره من حديث الحبرى . عن أبي عنان التمذى عن
حنظلة الاسدى . وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم انه سبى بكر رضي الله
عنه وهو يبكي فقال مالك يا حنظلة فقال نافق حنظلة يا بابك تكون عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كان رأى عين فاذا رجعنا الى الازواج
والضياع فينا كثيراً قال فوالله انا كذلك انعلق بما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانطلاقنا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا حنظلة قال نافق حنظلة

يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالدار والجنة كأن رأى عين فإذا رجعنا عافتنا الأزواج والضياعة ونينا كثيراً • قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تذمرون على الحال التي قومون بها من عندي لصافتكم الملائكة في مجالسك وفي طرقكم وعلى فرشكم ولكن ياخذنكم ساعة وساعة ساعة • قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفي الترمذى أيضاً نحوه من حديث أبي هريرة • والمقصود أن الذى يهجم بالقلب على حقيقة الإيمان ويلين له ما يستوخره غيره ويؤنسه بما يستوخر منه سوء العلم النام والحب الخالص والحب تبع للعلم يقوى بقوته ويضعف بضعفه والحب لا يستوخر طريقة توصله إلى محبوبه ولا يستوخر فيها • قوله صحروا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملائكة الأعلى وفي رواية بالخل الأعلى الروح في هذا الجسد بدار غربة وهو مطن غيره فلا تستقر إلا في وطنه وهي جوهر علوي مختلف من مادة علوية وقد اضطررت إلى مساكنة هذا البدن الكثيف فهى دائماً تطلب وطنه في الخل الأعلى وتحمن اليه حين العطير إلى أوكرها وكل روح فيها ذلك ولكن لفطرة اشتغاظها بالبدن وبالمحسوسات المألوفة أخذلت إلى الأرض ونسخت معاملها ووطنه الذى لراحة طلاق غيره فانه لراحة المؤمن دون لقاء ربها والدنيا سجنه حقاً فإذا تجد المؤمن بذاته في الدنيا وروحه في الخل الأعلى • وفي الحديث المرفوع إذا نام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول انظروا إلى عبدي بذاته في الأرض وروحه عندى رواه تمام وغيره • وهذا معنى قول بعض السلف القلوب جوالة فتاب حول الخضر وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش فاعظم عذاب الروح انفصالها وتدسيها في أعماق البدن واحتغاظها بإلاذه وانقطاعها عن ملاحظة مخلقت له وهيئته وعنه وطنه ومحالها وحمل أنها ومتزل كرامتها ولكن سكر الشهوات يخرجها عن معالمة هذا الالم والعذاب فإذا صحت من سكرها وأفاقت من غمرتها أقبلت عليها جيوش الحسرات من كل جانب حيث تشتعل حسرات على ماقاتها من كرامة الله وقربه والانس به والوصول إلى وطنه الذي لراحة لها إلا فيه كما قبل

صحبتك اذ عيق عليها غشاوة فلما انجبت قطعت نفسى الومها
ولو تنقات الروح في المواطن كلها والمنازل لم تستقر ولم تطمئن الا في وطنه ومحالها
الذى خلقت له كا قبل

نفل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الأرض يالله الفقى وحيثه أبداً لا ول منزل

• • •

وإذا كانت الروح نحن أبداً إلى وطنها من الأرض مع قيام غيره مقامه في السكينة وكثيراً ما يكون غير وطنها أحسن وأطيب منه وهي دائماً نحن إليها مع أنه لا يضرر علينا ولا عذاب في مفارقته إلى مثله فكيف بمحبتيها إلى الوطن الذي في فراقها لا عذابها ولا ألامها وحرستها التي لاتنفعني فالعبد المؤمن في هذه الدار سبي من الجنة إلى دار النعيم والعناء ثم ضرب عليه الرق فيها فكيف يلام على حبته إلى داره التي سبي منها وفرق بينه وبين من يحب وجمع بينه وبين عدوه فهو وحدة أثناً معلقة بذلك الوطن وبذاته في الدنيا ولـي من أبيات في ذلك

وحي على جنات عدن فانها * منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا بـالعدو فهل ترى * نعود الى اوطانا ونسلم
وكما اراد منه العدو نسيان وطنه وضرب الذكر عنه صفحـا وايلافـه وطنـا غيره ابتـ ذلك
روحـه وقلـه كـا قـيل

يراد من القلب نسيانكم « وتأتي الطياع على التاكل
ولهذا كان المؤمن غريبًا في هذه الدار أين حل منها فهو في دار غربة . كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كالم غريب أو عابر سبيل ولكنها عربة ستفنى ويصير
إلي وطنه ومتزلاه وإنما الغربة التي لا يرجي انقطاعها فهى غربة في دار الهاون ومقارقة
وطنه الذى كان قد هيأه وأعد له وأمر بالتجهز اليه والقدوم عليه فاني الا اغترابه عنه
ومفارقه له فذلك غربة لا يرجي ايابها ولا يغير مصايبها ولا تبادر الي انكار كون البدن
في الدنيا والروح في الملاءة الاعلى فالروح شأن ولابدن شأن والنبي صلی الله عليه
وسلم كان بين ظهر اصحابه وهو عند ربه يطلعه ويسقيه قidine بينهم وروحه وقلبه عند
ربه وقال أبو الدرداء اذا تأم العبد عرج بروحه الى تحت العرش فان كان ظاهراً اذن
هذا بالسجود وان لم يكن ظاهراً لم يؤذن لها بالسجود فهذا والله أعلم هي العلة التي أمر
الجنب لاجلها ان يتوضأ اذا أراد النوم وهذا الصعود انما كان التجدد الروح عن البدن
بالنوم فادع بحسب ذلك التجدد وقد
يفوي الحب بالحب حتى لا يشاهد منه بين الناس الا جسمه وروحه في موضع آخر عند
محبوبه وفي هذا من أشعار الناس وحكاياتهم ما هو معروف . وقوله أولئك خلفاء الله
في أرضه ودعاته الى دينه هذا حجة أحد القولين في انه يجوز ان يقال فلان خليفة الله
في ارضه واحتاج أصحابه ايضاً بقوله تعالى للملائكة (انى جاعل في الارض خليفة) . واحتاجوا
بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائق في الارض) وهذا خطاب لنوع الانسان

وبقوله تعالى (أَتْمَنْ يُحِبُّ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيُكْشَفُ السُّوءُ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَهُ الْأَرْضَ) . وبقول موسى لقومه (عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) . وبقول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يمكن لكم في الأرض ومستخلفكم فيها فـ**فَنَاظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَأَنْظَوْا النَّيْمَاءَ وَأَنْجَوْا بَنِي إِبْرَاهِيمَ** يقول الراعي يخاطب أبا بكر رضي الله عنه

خليفة الرحمن أنا عشر * حفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لدق أموالنا * حق الزكاة منزلة تنزلا

ومنعت طائفة هذا الاطلاق وقالت لا يقال لاحد انه خليفة الله فان الخليفة اما يكون عنده بغيض ويختلفه غيره والله تعالى شاهد غير غائب قريب غير بعيد راذ وسامع فحال ان يختلفه غيره بل هو سبحانه الذي يختلف عبده المؤمن فيكون خليفةه . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الدجل ان يخرج وانا فيكم فانا حبيبي دونكم وان يخرج ولست فيكم فامر حجيجه نفسه والله خاتمة على كل مؤمن والحديث في الصحيح . وفي صحيح مسلم أيضا من حديث عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سافر اليهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والحضر الحديث . وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر لابي سلمة وارفع درجته في المهدرين والخلفه في اهلها فالمهادن هو الخليفة العبد لأن العبد يموت فيحتاج الى من يخلفه في اهله . قالوا وهذا اذكر الصديق رضي الله عنه على من قال له يا خليفة الله قال لست بخليفة الله واكني خليفة رسول الله وحسبي ذلك . قالوا وأما قوله تعالى (أني جاعل في الأرض خاتمة) فلا خلاف ان المراد به آدم وذراته وجذور أهل التفسير من السلف والخلف على أنه جعله خاتمة عن كأن قبله في الأرض . قيل عن الجن الذين كانوا سكانها . وقيل عن الملائكة الذين سكنوا بعد الجن وقضتهم مذكورة في النهايات . وأما قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاي المراد به خلائف عن الله وإنما المراد به أنه جعلكم مختلفين بعضكم بعضاً فكلما هلك قرن خلفه قرن إلى آخر الدهر . ثم قيل ان هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أي جعلكم خلائف من الامم الماضية فهالكوا وورثتم أنتم الأرض من بعدهم . ولا ريب ان هذا الخطاب لامة والمراد نوع الانسان الذي جعل الله أباهم خاتمة عن كأن قبله وجعل ذريته مختلف بعضها إلى قيام الساعة وهذا جمل هذا آية من آياته كقوله تعالى (أَتْمَنْ يُحِبُّ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيُكْشَفُ السُّوءُ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَهُ الْأَرْضَ) . وأما قول موسى لقومه

(ويستخلفكم في الارض) فليس ذلك استخلافاً عنه وإنما هو استخلاف عن فرعون وقومه أهلكم وجعل قوم موسي خلفاء من بعدهم وكذا قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله مستخلفكم في الارض أي من الام التي تهلك وتكونون أتم خلفاء من بعدهم . قالوا وأما قول الراعي فقول شاعر قال قصيدة في غيبة الصديق لا يدرى أبلغت أبيك أم لا ولو بلغته فلا يعلم أنه أفره على هذه المفظة أم لا . قلت إن أريد بالإضافة إلى الله انه خاتمة عنده وان أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره من كان قبله فهذا لا يتعين فيه بالإضافة وحقيقة خليفة الله الذي جعله الله خاتمة عن غيره وبهذا يخرج الجواب عن قول أمير المؤمنين أولئك خلفاء الله في أرضه . فان قيل هذا لامدح فيه لأن هذا الاستخلاف عام في الامة وخلافة الله التي ذكرها أمير المؤمنين خاصة بخواص الخلق . فالجواب ان الاختصاص المذكور أفاد اختصاص الاخلاقة فالاضافة هنا للتشريف والتخصيص كما يضاف إليه عباده . كقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان * وعباد الرحمن يمشون على الارض هونا) ونظائرها . ومعلوم ان كل الخلق عباد له شفاء الارض كالعباد في قوله (والله بصير بالعباد * وما الله يريد خلماً للعباد) وخلفاء الله ك Kiddad الله في قوله (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ونظائره وحقيقة المفظة ان الخاتمة هو الذي يختلف الذاهب أي يبنيه بعده يقال خاتم فلان فلان وأصحابها خليف بغير هاه لأنها فعيل يعني فاعل كالعائم والقديم فدخلت الناء لالمبالغة في الوصف كراوية وعلامة . ولهذا جمع جمع فعيل فقيل خلفاء كشريف وشرفاء وكريم وكماء ومن راعي لفظه بعد دخول الناء عليه جمعه على فعائل فقال خلائق كعالية وعقال وظرفية وظرائف وكلها ورد به القرآن هذا قول جماعة من النحاة . والصواب ان الناء ائما دخلت فيها للعدل عن الوصف الى الاسم فان الكلمة صنة في الاصل ثم أجريت مجرى الاسم فألحقت الناء لذاته كما قالوا لطيفة بثناء فإذا أجروها صفة قالوا شابة لطيف كايقولون كف خذيب والا فلا معنى للمبالغة في خاتمة حتى تلحقها ناء المبالغة والله أعلم . وقوله ودعاته الى دينه الدعاية جمع داع كناض وقضاء ورماء وشافهم الى الله لاختصاص أي الدعاية المخصوصون به الذين يدعون الى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهو لا يهم خواص خلق الله وأفضفهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرأ . يدل على ذلك (الوجه الثالثون بعد المائة) وهو قوله تعالى (ومن أحسن قولنا من دعا الى الله وعمل صالحًا وقال اني من المساعدين) . قال الحسن هو المؤمن أحب الله في دعوه ودعا الناس الى

ما أحب الله فيه من دعوه وعمل صالحًا في اجابت فهذا حبيب الله هذاولي الله فقام الدعوة إلى الله أفضى مقامات العبد . قال تعالى (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً) . وقال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمواعظ الحسنة وجادهم بالتي هي أحسن) جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالستجيب القابل الذي لا يعند الحق ولا يأبه يدعى بطريق الحكمة . والقابل الذي عنده نوع غفاف وتأخر يدعى بالمواعظ الحسنة وهي الأمر والنهي المنزرون بالرغبة والرهبة والمعاند العجاد يجادل بالتي هي أحسن هنا هو الصحيح في معنى هذه الآية لاما يزعم أسرى منطق اليونان ان الحكمة قياس البرهان وهي دعوة الخواص . والمواعظ الحسنة قياس الخطابة وهي دعوة العوام . والجادلة التي هي أحسن القياس الجدل وهو رد شجب المشاغب بقياس جدل مسلم المقدمات وهذا باطل وهو مبني على أصول الفلسفة وهو مناف لاصول المسلمين وقواعد الدين من وجوه كثيرة ليس هذا موضع ذكرها . وقال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن آتني) . قال الفراء وجاءة ومن آتني معطوف على الضمير في أدعوا يعني ومن آتني يدعوا إلى الله كما أدعوه وهذا قول الكلباني قال حق على كل من آتني يدعوا إلى مادعا إليه ويدرك بالقرآن والمواعظة ويقوى هذا القول من وجوه كثيرة . قال ابن الأباري ويجوز أن يتم الكلام عند قوله إلى الله ثم يبتدىء به قوله على بصيرة أنا ومن آتني فيكون الكلام على قوله جملتين أخبر في أولاهما أنه يدعو إلى الله وفي الثانية بأنه من آتائه على بصيرة والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من آتائه حقاً حتى يدعوا إلى مادعا إليه وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لأنها لا يحصل إلا بالعلم الذي يدعوه وإليه بل لا بد في كل الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي ويكتفى هذا في شرف العلم أن صاحبه يجوز به هذا المقام والله يؤتني فضله من يشاء . (الوجه الحادي والثلاثون بعد المائة) . انه لو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه ينير اليقين الذي هو أعظم حياة القلب وبه طمأنينة وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة وهذا مدح الله سبحانه أهله في كتابه وأنت عليهم بقوله (وبالآخرة لهم يوقنون) وقوله تعالى (كذلك نفصل الآيات لقوم يوقنون) . وقوله في حق خليله إبراهيم (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين) وذم من لا يقين عنده فقال (أن الناس كانوا بما يأتنا لا يوقنون) . وفي الحديث المرفوع من حديث سفيان التورى عن سليمان التبعي عن خبيرة عن عبد الله بن مسعود يرفعه

لآخرین أحداً يحيط الله ولا تحمدن أحداً على فضله ولا تذمّن أحداً على مالم يوثك
الله فان رزق الله لا يسوقه حرص حرص ولا يرده عنك كراهية كاره وان الله بعده
وقد عله جعل الروح والراحة والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط فإذا باشر القلب اليقين امتلاً نوراً وانتف عنه كل رب وشك وعوا في من
أمر أرضه القاتلة وأمتلاً شكرأ الله وذكرأ الله ومحبة وخوفاً في عن يينة واليدين والحبة
هاركنا الإيمان وعلمه بما ينفع وبهما قوامه وهذا يدان سار الأعمال الفانية والبدنية وعنهما
تصدر وبضمفهما يكون ضعف الأعمال وبقوتها وجميع منازل السارين
ومقامات العارفين إنما تفتح بهما وهو يمران كل عمل صالح وعلم نافع وهدي مستقيم
قال شيخ العارفين الجليل اليقين هو استقرار العلم الذي لا يتقلب ولا يتحول ولا يتغير في
القلب . وقال سهل حرام على قاب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله
وقيل من علاماته الانفات الى الله في كل نازلة والرجوع اليه في كل أمر والاستعامة
به في كل حال وارادة وجهه بكل حركة وسكون . وقال السري اليقين السكون عند
جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حرركتك فيها لا تستفعك ولا ترد عنك مقصياء
قالت هذا اذا لم تكون الحركة مأمورة بها فإذا كانت مأمورة بها فاليقين في بذل الجهد
فيها واستفراغ الوضع . وقيل اذا استكمل العبد حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة
والحمدة منحة فالعلم اول درجات اليقين . وهذا قيل العلم يستعملك واليقين يحملك
فاليقين أفضل موهب الرب لعبدك ولا تبت قدم الرضا الاعلى درجة اليقين . قال
تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) . قال ابن مسعود هو العبد
تصيه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم فماذا لم يحصل له هداية القلب والرضا
والتسليم الإيقينه . قال في الصحاح اليقين العلم وزوال الشك يقال منه يفتت الامر عنا
واستيقنت ويفتنت ويتقنى كله يعنى واحد وانا على يقين منه وإنما صارت الياء واوافي
موطن لاضعف قبلها وإذا صغرتها رددته إلى الاصل فقلت ميةقون وربما عبروا عن الفتن
باليقين وبالظن عن اليقين قال

خَبْرُهُوَاسْ وَإِعْنَانِي **بِهَا مُفْتَدِي مِنْ وَاحِدَلَا إِغْمَرِهِ**
يقول تشم الاسد ناقى يظن انى افتدى بهامنه واستحيي نفسى فاتركها له ولا اقتحم
الماء لك لما قاتله . قالت هذا موضع اختلاف فيه أهل اللغة والتفسير هل يستعمل اليقين في
موضع الفتن والظن في موضع اليقين فرأى ذلك طائفة منهم الجوهري وغيره واحتجوا
بسوى ما ذكر بقوله تعالى (الذين يظلون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) ولو شكوا

في ذلك لم يكونوا موقين فضلاً عن أن يدحوا بهذا المدح وبقوله (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله) • وبقوله تعالى (ورأى الجرمون النار فظنو أنهم موافقوها) وبقول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفي مقائل سراهم في الفارسي المسند

أي استيقنوا بهذا العدد وأبى ذلك طائفة وقالوا لا يكون اليقين إلا لعلم وأما العلن فهو من وافق على أنه يكون الفتن في موضع اليقين واجابوا عما احتاج به من جوّز ذلك بان قالوا هذه الموضع التي زعمتم أن الغافل وقع فيها مرتع اليقين كلها على يديها فانا لم نجد ذلك الا في علم بمغيب ولم نجد لهم يقولون بن رأى الشئ أظنه وان ذاكه أظنه وإنما يقال لغائب قد عرف بالسمع والعلم فإذا صار إلى المشاهدة امتنع اطلاق الفتن عليه قالوا وبين العيان والخبر مرتبة متوجلة باعتبارها أوقع على العلم بالغائب الفتن فقد الحال التي تحصل المدركة بالمشاهدة وعلى هذا اخرجت سائر الأدلة التي ذكرتها ولا يرد على هذا قوله (ورأى الجرمون النار فظنو أنهم موافقوها) لأن الفتن إنما وقع على موافقتها وهي غيب حال الرؤية فإذا وافقوها لم يكن ذلك ظننا بل حرق يقين قالوا وأما قول الشاعر «وإيقن انني بها مفتده فعلى يدي لأن ظن ان الاسد ليقنه شجاعته وجراحته موقد بان الرجل يدع ناقته له يقتدى بها من نفسه قالوا وعلى هذا يخرج مما في الحديث من احق بالشك من ابراهيم وفيه اجوبة لكن بين العيان والخبر مرتبة طلب ابراهيم زواطه بقوله ولكن ليطمئن قلبي فغير عن تلك الرتبة بالشك والله أعلم (الوجه الثاني والثلاثون بعد المائة) ما رواه ابو يعلى الموصلي في مستذه من حديث انس بن مالك يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وهذا وان كان في مستذه حفص بن سليمان وقد ضعف فعناء صحيح فان البيان فرض على كل احد وهو ماهية حرمة من علم وعمل فلا يتصور وجود البيان الا بالعلم والعمل • ثم شرائع الاسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن اداؤها الا بعد معرفتها والعلم بها والله تعالى اخرج عباده من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئاً فطلب العلم فريضة على كل مسلم وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلامهم الا بالعلم وهل يتusal العلم الا بطلبه ثم ان العلم المفروض تعلمه ضربان ضرب منه فرض عين لا يسع مسلماً جهله وهو انواع النوع الاول • عام اصول البيان الحسنة البيان بالله وملائكته وكتبه ورسالته اليوم الآخر فان من لم يؤمّن بهذه الحسنة لم يدخل في باب البيان ولا يستحق اسم المؤمن • قال الله تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) • وقال (ومن كفر بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلاًّا بعيداً) • وما سأله جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآيات ف قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قال صدقت فالآيات
 بهذه الأصول فرع معرفتها العلم بها النوع الثاني علم شرائع الإسلام واللازم منها علم ما يختص
 به من فعلها كعلم الوضوء والصلوة والصيام والحج والعزقة وتوابعها وشر وطها وطلاتها
 والنوع الثالث علم الحرمات الحسنة التي اتفقت عليها الرسول والشرع والكتب الالهية وهي
 المذكورة في قوله تعالى (قل إنما حرم ربكم الفواحش ما ظهر منها وما يبطئ الناس والآثم والبغى
 بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) فهذه
 حرمات على كل واحد في كل حال على لسان كل رسول لاتباح فقط وهذا أى فيها ياما
 المديدة للحضر مطلقاً وغيرها حرم في وقت مباح في غيره كالبيضة والدم وحلم الخنزير ونحوه
 وهذه ليست حرمة على الاطلاق والدائم فلم تدخل تحت التحرير المخصوص المطلق • النوع
 الرابع علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصاً عموماً والواجب
 في هذا النوع مختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم فإذا وجوب على الإمام مع رعيته
 كواجب على الرجل مع أهله وجبريل وليس الواجب على من نسب نفسه لأنواع
 التجارات من تعلم أحكام البيعات كواجب على من لا يبيع ولا يشتري إلا ما تدعوه الحاجة
 إليه وتنصيل هذه الجملة لا يتضيّع بعد لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب وذلك
 يرجع إلى ثلاثة أصول اعتقاد وفعل وترك فالواجب في الاعتقاد طلاقته لاحق في
 نفسه والواجب في العمل معرفته موافقة حركات العبد الظاهرة والباطنة الاختيارية
 للشرع أمراً واباحة والواجب في الترك معرفة موافقة الكف والسكن لمرضات الله
 وإن المطلوب منه إبقاء هذا الفعل على عدمه المستحب فلا يتحرك في طلبه أو كف
 النفس عن فعله على الطريقيتين • وقد دخل في هذه الجملة علم حركات القلوب والابدان
 وأما فرض الكفاية فلا أعلم فيه خالطاً بمحاجة فإن كل أحد يدخل في ذلك ما يظنه فرضاً
 فيدخل بعض الناس في ذلك علم العطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحة وبعضهم
 يزيد على ذلك علم أصول الصناعة كالنارخة والشباكة والخدادة والخياطة ونحوها وبعضهم
 يزيد على ذلك علم المقطنق وربما جعله فرض عين وبناء على عدم سعة إيان المتقد وكل
 هذا هو خبط فلا فرض إلا ما فرضه الله ورسوله في المحاجة هل فرض الله على كل
 مسلم أن يكون حليداً حجاً مهندساً أو حائكاً أو فلاحاً أو مخارجاً أو خياطاً فإن فرض
 الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض
 ثم على قول هذا القائل يكون الله قد فرض على كل أحد حملة هذه الصناعات والعلوم فإنه

ليس واحد منها فرضًا على معين والآخر على غيره بل عموم فرضيتها مشتركة بين العموم فيجب على كل أحد أن يكون حاسباً حائلاً خيالاً بمحاراً فالحاصل فيها مهندساً فإن قال المجموع فرض على المجموع لم يكن قوله أن كل واحد منها فرض كفاية صحيحًا لأن فرض الكفاية يجب على العموم وأما المتعلق فهو كان علماً صحيحًا كان غايته أن يكون كالساحة والطندسة ونحوها فكيف وباطله أضعاف حقه وفاده وتناقض اصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن ان يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا الامن قد عرفه وعرف فساده وتناقضه كثير منه بالعقل الصريح واخبر بعض من كان قد قرأه وعنى به أنه لم يزل متعجبًا من فساد اصوله وقواعده ومبانيها لصرخ المعقول وتضمنها لدعى ومحضة غير مدلوّل عليها وتفرقة بين متساوين وجهه بين مختلفين فيحكم على الشيء بحكم وعلى نظيره بقصد ذلك الحكم أو بحكم على الشيء بحكم ثم بحكم على مضاده أو مناقضه به قال إلى أن سألت بعض رؤسائه وشيوخ أهله عن شيءٍ من ذلك فافظر فيه ثم قال هذا علم قد صقلته الذهان ومررت عليه من عهد القرون الاولى أو كما قال في ينبغي أن تسامي من أهله وكان هذا من أفضل ما رأيت في المتعلق . قال إلى أن وقفت على رد متكلمي الإسلام عليه وتبين فساده وتناقضه فوقت على مصنف لابي سعيد السيرافي التحوي في ذلك وعلى رد كثير من أهل الكلام والعربيه عليهم كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي عبد الجبار والججاني وابنه وابي المعالي وابي القاسم الانصارى وخلق لا يمحضون كثرة ورأيت استشكالات فضلاً لهم ورؤسائهم لمواضع الاشكال ومخالفتها ما كان ينقدح لي كثير منه ورأيت آخر من مجرد عارض لهم شيخ الإسلام قدس الله روحه فإنه أتي في كتابيه الكبير والصغير بالعجب العجاب وكشف اسرارهم وهنك استشارهم فقلت في ذلك

فَعَادَ بِالْخَيْرِ وَالْخَسْرَانِ يَقْرَئُ سَنَنَ نَادِمَ حَبِيرَانَ
قَدْ صَاعَ مِنْهُ الْعُمْرُ فِي الْأَمَانِ وَعَانَ الْخَفْفَةَ فِي الْمِيزَانِ

وَمَا كَانَ مِنْ هُوسِ النُّفُوسِ بِهَذِهِ الْمَرْزَلَةِ فَهُوَ بِأَنْ يَكُونَ جَهْلًا أَوْلَى مِنْهُ بِإِنْ يَكُونَ عَلَمًا
تَعْلَمُهُ فِرْضٌ كَفَافَةٌ أَوْ فِرْضٌ عَيْنٌ وَهَذَا الشَّافِي وَأَحَدُ وَسَائِرِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَتَصَانِيفُهُمْ
وَسَائِرِ أُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَصَانِيفُهُمْ وَأُمَّةِ التَّفْسِيرِ وَتَصَانِيفُهُمْ مَنْ نَظَرَ فِيهَا هُلْ رَاءُوا فِيهَا
حَدُودَ الْمُنْتَطَقِ وَأُوْضَاعِهِ وَهُلْ صَحْ لَهُمْ بِدُونِهِ أَمْ لَا بِلِهِمْ كَانُوا أَجْلَ قَدْرًا
وَأَعْظَمُ عُقُولًا مِنْ أَنْ يَشْغُلُوا أَفْكَارَهُمْ بِهَذِينَ الْمُنْتَطَقِينَ وَمَا دَخَلَ الْمُنْتَطَقَ عَلَى عِلْمِ الْا
فَسَدِهِ وَغَيْرِ أُوْضَاعِهِ وَشُوشُ قَوَاعِدِهِ وَمِنَ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ أَنَّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ
الْتَّصْرِيفِ وَالنَّحْوِ وَالْلِّفْغَةِ وَالْمَعْنَى وَالْبَيْانِ وَنَحْوُهَا تَعْلَمُهَا فِرْضٌ كَفَافَةٌ لَا يَقْفَضُ فِيهِمْ كَلَامُ
اللهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهَا وَمِنَ النَّاسِ مِنْ يَقُولُ تَعْلَمُ أَصْوَلَ الْفَقَهِ فِرْضٌ كَفَافَةٌ لَا يَقْفَضُ فِيهِمْ كَلَامُ
يَعْرِفُ بِهِ الدَّلِيلُ وَمِنْ تَبْتَهُ وَكِيفِيَّةِ الْإِسْتِدَالَلِ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ وَانْ كَانَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ
مِنَ الْفَوْلَ الْأَوَّلِ فَلَيْسَ وَجْهُهَا عَامَّاً عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَلَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَمَّا يُجِبُ وَجْوبُ
الْوَسَائِلِ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ وَعَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ بِخَلَافِ الْفِرْضِ الَّذِي يَعْلَمُ وَجْوهُهُ كُلِّ
أَحَدٍ وَهُوَ عِلْمُ الْأَيَّانِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ وَأَمَّا مَاعِدَاهُ فَإِنْ تَوْقَفَ مَعْرِفَتُهُ
عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ بَابِ مَا لَا يَعْلَمُ الْوَاجِبُ الْأَبَدُ وَيَكُونُ الْوَاجِبُ مِنْهُ الْقُدْرُ الْمُوَصَّلُ إِلَيْهِ دُونَ
الْمَسَائِلِ الَّتِي هِيَ فَضْلَةٌ لَا يَنْقُصُ مَعْرِفَةَ الْخُطَابِ وَفِيهِمْ أَلْيَاهَا فَلَا يَطْلَعُ الْقَوْلُ بِإِنْ عَلِمَ
الْعَرَبِيَّةَ وَاجِبٌ عَلَى الْأَمْلَاقِ إِذَا الْكَثِيرُ مِنْهُ وَمِنْ مَسَائِلِهِ وَبِخَوْفِهِ لَا يَتَوْقَفُ فِيهِمْ كَلَامُ
اللهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهَا وَكَذَلِكَ أَصْوَلُ الْفَقَهِ الْقُدْرُ الَّذِي يَسْتَوْقِفُ فِيهِمُ الْخُطَابُ عَلَيْهِ مِنْهُ يُجِبُ
مَعْرِفَتُهُ دُونَ الْمَسَائِلِ الْمُقْرَرَةِ وَالْأَبْحَاثِ الَّتِي هِيَ فَضْلَةٌ فَكِيفَ يَقُولُ أَنْ تَعْلَمُهَا وَاجِبٌ
وَبِالْحَالَةِ فَالْمُطَلُّبُ الْوَاجِبُ مِنَ الْعِبَدِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَعْمَالِ إِذَا تَوْقَفَ عَلَى شَيْءٍ
مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ وَاجِبًا وَجَوْبُ الْوَسَائِلِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ التَّسْوِيقُ يَخْتَلِفُ
بِالْخَلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَلْسُنَةِ وَالْأَذْهَانِ فَلَيْسَ لِذَلِكَ حَدٌّ مُقْدَرٌ وَاللهُ أَعْلَمُ
(الْوَجْهُ اثَاثٌ وَاثَالَاثُونَ بَعْدَ المَائَةِ) مَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَأَلَ مُوسَى رَبِّهِ عَنْ سَبَبِ خَصَالِ كَانَ
يَاظِنُ أَمْهَالَهُ خَالِصَةً وَالسَّابِعَةَ يَكُنْ مُوسَى يَحْبَهَا قَالَ يَارَبِّ أَنِّي عَبْدُكَ أَتَقُولُ أَنِّي يَذَكُرُ
وَلَا يَنْسَى قَالَ فَأَنِّي عَبْدُكَ أَهْدَى قَالَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْهَدَى قَالَ فَأَنِّي عَبْدُكَ أَحْكَمَ قَالَ الَّذِي
يَحْكُمُ لِلنَّاسِ مَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ قَالَ أَنِّي عَبْدُكَ أَعْلَمُ قَالَ عَالَمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ يَجْمِعُ عِلْمَ النَّاسِ
إِلَى عِلْمِهِ قَالَ فَأَنِّي عَبْدُكَ أَعْنَى قَالَ الَّذِي إِذَا قَدِرَ عَفَا قَالَ فَأَنِّي عَبْدُكَ أَغْنَى قَالَ الَّذِي

يرضي بما أتي قال فأي عبادك أفتر قال صاحب منقوص فأخبر في هذا الحديث ان أعلم
 عباده الذي لا يشبع من العلم فهو يجمع علم الناس الى علمه لنهمه في العلم وحرسه عليه
 ولا ريب أن كون العبد أعظم عباد الله من أعظم أوصاف كماله وهذا هو الذي حل
 موسى على الرحلة الى عالم الأرض ليعلم ما علمه الله • هذا وهو كلام الرحمن وأكرم
 الخلق على الله في زمانه وأعلم الخاق حفله حرسه ونمته في العلم على الرحلة الى العالم
 الذي وصف له فلولا أن العلم أشرف ما بذلت فيه المهج وأنفقت فيه الأنفاس لاشتغل
 موسى عن الرحلة الى الخضر بما هو بصدده من أمر الأمة وعن مقاسات النصب
 والتعب في رحلته وتلطفه بالخضر في قوله (هل أتبعتك على أن تعلمني مما علمت وشدآ)
 فلم ير اتباعه حتى استاذه في ذلك وأخبره انه جاء متعملاً مستقيداً فهذا الذي الكرم
 كان عالماً بقدر العلم وأهله صلوات الله وسلامه عليه (الوجه الرابع والثلاثون بعد المائة)
 ان الله سبحانه وتعالى خالق الخلق لعبادته الجامحة لحبته وايتار مرضاته المستلزمة
 لمعرفته ونصلب لعباد عالماً لا كمال لهم إلا به وهو أن تكون حركاتهم كلها موافقة على وفق
 مرضاته ومحبته ولذلك أرسل رسلاً وازل كتبه وشرع شرائعه فكل عبد الذي لا يكمل
 له إلا به أن تكون حركاته موافقة لما يحبه الله منه ويرضاه له وهذا جعل اتباع رسوله
 دايلاً على محبته • قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتباعوني يحببكم الله ويغفر لكم
 ذنوبكم والله غفور رحيم) فالمحب الصادق يرى خيانة مته لمحبوبه أن يحرك بحركه
 اختيارية في غير مرضاته وإذا فعل فعلًا مما أبى له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما
 يتوب من الذنب ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب مدحاته كلها طاعات
 فيتحسب نومه وفطره وراحته كايتحسب قوته وصوته واجهاده وهو داعاً بين سراء
 يشكر الله عليها وضراء يصبر عليها فهو سائر الى الله دائمًا في نومه ويقطنه • قال بعض العلماء
 الاكياس عادتهم عادات الحق والحق عاداتهم عادات وقال بعض السلف جداً نوم الاكياس
 وفطراهم يغبونون به سهر الحق وصومهم فالمحب الصادق ان لفظ نطق لله وبالله وإن
 سكت سكت له وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فسكنه استعامة على مرضاته فهو له
 وبالله ومع الله ومعلوم ان صاحب هذا المقام أحوج خالق الله الى العلم فانه لا تميز له الحركة
 المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب له من غيره الا بالعلم فاين حاجته الى العلم سجاجدة
 من طلب العلم لذاته ولا نفع نفسه سفة بكل بل حاجته اليه سجاجدة الى ما به قوام نفسه وذاته
 وهذا اشتدت وصاة شيوخ العارفين لم يريدتهم بالعلم وطلبهم وأنه من لم يطالب العلم لم يفلاح
 حتى كانوا يعدون من لا علم لهم من السفلة • قال ذو الثواب وقد مثل من السفلة فقال من لا

يعرف الطريق الى الله تعالى ولا يتعرفه وقال ابو يزيد لو نظرت الى الرجل وقد اعطي من السكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغروا به حتى تنظر وان كيف تجدونه عند الامر والتهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة . وقال ابو حمزة البزار من على طريق الحق سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق الا متابعة الرسول في اقواله وافعاله واحواله . وقال محمد بن الفضل الصوفى الزاهد ذهب الاسلام على يدي أربعة اصناف من الناس صنف لا يعملون بما يعلمون وصنف يعملون بما لا يعلمون وصنف لا يعملون ولا يعلمون وصنف يمنعون الناس من التعلم قلت الصنف الاول من لم علم بلا عمل فهو أضر على العامة فانه حجة لهم في كل فقيحة ومنحة . والصنف الثاني العابد الجاحد فان الناس يحسنون الفتن بعلبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله . وعدان الصنفان هما المذان ذكرها بعض السلف في قوله احذروا فتن العالم الفاجر والعابد الجاحد . فان فتنهمما فتنه لكل مفتون فان الناس انما يقتدون بعلمائهم وعبادتهم فإذا كان العلماء سفرة والعباد جهله عممت المصيبة بهما وعظمت الفتنة على الخاصة وال العامة . والصنف الثالث الذين لا علم لهم ولا عمل وانما هم كالانعام المسأمة . والصنف الرابع نواب ابليس في الارض وهم الذين يبتسلون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين فهو لاء أضر عليهم من شياطين الجن فانهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه فهو لاء الاربعة اصناف هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله عليه وهو لاء كلهم على شفاجر هار وعلى سبيل المثلثة وما باقى العالم الداعى الى الله ورسوله ما يلقاه من الاذى والخاربة الا على ابدتهم والله يستعمل من يشاء في سخطه كما يستعمل من يحب في مرضاته انه بعباده خير بصير ولا ينكشف سر هذه الطوائف وطريقهم الا بالعلم فعاد الخير بمحاذيره الى العلم وموجهه والشر بمحاذيره الى الجهل وموجهه (الوجه الخامس والثلاثون بعد المائة) ان الله سبحانه جعل العلماء وكلاه وأئماعهم على دينه ووحيه وارضاهم لخظه والقيام به والذب عنه وناهيك بها منزلة شريرة ومنكرة عظيمة . قل تعالى (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا بخط عزهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليدوا بها بكافرين) وقد قيل ان هؤلاء القوم هم الانبياء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن بهذه امهات الاقوال بعد اقوال متفرعة عن هذه كقول من قال هم الانصار أو المهاجرون والانصار أو قوم من ابناء فارس وقال آخرون هم الملائكة . قال ابن جرير وأولى هذه الاقوال بالصواب انهم الانبياء العذبة عشر الذين سماهم في الآيات قبل هذه الآية . قال وذلك ان الخبر

في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عَنْهُمْ ذَكْرٌ هَايِلُهَا بَأْنَ يَكُونُ خَبْرًا عَنْهُمْ أُولَى وَاحِقٍ
 بَأْنَ يَكُونُ خَبْرًا عَنْ غَيْرِهِمْ فَالْأُولَى لِفَانِ يَكْفُرُ قَوْمٌ مِّنْ قَرِبَشْ يَا مُحَمَّدَ بِآيَاتِنَا وَكَذَبُوا بَاهَا
 وَجَحَدُوا حَقِيقَتَهَا فَقَدْ اسْتَحْفَضُتَا هَا وَاسْتَرْعَيْنَا الْقِيَامَ بِهَا رَسْلَنَا وَانْبَيَاءُنَا مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ
 لَا يَجِدُونَ حَقِيقَتَهَا وَلَا يَكْذِبُونَ بَاهَا وَلَا كُنُّهُمْ يَصْدِقُونَ بَاهَا وَيَؤْمِنُونَ بَاهَا بِصَحِحَتِهَا قَلْتَ
 السُّورَةَ مَكْيَةً وَالاِشْتَارَةَ بِقَوْلِهِ هُؤُلَاءِ إِلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ أَصْلًا وَمِنْ عَدَاهُمْ تَبَعَا
 فِي دُخُلِّ فِيهَا كُلُّ مَنْ كَفَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ وَالْقَوْمُ الْمُوْكَلُونَ بَاهَا هُمُ الْأَنْيَاءُ أَصْلًا
 وَالْمُؤْمِنُونَ بَهُمْ تَبَعَا فِي دُخُلِّ كُلِّ مَنْ قَامَ بِمَحْفَظَتِهِ وَالذِّبْعُ عَنْهُمَا الدُّعُوَةُ إِلَيْهَا وَلَارِبُّ إِنْ هُذِهِ الْأَلَانِيَاءُ
 أَصْلًا وَلَا مُؤْمِنُينَ بَهُمْ تَبَعَا وَاحِقٌ مِّنْ دُخُلِّ فِيهَا مِنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ خَلْفَأَوْهُ فِي امْتِهِ وَوَرْثَتِهِ
 فَهُمُ الْمُوْكَلُونَ بَهَا وَهُذِهِ اِيَّنَتَقْلِمُ فِي الْاقْوَالِ إِلَى قِيلَتِ فِي الْأَيَّاهِ وَوَمَا قَوْلُ مِنْ قَالَ أَنَّهُمْ الْمَلَائِكَةُ
 فَضَعِيفٌ جَدًّا لِأَيْدِلِ عَلَيْهِ السَّيَّاقُ وَتَأْيَاهُ لِفَظَّةٍ قَوْمًا إِذَا الغَالِبُ فِي الْقُرْآنِ بِلِ المَعْلُودِ تَخْصِيصُ
 الْقَوْمِ بِبَنِي آدَمَ دُونَ الْمَلَائِكَةِ وَوَمَا قَوْلُ ابْرَاهِيمَ لَهُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَإِنَّمَا قَالَهُ لِمَا ظَنُّهُمْ مِنَ الْأَنْسِ
 وَإِيَّاهُ فَلَا يَقْتُضِيهِ نَخَامَةُ الْمَعْنَى وَمَقْصُودُهُ وَهَذَا لَوْ أَظْهَرَ ذَلِكَ وَقَيْلَ فَانِ يَكْفُرُ بَاهَا كَفَارَ
 قَوْمَكَ فَقَدْ وَكَلَّابِهَا الْمَلَائِكَةُ فَانِمْ لَا يَكْفُرُونَ بِهِمْ بِخُبُودِهِمْ مِنْهُمْ مِنَ التَّسْلِيَةِ وَتَحْقِيرِ شَأْنِ الْكَفَرِ بَهَا
 وَبِيَانِ عَدَمِ تَأْهِلِهِمْ هَذَا الْأَفْعَامُ عَلَيْهِمْ وَإِيَّاهُمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَّانِ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحَسْنَى
 عَلَيْهِمْ لِكَوْنِهِمْ أَحَقُّ بَاهَا وَإِعْلَمُهُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَضُعُ هَدَاهُ وَيَخْتَصُّ بَاهَا مِنْ يَشَاءُ وَإِيَّاهُ
 فَانِ سَخَّتْ هَذِهِ الْأَيَّاهُ اِشَارَةً وَبَشَارَةً بِمَحْفَظَتِهِ وَانَّهَا ضَيْعَةٌ عَلَيْهَا وَانَّ هُؤُلَاءِ وَانَّ ضَيْعَوْهَا وَلِمَ
 يَقْبِلُوهَا فَانِ هَذَا قَوْمًا غَيْرُهُمْ يَقْبِلُونَهَا وَيَحْفَظُونَهَا وَيَرْعُونَهَا وَيَذْبَوُنَهَا فَكَفَرُ هُؤُلَاءِ بَهَا
 لَا يَنْتَعِيْهُمْ وَلَا يَذْهَبُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ شَيْئًا فَانِ هَذَا أَهْلًا وَمَسْتَحْقًا سَوَاهِمْ فَتَأْمِلُ شَرْفُ هَذَا
 الْمَعْنَى وَجَلَّاتُهُ وَمَا تَنْعَمَّهُ مِنْ تَحْرِيصِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُبَادِرَةِ إِلَيْهَا وَالْمُسَارِعَةِ إِلَى
 قَبْوَاهَا وَمَا تَخْتَهُ مِنْ تَنْبِيَّهِمْ عَلَى حَمْبَتِهِ لَهُمْ وَإِشَارَةً إِيَّاهُمْ بِهِذِهِ التَّعْمَةِ عَلَى اعْدَاهُ الْكَافِرِينَ
 وَمَا تَخْتَهُ مِنْ اِحْتِقارِهِمْ وَازْدَرِاهُمْ وَعَدَمِ الْمُبَالَةِ وَالْاِحْتِفَالِ بَهُمْ وَانَّكُمْ وَانَّهُمْ مُؤْمِنُوا
 بَهَا فَعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ بَهَا الْمُوْكَلُونَ بَهَا سَوَاهِمْ كَثِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى • (قَلْ أَمْتَوا بَاهَا اَوْلَى
 تَوْمَنُوا اَنَّ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اَذَا يَتَّلَقُّ عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلَّادْقَانِ سَجَدًا وَيَقُولُونَ
 بِسْمَانِ رَبِّنَا اَنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولًا) وَاذا كَانَ لِهِ عَبِيدٌ قَدْ عَصَوْهُ وَخَالَفُوا اَمْرَهُ وَلَمْ
 يَلْتَقِنُوا إِلَى عَهْدِهِ وَلَهُ عَبِيدٌ آخَرُونَ سَامِعُونَ لِهِ مُطَبِّعُونَ قَابِلُونَ مُسْتَجِيْعُونَ لِاَمْرِهِ فَذَفَرُ
 إِلَيْهِمْ وَقَالَ اَنِ يَكْفُرُ هُؤُلَاءِ نَعَمْ وَيَعْصُو اَمْرَهِ وَيَنْتَعِيْهُمْ عَهْدَهِ فَانِ لِي عَبِيدًا سَوَاهِمْ
 وَهُمْ اَنْتُمْ تَطْبِعُونَ اَمْرَهِ وَتَحْفَظُونَ عَهْدَهِ وَتَوْدُونَ حَقَّ فَانِ عَبِيدُهُ الْمُطَبِّعُونَ يَجِدُونَ فِي
 اَنْفُسِهِمْ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالنَّشَاطِ وَقُوَّةِ الْعَزِيزِ مَا يَكُونُ مُوجِبًا لَهُمْ اَمْزِيدُ مِنَ الْقِيَامِ

بمحق العبودية والمزيد من كرامته سيدهم وما لكهم وهذا أمر يشهد به الحسن والعباس
 • وأما توكيدهم بها فهو يتضمن توقيفهم للإيان بها والقيام بمحقاها ومراعاتها والذب عنها
 والتصححة لها كما يوكل الرجل غيره بالشيء ليقوم به ويتعهده ويخافض عليه وبها الأولى
 متعلقة بوكنا وبها الثانية متعلقة بكافرين والباء في بكافرين لتأكيد النفي • فان قلت فهل
 يصح ان يقال لاحد هؤلاء الموكلين انه وكيل الله بهذا المعنى كما يقال ولله • قلت
 لا يلزم من اطلاق فعل التوكيل المقيد بأمر ما ان يصاغ منه اسم فاعل مطلق كما انه
 لا يلزم من اطلاق فعل الاستخلاف المقيد ان يقال خليفة الله اموله (ويستخلفكم في
 الارض) • وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
 كاستخلف الذين من قبلهم) فلا يوجد هذا الاستخلاف ان يقال لكل منهم انه
 خليفة الله لأنه استخلاف مقيد وما قبل الصديق يا خليفة الله قال لست بخليفة الله
 ولست خليفة رسول الله وحبي ذلك ولكن يسوغ أن يقال هو وكيل بذلك كما قال
 تعالى (فقد وكنا بها قوماً) والمقصود ان هذا التوكيل خاص بن قام بها عملاً وعملاً
 وجهاً لاعدائهم وذباعتها ونفياً لتجريف الغالين واتصال المطلعين وتأنويل الجاهلين • وأيضاً
 فهو توكيلاً رحمة واحسان وتوقيف واحتصاص لا توكيلاً حاجة كما يوكل الرجل من
 يتصرف عنه في غيته حاجة اليه • وهذا قال بعض السلف (فقد وكنا بها قوماً)
 يقول رزقناها قوماً فاما لا يقال لمن رزقها ورحم بها انه وكيل الله وهذا يخالف انتقاد
 ولله من المولاة فانها الحبوبة والقرب فكما يقال عبد الله وحبيبه يقال ولله والله تعالى
 يوالى عبده احساناً اليه وجبر الله ورحمة يختلف الخلقون فانه يوالى الخلقون لتعزره به
 وتنكره به والله لذل العبد و حاجته واما العزيز الغني فلا يوالى احداً من ذل ولا حاجة
 • قال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولی
 من الذل وكبره تكبيراً) فلم ينس الولي نفياً عاماً مطلاقاً بل نفي أن يكون له ولی من
 الذل وابت في موضع آخران له أولياء بقوله (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون) وقوله (الله ولـي الذين آمنوا) فهذا موالاة رحمة واحسان وجبر والمولاة
 المنشقة موالاة حاجة وذل يوضح هذا (الوجه السادس والثلاثون بعد المائة) وهو
 ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة انه قال يحمل هذا العلم من كل
 خالق عدو له ينفعون عنه تجريف الغالين واتصال المطلعين وتأنويل الجاهلين فهذا
 الحال المشار اليه في هذا الحديث هو التوكيل المذكور في الآية فاخبر صلى الله عليه وسلم
 ان العلم الذي جاء به يحمله عدول اmente من كل خالق حتى لا يضيع ويدرك وهذا

يتضمن تعديله صلى الله عليه وسلم حلقة العلم الذي بعث به وهو المشار إليه في قوله
هذا العلم فكل من حل العلم المشار إليه لابد وان يكون عدلاً وهذا اشتهر عند الامة
عدالة نقله وحلته اشتهر لا يقبل شكولاً امباً ولا رأيًّا ان من عدله رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يسمع فيه جرح فالآئمة الذين اشتهروا عند الامة بنقل العلم النبوى
وميراثه كلام عدول بتعديل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يقبل قدر بعضهم
في بعض وهذا بخلاف من اشتهر عند الامة جرحه والقدح فيه كائنة البدع ومن جرى
بجرأة من المتهمين في الدين فالمتهم ليسوا عند الامة من حلقة العلم فما حل علم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاعدول ولكن قد يغلط في مسمى العدالة فيظن أن المراد بالعدل
من لاذب له وليس كذلك بل هو عدل مؤمن على الدين وان كان منه ما يتوب إلى الله
منه فان هذا لا ينافي العدالة كما لا ينافي الاعيان والولاية

(فصل) وهذا الحديث له طرق عديدة منها ما رواه ابن عدي عن موسى بن اسماعيل بن
موسى بن جعفر عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن على عن النبي صلى الله
عليه وسلم و منها ما رواه العوام بن حوشب عن شهر بن حوشب عن معاذ عن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب وغيره و منها ما رواه ابن عدي من حديث الأبيث بن
سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم و منها
ما رواه محمد بن جرير الطبرى من حديث ابن أبي كريمة عن معاذ بن رفاعة السلامى عن
ابي عثمان التهوى عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم و منها ما رواه حماد بن
زياد عن يقىة بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدارقطنى حدثنا احمد بن الحسن بن زيد حدثنا
هاشم بن القاسم حدثنا مني بن بكير وبشير وغيرهما من أهل العلم كلهم يقولون حدثنا معاذ
ابن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني أن المحفوظ
من هذا الطريق مرسى لأن ابراهيم هذا الأصحية له وقال اخلاقاً في كتاب العلل قرأت
على زهير بن صالح بن احمد حدثنا منها قال سالت احمد عن حدث معاذ بن رفاعة عن
ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل هذا العلم
من كل خلف عدوه ينفعون عنه محريف الغالين وانتحال المبطلين وتاؤل الجاهلين
فقلت لا احمد كانه موضوع قال لا هو صحيح فقلت من سمعته انت فقال من غير واحد
قال من هم قال حدثني بمسكين الا انه يقول عن معاذ عن القاسم من عبد الرحمن قال احمد
ومعاذ بن رفاعة لا بأس به و منها ما رواه ابو صالح حدثنا المأذن بن سعد عن يحيى بن

سعيد عن سعيد بن الميدب عن عبد الله بن مسعود قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يرث هذا العلم من كل خلف عدوه و منها ما رواه أبو أحمد بن عدي من حديث زريق بن عبد الله الأطافاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي إمامه الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عنه بقية و منها ما رواه ابن عدي أيضاً من طريق مروان الفزاروي عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و منها ما رواه ثما في فوائده من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطير عن أبي قبييل عن عبد الله بن عمرو و أبي هريرة رواه عنه خالد ابن عمرو و منها ما رواه القاضي اسماعيل من حديث علي بن مسلم البلوي عن أبي صالح الاشعري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (الوجه السابع والثلاثون بعد المائة) انبقاء الدين والدنيا في بقاء العلم وبذهب العلم تذهب الدنيا والدين فقوم الدين والدنيا إنما هو بالعلم قال الأوزاعي قال ابن شهاب الزهرى الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضاً سريعاً فتشعر العلم بذات الدين والدنيا وذهب العلم ذهاب ذلك كله وقال ابن وهب أخبرني يزيد عن ابن شهاب قال يلغنا عن رجال من أهل العلم إنهم كانوا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضاً سريعاً فتشعر العلم بذات الدين والدنيا وذهب العلم ذهاب ذلك كله (الوجه الثامن والثلاثون بعد المائة) ان العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة مالا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرها فالعلم يزيد الشريف شرقاً ويرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك كما ثبت في الصحيح من حديث الزهرى عن أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث أتى عمر بن الخطاب بصفحان وكان عمر استعمله على أهل مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى قال استخلفت عليهم ابن أبى زئى فقال من ابن أبى زئى فقال رجل من مواليها فقال عمر استخلفت عليهم ولدى فقال انه قارئ لكتاب الله عالم بالغراض فقال عمر أما أنا نيكم صلى الله عليه وسلم قد قال لن الله يرفع هذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين قال أبو العالية كنت آتى ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش فأخذ بيدي في جلسي معه على السرير فتفاخز في قريش ففعلن لهم ابن عباس فقال كذا هذا العلم يزيد الشريف شرقاً ويمثل المملوك على الأسرة وقال ابراهيم الحربي كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامراة من مكة وكان أفقه كأنه بقلة قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابنه خالساوا إليه وهو يصلى فلما صل اغتسل اليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قباء اليوم ثم قال سليمان لأبني قوماً فقاما فقال يابني لاتقنيا في طلب العلم فاني لا أنسى ذلك بين

يدي هذا العبد الاسود قال الحربي وكان محمد بن عبد الرحمن الا وقص عنقه داخل
 في بدنها وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه يابني لاتكون في مجلس قوم الا
 كنت المضحوكة منه المسخور به فعليك بطلب العلم فانه يرفعك فوق قضاء مكة عشرين
 سنة قال وكان الخصم اذا جلس اليه بين يديه يرعد حتى يقوم قال ومررت به امرأة
 وهو يقول اللهم اعنق رقبتي من النار فقالت له يالبن أخي وأي رقبة لك وقال يحيى بن
 أكثم قال الرشيد مأنبل المراتب قلت ما أنت فيه يا أمير المؤمنين قال فترعرف أجل مني
 قلت لا قال أكثني أعرفه رجل في حلقة يقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قلت يا أمير المؤمنين أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وولي عهد المؤمنين قال نعم وبذلك هذا خير وفي لان اسمه مقتون
 باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبداً ونحن نموت وفنى والعلماء باقون
 ما بقي الدهر وقال خيثمة بن سليمان سمعت ابن أبي الدنيا يقول كنا في مجلس يزيد
 ابن هارون والناس قد اجتمعوا إليه فر أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس وفي
 المجلس ألوف فالتفت إلى أصحابه وقال هذا الملك وفي تاريخ بغداد بالخطيب حدثني
 أبو النعيم عبد الغفار بن عبد الواحد قال سمعت الحسن بن علي المقرئ يقول
 سمعت أبي الحسين بن فارس يقول سمعت الأستاذ ابن العميد يقول ما كنت أظن ان
 في الدنيا حلاوة ألد من الرياسة والوزارة التي أنا فيها حق شهدت مذكرة سليمان
 ابن أيوب بن أسد الطبراني وأبي بكر الجعافي بحضوره فكان الطبراني يغلب الجعافي
 بكثرة حفظه وكان الجعافي يغلب الطبراني بفضلته وزكاؤه أهل بغداد حق احترم صوافهم
 ولا يكاد أحد هما يغلب صاحبه فقال الجعافي عند حديث ليس في الدنيا إلا عندي
 فقال هاته فقال حدثنا أبو خليف حدثنا سليمان بن أيوب وحدث بالحديث فقال الطبراني
 أسبأنا سليمان بن أيوب وفي سمع أبو خليف قاسمع مني حق يعلو استادك فلنك تروي
 عن أبي خليفة عن شيخ الجعافي وغلبه الطبراني قال ابن العميد فوددت في مكانه
 أن الوزارة والرياسة ليها لم تكن لي وكانت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح
 الطبراني لأجل الحديث أو كما قال وقال المزني سمعت الشافعي يقول من تعلم القرآن
 عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم
 الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم يستفعه علمه
 وقد روى هذا الكلام عن الشافعي من وجوه متعددة وقال سفيان التورى من أراد
 الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم وقال عبد الله بن داود سمعت سفيان التورى يقول

ان هذا الحديث عز فن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها وقال
النصر بن شمبل من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعlim العلم وكفى بالمرء
سعادة أن يوثق به في دين الله ويكون بين الله وبين عباده وقال حزة بن سعيد المصري
لما حدث أبو مسلم المخمي أول يوم حدث قال لابنكم فضل عندنا من أيام غالانا
قال ثلاثة دينار قال فرقها على أصحاب الحديث والقراء شكرأ ان أيام اليوم شهد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل شهادته وفي كتاب الجليس والأئم لابي الفرج
المعافي بن زكريا الجريري حدثنا محمد بن الحسين بن دريد حدثنا أبو حاتم عن العتبى
عن أبيه قال ابني معاوية بالطبع مجلساً مجلساً عليه ومعه ابنته قرنفلة فاذ هو بجماعة
على رحال هم وإذا ثاب منهم قد رفع عقيرته يتنفس

قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر قال خلوا له الطربق ثم اذا هو بجماعة فهم
غلام يستغف

يُذكَرُ كُنْدِيُّ أَبْصَرِيُّ عَنْ قِيَادَةِ الْمَلِيلِ يُسَمِّيُ بِالْأَغْرِي
قَلَنْ تَعْرِفُ الْفَتَنَ قَلَنْ لَمْ قَدْ عَرَفَنَاهُ وَهُلْ يَخْفِي الْفَمُ
قَالَ مِنْ هَذَا قَالُوا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ خَلُوا لَهُ الْطَرِيقُ فَإِذَا نَهَبَ قَالَ ثُمَّ إِذَا هُوَ بِجَمَاعَةٍ
وَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ يَسْأَلُ فِيمَا لَهُ رَمِيتَ قَبْلَ أَنْ حَلَقَ وَحَلَقْتَ قَبْلَ أَنْ أَرْمَى فِي أَثْيَاءٍ أَشْكَلَتْ
عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجَّ فَقَالَ مِنْ هَذَا قَالُوا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ قَرْظَلَةً وَقَالَ
هَذَا وَأَبِيكَ التَّرْفَ هَذَا وَاللَّهُ شَرْفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ • وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ أَرْفَعُ النَّاسِ
مِنْ زَلَّةٍ عَنْدَ اللَّهِ مِنْ كَانَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبَادَهُ وَهُمُ الْأَنْيَاءُ وَالْعَالَمَاءُ وَقَالَ سَهْلُ النَّسْرَى مِنْ
أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَحَالِسِ الْأَنْيَاءِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى مَحَالِسِ الْعُلَمَاءِ يَحْمِيُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا فَلَانَ
يَا شَنَ قَوْلُ فِي رَجُلٍ حَلَفَ عَلَى أَمْرِهِ بِكَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ طَلَقْتَ أَمْرَهُ وَيَحْمِيُ آخِرُ
فَيَقُولُ حَلَقْتَ بِكَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ لَيْسَ يَحْمِتُ بِهَذَا الْقَوْلِ وَلَيْسَ هَذَا الْأَنْبَىُ أَوْ عَلَمُ
فَاعْرَفْوَا لَهُمْ ذَلِكَ (الوجهُ الثَّانِيُّ وَالثَّالِثُونُ بَعْدَ المَائِةِ) أَنَّ النَّفَوسَ الْجَاهِلَةَ الَّتِي لَا عِلْمَ
عَنْهَا قَدْ أَبْلَسَتْ نُوبَ الذَّلِّ وَالْأَزْرَاءِ عَلَيْهَا وَالنَّقْصُ بِهَا أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهَا وَهَذَا
أَمْرٌ مَعْلُومٌ عَنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ قَالَ الْأَعْمَشُ أَنِّي لَأَرِي الشَّيْخَ لَا يَرْوِي سِيَّئًا مِنَ
الْحَدِيثِ فَأَشْتَهِيَّ أَنَّ الْقَطْمَهُ وَقَالَ أَبُو مَعاوِيَهُ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ مِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْحَدِيثَ
أَشْتَهِيَّ أَنَّ أَصْفَعَهُ يَبْنُ عَلِيٍّ وَقَالَ هَشَامُ بْنُ عَلِيٍّ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ الشَّيْخَ لِمَ يَقْرَأُ
الْقُرْآنَ وَمَمْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ فَاصْفَعْ لَهُ فَإِنَّهُ مِنْ شِيُوخِ الْفُمرَاءِ قَالَ أَبُو صَالِحٍ قَلْتُ لِأَنِّي

جعفر ما شيخ القراء قال شيخ دهريون يجتمعون في ليلي القمر يتذكرون أيام الناس
ولا يحسن أحدهم أن يتوضأ لاصلاة وقال المزني كان الشافعي اذا رأى شيئاً سأله عن
الحديث والفقه فان كان عنده بي والا قال له لا جراك الله خيراً عن نفسك ولا عن
الاسلام قد ضيغت نفسك وضيغت الاسلام وكان بعض خلقه بين العباس يلعب
بالشطرنج فاستاذن عليه عمه فاذن له وعطي الرقعة فلما جلس قال له يا عمي هل قرأت
القرآن قال لا قال هل كتبت شيئاً من السنة قال لا قال فهل نظرت في الفقه واختلاف
الناس قال لا قال فهل نظرت في العربية وأيام الناس قال لا قال فقال الخاتمة اكشف
الرقعة نعم اتم الله وزال احتشامه وحياؤه منه وقل له ملاعبة يا أمير المؤمنين تكشفها
ومعنا من تختشم به قال اسكنها معنا أحد وهذا لأن الانسان اغا تميز عن سائر
الحيوانات بما خص به من العلم والعقل والفهم فإذا عدم ذلك لم يبق فيه الا القدر المشترك
بینه وبين سائر الحيوانات وهي الحيوانية البهيمية ومثل هذا لا يستحيي منه الناس ولا
يمنعون بحضوره وشهوده مما يستحى منه من أولى الفضل والعلم (الوجه الأربعون بعد
المائة) ان كل صاحب بضاعة سوى العلم اذا علم ان غير بضاعته خير منها زهد في بضاعته
ورغب في الأخرى وود أنها له عوض بضاعته الا صاحب بضاعة العلم فانه ليس يحب
ان له بمحظه منها حفظ أصلاً وكان سفيان التورى اذا رأى الشيخ لم يكتب الحديث قال
لا جراك الله عن الاسلام خير قال أبو جعفر الطحاوى كفت عند أحمد بن أبي عران
فربما رجل من بي الدنيا فنظرت اليه وشافت به عما كنت فيه من المذاكرة فقال
لي كأني بك قد فكرت فيها أعطي هذا الرجل من الدنيا قلت له نعم قال هل أذلك
على خلة هل لك أن يحول الله بذلك ما عنده من المال ويحول اليه ما عندك من العلم
فتعيدين أنت غبياً جاهلاً ويعيش هو علماً فغيراً فقلت ما أختار أن يحول الله ما عندك من
العلم الى ما عندك فالعلم غنى بلا مال وعز بلا عشرة وسلطان بلا رجال وفي ذلك قيل

العلم كنز وذخر لإنفاقه نعم القرىن اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع الماء مالاً نعم يحرمه عما قليل فيافق الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ولا يخادر منه الفوت والبلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجتمعه لا تعدان به دراً ولا ذهباً
(الوجه الحادى والاربعون بعد المائة) أن الله سبحانه أخبر أنه يجزى المحسنين
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وأخبر سبحانه أنه يجزى على الاحسان بالعلم وهذا يدل
على أنه من أحسنالجزاء أما المقام الأول ففي قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق

به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء الحسينين لـ*لِكْفَرِ اللَّهِ عَنْهُمْ أَسْوَأُ*
الَّذِي عَمِلُوا وَيَجِزِّهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهذا يتناول الجزاءين
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَمَا الْمَقَامُ الثَّانِي فَفِي قَوْلِهِ تَعْمَلِي (وَلَا يَلْغُ أَشَدُهُ آتِيَاهُ حَكْمًا
وَعَلَمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) قَالَ الْمُسْنَى مِنْ أَحْسَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ فِي شَيْبِيَّتِهِ لِقَاءُ اللَّهِ
الْحَكْمَةُ عِنْدَ كَبُرِّ سَنَةٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (وَلَا يَلْغُ أَشَدُهُ آتِيَاهُ حَكْمًا وَعَلَمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ) وَمِنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ الْعَمَّامَةِ تَقُولُ الْحَكْمَةُ مِنَ التَّعْسِيِّ فَلَمْ يَجِدْنِي فَلَيَعْمَلُ
بِأَحْسَنِ مَا يَعْلَمُ وَلَيَرْتَكِ أَقْبَحُ مَا يَعْلَمُ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَاتَمَهُ وَإِنْ لَمْ يَعْرَفْنِي (الْوَجْهُ الثَّانِي
وَالْأَرْبَعُونُ بَعْدَ الْمَاهِيَّةِ) إِنَّ اللَّهَ سَبَحَهُ نَعْلَمُ الْعِلْمَ لِنَقْلُوبِ الْمَلَائِكَةِ لِلأَرْضِ فَكَأَنَّهُ لَا حَيَاةَ
لِلأَرْضِ إِلَّا بِالْمَلَائِكَةِ فَكَذَلِكَ لَا حَيَاةَ لِنَقْلَابِ إِلَّا بِالْعِلْمِ • وَفِي الْمَوْطَأِ قَالَ لِفَعَمَانَ لَابْنِهِ يَا بْنِي
جَالَ السَّعْمَاءَ وَزَاجَهُمْ بِرَكْبَتِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْيِي النُّفُوسَ بِنُورِ الْحَكْمَةِ كَمَا يَحْيِي
الْأَرْضَ بِوَابِ الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا الْأَرْضُ إِنَّمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا تَابَعَ عَلَيْهَا
احْتَاجَتِ إِلَيْهِ اِنْقِطَاعَهُ وَأَمَّا الْعِلْمُ فَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَعْدِ الْأَغْسَافِ وَلَا تَزِيدُهُ كُثُرَةُ الْأَسْلَاحِ
وَنَفْعُهُ (الْوَجْهُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونُ بَعْدَ الْمَاهِيَّةِ) إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ إِلَيْهِ لَا يَتَحَمَّلُ فِي
الشَّخْصِ بِلِ بَذِمِ عَلَيْهَا تَحْمِيلِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَلْمَاقُ وَتَرْكُ الْأَسْتِحْبَاءِ وَالذُّلُّ وَالْتَّرَدُّدُ إِلَى
أَبْوَابِ الْعِلَّمَاءِ وَنَحْوُهُ • قَالَ أَبْنَى قَتْبَيَةَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ لِيَسِ الْمَاقِ منَ الْأَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَهَذَا أَثْرُ عَنْ بَعْضِ السَّافِرِ • وَقَالَ أَبْنَى عَبَاسُ ذَلِكَ طَالِبًا فَمَزَّرَتْ
مَعْلُومَيَا وَقَالَ وَجَدَتْ عَامَةً عِلْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْهُمْ هَذَا الْحِلْيَ مِنَ الْأَنْصَارِ
إِنْ كُنْتَ لَا قَيْلَ عَنِ الدِّرَبِ بَابِ اِحْدَاهُمْ وَلَوْ شَتَّتَ أَذْنَنِي وَلَكِنْ أَبْتَغَى بِذَلِكَ طَيِّبَ نَفْسِهِ
• وَقَالَ أَبْوَاسْحَاقَ قَالَ عَلَيْهِ كَلْمَاتٍ لَوْ رَحِمَ الْمُطَهِّرَ فَإِنْ لَا فَيَتَمَوَّهُنَّ قَبْلَ أَنْ تَدْرِكُوهُنَّ
مَنَاهُنَّ لَا يَرْجُونَ عِبْدَ الْأَرْبَهِ وَلَا يَخْافُنَ الْأَذْنَبَهُ وَلَا يَسْتَحِي مِنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمُ
وَلَا يَسْتَحِي إِذَا سَلَّلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْزَلَةَ الصَّابِرِ مِنَ الْأَيَّانِ
كَمَرْزَلَةَ الرَّأْسِ وَرَنَجَدَ فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَدُّ وَإِذَا ذَهَبَ الْبَصَرُ ذَهَبَ
الْأَيَّانُ • وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَامَاءِ لَا يَنْالُ الْعِلْمَ مَسْتَحِي وَلَا مُتَكَبِّرٌ هَذَا يَتَنَعَّهُ حَيَاوَهُ
مِنَ النَّعْلَمِ وَهَذَا يَتَنَعَّهُ كَبُرَهُ • وَإِنَّمَا حَدَّثَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِأَنَّهَا طَرِيقٌ
إِلَى تَحْصِيلِهِ فَكَانَتْ مِنْ كَالِ الرَّجُلِ وَمَغْصِيَةِ إِلَيْهِ كَالَّا • وَمِنْ كَلَامِ الْمُسْنَى مِنْ أَسْتَرَ
عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ بِالْحَيَاةِ لِيَسِ لِلْجَهَلِ سَرِّيَّا لِلْجَهَلِ إِلَيْهِ فَإِنَّ رَقَ وَجْهِهِ رَقٌ
عَلَيْهِ • وَقَالَ الْأَخْلَالِيُّ مَنْزَلَةُ الْجَهَلِ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ • وَمِنْ كَلَامِ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ قَرَنَتْ الْهَيْثَةُ بِالْحَسِنَةِ وَالْحَسِنَةُ بِالْحَرَمَانِ • وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِمَصْوُرٍ سَلَّ مَسَأَلَةَ الْحَقِّ
(٢٣ - مفتاح أول)

واحفظ حفظ الاكياس و كذلك سؤال الناس هو عيب وتفص في الرجل وذلة شفاف
المروءة الا في العلم فانه عين كماله ومرءاته وعنده كذا قال بعض أهل العلم خير خصال
الرجل السؤال عن العلم . وقيل اذا جلست الى عالم فقل تفقها لاعتنا . وقال رؤبة
ابن العجاج أتيت النابة البارى فقال من أنت قلت أنا ابن العجاج قال قصرت وعرفت
لعلمك كقوم ان سكت لم يسألوني وان تكلمت لم يعواعني قلت أرجو أن لا تكون
كذلك قال ما أعداء المروءة قلت تخبرني قال بنوعم السوء إن رأوا حسنا ستروه وإن رأوا
سيئاً إذا عوم نعم قال إن العلم آفة ونكدا وحبنة فاقته نسيانه ونكده الكذب فيه وحبنته
شره عند غير أهله . وانشد ابن الاعرابي

ما أقرب الاشياء حين يسوقها
قدروا بعدها اذا لم تقدر
من يسع في علم يبذل يمهر
فل الدقيق تكن ففيها مثله
فتسدرب العلم الذي تفتى به
لا خير في علم بغیر تدب
ولقد يجده المرء وهو مقصرا
ويحيى جد المرء غير مقصرا
ذهب الرجال المقتدى بفعاليهم
والنكرؤن لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزبن بعضهم
بعضها ليدفع معور عن معور

ولاعلم ست مرات . أو لها حسن السؤال . الثانية حسن الانصات والاستماع . الثالثة حسن
الفهم . الرابعة الحفظ . الخامسة التعليم . السادسة وهي ثمرة وهي العمل به ومراداته
حدوده فمن الناس من يحرمه العدم حسن سؤاله اما لا يسأل بحال او يسأل عن شيء وغيره
أهم ايه منه كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها ويدع ملا غبي له عن معرفته وهذه
حال كثير من الجهال المتعلمين ومن الناس من يحرمه اسوء انصاته فيكون الكلام والمهارات
آخر عنده وأحب اليه من الانصات وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي
تعتهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم . ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال من
كان حسن الفهم رددي ، الاستماع يقيم خيره يشره . وذكر عبد الله بن احمد في كتاب العمال
له قال كان عروة بن الزبير يحب مهارات ابن عباس فكان يحزن عليه عنه وكان عبيده
الله بن عبد الله بن عتبة ياطف له في السؤال فيعزه بالعلم عن اهله وقال ابن جرير استخرج
العلم الذي استخرجت من عطاء الابرقفي به . وقال بعض السلف إذا جلست العالم فكن
على أن تسمع أحرص منك على أن تتغول وقد قال الله تعالى (إن في ذلك لذكري لمن
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) فتأمل ما تحت هذه الالفاظ من كنوز العلم
وكيف تفتح مرآتها للعبد أبواب العلم والهدى وكيف يتغلق باب العلم عنه من اهالها

وعدم مراعاتها فإنه سبحانه أمر به أن يتذمروا آياته المتلولة المسموعة والمرئية المشهودة بما تكون تذكرة لهن كان له قلب فان من عدم القلب الوعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية ومرور الآيات عليه كفلاع الشمس والقمر والنجوم ومرورها على من لا يبصر له فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير اذا مرت به المرئيات فإنه يراها ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه الا بأمر من أحد هما أن يحضره ويشهد له لما يلقى إليه فان كان غالباً عنه مسافراً في الامان والشهوات والمحابيات لا ينتفع به فإذا حضره وأشهد له لم ينتفع إلا بمن يلقى سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به ويرشد إليه **﴿وَهَا هُنَّا ثَلَاثَةُ أَمْرٍ﴾** أحدها سلامه القلب وصحه وقوله **﴿وَالثَّالِثُ﴾** على الذكر فذكر الله تعالى الامور الثلاثة في هذه الآية **﴿قَالَ إِنِّي عَطَيْتُ الْقَلْبَ هَنَاءَ عِبَارَةَ عَنِ الْعَقْلِ إِذْ هُوَ مَحْلُهُ وَالْمَعْنَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَاعْ يَنْتَفِعُ بِهِ﴾** **﴿قَالَ وَقَالَ الشَّيْلِيُّ قَلْبٌ حَاضِرٌ مَعَ اللَّهِ لَا يَغْلِبُ عَنْهُ طَرْفَةُ عَيْنٍ وَقَوْلُهُ﴾** (أو القى السمع وهو شهيد) معناه صرف سمعه إلى هذه الأنباء الوعاظة وأبنته في سمعه فذلك الناء له عليها ومنه قوله **﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مُحِبَّةَ مِنِّي﴾** اي أبنته عليك وقوله وهو شهيد قال بعض المتأولين معناه وهو شاهد مقبل على الامر غير معرض عنه ولا مفكرا في غير ما يسمع **﴿قَالَ وَقَالَ** قنادة هي إشارة الى أهل الكتاب فكانه قال إن هذه العبر تذكرة له فهم فتبصر **﴿الْأَمْرُ أَوْ لِمَنْ سَمِعَهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَشَهِدَ بِصَحَّتِهِ لِعِلْمِهِ بِهَا مِنْ كِتَابِ النُّورِ وَسَازَ كِتَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ فَشَهِدَ عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ وَعَلَى التَّأْوِيلِ** الثاني من الشهادة **﴿وَقَالَ الزَّجَاجُ مَعْنَى مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ مِنْ شَرْفِ قَلْبِهِ إِلَى النَّفَاهِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ صَمْ عَمَاسَادَهْ سَمِيعٌ﴾** **﴿وَمَعْنَى أَوْ القَى السمع استمع و لم يشغل قلبه بغير ما يستمع والعرب تقول الق الى سمعك اي استمع مني وهو شهيد اي قلبه فيما يسمع وجاء في التفسير أنه يعني به أهل الكتاب الذين عندهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينتفع أو ألقى السمع وهو شهيد أشاهد أن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه وهذا هو الذي حكاه ابن عطية عن قنادة وذكر أن شهيدا فيه يعني شاهد أي مخبر **﴿وَقَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَاعْ لَأْنَ مِنْ لَا يُبَيِّنُ قَلْبَهُ فَكَانَ لَا قَلْبَ لَهُ وَالْقَاءُ السمع الامْعَاءُ** وهو شهيد اي حاضر بقطنه لأن من لا يحضر ذهنه فكانه غائب أو هو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله وهو بعض الشهادة في قوله تكونوا شهدا على الناس وعن**

قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعمته عنده فلم يختلف في أن المراد بالقلب الوعي وأن المراد بالقاء السمع اصفاوه واقباله على المذكر وتغريغ سمعه له . واختلف في الشهيد على أربعة أقوال أحدها أنه من المشاهدة وهي الحضور وهذا اصح الأقوال ولا يليق بالآية غيره . الثاني أنه شهيد من الشهادة وفيه على هذا ثلاثة أقوال . أحدها أنه شاهد على صحة ما معه من الإيقان . الثاني أنه شاهد من التهداء على الناس يوم القيمة الثالث أنه شهادة من الله عنده على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجأله من الكتب المترلة والصواب القول الأول فأن قوله (وهو شهيد) جملة حالية ولو لا فيها ولو الحال أى التي السمع في هذه الحال وهذا يقتضي أن يكون حال القاء السمع شهيدا وهذا هو من المشاهدة والحضور ولو كان المراد به الشهادة في الآخرة أو في الدنيا لما كان لتقييدها بالقاء السمع معنى إذ يصرير الكلام أن في ذلك لآية أن كان له قلب أو التي السمع حال كونه شاهدا بما معه في التوراة أو حال كونه شاهدا يوم القيمة ولا ريب أن هذا ليس هو المراد بالآية . وأيضاً فالآية عامة في كل من له قلب وألق السمع فكيف يدعى تخصيصها بمؤمن أهل الكتاب الذين عندهم شهادة من كتبهم على صفة النبي صلى الله عليه وسلم . وأيضاً فالسورة مكية والخطاب فيها لا يجوز أن يختص بأهل الكتاب ولا سيما مثل هذا الخطاب الذي علق فيه حصول مضمون الآية ومقصودها بالقلب الوعي والقاء السمع فكيف يقال هي في أهل الكتاب فأن قبل الختص بهم قوله وهو شهيد فهذا أفسد وأفسد لأن قوله وهو شهيد يرجع الضمير فيه إلى جملة من تقدم وهو من له قلب أو التي السمع فكيف يدعى عوده إلى نبيه غايته أن يكون بعض المذكور أولاً ولادلة في الأفظع عليه . وأيضاً فأن المشهود به ممحض ولا دلالة في الأفظع عليه فلو كان المراد به وهو شاهد بكل ذكر المشهود به إذ ليس في المفهوم ما يدل عليه وهذا بخلاف ما إذا جعل من الشهود وهو الحضور فإنه لا يقتضي مفهوماً مشهوداً به ليم الكلام بدكته وحده . وأيضاً فأن الآية تضمنت تقسيماً وتربيداً بين قسمين أحدهما من كان له قلب والثاني من التي السمع وحضر بقلبه ولم يغب فهو حاضر القلب شاهده لغائبته وهذا والله أعلم سر الآياتي بأن دون الواو لأن المنتفع بالآيات من الدس نوعان . أحدهما ذو القلب الوعي الذي يكتفى به ذاته بادئ تدببه ولا يحتاج إلى أن يستجلب قلبه ويحضره ويجمعه من موضع شتاته بل قلبه واع ذكي قابل للهدي غير معرض عنه . فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدي إليه فقط لكيان استعداده وصححة فطرته فإذا جاءه الهدي سارع قلبه إلى قوله كأنه كان مكتنوا فيه فهو قادر كه بحملانم جاء

الهدى بتفصيل ما شهد قلبه بصحته بحثاً وهذه حال كل الخلق استجابة لدعوة
 الرسل كما في حال الصديق الأكبر رضي الله عنه . والنوع الثاني من ليس له هذا الاستعداد
 والقبول فإذا ورد عليه الهدى أصفي إليه سمعه وأحضر قلبه وجمع فكره عليه وعلم
 صحته وحسته بمنظره واستدلا له وهذه طريقة أكثر المستحبين وهم نوع ضرب الامثال
 واقامة الحجج وذكر المعارضات والاجوبة عنها والأولون هم الذين يذعون بالحكمة
 وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة فهو لا ينوع المستحبين . وأما المعارضون المدعون بالحق
 فنوعان نوع يدعون بالمحادلة والتي هي أحسن فإن استجبوا والا فالمحادلة فهو لا بد لهم
 من جدال أو جلاد ومن تأمل دعوة القرآن وجد لها شاملة لهؤلاء الاقسام متناولة لها
 كلها كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادهم بما هي
 أحسن) فهو لا يدعون بالكلام وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله بقتالهم حق لا تكون
 فتنة ويكون الدين كله لله . وأمام من فسر الآية بأن المراد بمن كان له قلب هو المستغنى
 بفطرته عن علم المتعلق وهو المؤيد بقوة قدسية ينال بها الحد الأوسط بسرعة فهو
 لكيان فطرته مستغن عن مراءات أوضاع المتعلق والمراد بمن أفقى السمع وهو شهيد من
 ليست له هذه القوة فهو يحتاج إلى تعلم المتعلق ليوجب له مراءاته واصفاؤه إليه أن
 لا يزيف في فكره وفسر قوله أدع إلى سبيل ربكم بالحكمة أمما القياس البرهاني والموعظة
 الحسنة القياس الخطاوي وجادهم بما هي أحسن القياس الجدلية فهذا ليس من تفاسير
 الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة التفسير بل ولا من تفاسير المسلمين وهو تحرير
 لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح الم المتعلقة المبخوسة الحفظ من العقل والآية إن
 وهذا من جنس تفاسير القراءطة والباطنية وغالبة الاسماعيلية لما يفسرون به من القرآن
 ويزلونه على مذاهبهم الباطلة والقرآن برىء من ذلك كله منه عن هذه الاباطيل
 والهذبات وقد ذكرنا بطلان ما فسر به المنطفيون بهذه الآية التي نحن فيها والآية
 الأخرى في موضع آخر من وجوه متعددة وبيننا بطلانه عقلاً وشرعاً ولغة وعرفاً وأنه
 يتعالى كلام الله عن حمله على ذلك وبأية التوفيق . والمقصود بيان حرمان العلم من هذه
 الوجوه ستة . أحدها ترك السؤال . الثاني سوء الانصات وعدم القاء السمع . الثالث سوء
 الفهم . الرابع عدم الحفظ . الخامس عدم نشره وتعايشه . فإن من خزن عالمه ولم ينشره
 ولم يعلمه ابتلاء الله بنسائه وذهابه منه جزاء من جنس عمله وهذا أمر يشهد به الحسن
 والوجود . السادس عدم العمل به فان العمل به يجب تذكرة وتدبره ومراعته والنظر
 فيه فإذا أهمل العمل به نسيه . قال بعض السلف كذا نستعين على حفظ العلم بالعمل به

• وقال بعض السلف أيضاً العلم يهتف بالعمل فان أجباه حل والا ارتحل فالعمل به
من أعظم أسباب حفظه وبيانه وترك العمل به إضاعة له ما استدر العلم ولاستجابة له
العمل • قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كُفَلَيْنِ مِنْ
رَحْمَتِنِي وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَشْتَهِنُونَ بِهِ) وأما قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ) فليس
من هذا الباب بل هما جملتان مستقلتان طلبية وهي الامر بالتقى وخطبة وهي قوله تعالى
ويعلمكم الله أي والله يعلمكم ما تقوون وليس جوابا للامر بالتقى ولو اريد بها الجزاء
لأنها مجزومة بعمردة عن الواو فكان يقول واتقوا الله يعلمكم أو إن تقوه يعلمكم كما قال
(إِن تَتَقَوْا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فَرْقَانًا) فنذر به (الوجه الرابع والأربعون بعد المائة) إن الله
سيحاجنه نفي التسوية بين العلم وغيره كما نفي التسوية بين الحديث والطيب وبين الاعمى
والبصير وبين النور والظلمة وبين الظل والحرور وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار
وبين الأبرك العاجز الذي لا يقدر على شيء ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مسدود
وبين المؤمنين والكافر وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض
وبين المنقين والفحار فهذه عشرة مواضع في القرآن نفي فيها التسوية بين هؤلاء
الاصناف وهذا يدل على أن منزلة العالم من الجاحد كمنزلة النور من الظلمة والظل
من الحرور والطيب من الحديث ومنزلة كل واحد من هذه الاصناف مع مقابله وهذا
كاف في شرف العلم وأهله بل إذا تأملت هذه الاصناف كلها ووجدت نفي التسوية بينها
راجعا إلى العلم ومحاجة فيه وقع التفضيل وانتفت المساواة (الوجه الخامس والأربعون
بعد المائة) ان سليمان لما توعد امدهد بان يعذبه عذابا شديدا أو يذبحه انا نجح منه
بالعلم واقدم عليه في خطابه له بقوله أحنت بما لم تحظ به خبرا وهذا الخطاب انتا جرأ
عليه العلم والا فاطرده مع ضعفه لا يمكن من خطابه لسليمان مع قوله انه يمثل هذا الخطاب
لو لا سلطان العلم • ومن هذا الحكاية المشهورة أن بعض أهل العلم سئل عن مسألة
فقال لا أعلمها فقال أحد تلامذته أنا أعلم هذه المسألة فغض الاستاذ وهم به فقال
له أيها الاستاذ لست أعلم من سليمان بن داود ولو بلغت في العلم ما بلغت واست أنها
أجهل من امدهد وقد قال لسليمان أحنت بما لم تحظ به فلم يتعجب عليه ولم يعنقه
(الوجه السادس والأربعون بعد المائة) ان من قال شيئا من شرف الدنيا والآخرة
فأنا ناهي بالعلم وتأمل ما حصل لآدم من تميزه على الملائكة واعترافهم له بتعميم الله له
الاسماء كلها ثم ما حصل له من تدارك المصيبة والتعمويض عن سكني الجنة بما هو خير
له منها يعلم الكلمات التي تلقاها من ربه وما حصل ليوسف من التمكين في الأرض

والعزة والعظمة يعلمه بتعبير تلك الرواية ثم علمه بوجوه استخراج أخيه من أخوته بما يقررون به ويخكونهم به حتى آل الأمر إلى ما آل إليه من العز والعاقبة الحديدة وكالحال التي توصل إليها بالعلم كأشار إليها سبحانه في قوله (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عظيم) جاء في تفسيرها نرفع درجات من نشاء بالعلم كارفعنا درجة يوسف على أخوته بالعلم وقال في إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) فهذه رفعة بعلم الحججة والأول رفعة بعلم السياسة وكذلك ما حصل للحضر بسبب علمه من تلمذة كليم الرحمن له وتتعلقه معه في السؤال حتى قال هل أتيتك على أن تعلمني مما علمت رشداه وكذلك ما حصل لسلمان من علم منعطف الطير حتى وصل إلى ملك سبا وقهر ملوكهم واحتوى على سرير ملوكها ودخلوها تحت طاعته «ولذلك قال (يا أيها الناس علمتنا منعطف الطير وأوتيانا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين) وكذلك ما حصل لداود من علمه نسج الدروع من الوقاية من سلاح الاعداء وعدد سبحانه هذه النعمة بهذا العلم على عباده فقال (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتجتصنكم من بأسمكم فهل أنتم شاكرون) وكذلك ما حصل للمسيح من علم الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل مارفعه الله به اليهوفشه وكرمه وكذلك ما حصل ليسا ولد آدم من العلم الذي ذكره الله به نعمة عليه فقال وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمت مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظينا» (الوجه السابع والأربعون بعد المائة) إن الله سبحانه أنتي على إبراهيم خليله بقوله تعالى إن إبراهيم كان أمّة فاتن الله حينها ولم يكن من المشركين شاكراً لانعمه اجتباه) فهذه اربع انواع من الثناء افتتحها بانه امة والامة هو القدوة الذي يؤمن به قال ابن مسعود والامة المعلم للخير وهي فعلا من الانتم كقدوة وهو الذي يقتدي به والفرق بين الامة والامم من وجوه احدهما أن الاماam كل ما يومتم به سواء كان بقصده وشعوره أولاً ومنه سمي الطريق اما ما كقوله تعالى (وإن كان اصحاب الايكة لاظالمين فانتقموا منهم وانهم لا يامم مبين) أي بطريق واضح لا يخفى على السالك ولا يحيى الطريق امة الثاني أن الامة فيه زيادة معنى وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث يقي فيها فرداً وحده فهو الجامع لخلال تفرقـت في غيره فكانه باب غيره باجتثاعها فيه وتفرقـها أو عدمها في غيره ولفظ الامة يشعر بهذا المعنى لما فيه من الميم المضافة الدالة على الفم يخرجها وتكررها وكذلك ضم أوله فان الضمة من الواو ومخرجها ينضم عند التعلق بها وأني بالباء الدالة على الوحدة كالغرفة والملقطة ومنه

الحديث ان زيد بن عمرو بن قبيط ببعث يوم القيمة أمة وحده فالضم والاجماع لازم لمعنى
 الامة ومنه سميت الامة التي هي آحاد الامم لأنهم الناس الجتمعون على دين واحد أو
 في عصر واحد الثاني قوله قاتنا الله قال ابن مسعود القاتن المطبي والقوتوت يفسر بشيء
 كلامها ترجع الى دوام الطاعة الثالث قوله حنيفا والخيف المقرب على الله ويلزم هذا المعنى
 مثيله عمما سواه فالميل لازم معنى الخيف لا أنه موضوعه لغة الرابع قوله شاكر الانعام
 والشك للنعم برق على ثلاثة اركان الاقرار بالنعمه واضافتها الى المنعم بها وصرفها في
 من شأنه والعمل فيها بما يجب فلا يكون العبد شاكر الا بهذه الاشياء الثلاثة والمقصود
 انه مدح خليله باربع صفات كلها ترجع الى العلم والعمل بوجبه وتعاليمه ونشره فعاد
 الكمال كله الى العلم والعمل بوجبه ودعوه الخالق اليه (الوجه التاسع والاربعون بعد
 المائة) قوله سبحانه عن المسيح انه قال (أني عبد الله آناني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني
 مباركاً أينما كنت) قال سفيان بن عيينة جعلني مباركاً أينما كنت قال معلماً للخير وهذا
 يدل على أن تعليم الرجل الخير هو البركة التي جعلها الله فيه فان البركة حصول الخير
 ونحوه ودوامه وهذا في الحقيقة ليس الا في العلم الموروث عن الانبياء وتعاليمه وهذا
 سمع سبحانه كتابه مبارك كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك ازلناه) وقال (كتاب ازلناه
 اليك مبارك) ووصف رسوله بأنه مبارك كما في قول المسيح (وجعلني مباركاً أينما كنت)
 فبركة كتابه ورسوله هي سبب ما يحصل بهما من العلم والهدى والدعاة الى الله (الوجه
 العاشر والاربعون بعد المائة) ما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلات صدقة جارية
 او علم ينفع به او ولد صالح يدعو له رواه مسلم في الصحيح وهذا من اعظم الادلة على
 شرف العلم وفضله وعظم ثوابه فان ثوابه يصل الى الرجل بعد موته ما دام ينفع به
 فكانه حي لم يتقطع عمله مع ماله من حياة الذكر والنماء شفريان أجره عليه اذا انقطع
 عن الناس ثواب اعماظم حياة ثانية وشخص النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاشياء الثلاثة
 بوصول التواب الى الميت لانه سبب لحصولها والعبد اذا باشر السبب الذي يتعاقب به الامر
 والنهي يترتب عليه مسيبه وان كان خارجاً عن سعيه وكبته فلما كان هو السبب في
 حصول هذا الولد الصالح والصدقة الجارية والعلم النافع جرى عليه ثوابه واجره لتبليغه
 فيه فالعبد انما يشتبه على ما باشره أو على ما تولد منه وقد ذكر تعالى هذين الاصفين
 في كتابه في سورة براءة فقال (ذلك باتهم لا يصيّبهم ظلمًا ولا نصب ولا مخصلة في سبيل
 الله ولا يعطون موطنًا يغيط الكفار ولا ينالون من عدو نسأل الا كتب لهم به عمل صالح

إن الله لا يضيع أجر الحسنين فهذه الأمور كلها متولدة عن أفعالهم غير مقدورة
 هم وإنما المقدور لهم أسبابها التي باشروها ثم قال ولا ينفون نفقة صغيرة ولا كبيرة
 ولا يقطعنون واديا إلا كتب لهم لجزرهم الله أحسن ما كانوا يعملون فالنفقة وقطع
 الوادي أفعال مقدورة لهم وقال في القسم الأول كتب لهم به عمل صالح إلا أن المتولد
 حاصل عن ثباتين أفعالهم وغيرها فليست أفعالهم سبباً مستقلاً في حصول المتولد بل هي
 جزء من أجزاء السبب فيكتب لهم من ذلك ما كان مقابلاً لأفعالهم . وأيضاً فإن الطاماً
 والتصب وغيط العدو ليس من أفعالهم فلا يكتب لهم نفسه ولكن لما تولد عن أفعالهم
 كتب لهم به عمل صالح وأما القسم الآخر وهو الأفعال المقدورة نفسها كالاتفاق وقطع
 الوادي فهو عمل صالح فيكتب لهم نفسه اذ هو مقدور لهم حاصل بارادتهم وقدرتهم فعاد
 النواب إلى الأفعال المقدورة والمتولد عنها وبالله التوفيق (الوجه الحسون بعد المذلة)
 ما ذكره ابن عبد البر عن عبد الله بن داود قال اذا كان يوم القيمة عن الله تبارك وتعالى
 العلماء عن الحساب فيقول ادخلوا الجنة على ما كان فيكم اني لم أجعل عليكم الاخير
 أردتكم بهكم قال ابن عبد البر وزاد غيره في هذا الخبر ان الله يحبس العلماء يوم القيمة
 في زمرة واحدة حتى يقضى بين الناس ويدخل أهل الجنة وأهل النار إنما
 يدعى العلماء فيقول يامعشر العلماء اني لم أضع حكمي فيكم وأنا أريد ان أعدكم قد علمنت
 انكم تخلطون من المعاصي ما يخاطط غيركم فسترها عليكم وغفرتها لكم وإنما كنت أريد
 بفتحكم وتعليمكم عبادي ادخلوا الجنة بغير حساب ثم قال لامعطي لما منع ولا مانع
 لما أعطي قال وروي نحو هذا المعنى باسناد متصل مرفوع وقد روی حرب الكرمانی
 في مسألة نحوه مرفوعاً وقال ابراهيم بلغني انه اذا كان يوم القيمة توضع حسناوات الرجل
 في كفة وسبياته في الكفة الاخرى فتشيل حسنته فإذا يئس فظان أنها النار جاء شيء
 مثل السحاب حتى يقع مع حسناته فتشيل سبياته قال فيقال له أتعرف هذا من عملك فيقول
 لا فيقال هذا ما علمت الناس من الخير فعمل به من بعدك (فان قيل) فتواعد الشرع
 تقتفي ان يسامح الجاهل بما لا يسامح به العالم وانه يغفر له مالا يغفر للعالم فان حجة
 الله عاليه أقوم منها على الجاهل وعامة بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبتها عليها أعظم
 من علم الجاهل ونعمته الله عليه بما أودعه من العلم أعظم من نعمته على الجاهل وقد
 دلت الشريعة وحكم الله على ان من حجي بالانعام وخص بالفضل والاكرام ثم أسام
 نفسه مع ميل الشهوات فارتدى في مراتع الهدىكات ونجراً على اتهاك الحرمات واستخف
 بالتبعات والسبات انه يقابل من الاستقام والعتب بما لا يقابل به من ليس في مرتبته وعلى
 (٢٤ - مفتاح اول)

هذا جاء قوله تعالى (يأنس النبي من دأْتْ مُنْكِنْ بِفَاحِشَةِ مِيَّنَةِ يَضَاعِفُ هَا الْعَذَابَ ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ولهذا كان حد الحر ضعف أحد العبد في الزما والقذف وشرب الحر لكان التمعة على الحر وما يبدل على هذا الحديث المشهور الذي أبنته أبو نعيم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالم لم ينتبه الله يعلمه . قال بعض السلف يغفر للمجاهيل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب وقال بعضهم أيضاً ان الله يغفر الجهال ما لا يغفر العلماء . فالجواب ان هذا الذي ذكر قوله (حق لا زب فيه ولكن من قواعد الشرع والحكمة ايضاً ان من كررت حسناته وعفّلت وكان له في الاسلام تأثير ظاهر فانه يحمل له ما لا يحتمل لغيره ويعني عنه ما لا يعني عن غيره فان المعصية خبث والماء اذا بلغ قلتين لم يتحمل الخبث بخلاف الماء القليل فانه لا يتحمل ادنى خبث ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر وما يدريك بعد الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهذا هو المانع له صلى الله عليه وسلم من قتل من قتل من جس عليه وعلى المسلمين وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم فأخبر صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرأً فدل على ان مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتيب اثره عليه ماله من المشهد العظيم فوقع بذلك السقطة العظيمة مفتقرة في جنب ماله من الحسنات ولما حضر النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة فاخرج عنان رضي الله عنه تلك الصدقة العظيمة قال ما خسر عنان ما عمل بعدها وقال لطيفة لما نظر لها النبي صلى الله عليه وسلم حق صعد على ظهره الى الصخرة أوجب طلحة وهذا موسى كلام الرحمن عن وجل التي الاواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له القاتها على الارض حتى تكبرت ولطم عين ملك الموت فتفقاها وعاتب ربها ليلة الاسرى في النبي صلى الله عليه وسلم وقال شاب بعث بادى يدخل الجنة من امته اكتر مما يدخلها من امتي وأخذ بالحجية هارون وجره اليه وهونبي الله وكل هذا لم يتحقق من قدره شيئاً عند ربها وربه تعالى يكرمه ويشبه بان الامر الذي قام به موسى والعدو الذي يرزله والصبر الذي صبره والاذى الذي أودي به في الله أمر لا انؤر في امثال هذه الامور ولا تغرن وجهه ولا تخفيه منزلته وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم ان من له الوف من الحسنات فانه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها حتى انه ليحتاج داعي عقوبته على اساءاته وداعي شكره على احسانه فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة كا قبل

و اذا الحبيب انى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال آخر (والله سبحانه) يوازن يوم القيمة بين حسنات البدارياته فأيهم أغلى كان التأثير له في فعل
 فافعله اللائق بمران كثير
 (والله سبحانه) يوازن يوم القيمة بين حسنات البدارياته فأيهم أغلى كان التأثير له في فعل
 وأهل الحسنات الكثيرة الذين آتوا محباه ومراضيه وغليسهم دواعي طبعهم أحياناً من
 العفو والمساومة ما لا يفعله مع غيرهم «وأيضاً فان العالم اذا زل فانه يحسن اسراع الهيئة
 وتدارك القارط ومداواة الجرح فهو كالطبيب الخادق البصير بالمرض وأسبابه وعلاجه
 فان زواله على يده أسرع من زواله على يد الحاصل» وأيضاً فان معه من معرفته بأمر الله
 وتصديقه بوعده ووعيده وخشيته منه وازرائه على نفسه بازركاته وإيمانه بأن الله حرمه
 وإن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به إلى غير ذلك من الأمور المحبوبة للرب ما يغمر الذنب
 وبضعف اقتضاءه ويزيل أثره بمخلاف الجاهم بذلك أو أكثره فانه ليس معه إلا ظلمة
 الخطيئة وقبحها وأنوارها المردية فلا يستوي هذا وهذا في الخطاب في هذا الموضوع
 وبه يتبين ان الأمرين حق وأنه لا ماتفاق بينهما وإن كل واحد من العالم والجاهم إنما
 زاد بفتح الذنب منه على الآخر بسبب جهله وتجبره خططيته عناية قوامها وبضعف تأثيرها
 ويزيل أثرها فعاد القبح في الموضعين إلى الجاهم وما يستلزمها وفاته وضنه إلى العالم وما
 يستلزمها وهذا دليل ظاهر على شرف العلم وفضله وبالله التوفيق «والوجه الحادى والثانى
 وبعد المثانة» ان العالم مشتعل بالعلم واتعلماً لا يزال في عبادة نفسه تعامله وتعاليمه عبادة
 قال ابن مسعود لا يزال الفقيه يصلى قالوا وكيف يقال في ذكر الله على قلبه واساته
 ذكره ابن عبد البر وفي حديث معاذ مرفوعاً وموقاً فاعدوا العلم فان تعامله لله حسنة
 وطلبته عبادة وهذا ذكره تشريح وقد قدم «الصواب انه موقفه وذكر ابن عبد البر
 عن معاذ مرفوعاً لآن فتعمم بما من أبواب العلم خير لك من أن تصلي ما شئت ركعة
 وهذا لا ينبع رفعه وقال ابن وهب كنت عند مالك بن أنس شافت صلاة المظفر أو
 العصر وأنا أقرأ عليه والظرف في العلم بين يديه سمعت كتبى وقت لارك فقال لي مالك
 ما هذا فقلت أقول ما تصلى في الصلاة فقال إن هذا لعجب ما الذي قلت إليه أفضل من الذي
 كنت فيه إذا صحت فيه النية وقال الربيع سمعت الشافعى يقول طلب العلم أفضل من
 الصلاة النافلة وقال سفيان الثورى مامن عمل أفضل من طلب العلم اذا صحت فيه النية وقال
 رجل المعاذى بن عمر ان أياً من أحب اليه أقول أحبك لكه أو أكتب الحديث فقال حديث
 تكتب أحب إلى من قيامك من أول اليوم إلى آخره وقال أيضاً كتابة حديث واحد
 أحب إلى من قيام ليلة وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض بصلة أحب إلى من إيجاثها

وفي مسائل اسحاق بن منصور قلت لاحمد بن حنبل قوله مذاكر العلم بعض ليلة أحب
 الى من أحياها أى علم أراد قال هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم قلت في الوضوء
 والصلاه والصوم والحج والطلاق ومحوه هذا قال نعم قال اسحاق وقال لي اسحاق بن
 راهويه هو كما قال أ Ahmad وقال أبو هريرة لأن أجلس ساعة فافتقره في ديني أحب الي من
 أحياه ليلة الى الصباح وذكر ابن عبد البر من حديث أبي هريرة يرفعه لكل شيء عماد
 وعماد هذا الدين الفقه وما بعد الله بشيء أفضل من فقه في الدين الحديث وقد تقدم
 وقال محمد بن علي الباقر علم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عايد وقال أيضاً رواية الحديث
 وبشه في الناس أفضل من عبادة ألف عايد وما كان طاب العلم والبحث عنه وكتابته
 والتقيين عليه من عمل القلب والجوارح كان من أفضل الاعمال ومتزله من عمل
 الجوارح كنزلة أعمال القلب من الاخلاص والتوك والمحبة والانابة والخشية والرضا
 ونحوها من الاعمال الظاهرة فان قيل فالعلم انما هو وسيلة الى العمل ومراد له والعمل
 هو الغاية وملعون ان الغاية أشرف من الوسيلة فكيف تفضل الوسائل على غايتها قيل
 كل من العلم والعمل يتقسم قسمين منه ما يكون وسيلة ومنه ما يكون غاية فليس العلم كله
 وسيلة مراده لغيرها فان العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الاطلاق وهو
 مطلوب لنفسه مراد لذاته قال الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
 سبعون ينزل الامر بينهن لتعاموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء
 علماً) فقد أخبر سبحانه انه خلق السموات والارض ونزل الامر بينهن ليعمل عباده انه
 بكل شيء عالم وعلى كل شيء قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة وقال تعالى (فاعلم انه
 لا إله الا الله) فالعلم بوحدينته تعالى وانه لا له الا هو مطلوب لذاته وان كان
 لا يكتفى به وحده بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له فهذا أمران مطلوبان
 لانفسهما أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن يعبد عبود وجهها ومفاصيها
 فكما ان عبادته مطلوبة مراده لذاتها فكذلك العلم به ومعرفته وأيضاً فان العلم من أفضل
 أنواع العبادات كما تقدم تقريره فهو متضمن للغاية والوسيلة (وقولكم) ان العمل غاية أما
 أن يريدوا به العمل الذي يدخل فيه عمل القلب والجوارح أو العمل الختص بالجوارح
 فقط فان أريد الاول فهو حق وهو يدل على ان العلم غاية مطلوبة لانه من أعمال القلب
 كما تقدم وأن أريد به الثاني وهو عمل الجوارح فقط فليس بصحيح فان أعمال القلوب
 مقصودة ومراده لذاتها بل في الحقيقة أعمال الجوارح وسيلة مراده لغيرها فان الثواب
 والعقاب والدرج والذم وتوبتها هو بالقلب أصلاً وبالجوارح تبعاً وكذلك الاعمال المقصودة

بها أولاً صلاح القلب واستقامته وعبدته ربها ومليكته وجعلت أعمال الجوارح تابعة
 لهذا المقصود مراده وإن كان كثير منها مراداً لأجل المصلحة المترتبة عليه فن أجلها
 صلاح القلب وزكاه وظهاره واستقامته فعلم أن الاعمال منها غاية ومنها وسيلة وإن العلم
 كذلك وأيضاً فالعلم الذي هو وسيلة إلى العمل فقط إذا تبرد عن العمل لم ينفع به
 صاحبه فالعمل أشرف منه وأما العلم المقصود الذي تنشأ ثمراته المطلوبة منه من نفسه
 فهذا لا يقال إن العمل المجرد أشرف منه فكيف يكون مجرد العبادة البدنية أفضل من
 العلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه في خلقه وأمره ومن العلم بأعمال القلوب وأفاث النفوس
 والطرق التي تفسد الاعمال وتمنع وصوتها من القلب إلى الله والمسافات التي بين الاعمال
 والقلب وبين القلب والرب تعالى وبما يقطع تلك المسافات إلى غير ذلك من علم الإيمان
 وما يقويه وما يضعفه فكيف يقال إن مجرد التعبير الظاهر بالجوارح أفضل من هذا العلم
 بل من قام بالأمرين فهو أكمل وإذا كان في أحدهما فضل ففضل هذا العلم خير من
 فضل العبادة فإذا كان في العبد فضلاً عن الواجب كان صرفاً إلى العلم الموروث عن الآباء
 أفضل من صرفاً إلى مجرد العبادة فهذا فضل الخطاب في هذه المسألة والله أعلم «الوجه
 الثاني والخمسون بعد المائة» مارواه الإمام أحمد والتزمي من حديث أبي كثرة الانباري
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً
 فهو يتقى في ماله ربها ويصل في رحمة ويعمل لله فيه حقاً فهذا بأحسن المنازل عند الله
 ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بناته وهو
 في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله ولا يتقى فيه ربها
 ولا يصل فيه رحمة ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا باسوء المنازل عند الله ورجل لم يؤته الله
 مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بناته وهذا في الوزر سواء
 حديث صحيح صحيح الترمذى والحاكم وغيرهما فقسم النبي صلى الله عليه وسلم أهل الدنيا
 أربعة أقسام ۰ ۰ ۰ خيرهم من أوتي علماً ومالاً فهو محسن إلى الناس وإلى نفسه يعلمه وما له
 ۰ ۰ ۰ ويليه في المرتبة من أوتي علماً ولم يؤته مالاً وان كان أجره متساوياً فذلك إنما كان بالنية
 والا فالمتفق المتصدق فوقه بدرجة الإنفاق والصدقة والعلم الذي لامال له إنما ساواه في
 الأجر بالنية الجازمة المفترض بها مقدورها وهو القول المجرد ۰ ۰ الثالث من أوتي مالاً ولم
 يؤته علماً فهذا أسوأ الناس منزلة عند الله لأن ماله طريق إلى هلاكه فلو عدمه لكان
 خيراً له فإنه أعطى ما يتزود به إلى الجنة بفعله زاد الله إلى النار ۰ ۰ الرابع من لم يؤته مالاً
 ولا علماً ومن يتقى أنه لو كان له مال لعمل فيه بمعصية الله فهذا إنما الغنى الجاهل في المرتبة

ويساويه في الوزر بقيمة الجازمة المترتب بها مقدورها وهو القول الذي لم يقدر على غيره فقسم السعادة قسمين وجعل العلم والعمل بوجه سبب سعادتها وقسم الاشقاء قسمين وجعل الجهل وما يترتب عليه سبب شقاوتها فعادت السعادة بجملتها الى العلم ووجبه والشقاوة بجملتها الى الجهل ونمرته . (الوجه الثالث والخمسون بعد المائة) مأثث عن بعض السلف انه قال تفكك ساعة خير من عيادة سنتين سنة وسأل رجل أم الدوداء بعد موته عن عيادته فقالت كان شماره أجمعه في بداية التفكير وقال الحسن تفكك ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضل التفكير مرآت تريك حسناك وبيتك وقبل لابراهيم امك تعطيل الفكره فقال الفكره مع العقل وكان سفيان كثيراً ما يسئل اذا المرء كانت له فكرة ؟ في كل شيء له عذر

وقال الحسن في قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق) قال أئمه التفكير فيها وقال بعض العارفين لو طلعت قلوب المتقين بتفكيرها إلى ما قادر في حجب الغيب من خير الآخرة لم يتصف لهم في الدنيا عيش ولم يقر لهم فيها عيش وقال الحسن طول الوحدة أتم للفكرة وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب ماطالت فكرة أحد قط الاعلم وما علم أمر قط إلا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكره في نعم الله من أفضليه العبادة وقال عبد الله بن المبارك لبعض أصحابه وقد رأه مفكراً أين بافت قال الصراط وقال بشر لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه وقال ابن عباس رَكِنُانْ مقتضيَانْ فِي فَكْرِ خَيْرِ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةَ بلا قَلْبٍ وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجابة عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة تورث الحكمة وتحجي القلوب وقال ابن عباس الفكر في الخير يدعو إلى العمل به وقال الحسن إن أهل العلم لم يزدواجوا بالذكر على الفكر والذكر على الذكر ويستيقظون القلوب حتى تطفت بالحكمة ومن كلام الشافعى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستبطاط بالفكرة وهذا لأن الفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح والنفاس أشرف من الجوارح فكان عمله أشرف من عمل الجوارح وأيضاً فالتفكير يقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد فإن التفكير يوجب له من الكثاف حقائق الأمور وظمهور عالمه وكمز مراتهما في الخير والشروع في مفضولها من فاضلاتها وأقبحها من قبيحها ومعرفة أسبابها المؤصلة إليها وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجهاً والتفيز بين ما يبنيه السبى في تحصيله وبين ما يبني السبى في دفع أسبابه والفرق بين الوهم والخيال المانع لا كفر النّفوس من انتهاز الفرص بعد اكتافها وبين السبب المانع حقيقة فيشتغل به دون الأول فما قطع

العبد عن كالمه وفلاحة وسعادته العاجلة والآجدة قاطع أعظم من الوهم الغالب على
النفس والخيال الذي هو من كها بل بحرها الذي لا ينفك ساخطه فيه وإنما يقطع هذا
العارض بفكرة صحيحة وعزم صادق يميز به بين الوهم والحقيقة وكذلك اذا فكر في
عواقب الامور وتجاوز فكره مبادئها وضعها مواضعها وعلم مراتبها فإذا ورد عليه وارد
الذنب والشهوة فتجاوز فكره لذنه وفرح النفس به الى سوء عاقبته وما يترتب عليه
من الام والحزن الذي لا يقاوم تلك اللذة والفرحة ومن فكر في ذلك فإنه لا يكاد يقدم
عليه وكذلك اذا وردعلى قلبه وارد الراحة والدعة والكليل والتقاعد عن مشقة العطاءات
وتهبها حتى غير بفكره الى ما يترتب عليها من المذمات والمحن والآفراح التي تعمر تلك
الآلام التي في مبادئها بالنسبة الى كمال عوتها وكما غاص فكره في ذلك اشتد طبله
ها وسهل عليه معاناتها واستقبلها بنشاط وقوة وعزيمة وكذلك اذا فكر في منتهي
ما يستبعده من المال والجاه والصور ونظر الى غاية ذلك بعين فكره استحى من عقله
ونفسه ان يكون عبداً للذئاب كما قيل

لوفكر العاشق في منتهى حسن الذى يسيء لم يسيء وكذلك اذا فكر في آخر الاطمئنة المفتخرة الى تفاصيلها خلوس اثناء الانعام وما يصير أمرها اليه عند خروجها او تفعت همتة عن صرفها الى الاعتناء بها وجعلها معبود قابه الذي اليه يتوجه وله برضى ويقضى ويكتح ويوالي ويعادى كما جاء في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جعل طعام ابن آدم مثل الدنيا وإن قرحة وملحة فانه يعلم الى ما يصيرون او كما قال صلى الله عليه وسلم فإذا وقع فكره على عاقبة ذلك وآخر أمره وكانت نفس حرارة أية وباها أن يجعلها عبداً لما آخره أذن شئ وأخيته وأشته (فصل) اذا عرف هذا فالتفكير هو احضار معرفتين في القلب ليستقر منهما معرفة نائمه ومن تلك اذا أحضر في قلبه العاجلة وعدتها ونعيها وما يترتب به من الآفات وقطعاته وزواله ثم أحضر في قلبه الآخرة ونعيها ولذتها ودوارها وفضله على نعيم الدنيا وجزم بهذه العلمين أنفر له ذلك علما نائماً وهو ان الآخرة ونعيها الفاضل الدائم أولى عند كل عاقل بايناره من العاجلة المنقطعة المتخصصة ثم له في معرفة الآخرة حالتان أحداهما أن يكون قد سمع ذلك من غيره هرث غير ان يباشر قابه برد اليقين به ولم يغض قلبه الى مكاشفة حقيقة الآخرة وهذا حال اكثري الناس فيتخذونه داعيyan أحددهما داعي العاجلة وإشارتها وهو أقوى الداعين عندده لأنه مشاهد له محسوس وداعي الآخرة وهو أضعف الداعين عنده لانه داع عن سباع لم يباشر قابه اليقين

بـه ولا كـانـهـ حـقـيقـتـهـ الـعـلـمـيـةـ فـاـذـاـ تـرـكـ العـاجـلـةـ لـلـآـخـرـةـ تـرـىـهـ نـفـسـهـ بـاـنـهـ قـدـرـكـ مـعـلـومـ مـالـظـفـونـ أـوـ مـتـحـقـقاـ مـلـوـهـومـ فـلـاسـانـ الـحـالـ يـتـادـىـ عـلـيـهـ لـأـدـعـ ذـرـةـ مـنـقـوـدـةـ لـدـرـةـ مـوـعـودـةـ وـهـذـهـ الـآـفـةـ هـيـ الـقـىـ منـعـ النـفـوسـ مـنـ الـاستـعـدـادـ لـلـآـخـرـةـ وـاـنـ يـسـعـيـ هـاـ سـعـيـاـ وـهـيـ مـنـ ضـعـفـ الـعـلـمـ بـهـاـ وـيـقـنـاـ وـالـافـعـ الـجـرـمـ التـامـ الـذـىـ لـاـ يـخـالـقـ الـقـلـبـ فـيـهـ شـكـ لـايـقـ الـهـاـوـنـ بـهـاـ وـعـدـمـ اـرـغـبـةـ فـيـهـاـ وـهـذـاـ لـوـقـدـ لـرـجـلـ طـعـامـ فـيـ غـابـةـ الطـيـبـ وـالـلـذـذـ وـهـوـ شـدـيدـ اـلـحـاجـةـ بـهـاـ نـمـ قـيـلـ لـهـ اـنـ مـمـوـمـ فـاـنـهـ لـاـ يـقـدـمـ عـلـيـهـ لـعـلـمـهـ بـاـنـ سـوـءـ مـلـحـقـيـ عـاقـبـةـ تـسـاـوـلـهـ تـرـبـوـيـ فـيـ الـمـضـرـةـ عـلـىـ لـذـةـ أـكـلـهـ فـاـبـالـاـيـمـاـنـ بـالـآـخـرـةـ لـاـيـكـونـ فـيـ قـلـبـهـ بـهـذـهـ الـمـزـلـةـ مـاـذـاـكـ اـلـضـعـفـ شـجـرـةـ الـعـلـمـ وـالـاـيـعـاـنـ بـهـاـ فـيـ الـقـلـبـ وـعـدـمـ اـسـتـقـرـارـهـ فـيـهـ وـكـذـلـكـ اـذـاـكـانـ سـائـرـاـ فـيـ طـرـيـقـ فـقـيـلـ لـهـ اـنـ بـهـاـ قـطـاعـاـ وـلـصـوـصـاـ يـقـتـلـوـنـ مـنـ وـجـدـوـهـ وـيـأـخـذـوـنـ مـتـاعـهـ فـاـنـهـ لـاـ يـسـلـكـهـاـ الـاـ عـلـىـ اـنـ وـجـهـيـنـ اـمـاـ اـنـ لـاـ يـصـدـقـ الـخـبـرـ وـاـمـاـ اـنـ يـشـقـ مـنـ نـفـسـ بـعـلـبـهـ وـقـهـرـهـ وـالـاـسـتـصـارـ عـلـيـهـمـ وـالـافـعـ تـصـدـيقـهـ لـلـخـبـرـ تـصـدـيقـاـ لـاـيـمـارـىـ فـيـهـ وـعـلـمـهـ مـنـ نـفـسـهـ بـضـعـفـهـ وـعـجـزـهـ عـنـ مـقـاـوـمـهـمـ فـاـنـهـ لـاـ يـسـلـكـهـاـ وـلـوـ حـصـلـ لـهـ هـذـاـ الـعـلـمـاـنـ فـيـهـ يـرـتـكـبـهـ مـنـ اـيـثـارـ الـدـنـيـاـ وـشـهـوـانـهـ لـمـ يـقـدـمـ عـلـىـ ذـلـكـ فـعـلـمـ اـنـ اـيـثـارـ لـلـعـاجـلـةـ وـرـكـ اـسـتـعـدـادـهـ لـلـآـخـرـةـ لـاـيـكـونـ قـطـ معـ كـلـ تـصـدـيقـهـوـيـاـنـهـ أـبـداـ (ـالـحـالـةـ التـاـنـيـةـ)ـ اـنـ يـتـيقـنـ وـيـجـزـمـ جـزـماـ لـاـشـكـ فـيـهـ بـاـنـ لـهـ دـارـاـ غـيرـ هـذـهـ الدـارـ وـمـعـادـهـ خـلـقـ وـاـنـ هـذـهـ الدـارـ طـرـيـقـ لـىـ ذـلـكـ المـعـادـ وـمـنـزـلـ مـنـ مـنـازـلـ السـاـرـبـينـ اـلـيـهـ وـيـعـلـمـ مـعـ ذـلـكـ اـنـهـ باـقـيـهـ وـنـعـيمـهـ وـعـذـابـهـ لـاـيـزـولـ وـلـاـ نـسـيـهـ هـذـاـ النـعـيمـ وـالـعـذـابـ الـعـاجـلـ اـلـيـهـ الاـكـاـمـ بـدـخـلـ الرـجـلـ اـصـبـعـهـ فـيـ الـبـيـمـ نـمـ يـنـزـعـهـ فـالـذـيـ تـعـاـقـبـهـ مـنـهـ هـوـ كـالـدـنـيـاـ بـالـنـسـيـةـ لـىـ الـآـخـرـةـ فـيـشـرـ لـهـ هـذـاـ الـعـلـمـ اـيـثـارـ الـآـخـرـةـ وـطـلـبـهـ وـالـاـسـتـعـدـادـ التـامـ هـاـ وـاـنـ يـسـعـيـ هـاـ سـعـيـاـ وـهـذـاـ يـسـمـيـ فـكـراـ وـتـذـكـراـ وـنـظـراـ وـتـأـمـلاـ وـاعـتـباـراـ وـنـدـيراـ وـاسـتـبـصـارـاـ وـهـذـهـ مـعـانـ مـتـقـارـبـةـ تـجـتـمـعـ فـيـ شـئـ وـتـنـفـرـ فـيـ آـخـرـ وـيـسـمـيـ تـفـكـرـاـ لـاـهـ اـسـتـعـمـالـ الـفـكـرـةـ فـيـ ذـلـكـ وـاـحـضـارـهـ عـنـدـهـ وـيـسـمـيـ تـذـكـرـاـ لـاـهـ اـحـضـارـ لـلـعـلـمـ الـذـيـ يـجـبـ مـرـاعـاتـهـ بـعـدـ ذـهـولـهـ وـغـيـرـهـ عـنـهـ وـمـنـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (ـاـنـ الـذـينـ اـتـهـواـ اـذـاـ مـسـهـمـ طـائـفـ مـنـ الشـيـطـانـ تـذـكـرـواـ فـاـذـاـمـ مـبـصـرـونـ)ـ وـيـسـمـيـ نـظـراـ لـاـهـ النـفـاتـ بـالـقـلـبـ لـىـ الـمـنـظـلـوـرـ فـيـهـ وـيـسـمـيـ تـأـمـلاـ لـاـهـ مـرـاجـعـةـ لـاـنـظـرـ كـرـةـ بـعـدـ كـرـةـ حـتـىـ يـغـلـيـ لـهـ وـيـنـكـشـفـ لـقـلـبـهـ وـيـسـمـيـ اـعـتـباـراـ وـهـوـ اـفـتـمـاـ مـنـ الـعـبـورـ لـاـهـ يـعـبـرـ مـنـهـ اـلـىـ غـيـرـهـ فـيـعـبـرـ مـنـهـ ذـلـكـ الـذـىـ قـدـ فـكـرـ فـيـهـ اـلـىـ مـعـرـفـةـ ثـالـثـةـ وـهـيـ الـمـفـصـودـ مـنـ الـاـعـتـباـرـ وـهـذـاـ يـسـمـيـ عـبـرـةـ وـهـيـ عـلـىـ بـنـاءـ الـحـالـاتـ كـالـجـلـسـةـ وـالـرـكـبةـ وـالـفـتـلـةـ اـيـذـاـنـاـ بـاـنـ هـذـاـ الـعـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ قـدـ صـارـ حـالـاـ لـصـاحـبـهـ يـعـبـرـ مـنـهـ اـلـىـ الـمـفـصـودـ بـهـ وـقـالـ اللـهـ تـعـالـىـ اـنـ فـيـ ذـلـكـ اـعـبـرـةـ لـمـ يـخـنـىـ وـقـالـ اـنـ فـيـ ذـلـكـ اـعـبـرـةـ لـاـ وـلـيـ الـاـبـصـارـ

ويسعى تدبرأً) لانه نظر في ادب الامور وهي أواخرها وعواقبها ومنه تدبر القول وقال تعالى ألم يذروا القول أفالا يتذرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وتدبر الكلام ان ينفل في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرتبة وهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبيين (وسعي استبصاراً) وهو استفعال من التبصر وهو تبيان الامر وانكشافه ومجمله لل بصيرة وكل من التذكر والتفكير له فائدة غير فائدة الآخر فالذكر يفيد تكرار القلب على ماعنته وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينفعي فيذهب اثره من القلب جملة والتفكير يفيد تكثير العلم واستجلاب ماليس حاصلاً عند القلب فالتفكير يحصله والذكر يحفظه وهذا قال الحسن مازال أهل العلم يعودون بالذكر على التفكير وبالتفكير على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة فالتفكير والذكر بذار العلم وسقيه مطارحته ومذاكرته تلقىحة كما قال بعض السلف ملاقاً الرجال تلقىحة لبابها فالمذاكرة بها لفاح العقل فانظير السعادة في خزانة مفتاحها التفكير فإنه لابد من تفكير وعلم يكون نتيجة الفكر وحال يحدث للقلب من ذلك العلم فان كل من علم شيئاً من المحبوب أو المكره ولابد ان يبق لقلبه حالة وينصبخ بصبغة من علمه وتلك الحال توجب له ارادته وملك الارادة توجب وقوع العمل فها هنا خمسة امور الفكر ونمرتها العلم ونمرتها الحالة التي تحدث للقلب ونمرتها ذلك الارادة ونمرتها العمل فالتفكير اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا يكشف لك عن فضل التفكير وشرفه وانه من افضل اعمال القلب وأفععها له حق قيل تفكير ساعة خير من عبادة سنة فالتفكير هو الذي ينقل من موت الفطنة الى حياة اليقنة ومن المكاره الى الحب ومن الرغبة والحرس الى الزهد والقناعة ومن سجن الدنيا الى فضاء الآخرة ومن ضيق الجهل الى سعة العلم ورجبه ومن مرض الشهوة والاخلاص الى هذه الدار الى شفاء الاتابة الى الله والتتجافي عن دار الفرور ومن مصيبة العمى والصم والبكم الى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه ومن امراض الشهوات الى برد اليقين وناج المدور (وبالجملة) فما كل طاعة انا هي الفكر وكذلك اصل كل معصية انا يحدث من جانب الفكرة فان الشيطان يصادف ارض القلب خالية فارغة فيذر فيها حب الافكار الرديئة فيتولد منه الارادات والمعزوم فيتولد منها العمل فإذا صادف ارض القلب مشغولة يذرا افكار النافعة فيما خاق له وفيما امر به وفيما هي له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الاليم لم يجد لبذهره موضعها وهذا كما قيل

أناني هوها قبل ان اعرف الاهوى فصادف قبلي فارغاً فتمكنا

(٢٥ - مفتاح اول)

(فان قيل) فقد ذكرتم الفكر ومنفعته وعظام تأثيره في الخير والشر فما متعلقه الذي ينبغي ان يقع عليه ويجري فيه فانه لابن المقصود منه الا بذكر متعلقه الذي يقع الفكر فيه والافكار بغیر متفکر فيه مجال (قبل مجری الفكر) ومتعلقه أربعة أمور (أحددها) غایة محبوها، مرادها الحصول (الثاني) طريق موصلة الى تلك الغایة (الثالث) مفسرة مطلوبة الاعدام مكر وحة الحصول (الرابع) الطريق المفضى اليها الموقوع عليها فلا تجاوز افكار العقلاه هذه الامور الاربعة وأي فكر يخطاها فهو من الافكار الرديء والخيالات والامني الباطلة كايختيبل الفقر المعدم نفسه من أغنى البشر وهو يأخذ وبعطي وبين ويحرم وكايختيبل العاجز منه من أقوى الملك وهو يتصرف في البلاد والرعية ونغير ذلك من افكار القلوب الباطولية التي من جنس افكار السكران والمخوش والضعف العقل فالافكار الرديء هي قوت الانفس الحسية التي هي في غایة الدناة فانها قد قنعت بالخيال ورضيت بالحال ثم لا زال هذه الافكار تقوى بها وتزيد حتى توجب لها آثارا رديءة وواسوس وأمراء باطليه الزوال وإذا كان الفكر الشائع لا يخرج عن الاقسام الاربعة التي ذكرناها فله أيضا محalan ومنزلان (أحددهما) هذه الدار والآخر دار القرار فأبناء الدنيا الذين ليس لهم في الآخرة من خلاق عبروا بيوت افكارهم بتلك الاقسام الاربعة في هذه الدار فأنترت افكارهم فيها ما أندرت ولكن اذا حققت الحنائق وبطلت الدنيا وقامت الآخرة سين الرابع من المغبون وخسر هنالك البطلون وأبناء الآخرة الذي خلتوها عمروا بيوت افكارهم على تلك الاقسام الاربعة فيها (ونحن نفضل ذلك) يعون الله وفضله فنقول كل طالب لشيء فهو محظوظ له مؤثر لفرجه ساع في طريق تحصيله متوصلا اليه بجهده وهذا يوجب له تعلق افكاره بمحام محبوبه وكالة وصفاته التي يحب لاجلها وتعلمهها بما يناله به من الخير والفرح والسرور ففكره في حال محبوبه دائرا بين اجلال والاجال والحسن والاحسان فكلما قويت حبيته ازداد هذا الفكر قويا وتفاعلاه حق يستغرق أجزاء القلب فلا يتحقق فيه فضل لغيره بل يصير بين الناس يتعالى وقباه كله في حضرة محبوبه فان كان هذا المحبوب هو المحبوب الحق الذي لا تنبغي الحبة الا له ولا يحب غيره الا تبعا لحبيته فهو أسعد الحسين به وقد وضع الحب موضعه وتهيات نفسه لكتابها الذي خلقت له والذي لا يكل لها بذاته بوجه وان كانت تلك المحبة لغيره من المحبوبات الباطلة المتلاشية التي تفني وتبقي حزازات القلوب بها على حالها فقد وضع المحنة في غير موضعها وظلم نفسه اعظم ظلم وأقبحه وتهيات بذلك نفسه لغاية شقاها وألمها (وإذا عرف هذا عرف) أن تعلق المحبة بغير الله الحق هو عين شقاء العبد وخسارته

فافكاره المتعلقة بها كلها باطلة وهي مقدرة عليه في حياته وبعد موته والمحب الذي قد
 ملك المحبوب أفكار ذاته لا يخرج فكره عن تعلقه بمحبوبه أو بنفسه ثم فكره في محبوبه
 لا يخرج عن حالين . أحدهما فكره في حاله وأوصافه . والثانية فكره في أفعاله
 واحساناته وزره ولعنه الدالة على كل صفاته وان تعاقد فكره بنفسه لم يخرج أيضاً عن
 حالين . أما إن يفكر في أوصافه المخصوصة التي يبغضها محبوبه وبذاته عليها ويسقط له
 من عينه فهو دائماً يتوقع بفكرة عليها ليتجنبها وبعد منها . والثانية أن يفكر في الصفات
 والأخلاق والأفعال التي تقربه منه وتختبئ إليه حتى يتصرف بها فالتفكيرتان الاوليان
 توجب له زيادة محنته وقوتها وتضاعفها والتفكيرتان الآخريتان توجب محنة محبوبه له
 وأفعاله عليه وقربه منه وغضبه عليه وإيثاره على غيره فالمحنة النامية ، سلامة هذه الأفكار
 الاربع . فال فكرة الأولى والثانية تتعلق بعلم التوحيد وصفات الله المعبود بسبحانه
 وأفعاله . والثالثة والرابعة تتعلق بالطريق الموصولة إليه وقواعدها وآفاتها وما يمنع من السير
 فيها إليه ففكيره في صفات نفسه يميز له المحبوب تردد منها من المكرور له وهذه الفكرة
 توجب ثلاثة أمور أحدها أن هذا الوصف هل هو مكرور مبغوض لله أم لا الثاني هل
 العبد متصرف به أم لا الثالث اذا كان متصرفًا به فما طريق دفعه والاعتراض منه وإن لم يكن
 متصرفًا به ما طريق حفظ الصحة وبقاءه على العافية والاحتراز منه وكذلك الفكرة في
 الصفة المحبوبة تستدعي ثلاثة أمور أحدها أن هذه الصفة هل هي محبوبة لله من ضيقه له أم
 لا الثاني هل العبد متصرف بها أم لا . الثالث أنه اذا كان متصرفًا بها ما طريق حفظها
 ودواءها وإن لم يكن متصرفًا بها ما طريق ابتلاها وانتهاق بها ثم فكره في الأفعال
 على هذين الوجبين أيضاً سواء وبخارى هذه الأفكار ومواضعها كثيرة جداً لا تكاد
 تنتهي (وإنما يحصرها ستة أجناس) . العطاءات الظاهرة والباطنة والمعاصي الظاهرة
 والباطنة والصفات والأخلاق الحديدة . والأخلاق والصفات الذميمة (فهذه بخاري)
 الفكرة في صفات نفسه وأفعالها وأفعاله . الفكرة في صفات المغبود وأفعاله وأحكامه فتوجب
 له التمييز بين الإيمان والكفر واتوحيد الشرك والأفراح والتعطيل وتزييه الرب عما
 لا يليق به ووصفه بما هو أهل من الجلال والآلام (وبخاري هذه الفكرة) تذر
 كلامه وما تعرف به سبحانه إلى عباده على السنة رسالته من أسمائه وصفاته وأفعاله وما
 نزه نفسه عنه مما لا يتنافي له ولا يليق به سبحانه وتدبر أيامه وأفعاله في أولياته وأعدائه
 التي قصها على عباده وأنشد لهم إياها يستدلوا بها على أنه المهيمن الحق المبين الذي لا ينافي
 العبادة إلا له ويستدلوا بها على أنه على كل شيء قادر وأنه بكل شيء عالم وأنه شديد

العقاب وأنه غفور رحيم وأنه العزيز الحكيم وأنه الفعال لما يريد وأنه الذى وسع كل
شيء رحمة وعلماً وأن أفعاله كالماء دائرة بين الحكمة والرحمة والمعدل والمصلحة
لا يخرج منها عن ذلك وهذه المرة لاسبيل إلى تحصيلها الا بتدرس كلامه والتنظر في
آثار أفعاله (والى هذين الأصلين) ندب عباده في القرآن فقال في الأصل الأول
(أفلا يتذرون القرآن ألم يدبروا القول كتاب أنزلناه إليك مباركة ليذروا آياته
انا أنزلناه قرآنًا عريباً لعلمكم يعقولون كتاب فصلت آياته قرآنًا عريباً لقوم يعلمون) وقال
في الأصل الثاني (قل انظروا ماذا في السموات والارض ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى
جنوبهم ويتذكرون في خلق السموات والارض ان في السموات والارض لايات
للمؤمنين وفي خلقكم وما يدث من دابة آيات لقوم يوقفون واختلاف الليل والنهار وما
أنزل الله من السماء من ماء فاحباه الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح آيات لقوم يعقلون أو لم يسروا في الارض فینظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم قل سروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ومن آياته ان
خلقكم من تراب ثم اذا ائتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرن الى قوله
ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) ونوع سبحانه الآيات في هذه السور
يتعلّم خلق السموات والارض واختلاف لغات الأمم وألوانهم آيات للعالمين كلهم
لاشتراكهم في العلم بذلك وظهوره ووضوح دلالته وجعل خلق الأزواج التي تسكن
إليها الرجال والبقاء المودة والرحمة بينهم آيات لقوم يتفكرن فان سكون الرجل الى
أمر أنه وما يكون بينهما من المودة والتعاطف والتراحم أمر باطن مشهود بعين الفكرة
وال بصيرة ففي نظر بهذه العين الى الحكمة والرحمة والقدرة التي صدر عنها ذلك دله
فكرة على انه الاله الحق المبين الذي أقرت الفطر رب بيته والاهيته وحكمته ورحمته
وجعل المدام بالليل والنهار للتصرف في المعاش وابتقاء فضله آيات لقوم يسمعون وهو
سمع الفهم وتدبر هذه الآيات وارتباطها بما جعلت آية له مما أخبرت به الرسل من
حياة العباد بعد موتهم وقيامهم من قبورهم كما أحياهم سبحانه بعد موتهم وأقامهم
لتتصرف في معاشهم فهذه الآية إنما ينتفع بها من سمع رماجات به الرسل وأصفع اليه
واستدل بهذه الآية عليه وجعل إرائهم البرق وانزال الماء من السماء وإحياء الأرض به
آيات لقوم يعقلون فان هذه أمور مرئية بالابصار مشاهدة بالحس فإذا نظر فيها بصر

قلبه وهو عقمه استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته وأمكان ما يخبر به من احياء الخلاائق بعد موتها كأحى هذه الارض بعد موتها وهذه امور لا تدرك الا ببصر القلب وهو العقل فان الحسن دل على الآية والعقل دل على ماجعلت آية له فذكر سبحانه الآية المشهودة بالبصر والمدلول عليه المشهود بالعقل فقال (ومن آياتكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فتبارك الذى جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء لما في الصدور وباحلاته فلا شيء أفعى لالقب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فإنه جامع لجميع منازل الساريين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذى يورث الحبة والشوق والاطروف والرجاء والانابة والتوكيل والرضا والتقويض والشك والصبر وسائر الاحوال التي بها حياة القلب وكاله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والافعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاك فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ماسواها فإذا قرأه بتفكير حتى من باية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وادعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح وقد ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام باية يرددتها حتى الصباح وهي قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب وهذا قال ابن مسعود لاذدوا القرآن هذه الشعر ولا تنزوه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحرروا به القلوب لا يكن هم أحدكم آخر السورة وروي أبو أيوب عن أبي حيرة قال قلت لابن عباس ان سريعة القراءة انى أقرأ القرآن في ثلاثة قال لان أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأشدبرها وأرتلها أحب الى من ان أقرأ القرآن كما أقرأ (والتفكير في القرآن نوعان تفكير) فيه يقع على مراد الرب تعالى منه وتفكير في معانى مادعا عباده الى التفكير فيه فالاول تفكير في الدليل القرآني والثانى تفكير في الدليل العيباني الاول تفكير في آياته المسموعة والثانى تفكير في آياته المشهودة وهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتذكر فيه ويعمل به لا مجرد تلاوته مع الاعراض عنه قال الحسن البصري أنزل القرآن ليعمل به فلأخذوا تلاوته عملا

(فصل) اذا تأملت مادعى الله سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانية وصفات كاله ونعموت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكامل حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه ونوابه وعقابه فبهذا

تعرَّف إلى عباده ونذهب إلى التفكير في آياته . ونذكر لذلك أمثلةً ماذكرها الله سبحانه
 في كتابه ليستدل بها على غيرها (فن ذلك خالق الإنسان وقد ندب سبحانه) إلى
 التفكير فيه والتنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى (فلينظر الإنسان م خلق)
 وقوله تعالى (وفي أفسركم أفلابصرون) وقال تعالى (يا أبا الناس إن كنتم في ريب من
 البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
 لتبين لكم وتفر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخر جكم طفلا ثم تبلغوا
 أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردي أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً)
 وقال تعالى (أیحسب الانسان أن يترك سدي ألم يك نطفة من مني يعني ثم كان علقة خالق
 فسوى بجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادره على أن يحيي الموتى) وقال
 تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين بعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنم القادرات)
 وقال (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصم مبين) وقال (ولقد خلقنا
 الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطنة علقة
 خلقنا العلقة مضخة خلقنا المضخة عظاما فكسونا العظام لها ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك
 الله أحسن الخالقين) وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى التأمل والتفكير في مبدأ خلقه
 وواسعه وأخره إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره وأقرب شيء إلى
 الإنسان نفسه وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تقتضي الأعمار في الوقوف
 على بعضه وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من
 عجائب خلقها عن كفره قال الله تعالى (قتل الانسان ما كفره من أي شيء خلقه من
 نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أمهاته فأقبره ثم اذا شاء انشره) فلم يكرر سبحانه
 على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا النسخ لحفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراكم ولا لتتكلم
 بها فقط ولا مجرد تعريفنا بذلك بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب وإليه
 جرى ذلك الحديث (فانظر الآن إلى النطفة) بعين البصرة وهي قطرة من ماء مهين
 ضعيف مستقدرة لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وافتكت كيف استخرجها رب
 الارباب العظيم التقدير من بين الصلب والتراكم متقدمة لقدرته مطيبة لمشيئته مذلة
 الافتراض على ضيق طرقها واختلاف مبارتها إلى أن ساقها إلى مستقرتها وبجمعها وكيف
 جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقي الحبة بينها وكيف قادها بسلسلة الشهوة
 والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليل الولد وتكوينه وكيف قدر اجتماع ذينك
 الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه وساقهما من اعمق العروق والاعضاء وجمعهما في

موضع واحد جعل طما قراراً مكيناً لا يناله هواء يفسده ولا يرد يمحوه ولا عارض يصل
 اليه ولا آفة تسلط عليه ثم قلب تلك النعفة البيضاء المشربة علقة حراء تضرب الى
 سواد ثم جعلها مضخة لم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقةها وشكلها ثم جعلها عظاماً
 مجردة لا كسوة عليها بباينة لامضخة في شكلها وهي أنها وقدرها وملمسها ولونها (وانظر)
 كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار
 واليابس واللين وبين ذلك ثم كيف ربط بعضها بعض أقوى رباط وأشدّه وأبعد
 عن الانحلال وكيف كاها لثما ركبها عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظاً وجعلها حامة
 له مقيدة له فاللحم قائم بها وهي محفوظة به وكيف صورها فأشحن صورها وشق لها
 السمع والبصر والفم والأذن وسائر المثانة وبدن الرجالين وبسطهم وأقسام رؤسهما
 بالأصبع ثم قسم الأصابع بالتأمل وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد
 واللiver والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنقعة شخصه (ثم
 انظر) الحكمة البالغة في تركيب العظام قواماً للبدن وعماده وكيف قدرها وبها وخالفتها
 بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فيها الصغير والكبير والطويل والقصير والمت高中 والمستدير
 والدقير والعربيض والمصمت والمحجوف وكيف ركب بعضها في بعض فيها ما تركبها تركيب
 الذكر في الآني ومنها ما تركب تركيب اتصال فقط وكيف اختلفت أشكالها باختلاف
 منافعها كالأضراس فإنها لما كانت آلة للطعن جعلت عريضة ولما كانت الأسنان آلة لقطع
 جعلت مستديقة محددة ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجمعته بدنه وببعض أعضائه
 للتعدد في حاجته لم يجعل عظامه عظاماً واحداً بل عظاماً متعددة وجعل بينها مفاصل
 حتى تيسير بها الحركة وكان قدر كل واحد منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه
 وكيف شد أسر تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها بعض بأوتار ورباطات أنيتها من
 أحد طرف العظم والصق أحد طرف العظم بالطرف الآخر كالرابط له ثم جعل في
 أحد طرف العظم زواياً خارجية عنه وفي الآخر نقرًا خائصة فيه موافقة لشكل تلك
 الزوايا ليدخل فيها وينطبق عليها فإذا أراد العبد أن يحرك جزء من بدنه لم يتعذر عليه
 ولو لا المفاصل لتعذر ذلك عليه وتأمل كيفية خلق الرأس وكثرة ما فيه من العظام حتى
 قبل أنها خمسة وخمسون عظاماً مختلفة الأشكال والمقدار والمنافع وكيف ركبها سبحانه
 وتعالى على البدن وجعله حالياً على الرأك على مركوبه وما كان حالياً على البدن جعل فيه
 الحواس الحسنية والآلات الإدراك كلها من السمع والبصر والشم والذوق واللمس وجعل حاجة
 البصر في مقدمه ليكون كالطليعة والحرس والكافر للبدن وركب كل عين من سبع

طبقات لكل طبقة وصف مخصوص ومقدار مخصوص ومنفعة مخصوصة لو فقدت طبقة من تلك الطبقات السبع أو زالت عن هيئتها ووضعها لتعطلت العين عن الابصار ثم أركر سبحانه داخل تلك الطبقات السبع خلقاً عجياً وهو انسان العين بقدر العدسة يبصر به ما بين المشرق والمغرب والارض والسماء وجعله من العين بمنزلة القلب من الاعضاء فهو ملكها وتلك الطبقات والاجفان والاهداب خدم له وحجاب وحراس فبارك الله أحسن الخالقين (فانظر) كيف حسن شكل العينين وهيئتهما ومقدارهما ثم جعلهما بالاجفان غطاء لهما وستراً وحفضاً وزينة فهما يتلقيان عن العين الأذى والقذا والغبار ويكتنلما من البارد المؤذى والحار المؤذى ثم غرس في أطراف تلك الاجفان الاهداب جالا وزينة ولنفع آخر وراء الجمال والزينة ثم أودعهما ذلك النور الباصر والضوء الباهر الذي يخراق ما بين السماء والارض ثم يخراق السماء بجاوزة الرؤبة ما فوقها من الكواكب وقد أودع سبحانه هذا السر العجيب في هذا المقدار الصغير بحيث ينطبع فيه صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها وشق له السمع (وخلق) الأذن أحسن خلقة وأبلغها في حصول المقصود منها بجعلها محوفة كالصدفة لتجتمع الصوت فتؤديه إلى الصمام وليرحس بدبيب الحيوان فيها فينادر إلى إخراجه وجعل فيها غضوناً ونجاوى واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل فتكسر حدته ثم تؤديه إلى الصمام ومن حكمة ذلك أن يطول به الطريق على الحيوان فلا يصل إلى الصمام حتى يستيقظ أو يتبه لاماً كـ وفيه أيضاً حكم غير ذلك ثم اقتضت حكمة الرب الخالق سبحانه أن جعل ماء الاذن مرآً في غاية المرارة فلا يجاوزه الحيوان ولا يقطعه داخلاً إلى باطن الاذن بل إذا وصل إليه أعمل الحيلة في رجوعه وجعل ماء العينين ملحاً ليحفظها فأنها شحمة قابلة للفساد فكانت ملوحة مائتها صيانة لها وحفظهاً يجعل ماء الفم عذباً حلواً يدرك به طعم الاشياء على ماهي عليه اذلو كان على غير هذه الصفة لا أحالها إلى طبيعته كان من عرض لفمه المرارة استمر طعم الاشياء التي ليست بمرة كما قبل

ومن يك ذا فـ مر مريض يجد مرآً به الماء الزلا

(ونصب سبحانه) قصبة الافق في الوجه فأحسن شكله وهيئاته ووضعه وفتح فيه المنخرتين وحجز بينهما بمحاجز وأودع فيما حسنة الشم التي تدرك بها أنواع الروائح الطيبة والخطيئة والنافعة والضارة وليس تشتق به الهواء فيوصله إلى القلب فيتروح به ويستقرى به ثم لم يجعل في داخله من الاعوجاجات والغضون ما يجعل في الاذن ثلاثاً يمسك الرائحة فيضعفها وقطع عبرها وجعله سبحانه مصباً تحدى إليه فضلات الدماغ فتجتمع فيه ثم

خرج منه واقتضت حكمته أن جعل أعلاه أدق من أسفله لأن أسفله اذا كان واسعاً اجتمع فيه تلك الفضلات فخررت بسهولة ولأنه يأخذ من الهواء ملأه ثم يتضاعف في مجراه قليلا حتى يصل الى القلب وصولا لا يضره ولا يزعجه ثم فصل بين المنحرفين بمحاجز بينهما حكمة منه ورحمة فانه لما كان قصبة وجري سائر الماخدر فيه من فضلات الرأس وجري النفس المساعد منه جعل في وسطه حاجز ثلاثة يفسد بما يجري فيه فيمنع نشقه للنفس بل إنما أن تعتمد الفضلات نازلة من أحد المنفذين في الغاب فيقي الآخرين للتنفس وأما أن يجري فيما فينقسم فلا ينسد الاتق جملة بل يبقى فيه مدخل للتنفس وأيضاً فانه لما كان عضواً واحداً وحاسة واحدة ولم يكن عضوين وحاستين كالاذنين والعينين اللتين اقتضت الحكمة تعدد هما فانه ربما أصيبت احداهما أو عرضت لها آفة تنتهي من كالمها ف تكون الاخرى سالمة فلا تعطل منفعة هذا الحس جملة وكان وجود اثنين في الوجه شيئاً ظاهراً فتصب فيه أثناً واحداً وجعل فيه منفذين حجز بينهما بمحاجز يجري جري العينين والاذنين في المنفعة وهو واحد فتبارك الله رب العالمين وأحسن الاخالقين (وشق سبحانه) للعبد الفم في أحسن موضع وأليقه به وأودع فيه من المنافع والآلات الذوق والكلام والآلات الطحن والقطع ما يغير العقول مجانية فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه وجعله ترجماناً ملك الأعضاء مبيناً مؤدياً عنه كما جعل الاذن رسولاً مؤدياً ميلاً اليه فهى رسوله ويريده الذي يؤدى اليه الأخبار والسان ي يريده ورسوله الذي يؤدى عنه ما يريد (وافتضت حكمته سبحانه) أن جعل هذا الرسول مصوناً محفوظاً مستوراً غير بارز مكشف كلاذن والعين والاتق لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدى من الخارج اليه جعلت بارزة ظاهرة ولما كان اللسان مؤدياً منه الى الخارج جعل له ستراً مصوناً لعدم الفائدة في ابرازه لانه لا يأخذ من الخارج الى القلب (وأيضاً) فلانه لما كان أشرف الاعضاء بعد القلب ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره ضرب عليه سرادق تستر وتصونه وجعل في ذلك السرادق القلب في الصدر وأيضاً فانه من العلف الاعضاء وأليتها وأشدتها رطوبة وهو لا يتصرف الا بواسطة الرطوبة المحيطة به فلو كان بارزاً صار عرضة للحرارة واليسوء والذباب المائع له من التصرف ولغير ذلك من الحكم والفوائد (نعم زين سبحانه الفم بما فيه) من الأسنان التي هن جماله وزينة وبها قوام العبد وغذاوه وجعل بعضها أرجاء للطحن وببعضها آلة للقطع فاحكم أصولها وحدد رؤسها وبعض لونها ورتب صنوفها متساوية الرؤوس متناسبة الترتيب كأنما الدر المنظوم بياناً وصفاء وحسناً وأحاط سبحانه على ذلك حائطين وأودعهما من المنافع والحكم ما أودعهما

وها الشفتان شحن لونهما وشكلهما ووضعهما وهيأنهما وجعلهما غطلاً للفم وطبقاً له وجعلهما تماماً لخارج حروف الكلام ونهاية له كأن جعل أقصى الحلق بداية له والسان وماجاوره سطراً ولهذا كان أكثر العمل فيها له اذ هو الواسطة واقتضت حكمته أن جعل الشفتين كما صرفاً لا عظم فيه ولا عصب ليتمكن بهما من مص الشراب ويسهل عليه فتحهما وطبقهما وخص الفك الأُسفل بالتحرير لأن تحرير الاخف أحسن ولاه يشتمل على الأعضاء الشريفة فلم يخاطر بها في الحركة وخلق سمعانه الخاجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعه والخشونة والملاسة والصلابة واللين والملوу والقصر فاختلت بذلك الاوصوات أعظم اختلاف ولا يكاد يشتبه صوتان الا نادراً وهذا كان الصحيح قبولاً شهادة الأعمى لتمييزه بين الاشخاص بأصواتهم كما يميز البصير بينهم بصورهم والاستثناء العارض بين الاوصوات كالاشتباه العارض بين الصور (وزن سمعانه) الرأس بالشعر وجعله بالأسله لاحتياجه اليه وزن الوجه بما أثبت فيه من الشعور المختلفة الاشكال والمقدار فزيمه بال حاجين وجعلهما وقائتاً تحدى من بشرة الرأس الى العينين وقوسهما وأحسن خطهما وزن أچفان العينين بالاهداب وزن الوجه أيضاً باللحية وجعلها كلاً ووقاراً ومهايا تارجل وزن الشفتين بما أثبت فوقهما من الشارب وتحمما من العنفة (وكذلك خلقه سمعانه) لليدين اللتين هما آلة العبد وسلامه ورأس ما لمعاه فطوطهما بمحيط يصلان الى ماشاء من بده وعرض الكف ليتمكن به من القبض والبسط وقسم فيه الاصابع الخمس وقسم كل إصبع بثلاث أصابع والابهام بالثنتين ووضع الاصابع الاربعة في جانب والابهام في جانب لدور الابهام على الجميع بفءات على أحسن وضع صاحت به للقبض والبسط و مباشرة الاعمال ولو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستتبعوا بدقيق أفكارهم وضمنا آخر للاصابع سوى ما وضعت عليه لم يجدوا اليه سبيلاً فتبارك من لو شاملوها وجعلها طبقاً واحداً كالصفيحة فلم يمكن العبد بذلك من مصالحة وتنوع تصرفاته ودقائق الصنائع والخدع وغير ذلك فان بسط أصابعه كانت طبقاً يضع عليه ما يريدون ان ضمها وقضتها كانت دبوساً والله للضرر وان جعلها بين الفم والبسط كانت مغرفة له يتناول بها ويست فيها ما يتناوله وركب الاطفار على رؤسها زينة لها وعماداً ووقاية وليلتفت بها الاتياء الدقيقة التي لا يتأهلاها جسم الاصابع وجعلها سلاحاً لغيره من الحيوان والطير والله لمعاهه ولريحه الانسان بها بده عند الحاجة فالظفر الذي هو أقل الاشياء وأحقرها لو عدمه الانسان ثم ظهرت به حكة لاشتدت حاجته اليه ولم يقم مقامه شيء في حك بده ثم هدى اليه الى موضع الحك حتى تفند اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استuhan بغیره لم يعثر

على موضع الحنك الا بعد تعب ومشقة ثم انظر الى الحركة البالغة في جعل عظام أسفل البدن غليظة قوية لانها أساس له وعظام اعلاه دونها في التخانة والصلابة لانها محولة (ثم انظر كيف جعل) الرقبة مرکبة للرأس وركبها من سبع خرزات محوفات مستديرات ثم طبق بعضها على بعض وركب كل خرزة تركيباً محكماً متقدماً حتى صارت كأنها خرزة واحدة ثم ركب الرقبة على الظهر والصدر ثم ركب الظهر من أعلى الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة مرکبة ببعضها في بعض هي مجمع أضلاعه والتي تمسكها أن تحمل وتنفصل ثم وصل تلك العظام ببعضها ببعض فوصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتفين بعظام العضدين والعضدين بالذراعين والذراعين بالكتف والاصابع (وانظر) كيف كالعظم العريضة كعظم الظهر والرأس كسوة من اللحم تناسبها والعظم الدقيقة كسوة تناسبها كاصابع المتوسطة كذلك كعظم الذراعين والعضدين فهو مرکب على ثلاثة وستين عظماً مائة وثمانية وأربعون مفاصل وباقياً صغار حيث خلال المفاصل فلو زادت عظمها واحداً لكان مضرة على الانسان يحتاج الى قاعده ولو نقصت عظمها واحداً كان فقراً يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر في هذه العظام وكيفية تركيبها وحكمته وعلمه ولطفه وكم بين النظرين (ثُم انه سبحانه ورب ذلك) الاعضاء والاجزاء بالرباطات فتشد بها اسرها وجعلها كالأوتار تمسكها وتحفظها حتى يبلغ عردها الى خمسة وتسعة وعشرين رباطاً وهي مختلفة في الفلذ والدقة والطول والقصر والاستقامه والانحصار بحسب اختلاف مواضعها وحالها فجعل منها أربعة وعشرين رباطاً آلة لتحرير العين وفتحها وضمها وإيصالها لو نقصت منهن رباطاً واحداً اخل أثر العين وهذا لكل عضو من الاعضاء ربطة هن له كالآلات التي بها يحرك ويتصرف ويفعل كل ذلك صنع رب الحكم وقدر العزيز العليم في قطرة ماء مهين فويل للمكذبين وبعداً للجادين (ومن عجائب خلقه) انه جعل في الرأس ثلاث خزانات نافذا بعضها الى بعض خزانة في مقدمه وخزانة في وسطه وخزانة في آخره وأودع تلك الخزانات من اسراره ما أودعها من الذكر والفكير والتعقل (ومن عجائب خلقه) ما فيه من الامور الباطنة التي لا تشاهد كالقلب والكبد والطحال والرئة والامعاء والثانية وسائر ما في بطنه من الآلات العجيبة والقوى المتعددة المختلفة المنافع (فاما القلب) فهو الملك المستعمل لجميع آلات البدن المستخدم لها فهو حفوف بها حشود مخدوم مستقر في الوسط وهو أشرف اعضاء البدن وبه قوام الحياة وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغرizerية وهو معدن

العقل والمعلم والحمل والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحب والارادة والرضا والغضب وسائر صفات الكمال في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة وقوتها انساها جند من اجناد القلب فان العين طابعته ورائده الذي يكشف له المرئيات فان رأت شيئاً أدهه اليه ولشدة الارتباط الذى بينها وبينه اذا استقر فيه شيء ظهر فيها فهي مرآة المترجمة للاظاهر ما فيه كما ان اللسان ترجمان المؤدي للسمع ما فيه وهذا كثيراً ما يقرن بسوانه في كتابه بين هذه الثلاث كقوله (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنده مسؤولاً) وقوله (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفتشة) وقوله (صم بكم عمي) وقد تقدم ذلك وكذلك يقرن بين القلب والبصر كقوله (ونقلب أفتشتهم وأبصارهم) وقوله في حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال (ما زاغ البصر وما طغى) (وكذلك الاذن هي رسوله) المؤدي اليه (وكذلك) اللسان ترجمانه وبالجملة فسائر الاعضاء خدمه وجندوه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ان في الجسد مضغة اذا صاحت صاح طسائر الجسد واذا فسدت فسد طسائر الجسد الا وهي القلب (وقال أبو هريرة) القلب ملك الاعضاء جندوه فان طابت الملك طابت جندوه واذا خرب الملك خربت جندوه وجعلت الرئة له كالمرودة زروج عليه دائياً لانه اشد الاعضاء حرارة بل هو منبع الحرارة (واما الدماغ) وهو المخ فانه جعل بارداً وانختلف في حكمه ذلك فقالت طائفة انساً كان الدماغ بارداً لتبريد الحرارة التي في القلب ليبردها عن الافراط الى الاعتدال وردت طائفة هذا وقالت لو كان كذلك لم يكن الدماغ بعيداً عن القلب بل كان ينبغي ان يحيط به كالرئة او يكون قريباً منه في الصدر ليكسر حرارته قالت الفرقة الاولى بعد الدماغ من القلب لا يتنفس ما ذكرناه من الحكمة لانه لو قرب منه لغلبته حرارة القلب يقوتها بجعله بعيداً عنهما بحيث لا يتفاسدان وتعتدل كيفية كل واحد منها بكيفية الآخر وهذا بخلاف الرئة فانها آلة للتزويع على القلب لم تجعل لتعديل حرارته وتوسيع فرقه أخرى وقالت بل المخ حار لكنه فاتر الحرارة وفيه تبريد بالخصوصية فانه مبدأ للذهن وهذا كان الذهن يحتاج الى موضع ساكن قار صاف عن الاقذار والكدر خال من الجلبة والزجل ولذلك يكون جودة الفكر والتذكر واستخراج الصواب عند سكون البدن وفتر حركاته وقلة شواغله ومزعيجاته ولذلك لم يصلح طا القلب وكان الدماغ معتقداً في ذلك صالحاته ولذلك تجود هذه الافعال في الدليل وفي الموضع الخالي وتقدس عند التهاب نار الغضب والشهوة وعند اطم الشديد ومع النعب والحركات القوية البدنية والنفسانية (وهذا بحث متصل بقاعدة

أخرى) وهي ان الحواس والعقل هل مبدؤها القلب والدماغ (فقالت طائفة) مبدؤها
كلها القلب وهي مربطة به وبينه وبين الحواس منافذ وطرق قالوا وكل واحد من
هذه الاعضاء التي هي آلات الحواس له اتصال بالقلب بأعصاب وغير ذلك وهذه الاعصاب
تخرج من القلب الى ان تأتي الى كل واحد من هذه الاجسام التي فيها هذه الحواس
(قالوا فالعين) اذا ابصرت شيئاً أدهنه بالآلة التي فيها الى القلب لان هذه الآلة متصلة منها
إلى القلب والسمع اذا احس صوتاً أداه الى القلب وكذلك كل حاسة ثم اوردوا على
أنفسهم سؤالاً فقالوا (ان قيل كيف) يجوز ان يكون عضو واحد على ضروب من
من الامتزاج يده عدة حواس مختلفة واجسام هذه الحواس مختلفة وقوة كل حاسة
مختلفة لقوة الحاسة الأخرى (وأجابوا عن ذلك) بان جميع العروق التي في البدن كلها
متصلة بالقلب اما ب نفسها واما بواسطتها من عرق ولا عضو الا وله اتصال بالقلب اتصالاً
قريباً أو بعيداً قالوا وينبعث منه في تلك العروق والجاري الى كل عضو ما يتاسب به
ويشاكه فينبعث منه الى العينين ما يكون منه حس البصر والاذنين ما يدرك به
المسموعات واللحم ما يكون منه حس اللمس واللائق ما يكون به حس الشم واللسان
ما يكون به حس الذوق واللذي ذي قوة ما يهدى قوه ويتحققها فهو المعد لهذه
الاعضاء والحواس والقوى وهذا كان الرأي الصحيح انه أول الاعضاء تكوننا قالوا
ولا ريب ان مبدأ القوة العاقلة منه وان كان قد خالف في ذلك آخرون وقالوا بل العقل
في الرأس (الصواب ان مبدأ) ومن شاء من القلب وفرعوه ونهره في الرأس والقرآن
قد دل على هذا بقوله (أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقال (ان
في ذلك لذ كري لم يكمل له قلب) ولم يرد بالقلب هنا مضافة اللحم المشتركة بين الحيوانات
بل المراد ما فيه من العقل واللاب وناظعهم في ذلك طائفة أخرى وقالوا مبدأ هذه الحواس
انما هو الدماغ وانكروا ان يكون بين القلب والعين والاذن واللائق أعصاب أو
عروق وقالوا هذا كذب على الحقيقة (والصواب التوسط) بين الفريقين وهو ان
القلب تبعث منه قوة الى هذه الحواس وهي قوة معنوية لاحتياج في وصولها اليه الى
مجار مخصوصة وأعصاب تكون حاملة لها فان وصول القوى الى هذه الحواس
والاعضاء لا يتوقف الا على قبولها واستعدادها وامداد القلب لاعلى مجاري وأعصاب
وبهذا يزول الالتباس في هذا المقام الذي طال فيه الكلام وكذلك فيه النزاع والاختلاف
والله أعلم وبه التوفيق للصواب (ومقصود التنبيه) على أقل القليل من وجوه الحكمة
التي في خلق الانسان والامر اضعاف اضعاف مایختطر بالبال او يجري فيه المقال وانما

فائدة ذكر هذه الشذرة التي هي كلامي بالنسبة الى ما ورثها القتبة و اذا نظر العبد
 الى غذائه فقط في مدخله و مستقره و مخرجه رأى فيه العبر والمعجائب كيف جعلت له
 آلة يتناول بها ثم باب يدخل منه ثم آلة تقطعه صغاراً ثم طاحون يطعنه ثم أعين يماء
 يعيشته ثم جعل له بجرى و طريقاً الى جانب النفس ينزل هذا ويصعد هذا فلا يلتبسان
 مع نهاية القرب ثم جعل له حوايا و طرقاً توصله الى المعدة فهي خزانة و موضع اجتماعه
 و لها بيان باب أعلى يدخل منه الطعام و باب أسفل يخرج منه تفه و الباب الأعلى أوسع
 من الاسفل اذ الأعلى مدخل للمحاصل والأسفل مصرف لانصار منه والأسفل منطبق
 دائمآ ليستقر الطعام في موضعه فإذا انتهى الظمآن فان ذلك الباب يفتح الى انقضاء
 الدفع و يسمى الباب لذلك والاعلى يسمى في المعدة والطعام ينزل الى المعدة متكملاً
 فإذا استقر فيها انساع و ذاب و يحيط بالمعدة من داخلها وخارجها حرارة ثانية بل ربما
 تزيد على حرارة النار ينضج بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القدر بالنار المحبيطة به ولذلك
 يذيب ما هو مستحجر كالحصى وغيره حتى يتركه مائعاً فإذا أراده علا صفوه الى فوق
 ورمي كدره الى أسفل ومن المعدة عروق متصلة بسائر البدن يبعث فيها معلوم كل
 عضو وقوامه بحسب استعداده وقبوله فيبعث أشرف ما في ذلك والطفه وأخفه الى
 الأرواح فيبعث الى البصر بصرأً و الى السمع سمعاً و الى الثم شما و الى كل حاسة
 بحسبها فهذا العنق ما يتولد عن الغذاء ثم ينبع منه الى الدماغ ما يناسبه في الاطلاق
 والاعتدال ثم ينبع من الباقي الى الاعضاء في تلك الجموري بحسبها وينبع منه الى العظام
 والشعر والاظفار ما يغذيها ويخفظها فيكون الغذاء داخلاً الى المعدة من طرق ومجار
 وخارج منها الى الاعضاء من طرق ومجار هذا وارد إليها وهذا صادر عنها حكمة بالغة
 ونسمة سابقة ولما كان الغذاء اذا استحال في المعدة استحال دماً ومرة سوداء ومرة صفراء
 وببلغما اقتضت حكمته سبعاً وتعالى ان جعل لكل واحد من هذه الاختلاط مصرف
 ينصب اليه ويجتمع فيه ولا ينبع الى الاعضاء الشريفة الا كله فوضع المرأة مصباً
 للمرة الصفراء ووضع الطحال مقرأً للمرة السوداء والكبش تتصـل أشرف ما في ذلك
 وهو الدم ثم ينبع الى جميع البدن من عرق واحد ينقسم على مجاري كثيرة يوصل الى
 كل واحد من الشعور والاعصاب والمعظام والعروق ما يكون به قوامه ثم اذا نظرت الى
 ما فيه من القوى الباطنة والظاهرة المختلفة في أنفسها ومتافعها رأيت العجب العجاب
 كقوة سمعه وبصره وشم وذوقه ولمسه وجده وبفضله ورضاه وغضبه وغير ذلك
 من القوى المتعلقة بالادراك والارادة وكذلك القوى المتصرفة في غذائه كالقوية المتنفسة

له وكالقوة الماسكة له والدافعة له الى الاعضاء والقوة اهلاضمه له بعد أخذ الاعضاء حاجتها منه الى غير ذلك من عجائب خلقته الظاهره والباطنه
 (فصل) فارجع الان الى النطفة وتأمل حاها اولا وما صارت اليه ثانية وانه لو اجتمع الانس والجن على ان يختلفوا طاسعاً او بسراً او عقلاً او قدرة او عالماً او روساً بل عظماً واحداً من اصغر عظامها بل عرقاً من ادق عروقها بل شعرة واحدة ليعجزوا عن ذلك بل ذلك كله آثار صنع الله الذي اتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين فن هذا صنعه في قطرة ماء فكيف صنعه في ملكوت السموات وعلوها وسعتها واستدارتها وعظم خلقها وحسن بنائها وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها ومقدارها وأشكالها وتفاوت مشارقها وغاربها فلا ذرة فيها ت脫ك عن حكمه بل هي أحكم خلقاً وأتقن سرعاً وأجمع العجائب من بدن الانسان بل لانسبة الجميع ما في الارض الى عجائب السموات قال الله تعالى (أَنْتَ أَشَدُ خَلْقَنِي أَمِ الْحَمَّامُ بَنَاهَا وَرَفَعَ سُكْنَاهَا فَسُوَاهَا) وقال تعالى لأن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والذك التي تجري في البحر بما يمنع الناس الى قوله لايات لقوم يعقولون (قبدأ بذكر خلق السموات وقال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الاباب) وهذا كثير في القرآن فالارض والبحار والطواوه وكل ما تحت السموات بالإضافة الى السموات كقمرة في بحر وطنناقل ان تجني مسورة في القرآن الا وفيها ذكرها اما اخبارا عن عظمها وسعتها واما اقسامها واما دعاء الى النظر فيها واما ارشادا للعباد ان يستدلوا بها على عظمها بانيها ورافعها واما استدلالا منه سبحانه بمحاجنه بخلقها على ما اخبر به من المعاد والتيبة واما استدلالا منه بربوبيته طاعلي وحدانيته وانه الله الذي لا اله الا هو واما استدلالا منه بحسناها واستوانها والثمام اجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدره وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والمعجائب التي تقاصر عقول البشر عن قليلها فكم من قسم في القرآن بها كقوله (والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء وما يباها والسماء ذات الرجع والشمس وضحاها والنجم اذا هوى والنجم الثاقب فلا اقسم بالحسن) وهي الكواكب التي تكون خنسا عند طلوعها جوار في بحرها ومسيرها كنسا عند غروبها فاقسم بها في احوالها ثلاثة ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته اكثر من السماء والنجم والشمس والقمر وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الايات والمعجائب الدالة عليه وكلما كان اعظم آية وأبلغ في الدلاله كان اقسامه به اكثر من غيره وهذا يعظم سبحانه هذا القسم كقوله (فلا اقسم بواقع النجوم وانه

لهم لو تعلمون عظيم) وأظهر القولين أنه قسم بواقع هذه النجوم التي في السماء فان اسم النجوم عند الاطلاق إنما يتصرف إليها وأيضاً فانه لم يخبر عادته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن ولا في موضع واحد من كتابه حتى تحمل عليه هذه الآية وجرت عادته باستعمال النجوم في الكواكب في جميع القرآن وأيضاً فان نظير الأقسام بواقعها هنا إقسامه بهوي التجم في قوله (والنجم اذا هو) وأيضاً فان هذا قول جمهور أهل التفسير وأيضاً فانه سبحانه يقسم بالقرآن نفسه لا بوصوله إلى عباده بهذه طريقة القرآن قال الله تعالى (س والقرآن ذى الذكر ۚ يس والقرآن الحكم ۚ ق والقرآن الحميد ۖ ح والكتاب المبين) ونظائره (والمة صوداته سبحانه) إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته وقد أني سبحانه في كتابه على المتكلمين في خلق السموات والأرض وذم المعرضين عن ذلك فقال (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وتأمل خلق هذا السقف الأعظم مع صلابته وشدة وقوفه من دخان وهو بخار الماء قال الله تعالى (وبيننا فوقكم سبعاً شداداً) وقال تعالى (آأنت أشد خلقاً أم السماء بناهار فسماها فسواها) وقال (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) فانظر إلى هذا البناء العظيم الشديد الواسع الذي رفع سماكة أعظم ارتفاع وزنه بأحسن زينة وأودعه العجائب والآيات وكيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء وهو الدخان

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد لقد تعرف إلى خلقه بأنواع التعرفات ونصب لهم الدلالات وأوضح لهم الآيات البينات ليهلك من هلك عن بيته وبجي من حي عن بيته وإن الله لسميع عليم فارجع البصر إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها ودوراتها وطبيعتها وظروفها وشمسيها وقمرها واختلاف مشارقها ومحاربها ودروبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ولا تغير في سيرها بل تجري في منازل قدرت بها بحسب مقدار لا يزيد ولا ينقص إلى أن يعلوهما فاطرها وبديعها وانظر إلى كثرة كواكبها واختلاف الوانها ومقدارها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي (ثم انظر) إلى مسيرة الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي في كل يوم تطلع وتغرب بسير سخرا له خلقها لاستدعاءه ولا تفتر عنه ولو لا ملوعها وضر و بها ما عرف البيل والنهار ولا المواقف ولا طرق الفلاط على العالم أو الضياء ولم يحيز وقت المعاش من وقت السبات والراحة وكيف قدر لها العزيز العليم سفرين متبعدين أحد هما سفرها صاعدة إلى أوجها والثاني سفرها هابطة إلى حضيضها تنتقل في منازل هذا السفر متزلة متزلة حتى تبلغ غايها منه

فأحدث ذلك السفر بقدرة الرب القادر اختلاف الفصول من الصيف والشتاء والخريف والربيع فإذا انخفض سيرها عن وسط السماء برد الهواء وظهور الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد التبخر وإذا كانت بين المسافرين اعتدل الزمان وقامت مصالح العباد والحيوان والنبات بهذه الفصول الأربع واحتلت بسببها الأقواء وأحوال النبات وألوانه ومنافع الحيوان والأغذية وغيرها (وانظر) إلى القمر وعياله آياته كيف يبديه الله كالتخيط الدقيق ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة حتى ينتهي إلى إداره وكالة ونمامه ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حملة الاولى ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعبادتهم ومنا - كهم فتميزت به الأشهر والسنين وقام حساب العالم مع ماق ذلك من الحكم والآيات والعبارات التي لا يحصيها إلا الله (وبالجملة هنا من كوكب من الكواكب) الا ولرب تبارك وتعالى في خلقه حكم كبيرة ثم في مقداره ثم في شكله ولو نه ثم في موضعه من السماء وقربه من وسطها وبعده وقربه من الكوكب الذي يليه وبعده منه وإذا أردت معرفة ذلك على سبيل الإجمال فقله بأعضاء بدنك واحتلاتها وتفاوت ما بين التجاورات منها وبعد ما بين المتباعدات وأشكالها ومقدارها وتفاوت منافعها وما خلقت له وأين نسبة ذلك إلى عظم السموات وكواكبها وأيامها وقد اتفق أرباب الهيئة على أن الشمس بقدر الأرض مائة مرة ونيف أو ستين مرة والكواكب التي نراها كثير منها أصغرها بقدر الأرض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها وفي حديث أبي هريرة الذي رواه الترمذى أن بين الأرض والسماء مسيرة خمسة أيام وبين كل سماءين كذلك وأن ترى الكوكب كأنه لا يسير وهو من أول جزء من طلوعه إلى تمام طلوعه يكون ذلك قد طلع بقدر مسافة الأرض مائة مرة أو أكثر وذلك بقدر لحظة واحدة لأن الكوكب إذا كان بقدر الأرض مائة مرة مثلثاً ثم سار في اللحظة من موضع إلى موضع فقد قطع بقدر مسافة الأرض مائة مرة وزيادة في لحظة من اللحظات وهكذا يسير على الدوام والعبد غافل عنه وعن آياته وقال بعضهم إذا تلفظت بقولك لا نعم في بين الأفظتين تكون الشمس قد قطعت من الفلك مسيرة خمسة أيام ثم انه سبحانه أمسك السموات مع عظمها وعظم ما فيها وبتها من غير علاقة من فوقها ولا عمود من تحتها (الله الذي خلق السموات بغير عمود زروها وألق في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأبكتا فيها من كل زوج كريم هذا خالق الله فارونى ماذا خالق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)

(فصل والنظر في هذه الآيات) وأمثالها نوعان نظر إليها بالبصر الظاهر في مثلا

(٢٧ - مفتاح أول)

زقة السماء ونجومها وعلوها وسمتها وهذا نظر يشارك الانسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالامر والثاني أن يتجاوز هذا الى النظر بالبصرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملائكتها وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينضر سنته وعظمته وجلاله وبمحده ورفعته وبرى الملائكة السموات السبع والارضين السبع بالنسبة اليه كحافة ملقاء بأرض فلادا وبرى الملائكة حاففين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقدیس والتکبر والامر ينزل من فوقه بتدبر الملائكة والجنود التي لا يعلمها الا ربها وملكها فينزل الامر باحياء قوم وإماتة آخرين وإنعاز قوم وإذلال آخرين وإسعاد قوم وشقاوة آخرين وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل الى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتباهي وكفرها من جبر كسر وإغناه فقير وشفاء مريض وفريح كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان خائف وإجارة مستجير ومدد اضعيف وإغاثة للمهوف وإعانته لمعاجز وانتقام من ظالم وكف لعدوان فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العالم لا يشغلها سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغفاء كثرة المسائل والحواجن على اختلافها وتباهي والحاد وقها ولا يتبرم بالحاج الملحقين ولا تنقص ذرة من خزاناته لا الله الا هو العزيز الحكيم فينذر يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيبته خائعاً لعظمته عانٍ لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم المزيد فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه وهذا من أعظم آيات الله ومجائب صنعه في الالام من سفر ما يدركه وأروجه وأعظم ثمراته وربحه وأجل منفعته وأحسن عاقبتها سفر هو حياة الارواح ومفتاح السعادة وغنية العقول والالباب لا كاسف الذي هو قطعة من العذاب

(فصل) واذا نظرت الى الارض وكيف خلقت رأيتها من اعظم آيات فاطرها وبديعها خلقها بسحابة فراشاً ومهاداً وذللها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل لينقلوافها في حواتفهم ونصرفاتهم وأرساها بالجبال بفعلها أو تاداً تحفظها لثلا تميد بهم ووسع أكناها ودحاتها قدرها وبسطها وطحاحتها فوسعها من جوانها وجعلها كفانا للحياة تضمهم على ظهر هاماداموا أحياء وكفانا لللاموات تضمهم في بطئها اذا ماتوا فظيرها وطن للحياة وبطنها وطن للاموات وقد أكثر تعالى من ذكر الارض في كتابه ودعا عباده الى النظر اليها والتفكير في خلقها فقال تعالى (والارض فرشناها فنم الماهدون • الله الذي جعل لكم الارض قراراً • الذي جعل لكم الارض فرشاً • افلا

ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى
 الارض كيف سطحت ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهذا كثير في
 القرآن فانظر اليها وهي ميزة هامدة خاشعة فإذا أتزلنا عليها الماء اهتزت فتحركت وربت
 فارتفعت واخضرت وأنبتت من كل زوج بحیج فأخرجت عجائب النبات في المنظر والخبر ببحیج
 للناظرين كريم للمتأولين فأخرجت الأقواف على اختلافها وتبين مقاديرها وأشكالها
 وألوانها ومناقعها والفوائد والمغار وأنواع الأدوية ومراعي الدواب والغاب (نم انظر)
 قطعها المجاورات وكيف ينزل عليها ما واحداً فتثبت الأزواج المختلفة المتباينة في الألوان
 والشكل والرائحة والعلم والمنفعة واللقاء واحداً والام واحدة كما قال تعالى (وفي الارض
 قطع متجاورات وجنتان من أشجار وزرع وتحليل صنوان وغير صنوان يدق بذاته واحد
 ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يتعلمون) فكيف كانت هذه
 الاجنة المختلفة مودعة في بطون هذه الام وكيف كان حملها من لقاء واحد صنع الله الذي
 أتفن كل شيء لا إله الا هو ولو لا ان هذا من أعظم آياته لما نبه عليه عباده وهدتهم
 الى التفكير فيه قال الله تعالى (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَتَزَلَّنَا عَلَيْهَا مَاءً هَمَّتْ
 وَرَبَتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِحِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يَحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لِرِبِّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنَ الْقُبُورِ) فجعل النظر في هذه
 الآية وما قبلها من خلق الجنين دليلاً على هذه النتائج الحسنية مستلزمًا للعلم بها ثم انظر
 كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشواخي الصم الصاب وكيف نصبتها
 فاحسن نصبتها وكيف وفعها وجعلتها أصابع أجزاء الارض ثلاثة تض محل على تعاطول
 السفين وترادف الامطار وارياح بل أتفن صنعتها وأحكم وضعها وأودعها من انتاج
 والمعادن والعيون ما أودعها ثم هدى الناس الى استخراج تلك المعادن منها وألهمهم كيف
 يصنعون منها النقود والحلبي والزينة واللباس والسلاح وآلية المعاش على اختلافها ولو لا
 هدايته سبحانه لهم الى ذلك لما كان لهم علم شيء منه ولا قدرة عليه (ومن آياته الباهرة)
 هذا الهواء العظيف المحبوس بين السماء والارض يدرك بمحض اللمس عند هبوته
 يدرك جسمه ولا يرى شخصه فهو يجري بين السماء والارض والطير مختلفاً في سماحة
 بأجنحتها في أمواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجهه
 عند هبوته كما تضطرب أمواج البحر فإذا شاء سبحانه وتعالي حرركه بحركة الرحمة شمله
 رحاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمه ولا يخفى لصحابه يلقيه بمحمل الماء كما يلقي الذكر
 الأني بالحدائق وتنسى رياح الرحمة المبشرات والنشر والذكريات والرسالات والرحاء

والواقع ورياح العذاب العاصف والقاسف وهو في البحر والعقيم والصرصار وهو في البر وان شاء حر كه بحركة العذاب فجعله عقيماً وأودعه عذاباً أليماً وجعله نفحة على من يشاء من عباده فيجعله صر صراً ونخساً وعانياً ومفسداً لما يمر عليه وهي مختلفة في مهابها فتها صباً ودبور وجنوب وشمال وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فريح لينة رطبة تغذى النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه وأخرى تهلكه وتعطبها وأخرى تشده وتصلبه وأخرى توهنه وتضعفه . ولهذا يخبر سبحانه عن رياح الرحمة بصيغة الجمجم لاختلاف منافعها وما يحدث منها . فريح نشر السحاب وريح تلصحه وريح تحمله على متونها وريح تغذى النبات . ولما كانت الرياح مختلفة في مهابها وطبقاتها جعل لكل ريح ريماماً مقابلتها تكسر سورتها وحدتها ويبيق ليها ورحمتها فريح الرحمة متعددة وأما ريح العذاب فإنه ريح واحدة ترسل من وجه واحد لاهلاك ما ترسل باهلاكه فلا تقوم طاريج أخرى تقابلها وتكسر سورتها وتدفع حدتها بل تكون كالجيش العظيم الذي لا يقاومه شيء يدمر كل ما أني عليه . وتأمل حكمة القرآن وجلالته وفصاحة كيف طرد هذا في البر وأما في البحر بخلاف ريح الرحمة فيه بالفظ الواحد كقوله تعالى (هو الذي يسركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرت بهم ريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان) فان السفن اما تسير بالريح الواحدة التي تأتي من وجه واحد فإذا اختلفت الرياح على السفن وتقابلات لم يتم سيرها فالمقصود منها في البحر خلاف المقصود منها في البر إذ المقصود في البحر ان تكون واحدة طيبة لا يعارضها شيء فأفردت هنا وجمعت في البر . ثم انه سبحانه أعطى هذا المخلوق اللطيف الذي يحركه أضعف المخلوقات ويخرقه من الشدة والقوة والباس ما يطلق به الأجسام الصلبة القوية الممتدة وزرعها عن أماكنها ويفتحها ويحملها على متنه فاظظر اليه مع لطافته وخفة اذا دخل في الزق متلاً وامتلاً به ثم وضع عليه الجسم الثقيل كالرجل وغيره وتحامل عليه بغمسه في الماء يطعن ويزعجهما عن أماكنها ويفتحها ويحملها على متنه وجه الماء فيرسب فيه فامتنع هذا اللطيف من قهر الماء له ولم يتمتع منه القوى الشديدة وبهذه الحكمة أمسك الله سبحانه السفن على وجه الماء مع ثقلها وقل ما تحويه وكذلك كل مجوف حل فيه الهواء فإنه لا يرسب فيه لأن الهواء يتمتع من الغوص في الماء فتتعلق به السفينة المشحونة الملوثة فتأمل كيف استجوار هذا الجسم الثقيل العظيم بهذا اللطيف الخفيف وتعلق به حتى أمن من الغرق وهذا كالذى يهوى في قايب فيتعلق بذيل رجل قوي شديد يتمتع عن السقوط في القايب فينجو بتعلقه به فسبحان من علق هذا

المركب العظيم الثقيل بهذا الهواء البطيء من غير علاقة ولا عقدة تشاهد (ومن آياته
 السحاب المسخر بين السماء والأرض) كيف ينشئه سبحانه بالرياح فتثيره كـ غـافـم
 يؤلف بيته ويضم بعضه إلى بعض ثم تلتفه الريح وهي التي سماها سبحانه لواقع نـمـ بـسـوقـه
 على متونها إلى الأرض احتاجة إليه فإذا علاها واستوى عليها أهراق ماء عليهـاـ فيـرـسـلـ
 سبحانه عليه الريح وهو في الجو فتدزوه وفرقـهـ ثـلـاثـاـ يـؤـذـىـ وـيـهـمـ ماـيـنـزـلـ عـلـيـهـ بـعـمـلـهـ
 حتى إذا رويت وأخذـتـ حاجـتهاـ منهـ أـفـاعـهـ عـنـهـ وـفـارـقـهـ فـهـيـ روـاـيـاـ الأـرـضـ مـحـولـةـ عـلـىـ
 ظـهـورـ الـرـيـاحـ وـفـيـ التـزـمـدـ وـغـيرـهـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـاـرـأـيـ السـحـابـ قـالـ هـذـهـ
 روـاـيـاـ الأـرـضـ يـسـوـقـهـ اللـهـ إـلـىـ قـوـمـ لـاـ يـشـكـرـوـنـهـ وـلـاـ يـذـكـرـوـنـهـ فـالـسـحـابـ حـاـمـلـ رـزـقـ الـعـبـادـ
 وـعـبـرـهـ الـيـ عـلـيـهـ مـيـرـتـهـ وـكـانـ الـحـسـنـ إـذـ رـأـيـ السـحـابـ قـالـ فـيـ هـذـاـ وـالـلـهـ رـزـقـكـ
 وـلـكـنـكـ تـخـرـمـوـنـ بـخـطـابـكـ وـذـنـوبـكـ وـفـيـ الصـحـيـحـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ بـيـنـاـ
 رـجـلـ بـفـلـةـ مـنـ الـأـرـضـ إـذـ سـمـعـ صـوتـاـ فـيـ سـحـابـةـ إـسـقـ حـدـيـقـةـ فـلـانـ فـرـ الرـجـلـ مـعـ
 السـحـابـةـ حـتـىـ أـتـتـ عـلـىـ حـدـيـقـةـ فـلـامـ تـوـسـطـهـ أـفـرـغـتـ فـيـهـ مـاءـهـ فـإـذـ بـرـجـلـ مـعـ مـسـحـةـ
 يـسـجـيـ المـاءـ بـهـ فـقـالـ مـاـ أـسـكـ يـأـبـدـ اللـهـ قـالـ فـلـانـ لـلـاسـمـ الـذـيـ سـمـعـهـ فـيـ السـحـابـةـ (وـبـالـجـلـةـ)
 فـإـذـ تـأـمـلـ السـحـابـ الـكـثـيـفـ الـمـفـلـمـ كـيـفـ تـرـاهـ يـجـمـعـ فـيـ جـوـصـافـ لـاـ كـدـورـةـ فـيـهـ وـكـيـفـ
 يـخـلقـهـ اللـهـمـيـ شـاءـ وـإـذـ شـاءـ وـهـوـ مـعـ لـيـهـ وـرـخـاوـهـ حـاـمـلـ لـلـمـاءـ الـتـقـيلـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ
 إـلـىـ أـنـ يـأـذـنـ لـهـ رـبـهـ وـخـالـقـهـ فـيـ اـرـسـالـ مـاـ مـعـهـ مـنـ المـاءـ فـيـرـسـلـهـ وـيـنـزـلـهـ مـنـهـ مـقـطـلـاـ مـعـ القـطـرـاتـ
 كـلـ قـطـرـةـ بـقـدـرـ مـخـصـوصـ اـقـضـتـهـ حـكـمـهـ وـرـحـتـهـ فـيـرـشـ السـحـابـ المـاءـ عـلـىـ الـأـرـضـ رـشـاـ
 وـبـرـسـلـهـ قـطـرـاتـ مـفـصـلـةـ لـاـ تـخـتـلـطـ قـطـرـةـ مـنـهـ بـأـخـرـىـ وـلـاـ يـتـقـدـمـ مـتـأـخـرـهـ وـلـاـ يـتأـخـرـ
 مـتـقـدـمـهـ وـلـاـ تـدـرـكـ القـطـرـةـ صـاحـبـهـ فـتـمـزـجـهـ بـلـ تـنـزـلـ كـلـ وـاـحـدـةـ فـيـ الطـرـيقـ الـذـيـ
 رـسـمـ هـاـ لـاـ تـعـدـلـ عـنـهـ حـتـىـ تـصـبـ الـأـرـضـ قـطـرـةـ قـطـرـةـ قـدـ عـيـنـتـ كـلـ قـطـرـةـ مـنـهـ جـزـءـ مـنـ
 الـأـرـضـ لـاـ تـتـعـدـاهـ إـلـىـ غـيرـهـ فـلـوـ اـجـتـمـعـ الـخـلـقـ كـلـهـمـ عـلـىـ أـنـ يـخـلـقـوـاـ مـنـهـ قـطـرـةـ وـاحـدـةـ أـوـ
 يـحـصـواـ عـدـدـ الـقـطـرـاتـ فـيـ لـحـنـةـ وـاحـدـةـ لـعـزـرـواـ عـنـهـ . فـتـأـمـلـ كـيـفـ يـسـوـقـ سـبـحـانـهـ رـزـقاـ
 لـلـعـبـادـ وـالـدـوـاـبـ وـالـطـيـرـ وـالـذـرـ وـالـنـفـلـ يـسـوـقـهـ رـزـقاـ لـلـحـيـوانـ الـفـلـانـيـ فـيـ الـأـرـضـ الـفـلـانـيـةـ
 بـجـانـ الـجـبـلـ الـفـلـانـيـ فـيـصـلـ إـلـيـهـ عـلـىـ شـدـدـةـ مـنـ الـحـاجـةـ وـالـعـطـشـ فـيـ وـقـتـ كـذـاـ وـكـذـاـ
 . نـمـ كـيـفـ أـوـدـعـهـ فـيـ الـأـرـضـ نـمـ أـخـرـجـهـ بـأـنـوـاعـ الـأـغـذـيـةـ وـالـأـدـوـيـةـ وـالـأـقـوـاتـ فـهـذـاـ
 النـبـاتـ يـغـذـىـ وـهـذـاـ يـصـاحـبـ الـغـذـاءـ وـهـذـاـ يـشـنـهـ وـهـذـاـ يـضـعـفـ وـهـذـاـ سـمـ قـاتـلـ وـهـذـاـ شـفـاءـ
 مـنـ السـمـ وـهـذـاـ يـمـرـضـ وـهـذـاـ دـوـاءـ مـنـ الـمـرـضـ وـهـذـاـ يـبـرـدـ وـهـذـاـ يـسـخـنـ وـهـذـاـ إـذـ حـصـلـ
 فـيـ الـمـعـدـةـ قـمـ الصـغـرـاءـ مـنـ أـعـمـاقـ الـعـرـوـقـ وـهـذـاـ إـذـ حـصـلـ فـيـهـ وـلـدـ الصـفـرـاءـ وـاستـحـالـ

إليها وهذا يدفع البلغم والسوداء وهذا يستحبيل اليهما وهذا يهيج الدم وهذا يسكن
وهذا ينوم وهذا يمنع النوم وهذا يفرح وهذا يجعل الفم الى غير ذلك من عجائب البناء
التي لا تكاد تخلو ورقة منها ولا عرق ولا ثمرة من منافع تعجز عقول البشر عن الاحاطة
بها وفضائلها وانظر الى مجازي الماء في تلك العروق الرقيقة الضئيلة الضعيفة التي لا يكاد
البصر يدركها الا بعد تجديده كيف يقوى قسره واجتذابه من مقره ومركيزه الى فوق
ثُم ينصرف في تلك المجاري بحسب قبوطاً وسعتها وضيقها ثم تفرق وتشعب وتدق الى
غاية لا ينالها البصر ثم انظر الى تكون حل الشجرة وفقتها من حال الى حال كتنقل
أحوال الجنيين المغيب عن الأ بصار ترى العجب العجاب فتبارك الله رب العالمين وأحسن
الخالقين بينما راها حطباً فاما عارياً لا كسوة عليها إذ كساها ربها وخالفها من الزهر
أحسن كسوة ثم سلها تلك الكسوة وكساها من الورق كسوة هي أثبت من الأولى ثم
اطلع فيها حلها ضغيفاً شيئاً بعد انت أخرج ورقها صيانة وتوبأ لتلك المثرة الضعيفة
لتستجن به من الحر والبرد والآفات ثم ساق الى تلك الغار رزقها وغذتها في تلك العروق
والمجاري فتفذت به كما يتغذى الطفل ببيان أممٍ ربها ونعاها شيئاً شيئاً حتى استوت
وكلت وتناهى ادراكها فاخرج ذلك الجني المذيد الذين من تلك الحطبة الصماء هذا وكما
له من آية في كل ما يقع الحسن عليه وبصره العبد وما لا يبصرونه فتنى الاعمار دون
الاحاطة بها وبجميع فضائلها

(فصل) ومن آياته سبحانه وتعالى الليل والنهار وما من أَعْجَب آيَةٍ وبدائع
مصنوعاته وهذا يعيد ذكرها في القرآن ويبيّنه كقوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سَيَّاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)
وقوله (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ
اللَّيْلِ سَكَنًا وَلِبَاسًا يَعْنِي الْعَالَمَ فَتَسْكُنَ فِيهِ الْحَرَكَاتُ وَتَأْوِي الْحَيَّاتُ إِلَيْهَا وَالظِّيَارُ
إِلَى أَوْكَارِهَا وَتَسْتَجِمُ فِيهِ النُّفُوسُ وَتَسْتَرِعُ مِنْ كُلِّ السَّعْيِ وَالتَّعْبِ حَتَّى إِذَا أَخْذَتْ مِنْ
النُّفُوسُ رَاحْتَهَا وَسَبَّابَهَا وَتَطَلَّعَتْ إِلَى مَعَايِشِهَا وَتَصْرَفَهَا جَاءَ فَالْأَصْبَاحُ سَبَّابَهَا وَتَعَالَى
بِالنَّهَارِ يَقْدِمُ جَيْشُهُ بِشِيرِ الصَّبَاحِ فَهُمْ زُلْمَةٌ وَمِنْ قَهْرِهَا كُلُّ عَزْلٍ وَكَدْفَهَا عَنِ الْعَالَمِ
فَإِذَا هُمْ يَبْصِرُونَ فَأَنْتَرُ الْحَيَّاتَ وَتَصْرُفُ فِي مَعَاشِهِ وَمَصَاصِهِ وَخَرَجَتِ الطَّيْورُ مِنْ
أَوْكَارِهَا فِي الْأَيَّامِ مِنْ مَعَادٍ وَنَشَأَ دَالٌ عَلَى قُدرَةِ اللهِ سَبَّابَهَا عَلَى الْمَعَادِ إِلَّا كَبَرَ وَتَكَرَّرَهُ

ودوام مشاهدة النفوس له بحيث صار عادة ومالقاً منعها من الاعتبار به والاستدلال به على
 النشأة الثانية وأحياء الخلق بعد موتهم ولا ضعف في قدرة القادر التام القدرة ولا قصور
 في حكمته ولا في علمه يوجب تناقض ذلك ولكن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء
 وهذا أيضاً من آياته الباهرة أن يعمي عن هذه الآيات الواضحة البينة من شاء من خلقه
 فلا يهتدى بها ولا يبصرها لمن هو واقف في الماء إلى حلقه وهو يستغيث من العطش
 ويذكر وجود الماء وبهذا وأمثاله يعرف الله عزوجل ويذكر ويحمد ويترسّع إليه ويسأله
 (فصل) ومن آياته وعجب ثواب مصنوعاته بالبحار المكتنفة لأقطار الأرض التي هي
 خليجان من البحر المحيط الأعظم بجميع الأرض حتى ان المكشوف من الأرض والجبال
 والمدن بالنسبة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مغمورة بالماء ولو لا امساك
 الرب تبارك وتعالى له بقدرته ومشيئته وحبه الماء لعافحة على الأرض وعالها كلها هذا
 طبع الماء وهذا حار عقام الطبيعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض مع اقتضاء
 طبيعة الماء لعلو عليه وأن يغمره ولم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك الا الاعتراف بالعنایة
 الأزلية والحكمة الالهية التي اقتضت ذلك ليعيش الحيوان الأرضي في الأرض وهذا
 حق ولكن يوجب الاعتراف بقدرة الله وارادته ومشيئته وعلمه وحكمته وصفات كماله
 ولا يحيص عنه . وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم
 الا والبحر يستاذن ربها أن يغرق بني آدم . وهذا أحد الأقوال في قوله عن وجل
 (والبحر المسجور) انه المحبوس حكاہ ابن عطية وغيره . قالوا ومنه ساجور الكلب
 وهي القلادة من عود او حديد التي تمسك وكذلك لو لا أن الله يحب البحر وعساكه
 لنماض على الأرض فالرُّض في البحر كيت في جلة الأرض وإذا تأملت عجائب البحر
 وما فيه من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأشكالها ومقدارها ومتناقضها ومتضادتها وألوانها
 حتى ان فيها حيواناً أمثال الجبال لا يقوم له شيء وحق ان فيه من الحيوانات ما يرى ظهورها
 فيظن أنها جزيرة فتنزل الركاب عليها فتحس بالنار اذا أوقدت فتتحرك فيعلم انه حيوان
 وما من صنف من أصناف حيوان البر الا وفي البحر أمثاله حتى الانسان والفرس والببر
 وأصنافها وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر أصلاً هذا مع ما فيه من الجواهر والمؤثرات
 والمرجان فترى المؤثرات كيف أودعت في كن كاليت طاوهي الصدفة تكتها وتحفظها ومنه
 المؤثر المكنون وهو الذي في صدفه لم تمسه اليدى وتأمل كيف بنت المرجان في قعره
 في الصخرة الصماء تحت الماء على هيئة الشجر هذا مع ما فيه من العنبر وأصناف التفائس
 التي يتدفقها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن وسيرها في البحر تشقة

وتحتره بلا قائد يقودها ولساائق يسوقها وإنما قائدها وسائلها الرياح التي يسخرها الله لاجر ائتها فإذا حبس عنها القائد والساائق ظلت راكدة على وجه الماء قال الله تعالى (ومن آياته الجواري في البحر كالاعلام ان يشأ يكن الرياح فيفللن روا كد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وقال الله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لئلا كلوا منه طمرا وستخرجوا منه حلية تلبونها وترى الغلاك مواخر فيه ولتبغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فما أعظمها من آية وأينما من دلالة وهذا يكرر سبحانه ذكرها في كتابه كثيراً وبالجملة فعجبات البحر وآياته أعظم وأكثر من أن يحصيها إلا الله سبحانه وقال الله تعالى (انا لما طغى الماء حلناكم في الجاربة لتجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) (فصل) ومن آياته سبحانه خلق الحيوان على اختلاف صفاته وأجناسه وأشكاله ومنافعه والوانه وعجباته المودعة فيه فنه المائي على بعله ومنه المائي على رجله ومنه المائي على أربع ومنه ماجمل سلاحه في رجليه وهو ذو المخالب ومنه ماجمل سلاحه المنافق كالنسر والرخم والغراب ومنه ماسلاحه الاسنان ومنه ماسلاحه الصصاصي وهي القرون يدافع بها عن نفسه من يروم أخذته ومنه ما أعطى منها قوة يدفع بها عن نفسه لم ينج إلى سلاح كالأسد فأن سلاحه قوته ومنه ماسلاحه في ذرق وهو نوع من الطير اذا دنا منه من يريد أخذته ذرق عليه فأهلكه ونحن نذكر هنا فصولاً مشورة من هذا الباب مختصرة وان تضمنت بعض التكرار وترك الترتيب في هذا المقام الذي هو من أهم فصول الكتاب بل هو اب هذا القسم الاول وهذا يكرر في القرآن ذكر آياته ويعدها ويبيها ويأمر عباده بالنظر فيها مرة بعد أخرى فهو من أجل مقاصد القرآن قال الله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لا أولى الالباب) وقال تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) وقال الله تعالى (أولم ينظروا في ملوك السموات والارض وماخلق الله من شيء) وقال تعالى (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحب من الميت ويخرج الميت من الحب ذلك الله فاني تؤفكون فاللق الاسلح وجاء بالليل سكناً والشمس والقمر حساناً ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يفهون وهو الذي أنزل من السماء ما فاخر جنبا به نبات كل شيء فآخر جنبا منه خضراء نخرج منه حباً متراً كيناً ومن التخل من طعمها قوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتها وغير مشتها انظروا الى نهره اذا

أُنْهَرْ وَيَنْعِهِ) فَأَمْرَ سِبْحَانَهُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَقْتُ خَرْوَجَهُ وَإِنْتَارَهُ وَوقْتُ نَضْجَهُ وَادْرَاكَهُ يَغَالِ
أَيْنَتَ الْهَارِ اذَا نَضَجَتْ وَطَابَتْ لَأْنَ فِي خَرْوَجَهُ مِنْ بَيْنِ الْحَطَبِ وَالْوَرَقِ آيَةً بَاهِرَةً
وَقُدْرَةً بِالْغَةِ ثُمَّ فِي خَرْوَجَهُ مِنْ حَدِ الْمَفْوَصَةِ وَالْيَوْسَةِ وَالْمَرَأَةِ وَالْمَوْسَةِ إِلَى ذَلِكَ
الْأَلْوَنِ الْمُشْرَقِ النَّاصِعِ وَالْقَطْمَانِ الْحَلْوِ الْأَذِيدِ الشَّهِيِّ لِآيَاتِ لِقَوْمٍ يَؤْمِنُونَ وَقَالَ بَعْضُ السَّافِ
حَقٌّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَخْرُجُوا وَقْتَ ادْرَاكِ الْهَارِ وَيَنْعِهَا فَيَنْظَرُوا إِلَيْهَا ثُمَّ تَنِي اَنْظَرُوا إِلَى
نَهَرِهِ اذَا أُنْهَرْ وَيَنْعِهِ وَلَوْ أَرَدْنَا نَسْتَوْعَبَ مَا فِي آيَاتِ اللَّهِ الْمَشْهُورَةِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالدَّلَالَاتِ
الشَّاهِدَةِ لِهِ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَإِنَّهُ الَّذِي لَا أَعْظَمُ مِنْهُ
وَلَا أَكْلُ مِنْهُ وَلَا أَبْرُ وَلَا أَعْطُ لِعْجَزَنَا نَحْنُ وَالْأَوْلَوْنَ وَالآخِرُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ أَدْنَى
عَشَرَ مَعْشَارَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ مَا لَيْدَرَكَ جَمِيعَهُ لَا يَنْعِي تَرْكُ التَّنْبِيَّةِ عَلَى بَعْضِ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ
عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا حِينَ الشَّرْوَعُ فِي الْفَصُولِ

(فصل) تأمل العبرة في وضع هذا العالم وتتأليف أجزائه ونظامها على أحسن نظام
وأدله على كمال قدرة خالقه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال اعلمه فانك اذا تأملت العالم
وجده كاليت المبني المعد فيه جميع آلامه ومصالحه وكل ما يحتاج اليه فالله سقفه
المرفوع عليه والارض مهاد وبساط وفراش ومستقر للساكن والشمس والقمر سراجان
يزهران فيه والتجموم مصابيح له وزينة وأدلة لمنتقل في طرق هذه الدار والجوامِر
والمعادن محزونة فيه كالذخائر والحواسل المعدة المهاجرة كل شئ منها شأنه الذي يصلح
له وضرور البابات مهياً لماربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه فتها الركوب
ومنها الحلوى ومنها الغذاه ومنها الدراس والامتنعة والآلات ومنها الحرس الذي وكل بحرس
الانسان يحرسه وهو نائم وقادع مما هو مستعد لاهلاكه وأذاته فلولا مسلط عليه من
ضده لم يقدر للانسان قرار بينهم وجعل الانسان كملك الخمول في ذلك الحكم فيه المتصرف
بغسله وأمره في هذا أعظم دلالة وأوضاعها على ان العالم مخنوقد خالق حكيم قدير عالم
قدره أحسن تقدير ونظامه أحسن نظام وان الخالق له يستحيل ان يكون اثنين بل
الله واحد لا الله لا هو تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً وانه لو كان
في السموات والارض الله غير الله افسد أمرها واحتفل نظامها وتعطل مصالحها
وإذا كان البدن يستحيل ان يكون المدب له روحان متكافئان متساويان ولو كان كذلك
افسد وعلك مع امكان ان يكون تحت قهر ثالث هذا من الحال في أوائل العقول وبداية
الفطر فلو كان فيما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ما أخذنا
الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
(٢٨ - مفتاح اول)

سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فهذا برهانان يعجز الاولون والآخرون ان يقدحوا فيما يقدح صحيح او يأثروا بأحسن منها ولا يعترض على ما الا من لم يفهم المراد منها ولو لا خشية الاطالة لذكرنا تقديرها وبيان مانضمناه من السر العجيب والبرهان الباهر وسفرد ان شاء الله كتابا مستقلا لادلة التوحيد

(فصل) فتأمل خلق السماه وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من اعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعها وقرارها بحيث لا تتصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالاجسام الثقيلة ولا تحد تحتها ولا علاقة فوقها بل هي مسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولاشق ولا امت ولا عوج ثم تأمل ما وضع عليه من هذا اللون الذي هو احسن الالوان وأشدتها موافقة للبصر وتقوية له حتى ان من اصابه شيء اضر بصريه يؤمر بادمان النظر الى الخضراء وما قرب منها الى السواد وقال الاطياب ان من كل بصريه فإنه من دوائه ان يديم الاطلاع الى اجياله خضراء ملوءة ما فتأمل كيف جعل اديم السماه بهذا اللون ليحيى الابصار المتقلبة فيه ولا ينكأ فيها بطول مباشرتها له هذا بعض فوائد هذا اللون والحكمة فيه اضعاف ذلك

(فصل) ثم تأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما لاقامة دولتي الليل والنهار ولو لا طلوعهما لبطل أمر العالم وكيف كان الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مقلعة عليهم وكيف كانوا يتنهون بالعيش مع فقد النور ثم تأمل الحكمة في غروبهما فانه لو لا غروبهما لم يكن للناس هدو ولا قرار مع فرط الحاجة الى السبات وجموم الحواس وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم المعنين على هضم الطعام وتنفيس الغذاء الى الاعضاء ثم لو لا الغروب ل كانت الارض تحمي بدورام شروق الشمس واتصال طلوعها حتى يحترق كل ما غالبا من حيوان ونبات فصارت تطلع وقتا بغير ليلة السراج يرفع لاهل البيت ليقضوا حوالفهم ثم تغيب عنهم مثل ذلك ليقرروا ويهدوا وصار ضياء النهار مع ظلام الليل وحر هذا مع برد هذا مع تضادهما متعاونين متظاهرين بما تسام مصالح العالم وقد أشار تعالى الى هذا المعنى ونبه عباده عليه بقوله عن وجل (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من إله غير الله يأنسكم بضياء أفلأ تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من إله غير الله يأنسكم بليل تسكون فيه أفلأ تبصرون) خص سبحانه النهار بذكر البصر لانه محله وفيه سلطان البصر وتصريفه وخص الليل بذكر السمع لأن

سلطان السمع يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات مالاتسمع في النهار لانه وقت هدوء الا صوات و خود الحركات و قوة سلطان السمع و ضعف سلطان البصر والنهار بالعكس فيه قوة سلطان البصر و ضعف سلطان السمع فقوله أفلأ تسمعون راجع الى قوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سر مدا الى يوم القيمة من الله غير الله يائكم به و قوله أفلأ تبصرون راجع الى قوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سر مدا الى يوم القيمة وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماه بروجا وجعل فيها سراجاً وفراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو اراد شكورا) فذكر تعالى خلق الليل والنهار وانهما خلفة اى يختلف احـدـها الآخر لا يجتمع معه ولو اجتمع معه لغافـات المصالحة بـتـعـاقـبـهـماـ وـاـخـلـافـهـماـ وـهـذـاـ هوـ المرـادـ باختلاف الليل والنهار كـوـنـ كلـواـحدـ مـنـهـماـ يـخـلـفـ الآخر لا يـجـامـعـهـ ولا يـحـاذـيهـ بلـ يـغـشـىـ أحـدـهـماـ صـاحـبـهـ فـيـ طـلـبـهـ حـثـيـاـ حتـىـ يـزـيلـهـ عـرـبـ سـلطـانـهـ ثـمـ بـحـيـيـهـ الـآـخـرـ عـقـيـقـيـهـ فـيـ طـلـبـهـ حـثـيـاـ حتـىـ بـهـزـمهـ وـيـزـيلـهـ عنـ سـلطـانـهـ فـيـماـ دـاءـاـ بـسـطـطـانـاـنـ وـلـاـ يـدـرـكـ أحـدـهـماـ صـاحـبـهـ

(فصل) ثم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لاقامة هذه الأزمنة والفترس ول وما فيها من المصالح والحكم إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفatas مصالح الفصول الباقيه فيه فلو كان صيفاً كله لفatas مصالح الشتاء ولو كان شتاء لفatas مصالح الصيف وكذلك لو كان زيراً كله أو خريفاً كله ففي الشتاء تغير الحرارة في الأجوف وبطون الأرض والجبال فتولد مواد الماء وغيرها وتبرد الفتواء ويستكثف فيه الهواء فيحصل السحاب والمطر والنرج والبرد الذي به حياة الأرض وأهلها واستناداً إلى الحيوان وقوتها وزيادة القوى الطبيعية واستخلاف ماحملته حرارة الصيف من الإبدان وفي الربيع تحرر العلائم وتنظر المواد التولدة في الشتاء فيظهر النبات وينتور الشجر بالزهر ويتحرك الحيوان للتناسل وفي الصيف يختنق الهواء ويسخن جداً فتضجع الماء وتخل فضلات الإبدان والاختلاط التي انعقدت في الشتاء وتغور البرودة وتهرب إلى الأجوف ولهمذا تبرد العيون والآبار ولا تضم المعدة الطعام التي كانت تهضم في الشتاء من الأطعمة الغليظة لأنها كانت تهضمها بالحرارة التي سكنت في البطن فلما جاء الصيف خرجت الحرارة إلى ظاهر الجسد وغارت البرودة فيه فإذا جاء الخريف اعتدل الزمان وصفا الهواء وبرد فانكسر ذلك السموم وجعله الله بمحكمته بربخا بين سموم الصيف وبرد الشتاء لذا ينتقل الحيوان وهلة واحدة من الحر الشديد إلى البرد الشديد فيجدد أذاء ويعظم ضرره فإذا انتقل إليه بتدريج وترتب لم يصعب عليه فإنه عند

كل جزء يستعد لقبول ما هو أشد منه حتى تأتي حجرة البرد بعد استعداد وقول حكمة بالغة وآية باهرة وكذلك الرياح بروزخ بين الشتاء والصيف ينتقل فيه الحيوان من برد هذا الى حر هذا بتدرج وترتب فبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين

(فصل) ثم تأمل حال الشمس والقمر وما أودعاه من النور والاضاءة وكيف جعل لها بروجا ومنازل ينزلها من حلة بعد مرحلة لاقامة دولة السنة و تمام مصالح حساب العالم الذي لا غناء لهم في مصالحهم عنه بذلك يعلم حساب الاعمار والاجال المؤجلة للديون والاجارات والمعاملات والعدد وغير ذلك فولا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم شيء من ذلك وقد نبه تعالى على هذا في غير موضع من كتابه كقوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب مالخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لفوم يعلمون) وقال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فجعلنا آية الليل وجعلنا آية النهار بمصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

(فصل) ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدره العزيز العليم سبحانه فانها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتفتف فيه ولا تندوه لما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لأن ظل أحد جوانب كرة الارض يمحوها عن العجان الآخر وكان يكون الليل دائمًا سرداً على من لم تطلع عليهم والنهار سرمداً على من هي طالعة عليهم فيفده هؤلاء وهؤلاء فاقتضت الحكمة الاليمية والعنابة الرابطة ان قدر طلوعها من أول النهار من المشرق فتشرق على ما قبلها من الافق الغربي ثم لا زالت تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فيختلف عندهم الليل والنهار فتنقسم مصالحهم

(فصل) ثم تأمل الحكمة في مقادير الليل والنهار تجدها على غاية المصالحة والحكمة وان مقدار اليوم والليلة لو زاد على ما قدر عليه أو نقص لفوات المصالحة واختلفت الحكمة بذلك بل جعل مكابها أربعة وعشرين ساعة وجعلها يتقارب صان الزيادة والتقصان بينما ما يزيد في أحدهما من الآخر يعود الآخر فيستدمه قال الله تعالى (يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل) وفيه قوله أخذهما ان المعنى يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك وضياء هذا في مكان ظلمة الآخر فيدخل كل واحد منها في موضع صاحبه وعلى هذا فهي عامه في كل ليل ونهار والقول الثاني انه يزيد في في أحدهما بما ينقصه من الآخر فايتص من ياج في الآخر لا يذهب جملة وعلى هذا

فالأية خاصة ببعض ساعات كل من الليل والنهار في غير زمن الاعتدال فهي خاصة في الزمان وفي مقدار ما ياج في أحدهما من الآخر وهو في الأقاليم المعتمدة غاية ما تنتهي إزبادة خمس عشرة ساعة فيصير الآخر تسع ساعات فإذا زاد على ذلك أخرف ذلك الأقسام في الحرارة أو البرودة إلى أن ينتهي إلى حد لا يسكنه الإنسان ولا يتكون فيه النبات وكل موضع لا تقع عليه الشمس لا يعيش فيه حيوان ولا نبات لفترط برده وبه وكل موضع لارتفاعه كذلك لفترط حرمه وبه المواقع التي يعيش فيها الحيوان والنبات هي التي تطلع عليها الشمس وتغيب وأعددها المواقع التي تتعاقب عليها الفصول الاربعة ويكون فيها اعتدالاً نهريين وربيعين

(فصل) ثم تأمل إثارة القمر والكواكب في ظلمة الليل والحكمة في ذلك فان الله تعالى اقتضت حكمته خلق الظلمة هدو الحيوان وبرد الهواء على الابدان والنبات فتعادل حرارة الشمس فيقوم النبات والحيوان فلما كان ذلك مقتضى حكمته شاب الليل بشيء من الانوار ولم يجعله ظلمة داجية حذساً لاضوه فيه أصلاً فكان لا يمكن الحيوان فيه من شيء من الحركة ولا الأعمال ولما كان الحيوان قد يحتاج في الليل إلى حركة ومسير وعمل لا ينتهي له بالنهار لصيق النهار أو لشدة الحر أو لخوفه بالنهار تحالف كثير من الحيوان جعل في الليل من أضواء الكواكب وضوء القمر ما يتناسب معه أعمال كثيرة كالسفر والحرث وغير ذلك من أعمال أهل الحروث والزروع بفعل ضوء القمر بالليل معونة للحيوان على هذه الحركات وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض مع نفس ضوئه عن الشمس لثلا يستوي الليل والنهار فتفوت حكمة الاختلاف بينهما والتفاوت الذي قدراه العزيز العليم فتأمل الحكمة البالغة والتقدير العجيب الذي اقتضى أن أغان الحيوان على دولة الظلام بمجد من النور يستعين به على هذه الدولة المظلمة ولم يجعل الدولة كلها ظلمة صرفاً بل ظلمة مشوبة بنور رحمة منه واحساناً فسبحان من أحسن ماصنع وأحسن كل شيء خلقه

(فصل) ثم تأمل حكمته تبارك وتعالي في هذه النجوم وكثتها وعجائب خلقها وأنها زينة للسماء وأدلة يهتدى بها في طرق البر والبحر وما جعل فيها من الضوء والنور بحيث يمكننا رؤيتها مع البعده المفرط ولو لذاك لم يحصل لنا الاهتداء والدلالة ومعرفة المواقف ثم تأمل تسييرها منقادة بأمر ربها تبارك وتعالي حاربة على سفن واحد اقتضت حكمته وعلمه أن لا تخترق عنه بعلم منها البروج والمنازل والتواترات والسيارات والسيارات والصغار والمتوسط والأبيض الأزهر والأبيض الآخر ومنها ما يخفى على الناظر فلا يدرك وجعل

منطقة البروج قسمين مرصعة ومنخفضة وقدر سيرها قدرأً واحداً ونزل الشمس والقمر والسيارات منها منازلها ففيها ما يقطعها في شهر واحد وهو القمر ومنها ما يقطعها في عام ومنها ما يقطعها في عدة أعوام كل ذلك موجب الحكمة والغناية وجعل ذلك أساساً لما يمحنه سبحانه في هذا العالم ف تستدل بها الناس على تلك الحوادث التي تقاربها كغير قيمتها يكون مع طلوع الزوراً إذا طاعت وغرّ وبها إذا سقطت من الحوادث التي تقاربها وكذلك غيرها من المنازل والسيارات ثم تأمل جعله سبحانه بذات نعشي وما قرب منها ظاهرة لا تغيب لقربها من المركز ولما في ذلك من الحكمة الالهية وإنها منزلة الاعلام التي يهتم بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر فهم ينظرون إليها وإلى الجدي والفردي كل وقت أرادوا فهتدون بها حيث شاؤا

(فصل) ثم تأمل اختلاف سير الكواكب وما فيه من العجائب كيف تجد بعضها لا يسير أبداً ولا يفرد عنهم سيره أبداً بل لا يسرون إلا جميعاً وبعضها يسير سيراً مطلقاً غير مقيد برفيق ولا صاحب بل إذا اتفق له مصاحبة في منزله وافقه فيه ليلة وفارقه الليلة الأخرى فييناً راه ورفيقه وقرنه إذا رأيهم ما مفترقين متباينين كانهما لم يتاصحاياً فقط وهذه السيارة لها في سيرها سيران مختلفان غاية الاختلاف سير عام يسير بها فلكها وسير خاص تسير هي في فلكها كاشرواً ذلك بخلة تدب على رحي ذات النهار والرحي تأخذ ذات الرين فلما تصل في ذلك حركتان مختلفتان إلى جهتين متباينتين أحدهما بنفسها والآخر مكرهه عليها تبعاً للرحي تجذبها إلى غير جهة مقصدتها وبذلك يجعل التقديم فيها كل منزلة إلى جهة الشرق ثم يسير فلكها وبائزتها إلى جهة الغرب فل الزنادقة والمعلنة أي طبيعة اقتضت هذا وأي فلك أوجبه وهلا كانت كلها راتبة أو منتقلة أو على مقدار واحد وشكل واحد وحركة واحدة وجريان واحد وهل هذا الا صنع من ببرت العقول حكمته وشهدت مصنوعاته ومبتدعاته بأنه الخالق البارئ؟ المصور الذي ليس كمثله شيء أحسن كل شيء خلقه وأفنى كل ما صنعه وأنه العليم الحكيم الذي خلق فسوى وقدر فهوى وأن هذه إحدى آياته الدالة عليه وعجباته مصنوعاته الموصلة لآفكار إذا سافرت فيها إليه وأنه خلق مسخر مربوب مدبر (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حتىناً والشمس والقمر والنجموم مسخرات بأمره إلا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) فإن قات فالحكمة في كون بعض النجوم راتبة وبعضها منتقلة قيل إنها لو كانت كلها راتبة بطلت الدلالة والحكم التي نشأت من تنقلها في منازلها ومسيرها

فِي بُرُوجِهَا وَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا مُنْقَلَّةً لَمْ يَكُنْ لِسِيرِهَا مَنَازِلَ تُعْرَفُ بِهَا وَلَا رَسْمَ يَقَاسُ عَلَيْهَا
لَا هُنْ أَنَا يَقَاسُ مَسِيرَ الْمُنْقَلَّةِ مِنْهَا بِالرَّاتِبِ كَمَا يَقَاسُ مَسِيرَ السَّائِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ مَنَازِلَ الَّتِي
يَمْرُونَ عَلَيْهَا فَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا بِحَالٍ وَاحِدَةٍ لَا خَتَّلَطَ نَظَامُهَا وَلَا بَعْلَتَ الْحُكْمِ وَالْفَوْزَ
وَالدَّلَالَاتِ الَّتِي فِي اخْتِلَافِهَا وَلِتَشْبِيثِ الْمَعْطَالِ بِذَلِكَ وَقَالَ لَوْ كَانَ فَاعْلَمُهَا وَمِبْدِعُهَا مُخْتَارًا
لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ وَأَمْرٍ وَاحِدٍ وَقُدرٍ وَاحِدٍ فِيهَا التَّرِيْبُ وَالنَّظَامُ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ
مِنْ أَدْلِ الدَّلَائِلِ عَلَى وَجْهَ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَعَلْمِهِ وَحُكْمِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ
(فَصَلْ) ثُمَّ تَأْمَلُ هَذَا الْفَلَكُ الْدَّوَّارُ بِشَمْسِهِ وَقَرْبَهِ وَنَجْوَمِهِ وَبِرُوْجِهِ وَكَيْفَ يَدْوِرُ عَلَى
هَذَا الْعَالَمِ هَذَا الدُّورَانِ الدَّائِمِ إِلَى آخِرِ الْأَجْلِ عَلَى هَذَا التَّرِيْبُ وَالنَّظَامُ وَمَا فِي طَيِّ ذَلِكَ
مِنْ اخْتِلَافِ الظَّلَى وَالنَّهَارِ وَالْفَصُولِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَمَا فِي ضَمْنِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحٍ مَا عَلَى
الْأَرْضِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَّوَانِ وَالْبَيْتَاتِ وَهُلْ يَخْفِي عَلَى ذَيِّ بَصِيرَةِ أَنْ هَذَا ابْدَاعُ الْمَدِعِ
الْحَكِيمِ وَقَدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَالِمِ وَهُذَا خَاطِبُ الرَّسُولِ أَمْمَهُمْ مُخَاطِبَةً مِنْ لَا شَكَّ عَنْهُ فِي اللَّهِ
وَأَنَّا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُرُّهُ فَقَالَتْ لَهُمْ (أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ) فَوْجُودُهُ سَبِيعَهُ وَرَبِّيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَظْهَرَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَهُوَ أَظْهَرَ
لِلْمَسَايِّرِ مِنَ الشَّمْسِ لِلْأَبْصَارِ وَأَبْيَنَ لِلْعُقُولِ مِنْ كُلِّ مَا تَعْقَلَهُ وَتَقَرَّ بِوْجُودِهِ فَإِنَّكُرَهُ الْأَ
مَكَابِرَ بِلَسَانِهِ وَقَبْلَهُ وَعَقْلَهُ وَفَطَرَهُ وَكَلَّهُ تَكَبَّرَهُ ۝ قَالَ تَعَالَى (إِنَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عِنْدِهِ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ بَيْرِي لِأَجْلِ مَسْعَى
يَدِيرِ الْأَمْرِ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لِعِلْمِكُمْ بِلَقَاءَ رَبِّكُمْ تَوقُنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَهَادِيَّاً وَمِنْ كُلِّ الْمُثَرَّاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ أَشْنَى يَغْنِي الظَّلَى النَّهَارَ إِنِّي فِي ذَلِكَ
لَا يَاتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعَ مُتَجَاوِرَاتٍ) الْآيَةُ ۝ وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلَافِ الظَّلَى وَالنَّهَارِ لَا يَاتِي لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْفِكُمْ وَمَا يَبْتَدِي مِنْ
مِنْ دَابَّةٍ إِلَى قَوْلِهِ (وَآيَاتِهِ يَؤْمِنُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (خَلْقُ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عِنْدِهِ تَرَوْنَهَا وَأَنَّهُ
فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبِتِهِمْ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ إِلَى قَوْلِهِ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ۝ وَقَالَ تَعَالَى
(خَلْقُ الْإِنْسَانِ مِنْ نَطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مِنْ إِنْعَامِ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفَّةٌ وَمَنْافِعٌ وَمِنْهَا
تَأْكِلُونَ) إِلَى قَوْلِهِ (أَفَنْ يَخْلُقُ كُنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ۝ وَتَأْمَلُ كَيْفَ وَحْدَ
سَبِيعَهُ الْآيَةُ مِنْ قَوْلِهِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ إِلَى آخِرِهَا وَخَتَّمَهَا
بِأَحْبَابِ الْفَكْرَةِ فَأَمَّا تَوْجِيدُ الْآيَةِ فَلَأُنْ مُوضِعُ الدَّلَالَةِ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي أَنْزَلَهُ
مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْرَجَ بِهِ كُلَّا ذَكْرَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ لَفَاحِهِ وَاحِدٌ
وَأَمْهُ وَاحِدَةٌ فِيهَا نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ آيَاتِهِ ۝ وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ ذَلِكَ بِأَهْلِ الْفَكْرِ فَلَأُنْ هَذِهِ

الخلوقات التي ذكرها من الماء موضع فَكَرْ وهو نظر القلب وتأمِلُه لا موضع نظر مجرد بالعين فـلا ينفع الناظر بمجرد رؤية العين حتى ينتقل منه إلى نظر القلب في حكمه ذلك ويدعى صنعه والاستدلال به على خالقه وباريته وذلك هو الفَكَرْ بعينيه . وأما قوله تعالى في الآية التي بعدها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون بجمع الآيات لأنها تضمنت الليل والنهار والشمس والقمر والتجمُّوم وهي آيات متعددة مختلفة في أنفسها وخلقتها وكيفياتها فـان إفلاطام الجو لغروب الشمس وبحي الدليل الذي يبلس العالم كالثوب ويسكنون تخمه آية باهرة ثم ورد جيش الضباء يقدمه بشير الصباح فيهزهم عـسـكـرـ الـظـلـامـ ويـتـشـرـ الحـبـيـوـانـ وـيـنـكـعـطـ ذلك الـلـبـاسـ بـجـمـلـتـهـ آـيـةـ أـخـرـىـ ثمـ فيـ الشـمـسـ الـقـيـمـ آـيـةـ أـخـرـىـ وفيـ الـقـمـرـ الـذـيـ هوـ آـيـةـ الـلـيـلـ آـيـةـ أـخـرـىـ وفيـ التـجـوـمـ آـيـاتـ أـخـرـكـاـ قـدـمـنـادـهـذاـ معـ ماـيـتـبعـهـاـ منـ الـآـيـاتـ الـمـقـارـنـةـ هـاـ منـ الـرـيـاحـ وـاـخـلـافـهـ وـسـائـرـ ماـيـحـمـدـهـ اللهـ يـسـبـبـهـ آـيـاتـ أـخـرـ فـالـمـوـضـعـ مـوـضـعـ جـمـعـ وـخـصـ هذهـ الـآـيـاتـ بـأـهـلـ الـعـقـلـ لـاـنـهـ أـعـظـمـ مـاـقـبـلـهـ وـأـدـلـ وـأـكـبـرـ الـأـوـلـيـ كـالـبـ هـذـهـ فـنـ استدلـ بـهـذـهـ الـآـيـاتـ وـأـعـطـاـهـاـ حـقـهاـ مـنـ الـدـلـالـةـ اـسـتـحـقـ مـاـيـسـتـحـقـهـ صـاحـبـ الـفـكـرـ وـهـوـ الـعـقـلـ وـلـاـنـ مـنـزـلـةـ الـعـقـلـ بـعـدـ مـنـزـلـةـ الـفـكـرـ فـلـمـادـهـمـ بـالـآـيـةـ الـأـوـلـىـ عـلـىـ الـفـكـرـ نـقـلـهـ بـالـآـيـةـ الثـانـيـةـ الـتـيـ هيـ أـعـظـمـ مـنـهـ إـلـىـ الـعـقـلـ الـذـيـ هوـ فـوـقـ الـفـكـرـ فـتـأـمـلـهـ . فـاـمـاـ قـوـلـهـ فيـ الـآـيـةـ الثـانـيـةـ انـ فيـ ذـكـ لـآـيـةـ لـقـوـمـ يـذـكـرـونـ فـوـحـدـ الـآـيـةـ وـخـصـهـ بـأـهـلـ الـذـكـرـ . فـاـمـاـ تـوـحـيـدـهـ فـكـنـتـوـحـيـدـ الـأـوـلـىـ سـوـاـهـ فـانـ مـاـذـرـأـ فـيـ الـأـرـضـ عـلـىـ اـخـلـافـهـ مـنـ الـجـوـاهـرـ وـالـنـبـاتـ وـالـمـاعـدـنـ وـالـحـيـوـانـ كـلـهـ فـيـ حـلـ وـاحـدـ فـهـوـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ آـيـاتـهـ وـانـ تـعـدـدـتـ أـصـنـافـهـ وـأـنـوـاعـهـ . وـأـمـاـ تـحـصـيـهـ إـلـاـهـاـ بـأـهـلـ الـذـكـرـ فـطـرـيـةـ الـقـرـآنـ فـذـكـرـ أـنـ يـجـعـلـ آـيـاتـهـ لـتـبـصـرـ وـالـذـكـرـ كـاـفـ كـاـفـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ قـ (ـوـالـأـرـضـ مـدـدـنـاهـاـ وـأـقـبـنـاـ فـيـهـ رـوـاـسـيـ وـأـبـتـاـ فـيـهـ مـنـ كـلـ زـوـجـ بـهـيـجـ تـبـصـرـ وـذـكـرـ لـكـلـ عـبـدـ مـنـيـبـ)ـ فـالـتـصـرـةـ التـعـقـلـ وـالـذـكـرـةـ الـذـكـرـ وـالـفـكـرـ بـاـبـ ذـكـرـ وـمـدـخـلـهـ فـاـذـاـ فـكـرـ تـبـصـرـ وـاـذـاـ تـبـصـرـ تـذـكـرـ بـفـيـهـ التـذـكـرـ فـيـ الـآـيـةـ الـتـرـيـيـهـ عـلـىـ الـعـقـلـ الـمـرـبـ عـلـىـ الـفـكـرـ فـقـدـمـ الـفـكـرـ إـذـهـ بـالـبـابـ وـالـمـدـخـلـ وـوـسـطـ الـعـقـلـ إـذـهـ فـمـرـةـ الـفـكـرـ وـتـيـجـهـ وـأـخـرـ الـذـكـرـ إـذـهـ مـلـوـبـ مـنـ الـفـكـرـ وـالـعـقـلـ فـتـأـمـلـ ذـكـرـ حـقـ التـأـمـلـ . فـانـ قـلـتـ هـاـ فـرـقـ بـيـنـ الـذـكـرـ وـالـفـكـرـ فـاـذـاـ تـسـيـنـ الـفـرـقـ ظـهـرـتـ الـفـائـدـةـ مـقـلتـ الـفـكـرـ وـالـذـكـرـ أـصـلـ الـهـدـىـ وـالـفـلاحـ وـهـاـ قـطـبـ الـسـعـادـةـ وـهـذـاـ وـسـعـنـاـ الـكـلـامـ فـيـ الـفـكـرـ فـهـذـاـ الـوـجـهـ لـعـظـمـ الـتـفـعـةـ وـشـدـةـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ قـالـ الـحـسـنـ مـاـزـالـ أـهـلـ الـعـلـمـ يـعـودـونـ بـالـذـكـرـ عـلـىـ الـفـكـرـ وـبـالـفـكـرـ عـلـىـ الـذـكـرـ وـبـسـاطـقـوـنـ الـقـلـوبـ حـتـىـ نـفـقـتـ فـاـذـاـ هـاـ أـسـمـاءـ وـأـبـصـارـ . فـاعـلـمـ أـنـ الـفـكـرـ طـلـبـ الـقـلـبـ مـاـلـيـسـ بـمـاـصـلـ مـنـ الـعـلـمـ مـنـ أـصـرـ هـوـ حـاـصـلـ

منها هذا حقيقته فإنه لو لم يكن ثم مراد يكون مورداً للفكر استحال الفكر لأن الفكر يغير متعلقه متذكر فيه الحال وتلك الموارد هي الأمور الحاصلة ولو كان المطلوب بها حالاً عنده لم يتذكر فيه فإذا عرف هذا فالمتذكر ينتقل من المقدمات والمبادئ التي عنده إلى المطلوب الذي يريد له فإذا ظفر به وتحصل له مذكرة به وأبصر موقع الفعل والترك وما ينبغي إشارته وما ينبغي اجتنابه فالذكر هو مقصود التفكير وثمره فإذا مذكرة عاد بذكره على تفكره فإذا تخرج ما لم يكن حالاً عنده فهو لا يزال يكرر بتفكيره على مذكرة ومتذكر على تفكره مادام عاقلاً لأن العلم والإرادة لا يفهان على حد بل هو دائماً سائراً بين العلم والإرادة (وإذا عرفت) معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصراً وذكرى يتبصر بها من عنى القلب ويذكر بها من غفلته فإن المضاد للعلم إما عنى القلب وزواله بالبصر وإما غفاته وزواله بالذكر والمقصود تبيه القلب من رقاده بالإشارة إلى شيء من بعض آيات الله ولو ذهبنا تتبع ذلك لفند الزمان ولم نمحط بتفصيل واحدة من آياته على الحرام ولكن ما لا يدرك جملة لا يترك جملة وأحسن ما أتفق في الأنساق التفكير في آيات الله ومجائب صنعه والانتقال منها إلى تعاقب القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته فلذلك عقدنا هذه الكتاب على هذين الأصلين إذ هما أفضل ما يكتبه العبد في هذه الدار

(فصل) فعل المعمل الجاحد ما يقول في دولاب دائم على نهر قد أحكمت آلامه وأحکم زركيه وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل أنواع المثار والزروع يسكنها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلم شعها ويحسن مراعاتها ونعمدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منها شيء ولا يتلف ثمارها ثم يقسم قيمتها عند الجذاد على سائر الخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به وبقسمه هكذا على الدولام أثرى هذا اتفاقاً بلا صانع ولا مختار ولا مدبر بل أتفق وجود ذلك الدولاب والحدائق وكل ذلك اتفاقاً من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان وما الذي يفتئك به وما الذي يرشدك إليه ولكن من حكمة العزيز الحكم أن خلق قلوبنا عمباً لا يصار لها فلما ترى هذه الآيات الباهرة الاروية الحيوانات البهيمية كاخلاق أعيناً لا أعيان لها والشمس والقمر والتجموم مسخرات بأمره وهي لازمها فاذبها ان انكرتها وجحدتها فهني تقول في ضوء النهار هذا لبل ولكن أصحاب الأعين لا يعرفون شيئاً ولقد أحسن الفائل

وَهُنَّ قَاتِلُوا الصَّبْحَ لِيَلِ أَيْمَنِ الْعَالَمِينَ عَنِ الضَّيَاءِ
 (فصل) ثُمَّ تَأْمِلُ الْمُسْكَ لِلْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْحَافِظَ لِهَا إِنْ تَزُولَ أَوْ تَقُمَّ أَوْ
 يَتَعَطَّلَ بَعْضُ مَا فِيهَا افْتَرَى مِنْ الْمُسْكَ لِذَلِكَ وَمِنْ الْقِيمَ بِأَمْرِهِ وَمِنْ الْمُقِيمَ لَهُ فَلَوْ تَعَطَّلَ
 بَعْضُ آلاتِ هَذَا الدُّولَابِ الْعَظِيمِ وَالْحَدِيدَةِ الْعَنْتَيْمِ مِنْ كَانَ يَصْلَحُهُ وَمَا ذَا كَانَ عَنْدَ
 الْخَلَقِ كَاهِمَ مِنَ الْحَيَاةِ فِي رَدِّهِ كَمَا كَانَ فَلَوْ أَمْسَكَ عَنْهُمْ قِيمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الشَّمْسِ
 يَحْمِلُ عَلَيْهِمُ الْبَيْلِ سَرْمَدَا مِنَ الْذِي كَانَ يَطْلَعُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْتِيهِمْ بِالْهَارِ وَلَوْ جَدَهُمْ فِي
 الْأَفْقَ وَلَمْ يَسِيرُهُمْ فَنَّ ذَا الَّذِي كَانَ يَسِيرُهُمْ وَيَأْتِيهِمْ بِالْبَيْلِ وَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
 زَالَتَا فَنَّ ذَا الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ

(فصل) ثُمَّ تَأْمِلُ هَذِهِ الْحُكْمَ الْبَالِغَةَ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَقِيمَ الْحَيَاةِ وَالْبَيْانِ عَلَيْهِمَا
 وَفَكَرْ فِي دُخُولِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِالْتَّدْرِيجِ وَالْمُهَلَّةِ حَتَّى يَبْلُغَ نَهَايَتَهُ وَلَوْ دَخَلَ عَلَيْهِ
 مَفَاجَاهَةً لَا يُضَرُّ ذَلِكَ بِالْأَيْدِنَ وَأَهْلَكُهَا وَبِالْبَيْانِ كَمَا لَوْ خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ حَامِ مَفْرَطِ
 الْحَرَارَةِ إِلَى مَكَانٍ مَفْرَطٍ فِي الْبَرْدَةِ وَلَوْلَا الْعَنْيَةُ وَالْحُكْمُ وَالرَّحْمَةُ وَالْإِحْسَانُ لَمْ يَكُنْ
 ذَلِكَ ۝ فَانْ قَاتِلُوا الصَّبْحَ وَالْمُهَلَّةَ أَنَّمَا كَانَ لَا يُطَعِّمَ سَرِّ الشَّمْسِ فِي ارْتِفَاعِهِ وَأَنْخَافِهِ
 قَيلَ لَكَ هَا السَّبِبُ فِي ذَلِكَ الْأَنْخَافِ وَالْأَرْتِفَاعِ فَانْ قَاتِلُ السَّبِبِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْمَسَافَةِ
 مِنْ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا قَيلَ لَكَ هَا السَّبِبُ فِي بَعْدِ الْمَسَافَةِ وَلَا تَرَالِ الْمَسَأَةُ مَتَوَجِّهَةَ عَلَيْكَ
 كَمَا عَيْنَتِ سَبِيْحَاتِي قَضَيْتِ بِكَ إِلَى أَحَدِ أَمْرِيْرِنِ إِمَامَكَارَةِ ظَاهِرَةٍ وَدَعَوْتِيْكَ إِلَى ذَلِكَ اِنْفَاقِ
 مِنْ غَيْرِ مَدِيرٍ وَلَا صَانِعٍ إِلَمَا الْاِعْتِرَافُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْاِقْرَارُ بِقِيمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ
 وَالْدُّخُولُ فِي زَمَرَةِ أُولَى الْعُقُولِ مِنَ الْعَالَمِينَ وَلَنْ تَجِدَ بَيْنَ الْقَسْمَيْنِ وَاسْعَةً أَبْدًا فَلَا تَتَبَعَ
 ذَهْنَكَ بِهَذِيَّاتِ الْمَلَحِدِينَ فَانْهَا عِنْدَ مَنْ عَرَفَهَا مِنْ هُوَسِ الشَّيَاطِينِ وَخَبَالِ الْمُبَطَّلِينَ
 وَإِذَا طَعَ شَرُّ الْهَدِيِّ وَأَشَرَّقَتِ النُّبُوَّةُ فَعَسَّا كَرِّ تِلْكَ الْخِيَالَاتِ وَالْوَسَاوسِ فِي أُولَى الْمَهْزَمِينَ
 وَاللَّهُ مَمْ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

(فصل) ثُمَّ تَأْمِلُ الْحُكْمَ فِي خَلْقِ النَّارِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمْوَنِ وَالظَّهُورِ فَانْهَا
 لَوْ كَانَ ظَاهِرَةً أَبْدًا كَلْمَاءَ وَأَهْوَاءَ كَانَتْ تُحْرِقُ الْعَالَمَ وَتُسْتَشِرُ وَيَعْمَلُ الضَّرُّ بِهَا وَالْمُفْسِدَةُ
 وَلَوْ كَانَتْ كَامِنَةً لَا تَظَهُرُ أَبْدًا لِفَاتَاتِ الْمُصَالِحِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى وَجْهِهَا فَاقْتَضَتْ حُكْمَ الْعَزِيزِ
 الْعَالَمِ أَنْ جَعَلَهَا مَخْزُونَةً فِي الْأَجْسَامِ يَخْرُجُهَا وَيَبْقِيَهَا الرَّجُلُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُهَا
 وَيَجْبِسُهَا بِمَادَةٍ يَجْعَلُهَا فِيهَا مِنَ الْحَطَبِ وَنَحْوِهِ فَلَا يَرَى حَابِسَهَا مَا احْتَاجَ إِلَيْهَا فَإِذَا
 اسْتَفَقَ عَنْهَا وَتَرَكَ حَبِسَهَا بِمَادَةٍ خَبَثَ بِذَذِنِ رَهْبَاهَا وَفَاطِرَهَا فَقَطَّعَتِ الْمَؤْنَةُ وَالْمُفْرَةُ بِبَقِيَّاهَا
 فَبَيْحَانَ مِنْ سُخْرَهَا وَأَنْشَأَهَا عَلَى تَقْدِيرِ حَكْمٍ عَجِيبٍ اجْتَمَعَ فِيهِ الْإِسْتِمَاعُ وَالْأَسْفَاعُ

والسلامة من المضرر قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى قوله (فسبح بِاَمْ رِبِكَ
الْعَظِيمِ) فسبحان ربنا العظيم لند تعرف اليها باياته وشفاعنا بيناته وأعنانا بها عن دلالات
العلمين فأخبر سبحانه انه جعلها ند كورة بنار الآخرة فاستجير منها وتهرب اليه منها
ومتعاماً للمقوين وهم المسافرون النازلون بالقواء والقواء هي الأرض الخالية وهم أحوج
إلى الاستفهام بالنار للإضاعة والطبيخ واللحس والتندى والانس وغير ذلك

(فصل) ثم تأمل حكمته تعالى في كونه خص بها الإنسان دون غيره من الحيوانات
فلا حاجة بالحيوان إليها بخلاف الإنسان فإنه لو فقدها لم يفقدهم الدخل عليه في معيشته
ومصالحة وغيره من الحيوانات لا يستعملها ولا يمتنع بها وتبه من مصالح النار على خلة
صغريرة القدر عظيمة النفع وهي هنا المصباح الذي يخدنه الناس فيقضون به من حوالتهم
ما شاؤا من أيامهم ولو لا هذه الخلة لكان الناس لصف أعمارهم ينزلة أصحاب القبور
فن كان يستطيع كتابة أو خياطة أو صناعة أو تصرف في ظلمة الديل الداجي وكيف كانت
تكون حال من عرض له وجع في وقت من الديل فاحتاج إلى ضياء أو دواء أو استخراج
دم أو غير ذلك ثم انظر إلى ذلك النور المحمول في ذبالة المصباح على صغر جوهره كيف
يغنى ماحولك كله فترى به القريب والبعيد ثم انظر إلى أنه لو اقتبس منه كل من يفرض
أو يقدر من خلق الله كيف لا يغنى ولا ينعد ولا يهدى وأمام مفاسع النار في اندراج
الأطعمة والأدوية ونجيف ما لا ينتفع إلا بمحفظه ونجايل ما لا ينتفع إلا بتحليله ونقد
ما لا ينتفع إلا بعقده وتركيه فما كثر من ان يعمى ثم تأمل ما أعطيته النار من الحركة
الصادمة بطبعها إلى العلو فلولا المدة تمسكها لذهبت صادمة كما ان الجرم التقييل لولا
المسلك يمكنه لذهب نازلا فلن أعطي هذا التوة التي يطالب بها الهبوط إلى مستقره
وأعطي هذه القوة التي تطلب بها الصعود إلى مستقرها وهل ذلك إلا بقدرة العزيز العلام

(فصل) ثم تأمل هذا الظواه وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والمسك
طا من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما تبشر به من روحه فتتجذب إلى ظاهرها
وباطنها وفيه تطرد هذه الأصوات فتحمها وتؤديها للقرب والبعيد كالبريد والرسول
الذى شأنه حل الأخبار والرسائل وهو الحامل هذه الروائع على اختلافها يتلقاها من
موقع إلى موقع فتأنى العبد الرائحة من حيث تم الربيع وكذلك تأتيه الأصوات وهو
أيضاً الحامل للحر والبرد الذين بهما صلاح الحيوان والنبات وتأمل منفعة الربيع وما
يجري له في البر والبحر وما هيئت له من الرحمة والمعذاب وتأمل كم سخر للسحاب من
ربيع حتى أمره سخرت له المثيرة أولاً فتبره بين السماء والأرض ثم سخرت له الحامة

التي تحمله على متنه كأجلل الذي يحمل الرواية ثم سخرت له المؤانة فتولف بين كفه
وقطعه ثم يجتمع بعضها إلى بعض فيصير طبقاً واحداً ثم سخرت له اللاحقة بزلة الذكر
الذى يلقي الانقى فلتوجه بالماء ولو لاها لكان جهاماً لأماء فيتم سخرت له المزجية التي
ترجيه وتسوقه إلى حيث أمر فيفرغ ماءه هنا لذاك ثم سخرت له بعد اعصاره المفرقة التي
تبثه وتفرقه في الجو فلا ينزل مجتمعاً ولو نزل مجتملاً لا يملك المساكن والحيوان والنبات
بل تفرقه فتجعله قطرات وكذلك الرياح التي تلقي الشجر والنبات ولو لاها لكان عقباً
وكذلك الرياح التي تسير السفن ولو لاها لوقفت على ظهر البحر ومن منافقها أنها تبرد
الماء وتصير النار التي يراد اضرارها وتخفف الأشياط التي يحتاج إلى جقاها وباجنة غبابة
ما على الأرض من نبات وحيوان بالرياح فإنه لو لا تسيطر الله لها لعباده لذوى النبات
ومات الحيوان وفسدت الطعام وأنهى العالم وفسد ألا ترى إذا ركبت الرياح كيف
يحدث الكرب والغم الذي لو دام لأنتف النفوس وأسقم الحيوان وأمرض الأصحاب
وأنفك المرضى وأفسد النمار وعفن الزرع وأحدث الوباء في الجو قبحان من جعل
هوب الرياح ثانى بروحه ورحمته ولطفه ونعمته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الرياح
انها من روح الله ثانى بالرحمة وتبه للطيفة في هذا الهواء وهي ان الصوت أثر يحدث
عند اصطكاك الاجرام وليس نفس الاصطكاك كما قال ذلك من قاله ولكنه موجب
الاصطكاك وقرع الجسم أو قلع عنه فيه قرع أو قلع فيحدث الصوت فيحدث
الهواء ويؤديه إلى مسامع الناس فينتفعون به في حواجزهم ومعهمائهم بالليل والنهار
ونحدث الأصوات العالية من حركاتهم فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى في
الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتناناً العالم منه ولعزم الضرر به وانتدلت مؤنته
واحتاج الناس إلى محوه من الهواء والابتدال به أعظم من حاجتهم إلى استبدال
الكتاب المعلوم كتابة فان ما يبقى من الكلام في الهواء اضعاف ما يوضع في القرطاس فاقضت
حكمة العزيز الحكيم ان جعل هذا الهواء قرطاً خفياً يحمل الكلام بقدر ما يبلغ
الحاجة ثم يعيي باذن ربها فيعود جديداً تقياً لا شئ فيه فيحمل ما حمل كل وقت

(فصل) ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه حين خاتمتها واقفة ساكنة لا تكون
هادأً ومستقرأً لاحيوان والنبات والأمنعة ويعت肯 الحيوان والناس من السعي عليها في
ما زرهم والجلوس لراحاتهم والنوم لهم وتفكير من أعمالهم ولو كانت دجراجة
متكلمة لم يستطعوا على ظهرها قراراً ولا هدوا ولا بنت لهم عليها بناء ولا أمكنهم عليها
صناعة ولا شماره ولا حرارة ولا مصالحة وكيف كانوا يهبون بالعيش والأرض ترج من

محبهم واعتبر ذلك بما يصيّبهم من الزلازل على قوله مكتبه كيف تصرّهم إلى ترك منازلهم
وأهرب عنها وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله (وألق في الأرض رواسي أن تميد بكم)
وقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) وقوله ر الله الذي جعل لكم الأرض
مهدًا) وفي القراءة الآخرى مهادًا . وفي جامع الترمذى وغيره من حديث أنس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خاق الله الأرض جمعت تميد خاق الجبال
عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد
من الجبال قال نعم الحديدة قالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديدة قال نعم النار
قالوا يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الربيع قالوا يا رب فهل من خلقك
شيء أشد من الربيع قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة حينئذ يخفى عن شأنه ثم تأمل الحكمة
البالغة في لبونة الأرض مع يسراها فانها لو أفرطت في الدين كالطين لم يستقر عليها بناء ولا
حيوان ولا نمكنا من الاستفهام بها ولو أفرطت في اليأس كالحجر لم يمكن حرقها ولا
زرعها ولا شقها وفاحتها ولا حفر عيونها ولا البناء عليها فقصصت عن يبس الحجارة
وزادت على لبونة الطين سباتا بقدر فاطرها على أحسن ماجاه عليه مهاد لاحيوا من
الاعتدال بين الدين والبيوسة فهيا عليها جميع المصالح

(فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في أن جعل مهب الشمال عليها أرفع من مهب
الجنوب وحكمة ذلك أن تحدى المياه على وجه الأرض فتسقيها وتزوّيها ثم تفيض فتصب
في البحر فكأنّ البني إذا رفع سلطحاً رفع أحد جانبيه وخفض الآخر ليكون مصبًا
للماء ولو جعله مستوىً لقام عليه الماء فأفسده كذلك جعل مهب الشمال في كل بلد أرفع
من مهب الجنوب ولو ذلك لقي الماء واقفًا على وجه الأرض فتح الناس من العمل
والاستفهام وقطع العرق والمسالك وأضر بالخلق أفيحسن عند من له مسكة من عزّل أن
يقول هذا كله اتفاق من غير تدبّر العزيز الحكيم الذي أفنن كل شيء

(فصل) ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال الذي يحسّها الجادل الغافل فضلة
في الأرض لا حاجة إليها وفيها من المنافع ما لا يحسّنه إلا خالتها ونهايتها وفي حديث
اسلام خمام بن نعابة قوله تعالى صلى الله عليه وسلم بالذى نصب الجبال وأودع فيها المنافع
آللله أمرك بذلك وكذا قال الله ثم فلن منافعها إن الناج يسقط عليها فيسيق في قلماها
حاصلًا لشراب الناس إلى حين تقاده وجعل فيها ليدوب أولاً فإذا فتحي منه السيل
الغزيرة وتسلل منه الانهار والأودية فبنبت في المروج والوهاد والربا ضروب النبات
والقوافل والأدوية التي لا يكون منها في السهل والرمل فلو لا الجبال لسقط الناج على

وجه الأرض فانحل جلة وساح دفعه فعدم وفت الحاجة إليه وكأن في انحصاره جلة السيل
 التي تهلك ما مالت عليه فيضر الناس ضرراً لا يمكن تلافيه ولا دفعه لاذته (ومن
 منافعها) ما يكون في حصولها وقلها من المغارات والكهوف والمعاقل التي ينزلة الحصون
 والقلاع وهي أيضاً أكنان للناس والحيوان • ومن منافعها ما ينبع من أحجارها للابنية
 على اختلاف أصنافها والارجية وغيرها • ومن منافعها ما يوجد فيها من المعادن على
 اختلاف أصنافها من الذهب والفضة والنحاس وال الحديد والرصاص وإيزيرجد والزمرد
 وأضعاف ذلك من أنواع المعادن الذي يعجز البشر عن معرفتها على التفصيل حتى إن
 فيما يكون الشيء البسيط منه تزيد قيمته ومنفعته على قيمة الذهب بأضعاف مضاعفة وفيها
 من المنافع ما لا يعلمها إلا فاطرها ومبذرها سبحانه • ومن منافعها أيضاً أنها ترد الرياح
 العاصفة وتكسر حدتها فلاند عنها تصدم مأجتها وهذا فالسكنون تحتم في أيام من الرياح
 العظام المؤذية • ومن منافعها أيضاً أنها ترد عنهم السيل إذا كانت في بحاريها فتنصرها
 عنهم ذات اليمين وذات التهال ولولاها خربت السيل في بحاريها ما ملت به ف تكون
 لهم ينزلة السد والسكن • ومن منافعها أنها أعلام يستدل بها في الطرقات فهي ينزلة
 الأدلة المنصوبة المرشدة إلى الطريق وطندا سبها الله أعلاماً فقال (ومن آياته الجواري في
 البحر كالأعلام) فالجواري هي السفن والاعلام الجبال واحدتها علم قال الخنساء
 وإن صخراً نائم الهدأة به كأنه علم في رأسه نار

فسمى الجبل علماً من العلامات والظاهور • ومن منافعها أيضاً ما ينبع منها من العقاقير
 والأدوية التي لا تكون في السهل والرمال كما أن ما ينبع في السهل والرمال لا ينبع
 منه في الجبال وفي كل من هذا وهذا منافع وحكم لا يحيط به إلا أخلاق العالم • ومن
 منافعها أنها تكون حصوناً من الأعداء يخترق فيها عباد الله من أعدائهم كالمحنوت
 بالقلاع بل تكون أياً وأحسن من كثير من القلاع والمدن • ومن منافعها مذكرة
 الله تعالى في كتابه أن جعلها للأرض أو ناداً تنبتها ورواوى ينزلة مراسي السفن وأعظم
 بها من متفرعة وحكمة هذا وإذا تأملت خلقها العجيبة البدعة على هذا الوضع وجدتها
 في غاية المطابقة للحكمة فأنها لوطائف واستدلالات كالحائط لعذر الصعود عليها والارتفاع
 بها واسترمت عن الناس الشمس والهواء فلم ينكروا من الارتفاع بها ولو بسرعات على
 وجه الأرض لضيقها عليهم المزارع والمساكن وللاتساع السهل ولما حصل لهم بها
 الارتفاع من التحضر والمخارات والأكنان ولما سرت عنهم الرياح ولما حجبت السيل
 ولو جعلت مستديرة شكل الكرة لم يتمكنوا من صعودها ولما حصل لهم بها الارتفاع التام

فكان أولى الاشكال والاواعد بها واليقيها واقعها على وفق المصلحة هذا الشكل الذي اصبت عليه ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه الى التنظر فيها وفي كيفية خلقها فقال (أفلاب يتظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف أصبت) خلقها ومتافعها من أكبر الشواهد على قدرة بارتها وفاطرها وعلمه وحكمته ووحدانيته هذا مع أنها تسبح بحمدده وتخشى له وتسجد وتشقق وتبعد من خشيته وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها على شذتها وعظم خلقها من الامانة اذ عرضها عليها وأشافت من حملها ومنها الجبل الذي كلام الله عليه موسى كلبيه ونحيه . ومنها الجبل الذي تحبلى له ربها فساج وندركك . ومنها الجبل الذي حب الله رسوله وأصحابه اليه وأحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ومنها الجبلان الماذان جمعهما الله سورة على نيه وجعل الصفا في ذيل أحدهما والمروءة في ذيل الآخر وشرع لعباده السعي بينهما وجعله من مناسكهم وتعبداتهم . ومنها جبل الرحمة المذصوب عليه ميدان عرفات فله كم به من ذنب مغفور وعترة مقالة وزلة مغفو عنها وحاجة مقتضية وكربة مفروجة وبالية مرفوعة ونعمة متتجدد وسعادة مكتسبة وشقاوة ممحوّة كيف وهو الجبل المذصوب بذلك الجماع الاعظم والوفد الاكرم الذين جاؤا من كل فج عميق وقوفالز بهم مستكينين لعظمته خائعين لعزته شيئاً غيراً حاسرين عن رؤيه يستقبلونه عزائهم ويسألونه حاجاتهم فيدنو منهم ثم يباهي بهم الملائكة فله ذاك الجبل وما ينزل عليه من الرحمة والتتجاوز عن الذنوب العظام . ومنها جبل حراء الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلي فيه بربه حتى أكرمه الله برسالته وهو في غاره فهو الجبل الذي فاض منه النور على أقطار العالم فانه ليغدر على الجبال وحق له ذلك فسبحان من اختص رحمة وتكريمه من شاه من الجبال والرجال يفعل منها جبالاً هي مفناطيس القلوب كأنها مركبة فهي تهوي اليها كلها ذكرتها وتهفو نحوها كما اختص من الرجال من خصه بكرامتها وأتم عليه نعمته ووضع عليه محبته منه فأحبه وحبيه الى ملائكته وعباده المؤمنين ووضع له القبول في الارض بينهم

و اذا تأملت البقاع وجدتها تشقي كاشق الرجال وتسعد

فدع عنك الجبل الفلافي وجبل بني فلان وجبل كذلك

خذ مازراء ودع شيئاً سمعت به في طاعة الشمس ما يغريك عن زحل
هذا وانها لتعلم ان لها موعداً ويوماً تنفس فيها نسمةً وتصير كالعنين من هوله وعظمته
فهي مشفقة من هول ذلك الموعد منتظرة له وكانت أم الدرداء رضى الله عنها اذا سارت

فَصَدِعْتُ عَلَى جَبَلٍ تَقُولُ مَنْ مَعْهَا إِسْمُعَتِ الْجَبَلَ مَا وَعْدَهَا رَبُّهَا فَيَقُولُ مَا أَسْمَعْتَهَا فَتَقُولُ
 (وَيَسْأَلُوكَ عَنِ الْجَبَلِ فَقُلْ يَنْسَفُهَا رَبُّهَا لَسْفًا فِي نَذْرِهَا قَاعًا مَفْصَفًا لَأَتْرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا
 أَمْنًا) فَهَذَا حَالُ الْجَبَلِ وَهِيَ الْحَجَارَةُ الصَّلِبةُ وَهَذِهِ رُقْبَاهَا وَخَشِيشَتُهَا وَنَدَكَكَاهَا مِنْ جَالَ
 رَبُّهَا وَعَظِيمَتُهُ وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهَا فَاطِرُهَا وَبَارِبَرِهَا إِذْ لَوْ أَنْزَلْتُ عَلَيْهَا كَلَامَهُ خَلَعَتْ وَلَنَصَدَعَتْ
 مِنْ خَشِيشَةِ اللَّهِ فَيَأْعِيَا مِنْ مَضْغَةِ لَمْ أَفْسَى مِنْ هَذِهِ الْجَبَلَ تَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تَسْتَلِي عَلَيْهَا
 وَيَذْكُرُ الرَّبُّ تَبَارِكُ وَتَعَالَى فَلَا تَلِينْ وَلَا تَخْشَعْ وَلَا تَنِيبْ فَإِنْ يَسْتَكِرْ عَلَى اللَّهِ عَنْ
 وَجْلٍ وَلَا يَخْالِفْ حَكْمَتِهِ إِنْ يَخْلُقْ هَذِهِ نَارًا مَذِيقَاهَا اذْلَمْ تَانِ بِكَلَامِهِ وَذِكْرِهِ وَزِوَاجِهِ
 وَمَوَاعِظِهِ فَنَمْ يَلَانُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَابِهِ وَمَمْ يَنْبَهُ إِلَيْهِ وَمَمْ يَذْبَهُ بِجَهَنَّمِ وَالْبَكَاءُ مِنْ خَشِيشَتِهِ
 فَلَيَسْتَمْعَ قَلِيلًا فَإِنْ أَمَّا مِنْ الْمَلِئِ الْأَعْظَمِ وَسِيرَدَ إِلَى عِلْمِ الْفَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُرِي وَيَعْلَمُ

(فَصَلْ) وَمَا اقْتَضَتْ حَكْمَتِهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى إِنْ جَعَلَ مِنَ الْأَرْضِ السَّهْلَ وَالْوَعْرَ وَالْجَبَلَ
 وَالرَّمَالَ لِيَنْتَفِعَ بِكُلِّ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَيَحْصُلُ مِنْهُ مَا خَلَقَ لَهُ وَكَانَتِ الْأَرْضُ بِهَذِهِ الْمِثَابَةِ لَزْمٌ
 مِنْ ذَلِكَ أَنْ صَارَتْ كَلَامُهُ الَّتِي تَحْمَلُ فِي بَطْنِهِ أَنْوَاعَ الْأَوْلَادِ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
 النَّاسِ وَالْحَيَّوَانِ مِنْ ذَلِكَ مَا أَذْنَ هَذِهِ فِي رَبِّهَا إِنْ خَرَجَهُ إِمَّا بِعِلْمِهِمْ وَإِمَّا بِدُونِهِ ثُمَّ يَرِدُ
 إِلَيْهَا مَا خَرَجَ مِنْهَا وَجَعَلَهَا سَبْحَانَهُ كَفَافًا لِأَلْحِيَاءِ مَا دَمَوا عَلَى ظُهُورِهِنَّا فَإِذَا مَاتُوا اسْتَوْدَعُهُنَّمْ
 فِي بَطْنِهِنَّا فَكَانَتْ كَفَافًا لَهُمْ تَضَمِّنُهُمْ عَلَى ظُهُورِهِنَّا أَحْيَاءً وَفِي بَطْنِهِنَّا أَمْوَاتًا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْوَقْتِ
 الْمَعْلُومِ وَقَدْ أَنْقَلَهُمُ الْأَخْلَلُ وَهَجَانُ وَقْتُ الْوَلَادَةِ وَدُنُونُ الْخَاصِّ أُوحِيَ إِلَيْهَا رَبُّهَا وَفَاطِرُهَا إِنْ
 تَفْعَلْ حَمَاهَا وَتَخْرُجْ أَنْقَلَهَا فَتَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ بَطْنِهِنَّا إِلَيْهِنَّا وَتَقُولُ رَبُّهَا هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي
 وَتَخْرُجْ كَنْوَزَهَا بِإِذْنِهِ تَعَالَى ثُمَّ تَهَدَّتْ أَخْبَارُهَا وَتَشَهَّدُ عَلَى بَنِيهَا بِمَا أَعْمَلُوا عَلَى ظُهُورِهِنَّا
 مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ

(فَصَلْ) وَلِمَا كَانَتِ الرِّبَاحُ تَجْوِلُ فِيهَا وَنَدْخُلُ فِي تَجَاوِيفِهَا وَتَحْدُثُ فِيهَا الْأَخْزَرَةَ
 وَتَخْفِقُ الرِّبَاحُ وَتَسْعَدُ عَلَيْهَا الْمُنْقَذُ أَذْنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ طَافِي الْأَحْيَانِ بِالْتَّنَفِسِ فَتَحْدُثُ فِيهَا
 الْزَّلَازِلُ الْعَظَامَ فَيَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ لَعِبَادَهُ الْخُوفُ وَالْخَشِيشَةُ وَالْأَنَابِةُ وَالْإِقْلَاعُ عَنِ مَعَاصِيهِ
 وَالنَّفْرَعُ إِلَيْهِ وَالنَّدَمُ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلْفِ وَقَدْ زَلَّتِ الْأَرْضُ إِنْ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتَمِكُمْ وَقَالَ
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ زَلَّتِ الْمَدِينَةُ نَفْطَلَمُ وَوَعْظَمُ وَقَالَ لِئَنِّي عَادَتْ لِأَنَا كَنْكُمْ فِيهَا
 (فَصَلْ ثُمَّ تَأْمَلْ حَكْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) فِي عَزَّةِ هَذِينِ الْقَدِينِ الْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ وَقَصْوَرُ
 خَيْرَةِ الْعَالَمِ عَمَّا حَاوَلُوا مِنْ صَنْعِهِمَا وَالْتَّشَبِيهُ بِخَلَقِ اللَّهِ إِيَاهُمَا مِعَ شَدَّدَةِ حَرَصِهِمْ وَبَلُوغِ
 أَفْسَى جَهَدِهِمْ وَاجْتِهادِهِمْ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَنْفَرُوا بِسُوءِ الصَّنْعَةِ وَلَوْ مَكْنُوا أَنْ يَصْنَعُوا مِنْ
 مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ لَفْسَدَ أَمْرِ الْعَالَمِ وَاسْتِفَاضَ الْذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ فِي النَّاسِ حَتَّى صَارَا

كالضعف والفسخار وكانت تعطل المصلحة التي وضعا لاجلها وكانت كثرة ما جدأ سبب
 تعطل الاستفادة بهما فانه لا يبقى لها قيمة ويجعل كونهما فيها لنفائس الاموال والمعاملات
 وأرزاق المقاتلة ولم يتسرع بعض الناس بعض اذ يسير الكل أرباب ذهب وفضة فلو
 اعني خلقه كلهم لا فقر لهم كاهم فمن يرضى لنفسه بامتهانهاق الصنائع التي لا قوام للعالم الا بها
 فسبحان من جعل عزهما سبب نظام العالم ولم يجعلها في العزة كالكبريت الاحمر الذي
 لا يوصل اليه فتفوت المصلحة بالكلية بل وضعاها وأبيها في العالم بقدر اقتضته حكمته
 ورحمته ومحاج عباده . وقرأت بخط الفاضل جبريل بن روح الانباري قال أخبرني
 بعض من تداول المعادن اتهم أو غلوا في طلبها الى بعض نواحي الجبل فانهوا الى موضع
 واذا فيه أمثال الجبال من النضة ومن دون ذلك واد يجري متصلباً بعاد غزير لا يدرك
 ولا حيلة في عبوره فانصرفو الى حيث يعلمون ما يعبرون به فلما هشوه وعادوا واموا
 طريق النهر فاوقفوا له على اثر ولا عرفا الى اين يتوجهون فانصرفو آيسين وهذا
 أحد ما يدل على بطلان صناعة الكيمياء وانها عند التحقيق زغل وبصغة لا غير وقد ذكرنا
 بعدها وبيننا سادها من أربعين وجهاً في رسالة مفردة والمقصود ان حكمة الله تعالى اقتضت
 عزة هذين الجواهرتين وقلتها : بالنسبة الى الحديد والنحاس والرصاص لصلاح أمر
 الناس واعتبر ذلك يأنه اذا ظهر الشيء الفطير المستحسن مما يحبه الناس من
 الامتعة كان نفساً عزيزاً ما دام فيه قلة وهو مرغوب فيه فاذا فنى وكفر في أيدي الناس
 وقدر عليه اخلاص العالم سقط عندهم وقت رغبائهم فيه ومن هذا قول الفائل نقasa
 الشيء من عزته وهذا كان أزهد الناس في العالم أهله وجيشه وأرغبهم فيه البعداء عنه
 (فصل) وتأمل الحكمة البدعة في تسييره سبحانه على عباده ما هم أحوج اليه
 وتوسيعه وبذلك فكلما كانوا أحوج اليه كان أكتر وأوسع وكل استغروا عنه كان أقل
 واذا توسلت الحاجة توسيط وجوده فلم يكن بالعام ولا بالنادر على مرات الحاجات وتفاوتها
 فاعتبر هذا بالاصول الاربعة للراب والماء والهواء والنار وتأمل سعة ما خلق الله منها
 وكثرة فتأمل سعة الهواء وعمومه ووجوده بكل مكان لأن الحيوان مخلوق في البر
 لا يكتمل الحياة الا به فهو معه أينما كان وحيث كان لانه لا يستغني عنه لحظة واحدة
 ولو لا كثرته وسعته وامتداده في اقطار العالم لاختنق العالم من الدخان والبغار المتتصاعد
 المعدق فتأمل حكمة ربك في ان سخر له الرياح فاذا تصاعد الى الجو احالة سحاباً او
 ضباباً فاذهبت عن العالم شره وأذاه فسل الجاحظ من الذى دبر هذا التدبير وقدر هذا
 التقدير وهل يقدر العالم كلهم لو اجتمعوا ان يحيطوا بذلك وقلبوه سحاباً او ضباباً او

يذهبون عن الناس ويكتشفون عنهم ولو شاء ربهم تعالى لجنس عنه الرياح فاختنق على وجه الأرض فأعلق ما عليهم من الحيوان والناس
 (فصل) ومن ذلك سعة الأرض وامتدادها ولو لا ذلك لضاقت عن مساكن الناس والحيوان وعن مزارعهم ومصايفهم ومنتابت نمارهم وأعشاشهم • فان قلت فاحكم هذه القفار الخالية والفلوات الفارغة الموحشة • فاعلم ان فيها معايش مالا يحصيه الا الله من الوحش والدواب وعابيها أرزاقهم وفيها عاردهم وبنظم كالمدن والمساكن للناس وفيها بحافلهم ومساهم وعصيفهم ومشتاتهم ثم فيها بعد متسع ومتفس للناس ومضرطه اذا احتاجوا الى الانقال والبدو والاستبدال بالاوطن فكم من بيداء سهلق صارت قصوراً وجنتاً ومساكن ولو لا سعة الأرض وفسحها لكان أهلها كالمحصورين والمحبوسين في أماكنهم لا يجدون عنها التقالا اذا فدحهم ما يزعمون عنها ويضطرهم الى النقلة منها وكذلك الماء لو لا كثرته وتندفه في الاودية والاهوار لضاف عن حاجة الناس اليه ولغلب القوى الضعيف واستبدال به دونه فيحصل الفرار وتعظم البلاية مع شدة حاجة جميع الحيوان اليه من الطير والوحش والسباع فافتقت الحكمة ان كان بهذه الكثرة والسعفة في كل وقت واما الماء فقد تقدم ان الحكمة افتقت كونها متى شاء العبد اوراها عند الحاجة فهي وان لم تكن مبنية في كل مكان فانها عنيدة حاصلة متى احتج اليها واسعة لكل ما يحتاج اليه منها غير انها مودعة في أجسام جعلت معدن لها للحكمة التي تخدم

(فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليم بسيمه وهادها وتلوها ونظرها وآكامها ومنخفضها ومنتفعها ولو كان ربها تعالى أنها يسوقها من ناحية من نواحيها لما أتي الماء على الناحية المرتفعة الا اذا اجتمع في السفل وكثير وفي ذلك فساد فافتقت حكمته ان سقاها من فوقها فيتشي " سبحانه السحاب وهي روايا الأرض ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقيه كي يلقي الفحل الأنثى ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الامطار وادا بعثت من البحر قل مطرها وفي هذا المعنى يقول الشاعر يوسف السحاب

شر بن ماء البحر ثم ترقدت متى طبع خضر هن نسيج
 وفي الموطن مروا وهو أحد الاحاديث الاربعة المقطوعة اذا نشأت سحابة بحرية ثم تشاءمت فتك عين غديقة فالله سبحانه ينشي الماء في السحاب انشاء تارة يقلب البواء
 وتارة يحمله البواء من البحر فيلقي به السحاب ثم ينزل منه على الأرض ل الحكم التي ذكرناها ولو انه ساقه من البحر الى الأرض جاريا على ظهرها لم يحصل عموم السق

الا بتخريب كثير من الارض ولم يحصل عموم السق لاجزائها فصاعده سبحانه الى الجو بلطفه وقدرته ثم أزله على الارض بغاية من المتعف والحكمة التي لا اقتراح لجبيع عقول الحكماء فوقها فازله ومعه رحمة على الارض

(فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في انزاله بعد الحاجة حتى اذا أخذت الارض حاجتها منه وكان تتبعها عليها بعد ذلك يضرها أقلم عنها وأعقبه بالصحو فهما أعنى الصحو والغم يعتبان على العالم لما فيه صلاحه ولو دام أحدهما كان فيه فساده فلو توالت الامطار الا هلكت ما على الارض ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار وعفنت الزروع والخضروات وأرخت الابدان وحضرت الهواء سدلت ضرب من الامراض وفدي أكثرا الماء كل وتفطمت المسالك والسبيل ولو دام الصحو لجفت الابدان وغيره الماء وانقطع معين العيون والآبار والأنهار والأودية وعظم الضرر واحتدم الهواء، فيبس ما على الارض وجفت الابدان وغلب اليأس وأحدث ذلك خروجا من الامراض عشرة الرواى فاقتضت حكمة المطيف الخير أن عاق بين الصحو والمطر على هذا العالم فاعتدل الامر وصح الهواء ودفع كل واحد منها عادية الآخر واستقام أمر العالم وصلاح

(فصل) ثم تأمل الحكمة الاطية في اخراج الاقوات والثمار والحبوب والفوائد متلاحتة شيئاً بعد شيء متابعة ولم يخافها كلها جملة واحدة فلما تو خافت كذلك على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه السوق والاغصان لدخول التخلل وفاته المصالح التي رتبت على تلاحتها وتتابعها. فان كل فصل وأوان يقتضي من الفواكه والثبات غير ما يقتضيه الفصل الآخر فهذا حار وهذا بارد وهذا معتدل وكل في فصله موافق لامصالحة لا يليق به غير ما خلق فيه . ثم انه سبحانه خلق تلك الاقوات مقارنة لمناخ آخر من العصف والخشب والورق والنور والسعف والكرب وغيرهما من منافع النبات والشجر غير الاقوات كلف الباهم وأداة الابنية والسفن والرحال والاواني وغيرها ومنافع النور من الأدوية والمنظر البهيج الذي يشوق الناظرين وحسن مرافق الشجر وخفتها البدعة المشاهدة لفاظها وميدعها بغاية الحكمة والاملف . ثم اذا تأملت اخراج ذلك النور البهيج من نفس ذلك الخطب ثم الورق الاخضر ثم اخراج تلك الثمار على اختلاف أنواعها وأنماطاً ومقاديرها وألوانها وطعمها ورائحتها ومنافعها وما يراد منها ثم تأمل أين كانت مستودعة في تلك الخشبة وهاتيك العيدان وجعلت الشجرة لها كالاً فهل كان في قدرة الاب العاجز الضعيف ابراز هذا التصوير العجيب وهذا التقدير الحكيم وهذه الاصناف الفاتحة وهذه العلوم المديدة والروائع العلية وهذه المناظر العجيبة قتل الجاحدين تولى تقدير ذلك

وتصوره وإرائه وتربيته شيئاً فشيئاً وسوق الغذاء إليه في تلك العروق الاعطاقي التي يكاد البصر يعجز عن إدراكها وتلك المجرى الدقيق فمن الذي تولى ذلك كله ومن الذي أطلع لها الشمس وسخر لها الرياح وأنزل عليها المطر ودفع عنها الآفات وتأمل تقدير المطيف الحبير فإن الأشجار لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم حاجة الناس وسائل الحيوان وما يكن لها قوة أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تبعث بها انتقال الغذاء جعلت أصولها من كوزة في الأرض ليسرع بها الغذاء وتنقصه من أسفل الترى فتؤديه إلى أغصانها فتؤديه الأغصان إلى الورق والنهر كل له شرب معلوم لا يتعداه يصل إليه في مجرى وطرق قد أحكمت غاية الأحكام فناخذ الغذاء من أسفل فناته بعروقه كأينهم الحيوان غذاءه بهم ثم تقصه على حدها بحسب ما يحتمله فتعطي كل جزء منه بحسب ما يحتاج إليه لا نظامه ولا تزيد به على قدر حاجته فعل الجاحد من أعطاها هذا ومن هداها إليه ووضعه فيها فلو اجتمع الأولون والآخرون هل كانت قدرتهم وإرادتهم تصل إلى تربية ثمرة واحدة منها هكذا باشرارة أو صناعة أو حيلة أو مزاولة وهل ذلك إلا من صنع من شهدت له معنواه ودات عليه آياته كما في

فواجعاً كيف يعصي الله أم كيف يمحشه الجاحد

ولله في كل نحريكة وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل بيته له آية تدل على أنه واحد

(فصل) ثم تأمل إذا نصبت خيمة أو فسطاطاً كيف تتدبر من كل جانب بالاطباب ليثبت فلا يسقط ولا يتزعج مكذا تجد النبات والشجر له عروق متعددة في الأرض منتشرة إلى كل جانب لنسكه وتقيمه وكلما انتشرت أعلاه امتدت عروقه وأطنابه من أسفل في الجهات ولو لا ذلك كيف كانت تثبت هذه التخييل الطوال الباسقات والدوخ العظام على الرياح العواصف وتأمل سبق الخلق الاطبعة لصناعة البشرية حتى يعلم الناس نصب الخيم والفساطيط من خلقه للشجر والنبات لأن عروقه أطناب لها كأطناب الحبة وأغصان الشجر يخد منها الفساطيط ثم يحاكي بها الشجرة

(فصل) ثم تأمل الحكمة في خلق الورق فانك ترى في الورقة الواحدة من جملة العروق المتعددة فيها المثنوية فيها ما يسر الناظر فمنها غالباً عتيدة في الطول والعرض ومنها دفاق تحمل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معبجاً لو كان مما يتولى البشر صنع مثله بأيديهم لما فرغوا من ورقة في عام كامل ولاحتاجوا فيه إلى آلات وحركات وعلاج تعجز قدرتهم عن تحصيله فث الخلاق العليم في أيام قلائل من ذلك ما يقال الأرض

سهامها وجهاها بلا آلات ولا معين ولا معايير ان هي الا اراده النافذة في كل شيء وقدرته التي لا يمتنع منها شيء (انا أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) فتأمل الحكمة في تلك العروق المتخلطة الورقة بأسرها لتقديمها وتوصل اليها المادة فتحفظ عليها حباتها ونضارتها بعزالة العروق المبتورة في الابدان التي توصل الغذاء الى كل جزء منه وتأمل ما في العروق العلاظ من إمساكها الورق يصلبها ومتانها اثلاً تعزق وتضمحل في عزلة الاعصاب ليدن الحيوان فتراها قد أحكمت صنعتها ومدت العروق في طولها وعرضها لتساكم فلا يعرض لها الترق

(فصل) ثم تأمل حكمة اللطيف الخير في كونها جعلت زينة للشجر وستراً ولباساً لأشجاره ووقاية لها من الآفات التي تعم كلها وهذا اذا جردت الشجرة عن ورقها فسدت التمرة ولم ينفع بها وانظر كيف جعلت وقاية لنبت التمرة الضعيفة من اليأس فإذا ذهبت التمرة بقي الورق وقاية لتلك الافنان الضعيفة من الحر حتى اذا طفت تلك الجمرة ولم يضر الافنان عرها من ورقها او سلها ايام تكتسي لباساً جديداً أحسن منه فتبارك الله رب العالمين الذي يعلم مساقط تلك الاوراق ومتانها فلا تخرب منها ورقة الا باذنه ولا تسقط الا يعلمه ومع هذا فلو شاهدتها العباد على كثرتها وتنوعها وهي تسبح بحمد ربها مع المدار والافنان والاشجار لشاهدوا من جمالها أمراً آخر ولرأوا خلقها بعين أخرى وعلموا أنها لشأن عظيم خلقت وأنها لم تخلق سدى ٠ قال تعالى (والنجم والشجر يسجدان) فالنجم مالبس له ساق من النبات والشجر ماله ساق وكلها ساجدة لله مسبحة بمحده (وإن من شيء إلا يسبح بمحده ولكن لا تفهوم تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً) ولعلك أن تكون من غلط حجاجه فذهب الى أن التسبيح دلالتها على صانعها فقط فاعلم ان هذا القول يظهر بطلانه من أكثر من ثلاثة وسبعين ذكرنا أكثرها في موضع آخر وفي أي لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبحاً وسجوداً وسلامة وتأويباً وبوطاً من خصيته كما ذكر تعالى ذلك في كتابه فتارة يخبر عنها بالتسبيح وتارة بالسجود وتارة بالصلوة كقوله تعالى (والطير صافات كل قد علم صلاته وتبصره) أفترى يقبل عقلك أن يكون معنى الآية قد علم الله دلالته عليه وسمى تلك الدلالة صلاة وتسبحاً وفرق بينهما وعطف أحددهما على الآخر وتارة يخبر عنها بالتأويب كقوله ياجبال أوثني معه وتارة يخبر عنها بالتسبيح الخاص بوقت دون وقت كالعشري والانحراف أفترى دلالتها على صانعها إنما يكون في هذين الوقتين وبالأجلة بطلان هذا القول أظهر لنذوي البصائر من أن يطلبوا دليلاً على بطلانه والحمد لله

(فصل) ثم تأمل حكمته سبحانه في إبداع العجم والنوى في جوف المرة وما في ذلك من الحكم والقوانين التي منها أنه كالعظم ليدن الحيوان فهو يمسك بصلابته رخاؤه المرة ورقبتها ولولا ذلك لشذخت وتفسخت ولا سرع إليها الفساد فهو منزلة العظم والمرة منزلة النعم الذي يكسوه الله عن وجع العظام . ومنها أن في ذلك بقاء المادة وحفظها أذربعا تعطالت الشجرة أو نوءها اشتقق فيها ما يقوم مقامها عند تعطالها وهو النوى الذي يغرس فيعود ، مثلها ومماثلا في تلك الحبوب من أقوات الحيوانات وما فيها من المنافع والادهان والأدوية والاصباغ وضرورب آخر من المصالح التي يتعلمها الناس وما خفي عليهم منها أكثر فتأمل الحكمة في إخراجه سبحانه هذه الحبوب لمنافع فيها وكسوتها حماً لذيداً شهراً يتفكر به ابن آدم ثم تأمل هذه الحكمة البدعة في أن جعل للثمرة الرقيقة المعلبة التي يفسد لها الطوء والثمس غالباً يختفلي وغشاء يواريه كارمان والجوز واللوز ونحوه وأما لا يفسد اذا كان بارزاً بفعل له أول خروجه شاه يواريه لضعفه ولقلة صبره على الحر فإذا اشتد وقوى تفتق عن ذلك الغشاء وضيى للشمس والطوء كطلع النخل وغيره

(فصل) ثم تأمل خلقة الرمان وماذا فيه من الحكم والعجب فأنك ترى داخل الرمانة كأمثال القلال شحاماً متراكماً في نواحيها وترى ذلك الحب فيها مرصوفاً رصناً ومنضوداً نضداً لا يمكن الايدي أن تضنه وترى الحب مقسوماً أقساماً وفرقاً وكل قسم وفرقة منه ملفوظاً باللغائق وحجب منوجة أعجب نسج وألفقه وأدقه على غير منوال الا منوال كن فيكون ثم ترى الوعاء الحكيم الصلب قد اشتمل على ذلك كله وضمه أحسن ثم فتأمل هذه الحكمة البدعة في الشحم المودع فيها فان الحب لا يهد بعضه ببعضه اذ لم يمد بعضه ببعضه بعضاً لاختلط وصار جبة واحدة بفعل ذلك الشحم خلاله يمده بالغذاء والدليل عليه انك ترى أصول الحب مرکوزة في ذلك الشحم وهذا بخلاف حب العنبر فإنه استغني عن ذلك بأن جعل لكل جبة مجرى تشرب منه فلا تشرب حق أنها بل مجرى الغذاء في ذلك العرق مجرى واحداً ثم يقسم منه في بخاري الحبوب كلها فينبسط منه في كل مجرى غذاء تلك الجبة فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم انه انت ذلك الحب في تلك الرمانة بتلك المفارق ليضمه ويمسك فلا يضطرب ولا يتبدل ثم غنى فوق ذلك بالغشاء الصلب صوناً له وحفظاً ومسكاً له باذن الله وقدره فهذا قليل من كثير من حكمة هذه المرة الواحدة ولا يكفي ولا غيرنا استقصاء ذلك ولو طالت الايام وانسع الفكر ولكن هذا منه على ما وراءه والباقي يكتفى ببعض ذلك . وأما من غلبت

عليه الشقاوة (وكأين من آية في السموات والارض يررون عليها وهم عنها معرضون) غافلون عن موضع الدلالة فيها

(فصل) ثم تأمل هذا الربيع والغاء الذي وضعه الله في الزرع حتى صارت الجبة الواحدة ربما أثبتت بسمامة حبة ولو أثبتت الجبة حبة واحدة منها لا يكون في الغلة متسع لما يرد في الارض من العجب وما يكفي الناس ويقوت الزارع الى ادرك زرعه فصار الزرع بريع هذا الربيع ليقى بما يحتاج اليه لقوى والزراعة وكذلك نمار الاشجار والنخيل وكذلك ما يخرج مع الاصل الواحد منها من الصنوان ليكون لما يقطعنه الناس ويستعملونه في ما ربهم خلفا فلا يطال المادة عليهم ولا تنقص ولو أن صاحب بلد من البلاد أراد عمارة لا أعطى أهله ما يبذرونه فيما يعيشهم الى استواء الزرع فاقضت حكمة الاطيف الخير أن أخرج من الجبة الواحدة جبات عديدة ليقيس الخارج الناس ويذخرون منه ما يزروعون

(فصل) ثم تأمل الحكمة في الجبوب كالبر والشعير ونحوها كيف يخرج الحب مدرجا في قشور على رؤوها أمثال الاسنة فلا يمكن جند الطير من افسادها والعبث فيها فإنه لو صادف الحب بارزا لاصوان عليه ولا وقاية تحول دونه لفسكت منه كل التمكن فافسد وعاب وعاث وأكب عليه أكلاما مستطاع وعجز أبواب الزرع عن رده بجعل الاطيف الخير عليه هذه اوقايات لتصونه فينال الطير منه مقدار قوته ويبقى أكثره للانسان فإنه أولى به لانه هو الذي كدح فيه وشق به وكان الذي يحتاج اليه أضعف حاجة الطير

(فصل) ثم تأمل الحكمة الباهرة في هذه الاشجار كيف تراها في كل عام لها حل ووضع فهى دائما في حل وولادة فإذا أذن لها بها في الحل احتبت الحرارة الطبيعية في داخلها واحتبت فيها ليكون فيها حلها في الوقت المقدر لها فيكون ذلك الوقت بمنزلة وقت الملوق ومبدا تكون النطاف فتعمل المادة في أجوفها عملها وتهيئها للعلوقة حتى إذا آن وقت الحمل دب فيها الماء فلانت أعطاها وتحركت للاحمل وسرى الماء في افانها وانتشرت فيها الحرارة والرطوبة حتى إذا آن وقت الولادة كيت من سائر الملابس الفاخرة من النور والورق ماتبخرت فيه وتميس به وتغمر على العقيم فإذا ظهرت أولادها وبان لانتظار حلها علم حينئذ كرمها وطيبها من لؤمهما ومحنها فتولى تغذيه ذلك الحمل من تولي غذاء الاجنة في بطون أمهاها وكشاها الاوراق وصانها من الحر والبرد فإذا تكامل الحمل وأن وقت القطام ندللت اليك افانها كما تناولك ثمرة درها

فإذا قابلتها رأيت الأفان كأنها تلقاءك بابولادها وتحبب وتكرمك بهم وتقديهم إليك حتى
كان منها ولا يتناولك ايهم بيده ولا سبأ قطوف جنات النعم الدائمة التي يتناولها المؤمن
قائماً وقاعدأً أو مختلطجعاً وكذلک ترى الرياحين كأنها تحبب بافخها وتقابلها بطيب رائحتها
وكل هذا أكراماً لك وعذابة بأمرك وتحصيصالك وتفضيلاً على غيرك من الحيوانات
أفيجعل بك الاشتغال بهذه النعم عن النعم بها فكيف اذا استغشت بها على معاشرها
وصرفها في مساخطه فكيف اذا جحدته وأبغضها الى غيره كا قال (وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون) خذير بن له مكة من عقل ان يسافر بضرره في هذه النعم والآلاء
ويذكر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها ما هو ولا ي شيء خلق ولما ذا هي وأي أمر
طلب منه على هذه النعم كما قال تعالى (واذ ذكروا آلاء الله لعلمكم فلحلون) فذكر آلانه
تبارك وتعالى ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة لأن ذلك لايزيده الا محبة الله
وحدها وشكراً وطاعة وشهود تفضيره بل تفريجه في القليل مما يجب لله عليه
ولله در القائل

وَهِيُوكَلْأَمْرِ لَوْ فَطَتْ لَهُ فَارِبَأَبْنَسْكَ أَنْ تَرْعِيْ مَعَ الْهَمْلِ

(فصل) ثم تأمل الحكمة في شجر البقطين والبطيخ والجزر كيف لما اقتضت
الحكمة ان يكون حمله ثماراً كباراً جعل نباته متسطلاً على الارض اذ لو انتصب قائمًا
كما ينتصب الزرع لضعف قوته عن حل هذه الثمار الثقيلة ولنقضت قبل ادراكها
وانهائها الى غياتها فاقتضت حكمة مبدعها وخلقها ان يسعطه ومدده على الارض ليلقي
عليها ثماره فتحملها عنه الارض فترى العرق الضعيف الدقيق من ذلك منبعاً على
الارض وثماره مبتورة حوليه كأنها حيوان قد اكتستها أجراوها فهي ترضعهم ولما كان
شجر الملوية والاذنجان والبابالاء وغيرهما يقوى على حل ثمره أبته الله منتصباً قائماً
على ساقه اذ لا يلقي من حل ثماره مؤنة ولا يضعف عنه

(فصل) ثم تأمل كيف اقتضت الحكمة الالهية موافات أصناف الفواكه والثمار
للناس يحسب الوقت المثالي كل طا المقتضي لها فتوافقهم كوافات الماء لاغلظمان فتتلقاها الطبيعة
بانشراح واشتياق منتظرة لقادومها كانتظار الغائب لغائب فلو كان ثبات الصيف اعابها في
في الشتاء اصادف من الناس كراهية واستنقاها بوروده مع ما كان فيه من المضرة للابدان
والاذى لها وكذلک لو وافق ما في ربيعها في الخريف او ما في خريفها في الربيع لم يقع من
النفوس ذلك الموضع ولا استطابتة واستندت ذلك الانتداب وهذا تمجيد المتأخر منها عن
وقته مثلاً مخلول الظم ولا يظن ان هذا بجريان العادة المجردة بذلك فان العادة ائماً

جرت به لانه وفق الحكمة والمصلحة التي لا يدخل بها الحكم الخير
 (فصل) ثم تأمل هذه النخلة التي هي احدى آيات الله تجد فيها من الآيات والمعجازات
 ما يبررك فانه لما قدر ان يكون فيه اذ احتاج الى الملاحة جعلت فيها ذكور ناقحها بمنزلة
 الحيوان وانما ذلك اشتد شبهها من بين سائر الاشجار بالانسان خصوصاً بالمؤمن كا
 منه النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من وجوه كثيرة (أحددها) ثبات أساسها في الارض
 واستقراره فيها ولما نظرت الى الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار
 (الثاني) طيب نمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها كذلك المؤمن طيب الكلام طيب العمل فيه
 المنفعة لنفسه ولغيره (الثالث) دوام لباسه او زينتها فلا يسقط عنها صيفاً ولا شتاً كذلك المؤمن
 لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى (رابع) سهلة تناول نمرتها ويسره
 أما قصیرها ولا يحوج المتناول أن يرقاها وأما باسقها فصعده سهل بالنسبة الى صعود
 الشجر الطوال وغيرها فتراءها كما أفاد هيئت منها المرافق والدرج الى أعلىها وكذلك
 المؤمن خيره سهل قرءب لهن رام تناوله لا بالغر ولا بالثيم (الخامس) ان نمرتها من أنفع
 ثمار العالم فانه يؤكل كل رطبه فاكهة وحلاوة وبابنه يكون قوتاً وأدماً وفاكهه ويستخدم منه
 الخل والناطف والحلوى ويدخل في الادوية والاشريه وعموم المنفعة به وبالعنبر فوق
 كل الغار وقد اختتم الناس في أيهما أنفع وأفضل وصنف الجاحظ في المحكمة
 بهمما مجلداً فأطال فيها الحجاج والتفضيل من الجانسين وفصل الزراع في ذلك ان النخل
 في معدنه ومحل سلطانه أفضل من العنبر وأعم نفعاً وأجدى على أهله كالمدينة والحجاج
 والعراق والعنبر في معدنه ومحل سلطانه أفضل وأعم نفعاً وأجدى على أهله كالشام
 والجبال والمواضع الباردة التي لا تقبل النخيل وحضرت مررة في مجلس ينكة فيه من
 أكابر البلد شررت هذه المسئلة وأخذ بعض الجماعة الحاضرين يطلب في تفضيل النخل
 وفوائده وقال في أثناء كلامه ويكتفي في تفصيله ان اشتري بنواه العنبر فكيف يفضل عليه
 نمر يكون نواه ننانا له وقال آخر من الجماعة قد فصل النبي صلى الله عليه وسلم الزراع في
 هذه المسئلة وشق فيها بنبيه عن تسمية شجر العنبر كرمًا وقال الكرم قلب المؤمن فاي
 دليل أبين من هذا وأخذوا يبالغون في تقرير ذلك فقلت لا الاول ماذكره من كون نوى
 القر ننانا لامنة فليس بدليل فان هذا له أسباب وأحددها حاجتكم الى التوى للعنبر
 فيرغ صاحب العنبر فيه لعاف ناضجه وحولته الثنائي ان نوى العنبر لفائدة فيه
 ولا يجتمع الثالث ان الاعناب عندكم قبلية جداً والقر أذر ثني عندكم فيكثر نواه
 فيشتري به الشيء البسيط من العنبر وأما في بلاد فيها سلطان العنبر فلا يشتري بالثوى
 (٣١ - مفتاح اول)

منه شيء ولا قيمة لتوى الترف فيها وقلت لمن احتاج بالحديث هذا الحديث من حجج فضل العنبر لأنهم كانوا يسمونه شجرة الكرم لكثره منافعه وخيره فانه يقول كل رطب وباباً وحلواً وحامضاً وتحتها منه أنواع الاشربة والحلوى والدبس وغير ذلك فسموه كرما لكثره خيره فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن قلب المؤمن أحق منه بهذه التسمية لكثره ما أودع الله فيه من الخير والبركة والرحمة والعدل والاحسان والصح وسائر أنواع البر والتخيير التي وضعها الله في قلب المؤمن فهو أحق بان يسمى كرما من شجر العنبر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم إبطال ما في شجر العنبر من المنافع والفوائد وان تسميتها كرماً كذب وانها لفظة لا معنى لها كتسمية الجاهل علماً والفاجر برأً والبعيدين سخيناً لأنها انترى انه لم ينفع فوائد شجر العنبر وإنما أخبر عنه ان قلب المؤمن أغزر فوائده وأعظم منافع منها هذا الكلام أو قرب منه جرى في ذلك المجلس وأنت اذا تدبرت قول النبي صلى الله عليه وسلم الكرم قلب المؤمن وجدته مطابقاً لقوله في النخلة مثلها مثل المسلم فشبه النخلة بالسلم في حديث ابن عمر وبشه المسلم بالكرم في الحديث الآخر ونهاهم أن ينحصروا شجر العنبر باسم الكرم دون قلب المؤمن وقد قال بعض الناس في هذا معنى آخر وهو أنه نهاهم عن تسمية شجر العنبر كرماً لأنها يقتني منه أم الطبات فيكره أن يسمى باسم يرغبه النفوس فيها ويحضرهم عليها من باب سد الذرائع في الأنفاس وهذا لا يأس به لو لات آت قوله فإن الكرم قلب المؤمن كالتعابيل لهذا النبي والاشارة إلى انه أولى بهذه التسمية من شجر العنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أراد من كلامه فالذي قصدته هو الحق وباجلته فالله سبحانه عدد على عباده من نعمه عليهم نمرات التخييل والاعتاب فساقها فيها عدده عليهم من نعمه والمعنى الاول أن ظهر من المعنى الآخر ان شاء الله فان أم الطبات تأخذ من كل نمر كالنخيل كما قال تعالى (ومن نمرات التخييل والاعتاب تأخذون منه سكرأ ورزقنا) وقال أنس نزل تحرير الخير وما بالمدينة من شراب الأعناب شيء وإنما كان شراب القوم الفضيحة المتخذة من التمر فلو كان نبيه صلى الله عليه وسلم عن تسمية شجر العنبر كرماً لأجل المسكر لم يشبه النخلة بالمؤمن لأن المسكر يخذد منها والله أعلم (الوجه السادس) من وجوه النشيه ان النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد وغيرها من الدواع العظام تمثلها الريح تارة وتعالمها تارة وتقصف أفنانها ولا صبر لكتير منها على العطش كصبر النخلة فكذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعن عه الرياح السابع ان النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء بغير منفعة فنمرها منفعة وجذعها فيه من المنافع ما لا يجهل لابنية والسقوف وغير ذلك وسعفها تسقف به البيوت مكان

القصب ويستر به الفرج والخلل وخصوصها يتخذ منه المكابيل والزتابيل وأنواع الآنية والمحصر وغيرها وليتها وكرها في من المنافع ما هو معلوم عند الناس وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المسلم وجعل لكل منفعة منها صفة في المسلم تقابلها فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بازاته من المسلم صفة الحorda على أعداء الله وأهل الفجور فيكون عليهم في الشدة والغلافة بمنزلة الشوك وللمؤمنين والمتدينين بمنزلة الرطب حلاوة ولينا (أشداء على الكفار رحمة بهم) (الثامن) أنها كلها أطوال عمرها ازداد خيرها وجاء عمرها وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله (الناسع) إن قلبها من أطيب القلوب وأحلاء وهذا أمر خصت به دون سائر الشجر وكذلك ثلب المؤمن من أطيب القلوب . العاشر أنها لا يتتعطل نفعها بالكلية أبداً بل إن تعطلت منها منفعة فضها منافع آخر حتى لو تعطلت ثمارها سنة لكان للناس في سعفها وخصوصها وليتها وكرها منافع وهذه المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الظاهر فقط أن أجدهب منه جانب من الخير أخصب منه جانب فلا يزال خيره مأمولًا وشره مأموناً وفي الترمذى من فواعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فهذا فصل معترض ذكرناه استطراداً لاحكمية في خالق النخلة وهيئتها فلترجع إليه فتأمل خالقة الجذع الذي لها كيف هو تجده كالنسوج من خبوط ممدودة كالسدا وأخرى معترضة كالاجمعنة كنحو النسوج بالبر وذلك لتشتد وتصلب فلا تتصف من حل الحيوان الثقيل وتصبر على هز الرياح العاصفة وليتها في السقوف والجسور والأواني وغير ذلك مما يتخذ منها وهذه سائر الخشب وغيرها إذا تأملته شبه النسج ولا زرقاء مصنوعة كالحجر الصلد بل ترى بعضه كأنه داخل يعنينا طولاً وعرضَا كذلك داخل أجزاء اللحم بعضها في بعض فإن ذلك أمن له وأهياً لبراد منه فإنه لو كان مصنوعة كالحجارة لم يكن أن يستعمل في الآلات والأبواب والأواني والامتنعة والاسرة والتوابيت وما أشبهها ومن بديع الحكمة في الخشب أن يجعل يصلفو على الماء وذلك لاحكمية البالغة إذا لولا ذلك لما كانت هذه السفن تحمل أمثال الجبال من الحمولات والامتنعة وتغمر البحر مقبلة ومدبرة ولو لا ذلك لما تهيا للناس هذه المرافق حل هذه التجارة العظيمة والامتنعة الكثيرة ونقلها من بلد إلى بلد من حيث لو نقلت في البر لعظام المؤنة في نقلها وتعد على الناس كثير من مصالحهم

(فصل) ثم تأمل أحوال هذه العقاقير والأدوية التي يخرجها الله من الأرض وما يخص به كل واحد منها وجعل عليه من العمل والنفع فهذا يغور في المفاصل فيستخرج

الفضول الغليظة القاتلة لو احتسبت وهذا يستخرج المرة
 الصفراء وهذا يحمل الاورام وهذا يسكن الميجان والقلق وهذا يجلب النوم ويعدمه اذا
 أزعجه الانسان وهذا يخفف الدن اذا وجد النقل وهذا يفرح القلب اذا تراكت عليه
 القعوم وهذا يجعله يلتفط وهذا يحمد البصر وهذا يطيب السكرمة وهذا يسكن
 هيجان الباقة وهذا يوجهها وهذا يبرد الحرارة ويعطفها وهذا يقتل البرودة ويسريح الحرارة
 وهذا يدفع ضرر غيره من الادوية والاغذية وهذا يقاوم بكيفيته كيفية غيره فيعتدلان
 فيعتدل المزاج بتناولهما وهذا يسكن المطاع وهذا يصرف الرياح الغليظة ويطردتها وهذا
 يعطي اللون اشراقاً ونضاره وهذا يزيد في اجزاء الدين بالسمن وهذا ينقص منها وهذا
 يدبغ المعدة وهذا يجعلها وينسليها الى اضعاف اضعاف ذلك مما لا يخص العداد فسل
 المعطل من جمل هذه المنافع والقوى في هذه النبات والخاشيش والحبوب والعرق
 ومن أعطي كلاً منها خاصيته ومن هدى العباد بل الحيوان الى تناول ما ينفع منه وترك
 ما يضر ومن فطن لها الناس والحيوان البهيم وبأي عقل وتجربة كان يقف على ذلك ويعرف
 ما خلق له كاذب من قل نصيه من التوفيق لولا انعام الذي أعطي كل شيء خلقه ثم
 هدى وهب ان الانسان فطن بهذه الاشياء بذاته وتجاربه وفكرة وقياسه فمن الذي فطن
 لها البهائم في اشياء كثيرة منها مالا يهتدى اليها الانسان حتى صار بعض السبع يتداوى
 من جراحه ببعض تلك العقاقير من النبات فيرأى من الذي جعله يقصد ذلك النبات دون
 غيره وقد شوهد بعض الطير يختنق عند الحصر بباء البحر فيسهل عليه الخارج وبعض
 الطير يتداوى اذا اعترى شيئاً من النبات فنعود صحته وقد ذكر الاطباء في مبادي الطب
 في كتبهم من هذا عجائب فسل المعطل من أطعمها ذلك ومن أرشدها اليه ومن دطا عليه
 أفيجوز أن يكون هذا من غير مدبر عزيز حكيم وتقدير عزيز عليم وتقدير اطيف خبير
 بهرت حكمته العقول وشهدت له الفطر بما استودعها من تعريげ بأنه الله الذي لا له الا
 هو الخالق الباري المصور الذي لا ينبعى العبادة الا له وانه لو كان معه في سمواته وأرضه
 الله سواء لفسدت السموات والارض واختل نظام الملائكة فسبحانه وتعالي عما يقول
 الظالمون والجاحدون علواً كبيراً واملك ان تقول ما حكمة هذا النبات المثبت في
 الصحاري والفقار والجحش التي لا يأيس بها ولا ساكن وتنظر انه فضلة لاحاجة اليه ولا
 فائدة في خلقه وهذا مقدار عقلك ونهاية علمك فكم لباريء وخالقه فيه من حكمة وآية
 من طم لو حسن وطير ودواب مساكنتها حيث لا تراها تحت الارض وفوقها فذلك عزالة
 ما انة نصيتها الله طنه الوحش والطيور والدواب تناول منها كفافتها ويبقى الباقي كا

يبي الرزق الواسع الفاضل عن الضيق لسعة رب الطعام وغذاء الثام وكثرة انعامه
 (فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في اعطائه سبحانه بهيمة الانعام الانعام والابصار
 ليتم تناوتها مصالحها ويكملا انسانها بها اذ لو كانت عميات او صفاتكم يمكن من الانساع
 بها ثم سلها العقول على كبر خلقها التي للانسان ليتم تسخيره ايها فيقودها ويصر لها حيث
 شاء ولو أعطيت العقول على كبر خلقها لامتنعت من طاعته واستعصت عليه ولم تكن مسخة
 له فاعطيت من التميز والادراك ما تم به مصالحها ومصلحة من ذلك له وسلبت من الذهن
 والعقل ما يميز به عليها الانسان ولذلك ظهر أيضاً فضيلة التميز والاختصاص • ثم تأمل كيف
 قادها بذلك على كبر أجسامها ولم يكن يطيقها لو لا تسخيره قال الله تعالى (وجعل لكم
 من الفلك والانعام ما ترکبون لتسنوا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم اذا استويتم عليه
 وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقربين) أي مصطفين ضابطين وقال
 تعالى (أولم يروا ما خلقنا لهم مما عدلنا أيدينا أنعاماً فهم هما مالكون وذلناها لهم فنها
 ر كوكب ومنها يأكلون) فترى العبر على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذيلاً منقاداً
 ولو أرسل عليه لسواه بالارض ولقصبه عضواً عضواً قيل المتعطل من الذى ذلك وسخره
 وقدره على قوه البشر ضعيف من أضعف الخلوقات وفرغ بذلك التسخير النوع الانساني
 لمصالح معاشة ومعاده فإنه لو كان يزاول من الاعمال والاحوال ما يزاول الحيوان اشغل
 بذلك عن كثير من الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد لي عدة أيام يحملون
 أغلاله وحمله ويعجزون عن ذلك وكان ذلك يستغرق أوقاتهم ويصددهم عن مصالحهم
 فأعينوا بهذه الحيوانات مع ماطم فيها من المنافع التي لا يمحضها إلا اللهم الغذاء والشراب
 والدواء واللباس والأمنية والآلات والأواني والركوب والحرث والمنافع الكثيرة والجمال
 (فصل) ثم تأمل الحكمة في خلق آلات البطن في الحيوانات من الانسان وغيره
 فالانسان لما خلق ميناً لتثل هذه الصناعات من البناء والخياطة والكتابة وغيرها خلق له
 كف مستدير مبسط وأصابع يمكن بها من القبض والبط والطى والنشر والجمع
 والتفرق وضم الشيء إلى مثله والحيوان البشري لم يتم تهيئاً لتلك الصنائع لم يخلق له تلك
 الاكف والاصابع بل لما قدر ان يكون غذاء بعضها من صيده كالسباع خلق له أكف
 لطاف مدجدة ذات برائني ومخالب تصلح لاقتناص الصيد ولا تصلح للصناعات هذا كله
 في أكلة اللحم من الحيوان وأما أكلة النبات فلما قدر أنها لاقتطاد ولا صنعة لها خلق
 لبعضها اظلافاً تقيها خشونة الارض اذا جلت في طلب المرعى ولبعضها حوافر ملبدة
 مقعرة كأنف القدم لتنعلق على الارض وتتهيأ لاركوب والحملة ولم يخلق لها بران

ولأنساناً لأن غذاءها لا يحتاج إلى ذلك

(فصل) ثم تأمل الحكمة في خلقة الحيوان الذي يأكل اللحم من البهائم كيف جعلت له أسنان حداد وبرائحة شداد وأشداقي مهرونة وأفواه واسعة وأعنة بأسلحة وأدوات تصلح للصيد والا كل ولذلك تجده سباع الطير ذوات مناقير حداد ومخالب كالكلاليلب وهذا حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع ومخالب من الطير لضرره وعدوانه وشره والمفترضي شيء بالغادي فلو اغتنى بها الإنسان لصار فيه من أخلاقيها وعدوامها وشرها ما يشاهدها به سباع على الأمة أكلها ولم يحرم عليهم الفبع وإن كان ذا ناب فإنه ليس من السباع عند أحد من الأئم والتعزيم إنما كان لما تضمن الوصفين أن يكون ذا ناب وإن يكون من السباع ولا يقال هذا ينتقض بالسبع إذا لم يكن له ناب لأن هذا لم يوجد أبداً فصلوات الله وسلامه على من أوي جوامع الكلم فأوضح الأحكام وبين الحلال والحرام فانظر حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره فيما خلقه وفيما شرعه تجده مصدر ذلك كله الحكمة البالغة التي لا يختلف نظارها ولا يخترم أبداً ولا يختلط أصلاً ومن الناس من يكون حظه من مشاهدة حكمة الامر أعظم من مشاهدة حكمة الخلق وهو لاء خواص العباد الذين عقولا عن الله أمره ودينه وعرفوا حكمته فيما أحكمه وشهدت فعلمهم وعقولهم أن مصدر ذلك حكمة بالغة واحسان ومصالحة أربدت بالعباد في معاشهم ومعادهم وهم في ذلك درجات لا يمحضها الإله ومهنهم من يكون حظه من مشاهدة حكمة الخلق أوفر من حظه من حكمة الامر وعم أكثر الأطباء الذين صرفوا أفكارهم إلى استخراج منافع النبات والحيوان وقوتها وما تصلح له مفردة ومركبة وليس لهم نصيب في حكمة الامر الا كالمفقود من حكمة الخلق بل أقل من ذلك ومهنهم من فتح عليه مشاهدة الخلق والامر بحسب استعداده وقوته فرأى الحكمة الباهرة التي بورت العقول في هذا وهذا فاذا نظر إلى خلقه وما فيه من الحكم ازداد إيماناً وعرفة وتصديقاً بما جاءت به الرسل وإذا نظر إلى أمره وما تضمنه من الحكم الباهرة ازداد إيماناً وبقينا وتبليما لا كمن حجب بالصنعة عن الصانع وبالكراءك عن مكوكيها فمعي بصره وغلط عن الله حجاجه ولو أعطي علمه حقه لكان من أقوى الناس إيماناً لأنه اطلع من حكمة الله وباهر آياته ومجائب صنعته الدالة عليه وعلى علمه وقدرته وحكمته على ماخفي عن غيره ولكن من حكمة الله أيضاً أن سبّ كثيراً من عقول هؤلاء خاصيتها وحجتها عن معرفته وأوقتها عند ظاهر من العلم بالحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لذاتهما وخستها وحقارتها وعدم أهليتها لمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأسرار دينه وشرعه

والفضل بيد الله يؤتى من يشاء ولهذا الفضل العظيم وهذا باب لا يطلع الخلق منه على ماله نسبة إلى الخافق عنهم منه أبداً بل علم الأولين والآخرين منه كنقرة العصفور من البحر ومع هذا فليس ذلك بوجوب لاعتراض عنه واليأس منه بل يستدل العاقل بما ظهر له منه على ما ورائه

(فصل) ثم تأمل أولاً ذوات الأربع من الحيوان كيف تراها تتبع أمها هما مستقلة بأنفسها فلا تحتاج إلى الحمل والتربية كما يحتاج إليها أولاد الإنسان فمن أجل أنه ليس عند أمها هما ماعند أمها هما البشر من التربية والملاطفة والرفق والآلات المتصلة والمنفصلة أعطاها الاعتف الخبر التهوض والاستقلال بأنفسها على قرب العهد بالولادة ولذلك ترى أفراخ كثير من الطير كالدجاج والدراج والفتح يدرج ويقطع حين يخرج من البيضة وما كان منها ضعيف التهوض كفراخ الحمام والجام أعطى سبحانه أمها هما من فضله العطف والشفقة والحنان ماتحتاج به الطعام في أفواه الفراخ من حوصلها فتختباء في أعز مكان فيها ثم تسوقه من فيها إلى أفواه الفراخ ولا تزال بها كذلك حتى ينهض الفراخ ويستقل بنفسه وذلك كله من حظها وقسمها الذي وصل إليها من الرحمه الواحدة من المائة فإذا استقل بنفسه وأمكنته الطيران لم ينزل به الآبوان يعالجنه أنت معالجة وألطافها حتى يطير من وكره ويسترزق لنفسه ويا كل من حيث يأكلاه وكأنهما لم يعرفاه ولا عرفهما فقط بل يطردنه عن الوكر ولا يدعنه وأقواتهما وبيتهما بل يقولان له يسان يفهمه أخذ لك وكرأ وقوتا فلا وكر لك عندنا ولا قوت فضل المعطل لهذا كله عن اهتمام ومن الذي اهتمها ذلك ومن الذي عطفها على الفراخ وهي صغار أحوج ما كانت إليها ثم سب ذلك عنها إذ استغنت الفراخ رحمة بالآباء تسعى في مصالحها إذ لو دام طلاق ذلك لاضر بها وشغلاها عن معاشها لا يجا مع كثرة ما يحتاج إليه أولادها من الغذاء فوضع فيها الرحمة والإيثار والحنان رحمة بالفراخ وسلمها إياها عند استغاثتها رحمة بالآباء فيجوز أن يكون هذا كله بلا تدبر مدبر حكم ولا عنایة ولا لطف منه سبحانه وتعالى لقد قامت أدلة ربوبته وبراهين أهليته وشواهد حكمته وآيات قدرته فلا يستطبع العقل طلاق جموداً أن هي إلا مكابرة بالآنس من كل جمود كفور (إني الله شيك فاطر السموات والارض) وإنما يكون الشك فيما تتحقق أدلة وتشكل براهين فاما من له في كل شيء محسوس أو معقول آية بل آيات مؤدية عنه شاهدة له بأنه الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين فكيف يكون فيه شك (فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في قوائم الحيوان كيف اقتضت أن تكون زوجاً لا فرداً أما انتين وأما أربعاً ليتهما له المشي والسمى وتنم بذلك مصلحته إذ لو كانت فرداً

لم يصلاح لذلك لأن الماشي ينتقل ببعض قوائمه ويعتمد على بعض قدميه الفائتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى وذو الأربع ينقل أربعين ويعتمد على أربعين وذلك من خلاف لامه لو كان ينقل قائمتين من جانب ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض حال نقله قوائمه ولكن مشيه نقر أكتاف الطائر وذلك مما يؤذيه ويتعبه لنقل بيده بخلاف الطائر وهذا اذا مثى الإنسان كذلك قليلاً أجهده وشق عليه بخلاف مشيه الطبيعي الذي هو له فاقضت الحكمة تقديم نقل البني من يديه مع اليسرى من رجليه واقرار يسرى اليدين وبعفي الرجلين ثم نقل الآخرين كذلك وهذا أسهل ما يكون من المشي وأخفه على الحيوان

(فصل) ثم تأمل الحكمة البالغة في ان جعل ظهور الدواب مبسوطة كأنها سقف على عمد القوائم ليتبرأ رکومها وتستقر الحمولة عليها ثم خولف هذا في الإبل فجعل ظهورها مسقمة معقودة كاقيبو لما خصت به من فضل القوة وعظم ما تحمله والأقباء تحمل أكثر مما تحمل السقوف حتى قيل ان عقد الأقباء إنما أخذ من ظهور الإبل وتأمل كيف لما طول قوائم البعير طول عنقه ليتناول المراعى من قيام فلو قصرت عنقه لم يمكنه ذلك مع طول قوائمه ولذلك أيضاً طول عنقه موازناً للحمل على ظهره اذا استقل به كما ترى طول قصبة القبان حتى قيل ان القبان إنما عمل من خلقة الجمل من طول عنقه ونقل ما يحمله وهذا تراه يهد عنقه اذا استقل بالحمل كأنه يوازن موانته

(فصل) ثم تأمل الحكمة في كون فرج الدابة جعل بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضرائها ولو جعل في أسفل بطنه كما جعل للمرأة يمكن الفحل من ضرائها الا على الوجه الذي تجتمع به المرأة وقد ذكر في كتب الحيوان ان فروج الفيلة في أسفل بطنه فإذا كان وقت الضراب ارفع ونشرز ويرز للفحل فيتمكن من ضرائها فلما جعل في الفيلة على خلاف ما هو في سائر البشام خصت بهذه الخاصية عنها ليتبرأ الأمر الذي به دوام النسل

(فصل) ثم تأمل كيف كانت أجسام الحيوان البشري هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف وكيف الطيور الريش وكيف بعض الدواب من الجلد ما هو في غاية الصلابة والقوة كالسلحفاة وبعضها من الريش ما هو كالأسنة كل ذلك بحسب حاجتها الى الوقاية من الحر والبرد والعدو الذي يريد أذاها فلتاماً يكن لها سبيل الى اتخاذ الملابس واصطناع الكسوة وآلات الحرب أعنيت بملابس وكسوة لا تفارقها وآلات وأساحة تدفع بها عن نفسها وأعنيت باظلال وانخفاض وحوالف لما عدلت الأحذية والنعال فعها

حذاؤها وسقاوتها وخص الفرس والبغال والجامار بالحوافر لما خلق للركض والشد والجربي وجعل لها ذلك أيضاً سلاحاً عند انتصافها من خصوصيتها عوضاً عن الصبراصي والمخالب والأنياب والبرانى فتأمل هذا المططف والحكمة فانما ما كانت بهائم خرضاً لاعقول طاوولاً كف ولا أصابع مهيأة للارتفاع والدفاع ولا حفظ لها فيما يتصرف فيه الآدميون من النسج والغزل ولطف الطيبة جعلت كسوتها من خلقها باقية عليها ما يقتضي لاحتياج إلى الاستبدال بها وأعطيت آلات وأسلحة تحفظ بها نفسها كل ذلك لئن الحكم على أريبت بها ومنها وأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف ميسنة للاعمل فهى تغزل وتنسج وتحذ لنفسه الكوة ويستبدل بها حالاً بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات عديدة منها أن يستريح إذا خلع كسوته إذا شاء ويلبسها إذا شاء ليس كاينضر إلى حل كوة • ومنها أنه يتخذ لنفسه ضرباً من الكوة للاصيف وضروباً لشتاء فإن كسوة الصيف لا تلقي بالشتاء وكسوة الشتاء لا تلقي بالصيف فيتتخذ لنفسه في كل فصل كسوة موافقة • ومنها أنه يجعلها تابعة لشهوه وإرادته • ومنها أنه يتلذذ بأ نوع الملابس كما يتلذذ بأ نوع الطعام بجعلت كسوته متعددة تابعة لاختياره كما جعلت مطاعمه كذلك فهو يكتسي ما يشاء من أنواع الملابس المتعددة من النبات تارة كالقطن والكتان ومن الحيوان تارة كالأبر و الصوف والشعر ومن الدود تارة كالمطرير والابرiss ومن المعادن تارة كالذهب والفضة بجعلت كسوته متعددة لئن لذته وسروره وابهاجه وزينته بها ولذلك كانت كسوة أهل الجنة منفصلة عنهم كا هي في الدنيا ليست مخلوقة من أجسامهم كحيوان فدل على أن ذلك أكمل وأجل وأبلغ في النعمة • ومنها ارادة تمييزه عن الحيوان في ملبيه كما يميزه عنه في مطلعه ومذكره وبيانه وعقله وفهمه • ومنها اختلاف الكوة والباس وتبديله بحسب تباين أحواله وصناعته وحربه وسلامه وظنه واقاته وصحته ومرضه ونومه وبعفنته ورفاهيته فلكل حال من هذه الأحوال بس وكسوة تخصها لاتلقي إلا بها فلم يجعل كسوته في هذه الأحوال كلها واحدة لاسيء إلى الاستبدال بها فهذا من تذكره وتفضيه على سائر الحيوان

(فصل) ثم نتأمل حكمة عجيبة جعلت للبهائم والوحش والسباع والدواب على كثرة لا يرى منها شيء وليس شيئاً قليلاً فتخفي لقائها بل قد قيل أنها أكثر من الناس واعتبر ذلك بما تراه في الصحاري من أمراب الغلاء والقر والوعول والذئاب والثعور وضروب الهوام على اختلافها وسائر دواب الأرض وأنواع الطيور التي هي أضعاف أضعف بي آدم لا تكاد ترى منها شيئاً ميتاً لا في كنائسه ولا في أوكاره ولا في

مساقطه ولا في من اعيده بطرقه وموارده ومتناهيه ومعاقيبه ومعاصمه الا ما عادا عليه عاد
 اما فترسه سبع او رماد صائد او عدا عليه عاد أشغاله وأشغل بي جنسه عن احرار
 جسمه وانفاسه جيغته فدل ذلك على انها اذا أحست بالموت ولم تغلب على نفسها كانت
 حيث لا يوصل الى أجسامها وقربت جيغتها قبل تزول البين بها ولو لا ذلك لامتنالات
 الصحاري بجيغتها وأفقدت الهواء بروائحها فعاد ضرر ذلك بالناس وكان سبلا الى وقوع
 الوباء وقد دل على هذا قوله تعالى في قصة اني آدم (فبعث الله غرباباً يبحث في الأرض
 ليりه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ولدي أعزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري
 سوأة أخي فأصبح من النادمين) وأما ما جعل عيشه بين الناس كالأئم والدواب فقد دل
 الانسان على نفسه واحتياله في دفع أذيته منع مما جعل في الوحش كالسباع فتأمل هذا
 الذي حار بنو آدم فيه وفيما يفعلون به كيف جعل طبعاً في اليهود وكيف تعلموه من
 الطير وتأمل الحكمة في ارسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغرة القاتل من
 أخيه وغرته هو من رحمة الله تعالى وغرته من أبيه وأهله واستبعاده منهم واستبعادهم
 منه وهو من الطيور التي تنفر منها الانس ومن نعيقها وتستوحش بها فارسل اليه مثل
 هذا الطائر حتى صار كالمعلم والأستاذ وصار بمنزلة المتعلم والمستند ولا تذكر حكمة هذا
 الباب وارتباط المسئيات فيه بأسمائها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعثتم الى بريدا
 فابعثوه حسن الام حسن الوجه وكان يسأل عن اسم الأرض اذا نظرها واسم الرسول
 اذا جاء اليه وما جاءهم سهيل بن عمرو يوم الحدبية قال قد سهل أمركم ولما أراد تغيير
 اسم حزن بسهل قال لم يزل معنى اسمه فيه وفي ذريته ولما سأله عمر بن الخطاب الرجل
 عن اسمه واسم أبيه وداره و منزله فأخبره انه حرة بن شهاب وان داره بالحرفة وان
 مسكنه منها ذات لطى قال له أدرك بيتك فقد احترق فكان كما قال وشواهد هذا الباب
 أكثر من أن نذكرها هاهنا وهذا باب اطيف المزع شديد المناسبة بين الأسماء والمسئيات
 وكثيراً ما أوقع الناس قديعاً وحديثاً بمنعic الغراب واستدلاطم به على الين والاغتراب
 وينسبونه الى الشؤم ويشررون منه ويشررون منه فكان جديراً أن يرسل هذا الطائر الى
 القاتل من ابني آدم دون غيره من الطيور فكان صورة طائر الذي أزمه في عنقه وطار
 عنه من عمله ولا تظن أن ارسال الغراب وقع اتفاقاً خالياً من الحكمة فانك اذا خفي عليك
 وجه الحكمة فلا تذكرها واعلم ان خفاؤها من لطفها وشرفها والله تعالى فيما يخفى وجه
 الحكمة فيه على البشر الحكم الباهرة المتضمنة لغایات المحمودة
 (فصل) ثم تأمل الحكمة الباهرة في وجه الدابة كيف هو فانك ترى العينين فيه

شاختين أمامها تبصر ما بين يديها أثم من بصر غيرها لأنها تحرس نفسها وراكبا فتني
أن تصدم حائطاً أو تردى في حفرة فجعلت عيناهما كعیني المتصلب القامة لأنها طليعة
وجعل فوهها مشقوقة في أسفل الخطم لتتمكن من العض والقبض على العلف اذا لو كان
فوقها في مقدم الخطم كما انه من الانسان في مقدم الذقن لما استطاعت أن تتناول بشيئاً
من الأرض الارى الانسان لا يتناول الطعام بغيره لكن يردهه فالمعلم تكون الدابة تتناول طعامها
بغيرها جعل خطمه مشقوقاً من أسفله لتنفعه على العلف ثم تضرمه وأعيدت بالجحفلة
وهي لها كالشفة للانسان لتأكلها بما قرب منها وما بعد وقد أشكلت مبنعة الذنب على
بعض الناس ولم يهتد إليها وفيه منافع عديدة فنها أنه ينزلة الطبق على الدبر والغطاء على
حياتها يواري بها ويسترها ومنها ان بين الدبر ومرافق البطن من الدابة له وضر يجتمع
عليه الذباب والبعوض فيؤذى الدابة ف يجعل أذناها كالمذاب لها والراوح تطرد به ذلك
ومنها ان الدابة تستريح الى تحريركه وتصرفه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الأربع
بكل جسمها وشغالت قدماها يجعل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريرك الذنب
راحة وعسى أن يكون فيها حكم آخر تفتر عندها افهام الخلق ويزدرى بها السامع اذا عرضت
عليه فانه لا يعرف موقعها الا في وقت الحاجة فهن ذلك ان الدابة تریض في الوحل فلا
يكون شئ أعنون على رفعها من الأخذ بذنبها

(فصل) ثم تأمل شفر الفيل وما فيه من الحكم الباهرة فانه يقوم له مقام اليد في
تناول العلف والماء ويرادها الى جوفه ولو لا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من
الأشياء من الأرض لانه ليست له عنق يدها كسائر الأنعام فلما عدم العنق أخلف
عليه مكانه اخر طوم العلوبيل ليسد مسده وجعل قادر أعلى سده ورفعه وبنيه والتصرف به
كيف شاء وجعل وعاء أجوف بين الملاس فهو يتناول به حاجته ويحمله ما أراد الى
جوفه ويحبس فيه ما يريد ويكيده به اذا شاء ويعطي ويتناول اذا أراد فقل المعطل من
الذى عوضه ومن أخلف عليه مكان العضو الذي منه ما يقوم له مقامه وينوب عنه
غير الرؤوف الرحيم بخالقه المنكفل بصالحهم الملعظيف بهم وكيف يتأنى ذلك مع الاعمال
وخلو العالم عن قيمه وبأرائه ومبدعه وفاطر لا اله الا هو العزيز الحكيم (فإن قلت) فما باله لم
يخالق ذا عنق كسائر الأنعام وما الحكمة في ذلك قيل والله أعلم بمحكمته في مصنه عما
لان رأسه وأذنيه أمر هائل عظيم وحمل ثقيل فلو كان ذا عنق كسائر الأنعام لانه دلت
رقبته بتقلبه ووهنت بحمله فجعل رأسه ملتصقاً بجسمه لثلا يناله منه شيء من الثقل والمؤنة
وخلق له مكان العنق هذا المشفر العلوبيل يتناول به غذاءه ولما طالت عنق البعير المحكمة

فِي ذَلِكَ صَغْرٌ رَأْسِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمِ جُنْحَنَةِ ثَلَاثَةِ يَوْمَيْهِ فَلَهُ وَبِوْهَنْ عَنْقَهُ فَسِبْحَانُ مِنْ قَاتِلِ حَكْمَهِ عَدَّ الْمَادِينَ وَحَصْرَ الْحَاصِرِينَ

(فصل) ثم تأمل خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء جميع الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق بغير وأذالاتها أذالاف بقرة وجلدها جلد غر حتى زعم بعض الناس أن افواجها من خول شق وذكر واما ان أصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء يتزو بعضها على بعض فتنزه المستوحشة على السائمة فتنفتح مثل هذا الشخص الذي هو كالملقط من أناس شق وما أرى هذا القائل الا كاذبا عليه وعلى الخلقة اذ ليس في الحيوان صنف يلتفح صنفا آخر فلا الجمل يلتفح البقر ولا النور يلتفح الناقة ولا الفرس يلتفحهما ولا يلتفحانه ولا الوحوش يلتفح بعضها بعضها ولا الطيور وإنما يقع هذا نادرا فيما يتقارب كالبقر الوحشي والأهلي والضأن والمعز والفرس والحمار والذئب والضبع فيتولد من ذلك البغل والسميع والعيبار وقول الفقهاء هل تجب الزكاة في المتولد من الوحشي والأهلي فيه وجهان هذا إنما يتصور في واحد وانتين وزاده يكمل بها النصاب فاما نصاب كله متولد من الوحشي والأهلي فلا وجود لذلك والأحكام المتعلقة بهذه المتولدات تذكر في الزكاة وجزاء الصيد والاضاحي والأحوط يتغلب في كل باب في الأضحى يتغلب عدم الاجزاء وفي الاحرام والحرام يتغلب وجوب الجزاء وفي الاطعمة يتغلب جانب التحرم وفي الزكاة اختلاف مشهور وسئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه عن حمار نزا على فرس فأجبها فهل يكون لبني الفرس حلالا أو حراما فاجاب بأنه حلال ولا حكم لافحفل في المبن في هذا الموضوع بخلاف الاناسي لأن لبني الفرس حادث من العلف فهو تابع لمحمها ولم يسر وطى الفحل الى هذا المبن فإنه لا حرمة هناك تنتشر بخلاف لبني الفحل في الاناسي فإنه تنتشر به حرمة الرضاع ولا حرمة هناك تنشر من جهة الفحل الا الى الولد خاصة فإنه يتكون منه ومن الأم فغالب عليه التحرم وأما المبن فلم يتكون بوطنه وإنما تكون من العلف فلم يكن حراما هذا بسيط كلامه وتقريره والمقصود ابطال زعم أن هذه الحيوانات المختلفة يلتف بعضها بعضا عند الموارد فتق تكون الزرافة وانه كاذب عليها وعلى الابداع والذى يدل على كذبه انه ليس الخارج من بين ما ذكر نامن الفرس والحمار والذئب والضبع والضأن والمعز عضو من كل واحد من أبيه وأمه كما يكون للزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل بل يكون كالتوسط بينهما كا ان شاهده في البغل فانك تري رأسه وأذنيه وكفله وحوا فره وسبلا بين أعضاء أبيه وأمه مشتبة من بما حتى تجد سجيحة كالمترج من

صوب الفرس ونهرى الحمار فهذا يدل على ان الزرافة ليست بنات آباء مختلفة كما زعم هذا الزاعم بل من خالق عجيب ووضع بديع من خلق الله الذي أبدعه آية ودلالة على قدرته وحكمته التي لا يعجزها شئٌ ليرى عباده انه خالق أصناف الحيوان كلها كما يشاء وفي أي لون شاء • فنها المتشابه الخلقية المناسب للأعضاء • ومنها المختلفة التركيب والشكل والصورة كما يرى عباده قدرته التامة في خلقه لنوع الانسان على الأقسام الأربع الدالة على انه مخلوق بقدرته ومشيئته تابع طاقته ما خلق من غير أب ولا أم وهو أبو النوع الانساني • ومنه ما خلق من ذكر بلا أنثى وهي أنهم التي خلقت من ضلع آدم • ومنه ما خلق من أنثى بلا ذكر وهو المسيح ابن مريم • ومنه ما خلق من ذكر وأنثى وهو سائر النوع الانساني فيرى عباده آياته ويعرف اليهم بالآله وقدرته وأنه اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون • وأما طول عنق الزرافة وما لها فيه من الصالحة فلان منهاها ومساها كما ذكر المعتدون بحالها ومساكنها في غياض ذوات أشجار شاهقة ذاتية طولاً فاعينت بطول العنق لتناول أطراف الشجر الذي هناك وغمارها وهذا ماوصلت اليه معرفتهم وحكمة الاطيف الخبر فوق ذلك وأجل منه

(فصل) ثم تأمل هذه النملة الضعيفة وما أعطيته من الفعلة والحياة في جمع القوت وادخاره وحفظه ودفع الآفة عنه فالذك ترى في ذلك عبراً وآيات فترى جماعة النمل اذا أرادت احرار القوت خرجت من اسرابها طالبة له فإذا ظفرت به أخذت طريقاً من اسرابها اليه وشرعت في نفهه فتراها رفقتين رفقة حاملة تحمله الى بيتهما سرباً ذاتياً ورفقة خارجة من بيتهما اليه لاتخالط تلك في طريقها بل هما كالطيدين ينزلة جماعة الناس الذاهبين في طريق والجماعة الراجعين من جانبهم فإذا نقل عليها حل الشيء من تلك اجتمعت عليه جماعة من النمل وتساعدت على حمله ينزلة الخيبة والحجر الذي تساعد الفئة من الناس عليه فإذا كان الذي ظفر به منها واحدة ساعدها رفقتها عليه الى بيتهما وخلوا بينها وبينه وان كان الذي صادفه جماعة تساعدن عليه ثم تفاسنه على باب البيت • ولقد أخبر بعض العارفين انه شاهد منها يوماً عجباً قال رأيت نملة جاءت الى شق جراده فزواته فلم تطق حمله من الأرض فذهبت غير بعيد ثم جاءت جماعة من النمل قال فرفعت ذلك الشق من الأرض فلما وصلت النملة برفقتها الى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئاً فرجعن فوضعته ثم جاءت فصادفته فزواته فلم تطق رفعه فذهبت غير بعيد ثم جاءت بهن فرفعته فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئاً فذهبن فوضعته فعادت شاءت بهن فرفعته فدرن حول المكان فلما لم يجدن

شيئاً تخلقن حلقة وجعلن تلك الحلقة في وسطها ثم تحامن عليها فقطعنها عضواً عضواً
 وأنا أنظر . ومن عجيب أمر الفعلة فيها اذا قلت الحب الى مساكنها كبره ثلاثة
 يثبت فان كان مما يثبت الفعلتان منه كبره أربعاً فإذا أصابه نداً وبالخلف عليه
 الفساد أخر جته للشمس ثم ترده الى بيته ولهذا ترى في بعض الأحيان جداً كثيراً
 على أبواب مساكنها مكسرات ثم تعود عن قريب فلا ترى منه واحدة ومن فطنتها انها
 لاتخذ قريتها الا على نشر من الأرض ثلاثة يفيض عليها السيل فيغرقها فلا ترى قرية
 نمل في بطن واد ولكن في أعلىها وما رتفع عن السيل منه ويكتفي في فطنتها مانص الله
 عن وجل في كتابه من قوله تعالى نعمة النمل وقد رأت سليمان عليه الصلاة والسلام وجنوده
 (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يمحطمكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)
 فتكلمت عشرة أنواع من الخطاب في هذه التصيحة . النداء . والتبيه . والتسمية .
 والأمر . والنصل . والتحذير . والخصيص . والتفهم . والتعميم . والاعتذار . فاشتملت
 تصريحها مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة ولذلك أعجب سليمان قوله وتبعه
 صاحكاً منه وسأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لما سمع كلامها ولا تستبعد هذه الفعلة
 من أمة من الأمم تتبع محمد ربه كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل
 بني من الأنباء تحت شجرة فلادغته نملة فأمر بجهازه فاخرج ثم أحرق قرية النمل فأوسى
 الله إليه من أجل أن لدغتك نملة أحرقت أمة من الأمم نسح فهلا نملة واحدة
 (فصل) ومن عجيب الفعلة في الحيوان ان التعب اذا أزعجه الطعام ولم يجد صيداً
 تماوت وفجأة يطلع حتى يحسبه الطير ميتاً فيقع عليه ليأكل منه فيثبت عليه التعب فإذا خذله
 ومن عجيب الفعلة في هذه الذبابة الكبيرة التي تسمى أسد الذباب فانك تراه حين
 يحس بالذباب قد وقع قريباً منه يسكن ملائكة حق كأنه موات لا حراك فيه فإذا رأى
 الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبوباً رفياً حتى يكون منه بحث يطاله ثم يتب عليه
 فيأخذنه . ومن عجيب حيل العنكبوت انه ينسج تلك الشبكة شركاً لاصيد ثم يكمن في
 جوفها فإذا نشب فيها البرغش والذباب وتب عليه وامتص دمه فهذا يسمى صيد الاشرار
 والشباك والأول يسمى صيد الكلاب والقهود ولا تزدرن العبرة بالشيء الحقير من الذرة
 والبعوض فان المعنى التقى يقتبس من الذي الحقير والازدراء بذلك ميراث من الذين
 استنكروا عقوتهم ضرب الله تعالى في كتابه المثل بالذباب والعنكبوت والكلب والخمار
 فأنزل الله تعالى (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) فما أغزر
 الحكم وأكثرها في هذه الحيوانات التي تزدرها وتحقرها وكيف من دلالة فيما على

الخالق ولطفه ورحمته وحكمته فسل المتعذل من أهلها هذه الحيل والتلطاف في اقتسام صيدها الذي جعل قوتها ومن جعل هذه الحيل فيها بدل ما سلبها من القوة والقدرة فأغناها ما أعطاها من الحيلة عملاً بها من القوة والقدرة سوى المطهيف الخبير (فصل) ثم تأمل حجم الطائر وخلقه فإنه حين قدر أن يكون طائراً في الجو خفف جسمه وأدجح خلقته واقتصر به من التوابع الأربع على اثنين ومن الأسباب الخمس على أربع ومن مخرج البول والزبل على واحد يجمعهما جميعاً ثم خلق ذا جنوحه محدود ليسهل عليه اختراق الهواء كيف توجه فيه كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء بسرعة وسفده فيه وجعل في جناحيه وذبيه ريشات طوال متان ليهض بها للطيران وكى جسمه كله الريش ليتداخله الهواء فيحمله ولما قدر أن يكون طعامه اللحم والحب يبلغه بلعاً بلا مضاع نفع من خلة الاسنان وخلاق له منقار صلب يتناول به طعامه فلا يتفسخ من لفظ الحب ولا يتعرق من نهش اللحم وما عدم الاسنان وكان يزدرد الحب صحياً واللحم غريضاً أعين بفضل حرارة في الجوف تطعن الحب وتتطبخ اللحم فاستغنى عن المضغ والذي يدلك على قوة الحرارة التي أعين بها أنك ترى عجم الزيتون وأمثاله يخرج من بطن الانسان صحياً وينطاخ في جوف الطائر حتى لا يرى لو كان مما يحمل ويذكر حمله في جوفه حتى يستحكم ويستقل لأنفه وعاقعه عن التهوض والطيران وتأمل الحكمة في كون الطائر المرسل السائع في الجو يفهم صبر نفسه أسبوعاً أو أسبوعين باختياره قاعدةً على بيضة حاضنة له ويختتم مشقة الحبس ثم اذا خرج فراخه تحمل مشقة الكب وجمع الحب في حوصلته ويزق فراخه وليس بذري روية ولا فكرة في عاقبة أمره ولا يوماً في فراخه ما يوماً في الانسان في ولاده من العون والرفد وبقاء الذكر وهذا من فعله يشهد بأنه معطوف على فراخه لعلة لا يعلمها هو ولا يذكر فيها من دوام النسل وبقاءه

(فصل) ثم تأمل خلقة البيضة وما فيها من المخ الأصفر الخاتر والماء الأبيض الرقيق ببعضه ينشأ منه الفرج وبعده يقتذى منه الى ان يخرج من البيضة وما في ذلك من الحكمة فانه لما كان نشوء الفرج في تلك البشرة المنخفضة التي لا تغاذ فيها اللواصل من خارج جعل معه في جوف البيضة من الغذاء ما يكفي به الى خروجه

(فصل) وتأمل الحكمة في حوصلة الطائر وما ودرت له فان في مسلك الطعام الى القابضة ضيق لا يستند فيه الطعام الا قليلا فلو كان الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى

تصل الأولى إلى جوفه لعل ذلك عليه فتى كان يستوفي طعامه وأيامه بختنه اختلاساً
أشدة الخدر فجعلت له الحوصلة كالخلاة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما ازدرد من العلم
بسرعة ثم ينقل إلى القابضة على مهل وفي الحوصلة أيضاً خصلة أخرى فان من الطير
ما يحتاج إلى ان يرقق فراخه فيكون رده العلم من قرب ليسهل عليه

(فصل) ثم تأمل هذه الألوان والاصياغ والوشى التي تراها في كثير من الطبر كالطاوس والدراج وغيرها التي لو خطت بدقيق الأقلام ووشت بالأيدي لم يكن هذا فن أين في الطبيعة المجردة هذا التشكيل والتخطيط والتلوين والصيغ العجيبة البسيطة والمركب الذي لو اجتمع الخالقة على ان يحاكيه لنعدر عليهم فتأمل ريش الطاووس كيف هو فانك زرأت كنسج النوب الرفيع من خيوط رفيع جدا قد الف بعضها الى بعض كتألف الخيط الى الخيط بل الشعرة الى الشعرة ثم ترى النسج اذا مددته ينفتح قليلاً قليلاً ولا يشق ليتدخله الهواء فينقل العطور اذا طار فترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متداولاً قد نسج عليه ذلك النوب التي كهيئة الشعر لم يمسك بصالبه وهو القصبة التي تكون في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف يشتمل على الهواء فيحمل العطور فائي طبيعة فيها هذه الحكمة والخبرة واللطافة ثم لو كان ذلك في الطبيعة كايقولون لكان من أدل الدلائل وأعظم البراهين على قدرة مبدعها ومنظتها وعلمه وحكمته فإنه لم يكن ذلك لها من نفسها بل إنما هو لها من خلقها وأبدعها فما كذبه المعطل هو أحد البراهين والآيات التي على مثلها يزداد ايمان المؤمنين وهكذا آيات الله يصل بها من يشاء وبهدي من يشاء

(فصل) تأمل هذا العالئ العظيم الساقين وأعرف المنفعة في طول ساقيه فانه يرعى أكثر مراعاة في ضعفها الماء فتراء يركز على ساقيه كأنه دست فوق مركب ويتأمل مادباً في الماء فإذا رأى شيئاً من حاجته خطأ خططاً رفياً حتى يتناوله ولو كان قصير القائمتين كان اذا خطا نحو الصيد ليأخذنه لصق بعله بالماء فينبره ويدعو الصيد منه فيفر شاق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه وكل طار فله نصيب من طول الساقين والعنق ليكتبه تناول العلم من الارض ولو طال ساقاه وقصرت عنقه ليكتبه ان يتناول شيئاً من الارض ورمتا أعين مع عنقه يطأطل المناقير ليزداد مطلب سهولة عليه وامكاناً ثم تأمل هذه العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار كله فلا هي تقده ولا هي تجده مجموعاً معدداً بل تنالها طرفة العاطل في الجهات والتواحي فيبحان الذي قدره ويسره كيف لم يجعله مما يتغدر عليه اذا احتسته ويفوتها اذا قعدت عنه وجعلها قادرة عليه في كل

حين وأوان بكل أرض ومكان حتى من الجدران والاسطح والسقوف تساوه باهظينا
من السعي فلا يشار إليها فيه غير بني جنسها من الطير ولو كان ما فتنات به يوجد معداً
مجموعاً كله كانت الطير تشار إليها فيه وتقابلها عليه وكذلك لو وجدته معداً مجموعاً لا يكتب
عليه بمحض ورغبة فلا تقلع عنه وإن شبت حق تبشم وتملك وكذلك الناس لو جعل
طعامهم معداً لهم بغير سعي ولا تعب أدى ذلك إلى الشره والبطة ولكل الفساد وعمت
الفاحش والبني في الأرض فسبحان المطيف الخبير الذي لم يخلق شيئاً سدى ولا عيناً
(وانظر) في هذه الطير التي لأنخرج إلا بالليل كالبوم والهائم والخفافش فان أقوانها هيئت
لها في الجو لامن الحب ولامن المحم بل من البعض والفراس وأشباههما مما تلقته من
الجز فتأخذ منه يقدر الحاجة ثم تأوى إلى بيتهما فلا تخرج إلى مثل ذلك الوقت بالليل
وذلك ان هذه الضروب من البعض والفراس وأشباههما مبنية في الجو لا يكاد يخلو
 منها موضع منه واعتبر ذلك بأن تضع سراجاً بالليل في سطح أو عرصه الدار فيجتمع عليه
 من هذا الضرب شيء كثير وهذا الضرب من الفراس ومحوها ناقص الفطرة ضعيف
 الحيلة ليس في الطير أضعف منه ولا أحجمل وفيما يرى من تهافت في النار وأنت تظرده
 عنها حتى يحرق نفسه دليلاً على ذلك يفعل معاش هذه الطيور التي تنخرج بالليل من هذا
 الضرب فتنفات منه فإذا أتي النهار انقطعت إلى أو كارها فالليل لها بمنزلة النهار لغيرها
 من الطير ونهارها بمنزلة ليل غيرها وفع ذلك فساق لها الذي تكفل بارزاق الخلاق
 رزقها وخلقها لها في الجو ولم يدعها بلا رزق مع ضعفها وعجزها وهذه احدى الحكم
 والفوائد في خلق هذه الفراس والجنادب والبعوض فكم فيها من رزق لا ماء تسبيح
 بحمد ربها ولو لا ذلك لانتشرت وكثرت حق أضررت الناس ومنعهم الفرار فانظر إلى
 عجيب قدير الله وتدبره كيف اضطر العقول إلى أن شهدت بربوبية وقدرته وعاليه
 وحكمته وإن ذلك الذي تشاهدته ليس باتفاق ولا باهمال من سائر وجوده الأدلة التي
 لا تتمكن الفطر من جحدها أصلاً واذ قد جرى الكلام إلى الخفافش فهو من الحيوانات
 العجيبة الخلقة بين خلقة الطيور وذوات الأربع وهو إلى ذوات الأربع أقرب فأنه
 ذوات الأربع نائزتين واستنان ودب وهو يلد ولدأ ويرضع ويعنى على أربع وكل هذه صفة
 ذوات الأربع قوله تعالى يطير بهما مع الطيور ولما كان بصره يضعف عن نور
 الشمس كان نهاره كليل غيره فإذا غابت الشمس انتشر ومن ذلك سمي ضعيف البصر
 أخفش والخفافش ضعف البصر ولما كان كذلك جمل قوته من هذه الطيور الضعاف
 التي لا تطير إلا بالليل وقد زعم بعض من تكلم في الحيوان أنه ليس يعلم شيئاً وإنما

غذاؤه من النسيم البارد فقط وهذا كذب عليه وعلى الخلقة لانه يبول وقد نكلم
الفقهاء في بوله هل هو نجس لانه بول غير مأكول أو نجس معفو عن يسيره مشقة
التحرز منه على قولين هما روايتان عن أ Ahmad وبعض الفقهاء لا ينجس بوله بحال وهذا
أقىس الأقوال اذ لانص فيه ولا يصح قياسه على الآيات النجسة لعدم الجامع المؤثر
ووضوح الفرق وليس هذا موضع استيفاء الحجج في هذه المسألة من الجنين . والمقصود
انه لو كان لا يأكل شيئاً لم يكن له أنسان اذ لامعنى للإنسان في حق من لا يأكل كل شيئاً
وهذا لما عدم الطفل الرضيع الا كل لم يعط الاسنان فلما كبر واحتاج للفداء أعين عليه
بالإنسان التي تقطنه والاضراس التي تعلمه وليس في الخليقة شيء مهملاً ولا عن الحكمة
بمعطل ولا شيء لامعنى له واما الحكم والمنافع في خلق الاختناش فقد ذكر منها الاطباء في
كتبهما انتهت اليه معرفتهم حتى ان بوله يدخل في بعض الاشكال فإذا كان بوله الذي
لا يخطر بالبال فيه منفعة البتة فـا الظن بحملته ولقد أخبر بعض من أشهد بصدقه انه
رأى رحلاً وهو طارئ معروف قد عشش في شجرة فنظر الى حية عظيمة قد أقبلت نحو
عشة فاتحة فـا لها لتتعلم فيها هو يضطرب في حيلة النجاة منها اذ وجد حسكة في العش
شمامها فـا لقاهما في فـي الخليقة فـل تزل تلني حتى مات

(فصل) ثم تأمل أحوال التخلع وما فيها من العبر والآيات فانظر اليها والتي
اجتهدوا في صنعة العسل وبنائها البيوت المسدة التي هي من أثمن الاشكال وأحسنها
استدارة وأحكمنها صنعاً فإذا أغمم بعضها الى بعض لم يكن بينها فرجة ولا خلل كل
هذا بغير مقياس ولا آلة ولا يسخار وتلك من أثر صنع الله واظهاره ايها وإيهائه اليها كما
قال تعالى (وأوسي ربكم الى التخلع أن المخذى من الجبال بيونا) الى قوله (لا آيات افروم
يتفكرون) فتأمل كالطاعنة او حسن اخمارها لامر ربها المخذى بيونها في هذه الامكنة
الثلاثة في الجبال والشققان وفي الشجر وفي بيوت الناس حيث يعرضون أي يبنون العروش
وهي البيوت فلا يرى للتخلع بيت غير هذه الثلاثة البتة . وتأمل كيف أكثروا بيوتها في
الجبال والشققان وهو البيت المقدم في الآية ثم في الاشجار وهي من أكثروا بيوتها وما
يعرض الناس وأقل بيوتها ينهم حيث يعرضون واما في الجبال والشققان وفي بيوت عظيمة
يؤخذ منها من العسل الكثير جداً وتأمل كيف أدها حسن الامتثال الى ان المخذى
البيوت أولاً فإذا استقر طايـت خرجت منه فرعت وأكـلت من الغار ثم آوت الى
بيونها لأن ربها سبعـاه أمرـها بالخـاذـ الـبيـوتـ أـولـاـ نـمـ بـالـأـكـلـ بـعـدـ ذـلـكـ نـمـ اـذـ أـكـلـتـ
سلـكـتـ سـبـلـ ربـهاـ مـذـلـةـ لـاـ يـسـتوـعـ عـلـيـهاـ شـيـءـ تـرـىـ نـمـ تـعـودـ . وـمـنـ عـجـيبـ شـائـعـهاـ انـ طـاـ

أميراً يسمى العيسوب لا يتم طارواج ولا ايا ب ولا عمل ولا مرضى الا به فهى مؤمنة
 لامرها سامعة له مطيبة وله عابها تكليف وأمر ونهى وهي رعية له منقاده لامرها متبعه
 لرأيه يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى أنها اذا آوت الى بيتها وقف على باب البيت
 فلا يدع واحدة تزاحم الاخرى ولا تقدم عليها في العبور بل تعبر بيتها واحدة بعد
 واحدة بغير تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل الامير اذا انتهى بمسكره الى معبر
 ضيق لا يجوزه الا واحد واحد ومن تدبر أحواطا وسياساتها وهدايتها واجتمع شملها
 وانتظام امرها وتدبر ملوكها وتقويض كل عمل الى واحد منها يتوجب منها كل العجب
 ويعلم ان هذا ليس في مقدورها ولا هو من ذاتها فان هذه أعمال محكمة متقدمة في
 غاية الاحكام والاتفاق فإذا نظرت الى العامل رأيته من أضعف خلق الله وأجهله جسده
 وبحاله وأعجزه عن القيام بصلاحه فضلاً عما يهدى عنه من الامور العجيبة * ومن
 عجيب امرها ان فيها اميرين لا يجتمعان في بيت واحد لا يتأمران على جم واحد بل اذا
 اجتمع منهما جندان وأميران قتلوا أحد الاميرين وقطعوه وانقووا على الامير الواحد
 من غير معاداة بينهم ولا أذى من بعضهم لبعض بل يصيرون بدأ واحدة وجندآ واحدآ
 (فصل) ومن أعجب امرها مالا يهتمي له أكثر الناس ولا يعرفون وهو النتاج
 الذي يكون لها هل هو على وجه الولادة والتولاد أو الاستحالة فقل من يعرف ذلك أو
 بفعان له وليس نتاجها على واحد من هذين الوجهين وإنما نتاجها بأمر من أعجب
 العجيب فأنما اذا ذهبت الى المرعى أخذت تلك الاجزاء الصافية التي على الورق من
 الورد والزهر والخشيش وغيرها وهي الطبل فتمتصها وذلك مادة العسل ثم انها تكتس
 الاجزاء المتعقدة على وجه الورقة وتعقدها على رجلها كالعدس فتملا بها المسdesات
 الفارغة من العسل ثم يقوم يعسوها على بيته مبتدئاً منه فيفتح فيه ثم يعلو على تلك
 البيوت بيته ويفتح فيها كلها فتدبر فيها الحياة باذن الله عن وجل فتحرك وتخرج
 طيوراً باذن الله وتلك احدى الآيات والعجبات التي قل من يتفطن لها وهذا كله من
 نعم ذلك الوحي الاطي أفادها وأكثبها هذا التدبر والسفر والمعاش والبناء والنتائج فسل
 المعطل من الذي اوحى اليها امرها وجعل ما جعل في طباعها ومن الذي سهل لها سبله
 ذلكل منقاده لاستعصى عليها ولا تستوعرها ولا تحصل عنها على بعدها ومن الذي هدأها
 لشأنها ومن الذي أنزل لها من العطل ما اذا جنته ردهه عسلا صافياً مختلفاً الوانه في غاية
 الحلاوة والاذادة والمنفعة من بين أربض يرى فيه الوجه أعظم من رؤيته في المرأة وسمه
 لي من جاء به وقال هذا أشرف ما يعرف الناس من العسل وأصفاه وأطيشه فاذا طعمه أذى

شىء يكون من الحلوي ومن بين أحمر وأخضر ومورد واسود وأثقر وغير ذلك من الألوان والطعوم المختلفة فيه بحسب مراعي ومادتها فإذا تأملت ما فيه من المنافع والشفاء ودخوله في غالب الأدوية حتى كان المتقدمون لا يعرفون السكر ولا هو مذكور في كتبهم أصلاً وإنما كان الذي يستعملونه في الأدوية هو العسل وهو المذكور في كتب القوم ولعمر الله انه لافع من السكر وأجدى وأجيلى للاخلاط وأفعى لها وأذهب لضررها وأقوى للمعدة وأشد تفريحاً للنفس وتفوية للارواح وتسيقناً للدواء واعانة له على استخراج الداء من أعمق البدن وهذا لم يجئ في شيء من الحديث قط ذكر السكر ولا كانوا يعرفونه أصلاً ولو عدم من العالم لما احتاج اليه ولو عدم العسل لاستدانت الحاجة اليه وإنما غالب على بعض المدن استعمال السكر حتى هبوا العسل واستطابوه عليه ورأوه أقل حدة وحرارة منه ولم يعلموا ان من منافع العسل ما فيه من الحمدة والحرارة فاذا لم يوافق من يستعمله كسرها بعقابها فيصير أفعى له من السكر وستفرد ان شاء الله مقالة سنين فيها فضل العسل على السكر من طرق عديدة لاتتفنح وبراهين كثيرة لادفع ومق رأيت السكر يجلو بالغماً ويدب خلطها أو يشقى من داء وإنما غايتها بعض التنفيذ للدواء إلى العروق للطافقه وحالاته وأما الشفاء الحالى من العسل فقد سرمه الله كثيراً من الناس حتى صاروا يذمونه ويختسرون غالباً من حرارته وحدتها ولا زبون كونه شفاء وكون القرآن شفاء والصلوة شفاء وذكر الله والاقبال عليه شفاء أمر لا يريم الطبان والإنسن فهذا كتاب الله هو الشفاء النافع وهو أعظم الشفاء وما أقل المستعين به بل لا يزيد الطبان الرديئة الارداءة ولا يزيد الظالمين الاخساراً وكذلك ذكر الله والاقبال عليه والانابة إليه والفرز إلى الصلاة كـ قد شفي به من عليل وكـ قد عوفي به من مريض وكم قام مقام كثير من الأدوية التي لا تتابع قريباً من مبالغه في الشفاء وأنت ترى كثيراً من الناس بل أكثرهم لا يصيب لهم من الشفاء بذلك أصلاً وقد رأيت في بعض كتب الاطباء المسلمين في ذكر الأدوية المفردة ذكرها في باب الصاد وذكر من منافعه في البدن التي توجب الشفاء وجوهاً عديدة ومن منافعها في الروح والقلب وسمعت شيخنا أبو العباس بن تيمية رحمه الله يقول وقد عرض له بعض الآلام فقال له الطبيب أضر ما عليك الكلام في العلم والتفكير فيه والتوجيه والذكر فقال ألسنة تزعمون أن النفس اذا قويت وفرحت او جب فرجها هلاقة تعين بها الطبيعة على دفع العارض فإنه عدوها فإذا قويت عليه قهره فقال له الطبيب بلى فقال اذا اشتغلت نفسك بالتوجيه والذكر والكلام في العلم وخلفت بما يشكل عليها منه فرحت به وقويت فاوجب ذلك

دفع العارض هذا أو نحوه من الكلام . والمقصود ان ترك كثير من الناس الاستشفاء بالعسل لا يخرجه عن كونه شفاء كما أن ترك أكثرهم الاستشفاء بالقرآن من أمراض القلوب لا يخرجه عن كونه شفاء لها وهو شفاء لما في الصدور وإن لم يستشف به أكثر المرضى كما قال تعالى (يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء مما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) فم بالوعظة والشفاء وشخص بالهدى والمعرفة فهو نفسه شفاء استشف به أو لم يستشف به ولم يصف الله في كتابه بالشفاء الا القرآن والعسل فهذا الشفاء أن هذا شفاء القلوب من أمراض غبها وضلالها وأدواء شهانها وشهواتها وبهذا شفاء للبدان من كثير من أسمائها وأخلاقها وآفاتها . ولقد أصابني أيام مقامي بعكة أقسام مختلفة ولا طبيب هناك ولا أدوية كما في غيرها من المدن فكنت أستشف بالعسل وعاء زمن ورأيت فيما من الشفاء أمراً عجيباً وتأمل الخواره سبحانه وتعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء وقال عن العسل (فيه شفاء للناس) وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء وليس هذا موضع استقصاءه فوائد العسل وما ذافعه

(فصل) ثم تأمل العبرة التي ذكرها الله عز وجل في الانعام وما سألا من بعلونها من اللبن الخالص السائغ الطلق المريء الخارج من بين الفرث والدم فتأمل كيف ينزل الغذاء من أفواهها إلى المعدة فينقلب بعضه دما باذن الله وما يسرى في عروقها وأعصابها وشعورها ولحومها فإذا أرسنته العروق في مجارتها إلى جهة الأجزاء قلب كل عضو أو عصب وغضروف وشعر وظاهر إلى طبيعته ثم يبقى الدم في تلك الحزان التي له إذ به قوام الحيوان ثم ينصب نفسه إلى الكرش فيصير زيلا ثم يتقلب باقيه لبنا صافياً أبيض سائغاً للشاربين فيخرج من بين الفرث والدم حتى إذا أنهكت الشاة أو غيرها حبا خرج الدم مشوبا بحمرة فنسفي الله سبحانه الالتفاف من النفل بالطيخ الأول فاقفل إلى الكبد وصار دما وكان مخلوطاً بالاختلاط الأربعه فإذا هب الله عز وجل كل خلط منها إلى مقره وخزانته المبأة له من المرارة والطحال والكلية وباقى الدم الخالص يدخل في أوردة الكبد فينصب من تلك العروق إلى الضرع فيقبله الله ببارك وتعالى من صورة الدم وطبعه وطعمه إلى صورة اللبن وطبعه وطعمه فاستخرج من الفرث والدم فقل المعطل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وأفهن هذا الصنع وألطف هذا الاعتف سوى المطيف الخبير

(فصل) ثم تأمل العبرة في السمك وكيفية خلقه وأنه خلق غير ذي قوام لانه لا يحتاج إلى المني اذ كان مسكنه الماء ولم يخلق له رئة لأن منفعة الرئة التنفس والسمك

لم يجتمع اليه لانه يتغمس في الماء وخلفت له عوض القوام أجنحة شداد يقذف بها من جانبيه كما يقذف صاحب المركب بالمقاذيف من جانبي السفينة وكى جلده قشوراً متداخلاً كتدخل الجوشن ليقيه من الآفات وأعين بقوة الشم لأن بصره ضعيف والماء يمحجه فصار يتم الطعام من بعد فيقصده وقد ذكر في بعض كتب الحيوان أن من فيه إلى صماخه منافذ فهو يصب الماء فيها بطيء ويرسله من صماخيه فيزور بذلك كا يأخذ الحيوان النسم البارد بانه ثم يرسله ليزور به فإن الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان البري فهما بحران أحدهما أطفاف من الآخر بحر هواء يسبح فيه حيوان البر ويبحر ماء يسبح فيه حيوان البحر فلو فارق كل من الصنفين بحره إلى البحر الآخر مات فكما يختنق الحيوان البري في الماء يختنق الحيوان البحري في الهواء فسبحان من لا يخصى العادون آياته ولا يحيطون بتفصيل آية منها على الانفراد بل ان علموا فيها وجهاً جهلاً منها أو وجهاً فتأمل الحكمة البالغة في كون السمك أكثر الحيوان نسلاً وهذا ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض مالا يخصى كثرة (وحكمة ذلك) ان يتسع لما يعتدی به من أصناف الحيوان فان أكثرها يأكل السمك حتى السابع لانها في حفافات الآجام جائعة تعكف على الماء الصافي فإذا تعذر عليها صيد البر رصدت السمك فاختطفته فلما كانت السابعة تأكل السمك والطير تأكله والناس تأكله والملك الكبار تأكله ودواب البر تأكله وقد جعله الله سبحانه غذاء لهذه الأصناف اقتضت حكمته ان يكون بهذه الكثرة ولو رأى العبد ما في البحر من ضروب الحيوانات والجواثر والاصناف التي لا يخصىها الا الله ولا يعرف الناس منها الا الذي ^فالظليل الذي لا يعلمها أصلاً الى ماغاب عنهم لرأي العجب ولم سمعة ملك الله وكثرة جنوده التي لا يعلمها الا هو (وهذا الجراد) ثمرة حوت ^(١) من حيتان البحر يتنزه من منخره وهو جند من جنود الله خفيف الخلق عجيب التركيب فيه خلق سبع حيوانات فإذا رأيت عساكره قد أقبلت أبصرت جندًا لا مرد له ولا يخصى منه عدد ولا عدة فلو جمع الملك خيله ورجله ودوابه وسلامه ليصده عن بلاده لما أمكنه ذلك فانظر كيف ينساب على الأرض كالسيل فيغنى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكلته ويسد

(١) - (قوله ثمرة حوت الح) في هامش الاصل يحيط بعض الفضلاء مانصه ليس كذلك بل المراد من كونه ثمرة حوت اخحاد حكمها في حل أكل ميتهمما كما صرخ بذلك شراح الحديث اه وهو مقبول اه مصححه

وجه السماء بأجنبته ويبلغ من الجو إلى حيث لا يبلغ طائرًا كبر جناحين منه فسل
المعلم من الذي بعث هذا الجند الضعيف الذي لا يستطيع أن يرد عن نفسه حيوانا
رام أخذه بلية على العسكر أهل القوة والكثرة والمدد والخيالة فلا يقدرون بأجمعهم
على دفعه بل ينظرون إليه يستبد باقوتهم دونهم ويزقها كل مزق ويذر الأرض قفراً
منها وهم لا يستطيعون أن يردوه ولا يحولوا بيته وبيتها وهذا من حكمته سبحانه أن
يسلط الضعيف من خلقه الذي لامؤنة له على القوى فينتقم به منه وينزل به ما كان
يحدره منه حتى لا يستطيع لذلك ردًا ولا صرفا قال الله تعالى (وَرِيدَ إِنْ نَّعْنَى عَلَى الَّذِينَ
أَسْتَضْعِفُونَا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئْمَاءً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَكْنُ طَمْ فِي الْأَرْضِ وَرَدْ
فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودُهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) فواحرتناه على استقامة مع الله وايثار
لمرضاة في كل حال يمكن به الضعف المتضعف حتى يرى من استضعفه أنه أولي بالله
ورسوله منه ولكن اقتضت حكمة الله العزيز الحكيم أن يأكل النظام الباغي ويتحتم في
خماردة ذنوب المظلوم المبغى عليه فذنوبه من أعظم أسباب الرحمة في حق ظالمه كان
المسؤول اذا رد السائل فهو في خماردة كذبه ولو صدق السائل لما أفلح من رده وكذلك
السارق وقاطع الطريق في خماردة منع أصحاب الاموال حقوق الله فيها ولو أدوا ماله
عليهم فيما لحفظها الله عليهم وهذا أيضاً باب عظيم من حكمة الله يطلع الناظر فيه على أسرار
من أسرار التقدير وتسلیط العالم بعضهم على بعض وتمكن الجنابة والبغاء فسبحان من
له في كل شيء حكمة بالغة وآية باهرة حتى ان الحيوانات العادية على الناس في أمواههم
وأرزاقهم وأبدانهم تعيش في خماردة ما كسبت أيديهم ولو لا ذلك لم يسلط عليهم منها شيء
ولعل هذا الفصل الاستطرادي أفعى لتأمله من كثير من الفضول المتقدمة فإنه اذا أعطاه
حقه من النظر والتفكير عظم النفاع به جداً والله الموفق . ويحيى ان بعض أصحاب
الماشية كان يشوب اللبن وبيعه على انه خالص فارسل الله عليه سلا فذهب بالغم فجعل
يعجب فاني في منامي فقيل له أتعجب من أخذ السبيل غنمك انه تلك القطرات التي
شتت بها اللبن اجتمعوا وصارت سلا فقس على هذه الحكاية ماتراه في نفسك وفي غيرك
تعلم جيداً أن الله قائم بالقسط وانه قائم على كل نفس بما كسبت وانه لا يظلم من قال ذرة
والآخر الاسرائيلي معروف ان رجالاً كان يشوب الماء وبيعه على انه خالص فجاء
من ذلك كيس ذهب وسافر به فرك البحر ومعه قرد له فلما نام أخذ القرد الكيس
وصعد به الى أعلى المركب ثم فتحه فجعل يلقيه ديناراً في الماء وديناراً في المركب كأنه
يقول له بلسان الحال ثمن الماء صار الى الماء ولم يظلمك . وتأمل حكمة الله عن وجہ

في جبس الغيت عن عباده وابتلاهم بالتحط اذا منعوا الزكاة وحرموا المساكين كيف
 جوزوا على منع مالالمساكين قبلهم من القوت بمنع الله مادة القوت والرزق وحبسها
 عنهم فقال لهم بلسان الحال منعم الحق فنعمت الغيت فهلا استنزفوه بذلك مالله
 قبلكم . وتأمل حكمة الله تعالى في صرفه المهدى والايام عن قلوب الذين
 يصرفون الناس عنه فصدهم عنه حكما صدوا عباده سدا بصد ومنعاً بمنع
 . وتأمل حكمة الله تعالى في حق أموال المرابين وتسلیط المخالفات عليها كما فعلوا
 بأموال الناس ومحفوتها عليهم وأنفقوها باربا جوزوا اثلافا باتفاق فقل ان ترى مرأيا
 الا آخرة الى حق وقاية وجاهة . وتأمل حكمة الله تعالى في تسلیط العدو على العباد
 اذا جاز قويم على ضعيفهم ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه كيف يسلط عليهم من
 يفعل لهم كفعلمائهم برعايائهم وضيقائهم سواء وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا الى
 أن تعلو الارض ويعيدها كما بدأها . وتأمل حكمة الله تعالى في أن جعل ملوك العباد
 وأمراءهم ولاهم من جنس أعمالهم بل كان أعمالهم ظهرت في صور ولاهم وملوكهم
 فان استقاموا استقامت ملوكهم وان عدلوا عدالت عليهم وان جازوا جارات ملوكهم ولاهم
 وان ظهر فيهم المكر والخداع فولائهم كذلك وان منعوا حقوق الله لذاتهم وخلوا بها
 منعت ملوكهم ولاهم عندهم من الحق وخلوا بهاعيهم وان أخذوا امن يستضعفونه
 ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك مالا يستحقونه وضررت عليهم المكوس
 والوظائف وكذا يستخر جونه من الضعيف يستخر جه الملوك منهم بالقرفة فمعظم ظهرت
 في صور أعمالهم وليس في الحكمة الالهية أن يولي على الاشرار الفجور الا من يكون
 من جنهم وما كان الصدر الاول خيار الفرلون وأبرها كانت ولاهم كذلك فلما شابوا
 شابت لهم اولاً شكلة الله تأتي أن يولي علينا في مثل هذه الازمان مثل معاوية وعمر
 ابن عبد العزيز فضلا عن مثل أبي بكر وعمر بل ولانا على قدرنا وولاة من قبلنا على
 قدرهم وكل من الامرين موجب الحكمة ومقدماها ومن له فطنة اذا سافر بغيره في
 هذا الباب رأى الحكمة الالهية سائرة في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه كما في الاخلاق
 والاسرار سواء فلياك أن تظن بذلك الفاسد ان شيئاً من أقضيته وأقداره عار عن الحكمة
 البالغة بل جميع أقضيته تعالى واقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب ولكن
 العقول الضعيفة محجوبة بضعفها عن ادراكها كأن الإصرار الخفاشية محجوبة بضعفها عن
 ضوء الشمس وهذه العقول الضعاف اذا صادفها الباطل جالت فيه وسائل ونظمت وقالت
 كما ان الخفاش اذا صادفه ظلام الليل طار وسار

خفافيش أعشاشا النهار بضوءه ولا زمها قطع من الليل مظلم
 وتأمل حكمته تبارك وتعالى في عقوبات الام الحالية وتنويعها لهم بحسب نوع جرائمهم
 كما قال تعالى (وعداً ونود وقد تسين لكم من مساكنهم إلى قوله ينظرون) وتأمل
 حكمته تعالى في مسخ من مسخ من الام في صور مختلفة مناسبة ل تلك الجرائم فانها لما
 ساخت قلوبهم وصارت على قلوب تلك الحيوانات وطبعها اقتضت الحكمة البالغة أن
 جعلت صورهم على صورها لتهم المناسبة وكمل الشبه وهذا غاية الحكمة واعتبر هذا
 بين مسخوا فردة وخنازير كيف غابت عنهم صفات هذه الحيوانات واخلاقهم او اعمالها
 ثم ان كنت من المتسعين فاقرأ هذه النسخة من وجوه اشباههم ونظرائهم كيف تراها
 بادية عليها وان كانت مستوره بصورة الانسانة فاقرأ نسخة القردة من صور أهل المكر
 والخداع والفسق الذين لا عقول لهم بل هم أخف الناس عقولا وأعظمهم مكرآ وخداعا
 وفسقاً فان لم تقرأ نسخة القردة من وجوههم فاست من المتسعين واقرأ نسخة الخنازير
 من صور اشباههم ولا سيما اعداء خيار خالق الله بعد الرسل وهم أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فان هذه النسخة ظاهرة على وجوه الراقصة يقرأها كل مؤمن كاتب
 وغير كاتب وهي تظهر وتختفي بحسب خنزيرية القلب وختنه فان الخنزير أخبث الحيوانات
 واردوها طباعاً ومن خاصيته انه يدع العطبيات فلا يأكلها ويقوم الانسان عن رجيمه
 فيسادر اليه فتأمل مطابقة هذا الوصف لاعداء الصحابة كيف تجده منطبقاً عليهم فالمهم
 عدداً الى أطيب خلق الله وأطهرهم فعادوهم وتبرؤا منهم ثم والواكل عدوهم من
 النصارى واليهود والمشركيين فاستعنوا في كل زمان على حرب المؤمنين المواليين لاصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشركيين والكافار وصرحو بأئمهم خير منهم فائي شبه
 ومناسبة أولى بهذا الضرب من الخنازير فان لم تقرأ هذه النسخة من وجوههم فاست
 من المتسعين واما الاخبار التي تكاد تبلغ حد التواتر بمسخ من مسخ منهم عند الموت
 خنزيراً فاكثر من ان تذكرها هنا وقد أفرد لها الحافظ ابن عبد الواحد المقدسي كتاباً
 وتأمل حكمته تعالى في عذابه الام السالفة بعذاب الاستئصال لما كانوا أطول اعماراً
 وأعظم قوى وأعنة على الله وعلى رسوله فلما تناقضت الاعمار وضفت القوى رفع
 عذاب الاستئصال وجمل عذابهم بأيدي المؤمنين فكانت الحكمة في كل واحد من
 الامرين ما اقتضته في وقته وتأمل حكمته تبارك وتعالى في ارسال الرسل في الام
 واحداً بعد واحد كلها مات واحد خلفه آخر حاجتها الى تتابع الرسل والابدياء لضعف
 عقولها وعدم اكتفiamها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى محمد بن عبد الله

رسول الله ونبيه أرسله إلى أكل الام عقولاً ومحارف وأصحابها أذهاناً وأغزّرها علوماً وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الأرض منذ قامت الدنيا إلى حين بعثته فاغنى الله لا مة بكل رسولها وكل شريعته وكل عقولها وصحوة أذهانها عن رسول يأتي بهذه أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته وكلها حتى يؤدونها إلى نظر أهلهم وزروعها في قلوب أشياهم فلم يحتاجوا معه إلى رسول آخر ولا نبي ولا محدث ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إنه قد كان قبلكم في الام محدثون فان يكن في أمتي أحد ف عمر سخزون بوجود المحدثين في الام وعاق وجوده في أمته بحرف الترط وليس هذا بقصان في الأمة على من قبلهم بل هذا من كمال أمته على من قبلها كلها وكلها وكل شريعته لأنحتاج إلى محدث بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لأنّه عمدة لأنّها في غيبة بما بعث الله به فيها عن كل منام أو مكافحة أو اهان أو محدث وأما من قبلها فللجاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون . ولا تظن أن تخصيص عمر رضي الله عنه بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى متألق الصديق فإنه بكل شرمه من حوض النبوة وقام رضاعه من ندى الرسالة استغنى بذلك عمّا تلقاه من تحديد أو غيره فالذى يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديد فتأمل هذا الموضوع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله به الحكم الخبير وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل خلقه وأكلهم شريعة وإن أمته أكل الام وهذا فصل معترض وهو أنفع فصول الكتاب ولو لا الاطالة لوسعنا فيه المقال وأكثروا فيه من الشواهد والآيات ولقد فتح الله الكريم فيه الباب وأرشد فيه إلى الصواب وهو المرجو ل تمام نعمته ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم

(فصل) فأعد الان النظر فيك وفي نفسك مرأة ثانية من الذي دربك بالطف الأذير وأنت جنين في بطن أمك في موضع لا بد تناولك ولا بصر يدركك ولا حيلة لك في الخس الفداء ولا في دفع الضرر فمن الذي أجري إليك من دم الام ما يغدوك كما يغدو الماء النبات وقلب ذلك الدم لينا ولم يزل يغدوك به في أنيق الموضع وأبعدها من حية التكب والطلب حتى اذا أكل خلقت واستحكم وقوى أديمك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقة الضياء وصلبت عظامك على مباشرة اليدى والنقلب على الغبراء هاج الطلاق يامك فاز بمحلك الى الخروج أيا ازعاج الى عالم الابلاء فكذلك الرحمن ركفة من مكانك كأن لم يضمه فقط ولم يستعمل عليك فيما بعد ما بين ذلك القبول والاشتمال حين وضع نطفة وبين هذا الدفع والطرد والخروج وكان مبهجاً بحملك فصار

يستغيث ويعج الي ربك من فلك فن الذى فتح لك بابه حتى وجلت ثم ضمه عليك
 حتى حفظت وكلت ثم فتح لك ذلك الباب ووسعه حتى خرجت منه كلاج البصر لم
 يخنقك ضيقه ولم تخسرك صعوبة طريقك فيه فلو تأمات حالت في دخولك من ذلك الباب
 وخر وجلت منه لذهب بك العجب كل مذهب فن الذى أوحى اليه ان يتضائق عليك
 وأنت نطفة حتى لا تفسد هناك وأوحى اليه أن يتسع لك وينفتح حتى تخرج منه سلما
 الى ان خرجت فريداً وحيداً ضعيفاً لاقشرة ولا لباس ولا ملابس ولا مال أحوج خلق
 الله وأضعفهم وأفقهم فصرف ذلك اللئن الذى كنت تتغذى به في بطن أمك الى خزانتين
 معلقتين على صدرها تحمل غذاءك على صدرها كما حملتك في بطنها ثم ساقه الي ينفك
 الخزانتين أطف سوق على مجار وطرق قد تهيأت له فلا يزال واقفاً في طرقه وبخاريه
 حتى تستوفي ما في الخزانة فيجري وينساق اليك فهو بئر لانقطع مادتها ولا تسد طرقها
 يسوقها اليك في طرق لا يهدى لها الطواف ولا يسلكها الرجال فن رفقه يات
 وصفاه وأطاب طعمه وحسن لونه وأحكام طبخه أعدل إحكام لا يلحا المؤذى ولا
 بالبارد الردى ولا المر ولا الملح ولا الكريه الرائحة بل قلبه الي ضرب آخر من التغذية
 والمنفعة خلاف ما كان في البطن فواكه في أشد أوقات الحاجة اليه على حين ظمآن
 شديد وجوع مفرط جمع لك فيه بين الشراب والغذاء فحين تولد قد تلمظت وحركت
 شفتوك للرضاع فتجدد الثدي المعلق كالادواة قد تدللي اليك وأقبل بدراه عليك ثم
 جعل في رأسه تلك الحلمة التي هي بمقدار صغر فلك فلا يضيق عنها ولا تتعب بالتقامها
 ثم نقب لك في رأسها نقباً لطيفاً بمحبس احتماك ولم يوسعه فتحتني باللين ولم يضيقه
 فتصمه بكلفة بل جعله بقدر اقتضته حكمته ومصالحتك فن عطف عليك قلب الام
 ووضع فيه الخنان العجيب والرحة الباهرة حتى تكون في أهلاً ما يكون من شأنها او راحتها
 ومقبلها فإذا أحسست بذلك بأدنى صوت أو بكاء قامت اليك وآثرتك على نفسها على عدد
 الانفس متقدمة اليك بغير قائد ولا سائق الا قائد الرحة وسائل الخنان تود لو أن كل
 ما يؤملك مجسمها وأنه لم يطرفك منه شيء وإن حياتها تزداد في حياتك فن الذى وضع
 ذلك في قلباً حتى اذا قوى بدنك واتسع أمعاؤك وخشت عظامك واحتاجت الى
 غذاء أصلب من غذائك ليشتد به عظمك ويقوى عليه جسمك وضع في قلبك آلة القطع
 والطحن فنصب لك أسناناً تقطع بها الطعام وطواحين تطحن بها فن الذى جسمها عنك
 أيام وضائعك رحة ياملك ولعلنا بها نعم أعطاكمها أيام أكلك رحة بك واحداً اليك
 ولطفاً بك فلو أنك خرجت من البطن ذا سن وناب وناجذ وضرس كف كان حال

أمل بك ولو لتك منها وقت الحاجة إلها كيف كان حماك بهذه الاطعمة التي لاتسيغها
 الا بعد تقطيعها وطحنتها وكل ازدلت قوتها وحاجة الى الاسنان في كل المطاعم المختلفة
 زيد لك في تلك الالات حتى تبني الى النواجد فتطبيق نفس اللحم وقطع الخنزير وكسر
 الصلب ثم اذا ازدلت قوته زيد لك فيها حتى تبني الى الطواحين التي هي آخر الاضراس
 فمن الذي ساعدهك بهذه الالات وأنجذبك بها ومهلكك بها من ضروب الغذاء ثم انه
 اقتضت حكمته ان آخر جن من اطن امل لا تعلم شيئاً بل غبياً لاعتل ولا فهم ولا علم
 وذلك من رحمة بك فالملا على ضعفك لاتحمل العقل والفهم والمعرفة بل كدت تغرق
 وتتصدع بل جعل ذلك ينتقل فيك بالتدريج شيئاً فشيئاً فلا يصادفك ذلك وهلة واحدة
 بل يصادفك يسيراً يسراً حتى يتکامل فيك واعتبر ذلك بان الطفل اذا سبى صغيراً
 من بلدك ومن بين ابويه ولا عقل له فانه لا يبله ذلك وكلما كان اقرب الى العقل كان
 شق عليه وأصعب حتى اذا كان عاقلاً فلاتراه الا كالواله الحيران ثم لو ولدت عاقلاً ففيها
 سلالك في كبرك تنقصت عليك حياتك اعظم تغیص وتسکدت اعظم تکید لانك ترى
 نفسك محولاً رضيحاً معصباً بالخرق مربطاً بالنمط مسجونة في المهد عاجزاً ضعيفاً عما
 يحاوله الكبير فكيف كان يكون عيشك مع تملقك النام في هذه الحالة ثم لم يكن يوجد
 لك من الاخلاوة والمعافاة والواقع في القلب والرحمة بك ما يوجد للمولود العاقل بل
 تكون اندك خلق الله وأنقاهم وأعنهم وأكبرهم فضولاً وكان دخولك هذا العالم
 وأنت غبي لاتعقل شيئاً ولا تعلم ما فيه أهل محض الحكمة والرحمة بك والتديير فتلقى
 الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة باقصها ثم لا يزال يتزايد فيك العقل والمعرفة شيئاً فشيئاً
 حتى تائف الاشياء وتترن عليها وتخرج من التأمل لها والحقيقة فيها وتنقبها بحسن
 الصرف فيها والتديير لها والاتفاق لها وفي ذلك وجوه اخر من الحكمة غير ما ذكرناه
 فمن هذا الذي هو قيم عليك بالمرصادير صدك حتى يوافيك بكل شيء من المنافع والآراء
 والآلات في وقت حاجتك لا يقدرها عن وقها ولا يؤخرها عنه ثم انه اعظمك الافتخار
 وقت حاجتك اليها لتفانيها فانها تعين الاصابع وتفويها فان اكبر العمل لما كان
 برؤس الاصابع وعلىها الاهتمام أعينت بالاظافر قرة لها مع ما فيها من منفعة حك الجسم
 وقطع الاذى الذي لا يخرج باللامع عنه الى غير ذلك من فوائد ها ثم جملك باشعر على
 الرأس زينة ووقاية وصيانة من الحر والبرد اذ هو مجتمع الحواس ومعدن الفكر
 والذكر وثرة العقل تبني اليه ثم خص الذكر بان جمل وجهه باللحية وتوابعها وقاراً
 وهيءة له وحالاً وفصلاً له عن سن الصبا وفرق بينه وبين الاتنين وبقيت الان في على

حاطا لما خلقت له من استمتاع الذكر بها فبقي وجهها على حاله ونضارته ليكون أهيب
 للرجل على الشهوة وأكمل للذة الاستمتاع فلماه واحد والجواهر واحد والوعاء واحد
 واللقاح واحد فمن الذى أعطى الذكر الذكورية والانوثة لا وثنية ولا تختلف الى ما يقوله
 الجهمة من الطباءعين في سبب الاذكار والابيات واحالة ذلك على الامور الطبيعية الى
 لاتكاد تصدق في هذا الموضع الا اتفاقاً وكذبها اكثراً كثراً من صدقها وليس استناد
 الاذكار والابيات الا الى مخصوص الرسوم الالهي الذي يلقىء الى ملك التصوير حين يقول
 يا رب ذكر ام انتي شقي ام سعيد ها الرزق فـ الاجل فيروحي ربك ما يشاء ويكتب
 المالك فإذا كان لاعلبيعة تأثير في الاذكار والابيات فلم يتأثر في الرزق والاجل والشقاوة
 والسعادة والا فلا اذ خرج الجميع ما يوحى الله الى المالك ونحن لانستقر ان بذلك أبداً
 اخر ولكن تلك من الاسباب التي استأثر الله بها دون البشر قال الله تعالى (الله ملك
 السموات والارض يخلق ما يشاء يهب من يشاء إنما ويهب من يشاء الذكور) الى قوله
 قديراً فذكر أصناف النساء الاربعة مع الرجال ، أحدهما من تلد الاناث فقط ، الثانية
 من تلد الذكور فقط ، الثالثة من تلد الزوجين الذكر والانوثة وهو معنى التزوج هنا
 ان يجعل ما يهب له زوجين ذكراً وأنثى ، الرابعة العقيم التي لا تلد أصلاً ، وما يدل
 على ان سبب الاذكار والابيات لا يعلمه البشر ولا يدرك بالقياس والتفكير وإنما يعلم
 باوحي ما روي مسلم في صحيحه من حديث توبان قال كنت عند النبي صلى الله عليه
 وسلم شاهد حبر من أصحاب اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعه كاد يصرع منها
 فقال لم تدفعني فقلت لا تقول يا رسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه
 به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اسمي محمد الذي سماي به أهلي قال
 اليهودي جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ينفعك شيء ان حدثتك
 قال أسمع بادني فدكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل فقال اليهودي
 أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه
 عليه وسلم هم فيظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال
 اليهودي فما تخففهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كيد حوت ذي الدين قال فما غذاؤهم
 على أنثراها قال ينحر لهم نور الجنة الذي يأكل من أطراقها قال فما شرابهم عليه قال
 من عين تسمى ساسيلاً قال صدق وجيئت أسألك عن شيء لا يعلمه إلانبي أو رجل
 أو رجلان قال ينفعك ان حدثتك قال أسمع بادني قال جئت أسألك عن الولد قال
 ما، الرجل أبيض وما المرأة أصفر فإذا اجتمعوا فهما من الرجل ومن المرأة ذكر بادن

الله وان علا من المرأة من الرجل أتني باذن الله قال اليهودى لقد صدق والك
 لنبي ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألي عن هذا الذى سألى
 عنه وما لي علم به حتى أتني الله به والذى دل عليه العقل والنفل ان العجذب يخلق
 من الماءين جميعاً فالذى كر يقذف ماءه في رحم الاُنثى وكذلك هي تنزل ما ها الى حيث
 ينبعى ماؤه فيلتقى الماءان على امر قد قدره الله وشاءه فيخلق الولد بهما جميعاً
 وأيهمما غلب كان الشبه له كما في صحيح البخاري عن حميد عن أنس قال بلغ عبد الله بن
 سلام قدوم النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال انى سائلك عن ثلاثة لا يعلمون الا نبى
 قال ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد
 الى أبيه ومن أي شيء ينزع الى أخيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن
 آنفاً جبريل فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أما أول اشراط الساعة فدار تخسر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام
 يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غنى المرأة
 وبقيها ماؤه كان الشبه له وان سبقت كان الشبه لها فقال أشهد أنك رسول الله وذكر
 الحديث وفي الصحيحين عن أم سلمة قالت يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق هل
 على المرأة من غسل اذا هي احتملت قال نعم اذا رأت الماء الاصفر فضحك أم سلمة فقالت
 او تحتمل المرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فم بشهها الولد فهذه الاحاديث الثلاثة
 تدل على ان الولد يخلق من الماءين وأن الاذكار والابيات يكون بغایة أحد الماءين وفهره
 الآخر وعلوه عليه وان الشبه يكون بالسوق فن سبق ماؤه الى الرحم كان الشبه له وهذه
 امور ليس عند اهل الطبيعة ما يدل عليها ولا تعلم الا بالوحى وليس في صناعتهم ايضاً ما
 ينافيها على ان في النفس من حديث ثوبان ما فيها وانه يخاف ان لا يكون أحد رواته
 حفظه كما ينبغي وأن يكون السؤال اىما وقع فيه عن الشبه لا عن الاذكار والابيات كما
 سأل عنه عبد الله بن سلام ولذلك لم يخرجه البخاري وفي الصحيحين من حديث عبد
 الله بن أبي بكر بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وكل بالرحم ملائكة
 فيقول يارب نطفة يارب علقة يارب مضمة فإذا أراد أن يخاتها قال يارب أذكراً
 أتنى شق أم سعيد ها الرزق ها الاجل فيكتب كذلك في بطنه أمه أولاً ترى كيف أحال
 بالاذكار والابيات على مجرد المشيئة وقرئ بما لا تأثير للطبيعة فيه من الشقاوة والسعادة
 والرزق والاجل ولم يتعرض الملك لكتبه الذي للطبيعة فيه مدخل أو لا ترى عبد الله
 ابن سلام بسؤال الا عن الشبه الذي يمكن الجواب عنه ولم يسأل عن الاذكار والابيات

مع انه أبلغ من الشبه والله أعلم وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو عين الحق وعلى كل تقدير فهو يبطل ما زعمه بعض الطبائعيين من معرفة أسباب الاذكار والابنات والله أعلم

(فصل) فانظر كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والانثى جميعاً على وفق الحكمة بجعلت في حق الذكر آلة ناشزة تمند حتى توصل الى قعر الرحم بـ^{برلة} من يتناول غيره شيئاً فهو يهدى اليه حتى يوصله اياه ولاته يحتاج الى أن يقذف ما به في قعر الرحم وأما الانثى بجعل لها وعاء محفوف لانها تحتاج الى أن تقبل ماء الرجل وتنكم وتشتمل عليه فأعطيت آلة تلبيق بها ثم لما كان ماء الرجل يخدر من أجزاء الجسد رقيقة ضعيفاً لا يخلق منه الولد جعل له الانثى وعاء يطبع فيها ويحكم انضاجه ليشتد ويسعد ويسير قابلاً لأن يكون مبدأ للتخلص ولم تتحرج المرأة الى ذلك لأن رقة مامها ولطافتها اذا مازج غلظ ماء الرجل وشده قوى به واستحكم ولو كان الماء دقيقاً ضعيفاً لم يتكون الولد منها وخص الرجل بالآلة النضج والطبع حكم منها ان حرارته أقوى والانثى باردة فلو أعطيت تلك الآلة لم يستحكم طبع الماء وانضاجه فيها ومنها ان ماءها لا يخرج عن محله بل ينزل من بين ثديها الى محله . ومنها أنها لما كانت محلاً للجماع أعطيت من الآلة ما يليق بها فلو أعطيت آلة الرجل لم تحصل لها المذلة والاستنفاس وكانت تلك الآلة معطلة بغير منفعة فالحكمة الثانية فيما وجدت خلقة كل منها عليه

(فصل) فارجع الآن الى نفسك وكرر النظر فيك فهو يكفيك وتأمل أعضاءك وتقدير كل عضو منها للأرب والمنفعة المهيأ لها فاليدان للعلاج والبطش والأخذ والاعباء والمخاربة والدفع والرجلان حلل البدن والسي والركوب وانتصاب القامة والعينان للاهتمام والجمال والزينة والملاحة ورؤيا، في السموات والارض وآياتهما ومحاجيئهما والفهم للفداء والكلام والجمال وغير ذلك والانف للنفس وآخر افات الدماغ وزينة لوجه والسان للبيان والتزجة عنك والاذنان صاحبتا الاخبار تؤديانها اليك والسان يبلغ عنك والمعدة خزانة يستقر فيها الغذاء فتضحيه وتطبخه وتصلحه اصلاحاً آخر وطبخاً آخر غير الاصلاح والطبخ الذي توليه من خارج فأنك تعاني انضاجه وطبخه واصلاحه حتى تظن انه قد مكمل وانه قد استغنى عن طبخ آخر وانضاج آخر وطبخه الداخلي ومنضجه يعاني من نضجه وطبخه ما لا تهتمي اليه ولا تقدر عليه فهو يوقد عليه نيراناً تذيب الحصى وتذيب مالا تذيب النار وهي في المطف موضع منك لا تحرقك ولا تلتهمك وهي أشد حرارة من النار والاما ما يذيب هذه الاطعممة الغليظة الشديدة جداً حتى يجعلها

ما ذاً وجمل الكبد للتخلص وأخذ صفو الغذاء والطفنة ثم رتب منها بخارى وطرقا
 يسوقها الغذاء الى كل عضو وعظام وعصب وسلام وشعر وظفر وجعل المنازل والابواب
 لادخال ما ينفعك وخارج ما يضرك وجعل الاوعية المختلطة خزان تحفظ مادة حياتك
 بهذه خزانة للطعام وهذه خزانة لاحراره وهذه خزانة للدم وجعل منها خزانة موديات
 ثلاثة تحيط بالخزانة الاخر يحمل خزانة الليرة السوداء وأخرى لامرة الصفراء وأخرى
 للبول وأخرى للمني فتأمل حال الطعام في وصوله الى المعدة وكيف يسرى منها في البدن
 فانه اذا استقر فيها اشتعلت عليه وانضمت فتطبعه وتحيد صنته ثم تبعه الى الكبد في بخار
 دقيق وقد جعل بين الكبد وبين تلك الجباري غشاء رقيقة كالاصفحة الفضية الابخاش
 تصفيه فلا يصل الى الكبد منه شيء غليظ خشن فينكوها لأن الكبد رقيقة لا تحمل
 الغليظ فإذا قاته الكبد أفسنه الى البدن كله في بخار مهيبة لم ينزلة الجباري المعدة لاماء لسلك
 في الأرض فيها بالسوق ثم يبعث ما باقي من الخبيث والفضول الى مفاسد ومصارف قد
 أعدد لها ما كان من مرة صفاء يبعثت به الى المرارة وما كان من مررة سوداء بعثت به الى
 المعاحال وما كان من الرطوبة المائمة ابنت به الى المثانة فن ما الذي تولى ذلك كله وأحکمه
 ودبره وقدره أحسن تدبیر وكافي بك أيها المسكن تقول هذا كله من فعل الطبيعة وفي
 الطبيعة عجائب وأسرار فلو أراد الله أن يهديك لسألت نفسك بنفسك وقلت اخبرني
 عن هذه الطبيعة أهي ذات قاعدة بنفسها لها علم وقدرة على هذه الافعال العجيبة أم ليست
 كذلك بل عرض وصفة قاعدة بالمطبوع تابعة له محمودة فيه فان قال لك بل هي ذات قاعدة
 بنفسها لها العلم التام والقدرة والارادة والحكمة فقل لها هذا هو الخالق البارئ
 المصوّر فلم تسميه طبيعة وبالله من ذكر الطيائع ومن يرغب فيها فهلا سميته بما سمى به نفسه
 على السن رسّه ودخلت في جملة العقلاه والسماء فان هذا الذي وصفت به الطبيعة
 صفتـه تعالى وان قال لك بل الطبيعة عرض محظوظ مفترى الى حامل وهذا كله فعلها
 بغير علم بها ولا ارادة ولا قدرة ولا شعور أصلا وقد شوهد من آثارها ما شوهد فقل
 لها هذا ما لا يصدقه ذو عقل سليم كيف تصدر هذه الافعال العجيبة والحكم الدقيقة
 التي تعجز عقول العقلاه عن معرفتها وعن القدرة عليها من لا عقل له ولا قدرة ولا
 حكمه ولا شعور وهل التصديق يمثل هذا الا دخول في سلك الجبارين والمرسمين ثم
 قل لها بعد ولو بذلك ما ادعـت فـعلمـونـ انـ مثلـ هـذهـ الصـفةـ لـيـسـتـ بـخـالـقةـ لـنـفـسـهاـ وـلـأـمـبـدـعـةـ
 لـذـاتـهـاـ فـنـ رـبـهاـ وـمـبـدـعـهاـ وـخـالـقـهـاـ وـمـبـعـثـهاـ وـجـعـلـهـاـ تـفـعـلـ ذـلـكـ فـهـيـ اـذـاـ مـنـ اـدـلـ الدـلـائلـ
 عـلـىـ بـارـشـهاـ وـفـاطـرـهاـ وـكـانـ قـدـرـهـ وـعـالـمـهـ وـحـكـمـهـ فـلـ يـجـدـ عـلـيـكـ تعـطـيلـكـ ربـ الـعـالـمـ وـجـحدـكـ

لصفاته وأفعاله الا مخالفتك العقل والفطرة ولو حاكناك الى الطبيعة لرأيك انك خارج عن موجها فلا أنت مع موجب العقل ولا الفطرة ولا الطبيعة ولا الانسانية أصلاً وكفى بذلك جهلاً وضلالاً فان رجعت الى العقل وقلت لا يوجد حكمة الامن حكيم قادر على علم ولا تدبير متقن الا من صانع قادر مخبر علم بما يريد قادر عليه لا يعجزه ولا يتوعده قيل لك اذا أفررت وبحثك بالخلق العظيم الذي لا الله غيره ولا رب سواه فدع تسميتها طبيعة او عقلاً فعالاً او موجهاً بذاته وقل هذا هو الله الخالق الباري المصور رب العالمين وقيوم السموات والارضين ورب المشارق والمغارب الذي أحسن كل شيء خلقه وأفنن ما صنع فمالك جمدت أسماءه وصفاته وذاته وأشفت صنيعه الى غيره وخلقه الى سواه مع انك مضططر الى الاقرار به واضافة الابداع والخلق والريويسة والتدبیر اليه ولا بد والحمد لله رب العالمين على انك لو تأملت قوله طبيعة ومعنى هذه الفعلة لذلك على الخالق الباري لفظها كما دل المقول عليه معناها لأن طبيعة فعلة بمعنى مفعولة أي طبوعة ولا يحتمل غيرها ابداً فبناء الغرائز التي رُكت في الجسم ووضعت فيه كالسجنة والغريرة والبحيرة والسلبية والطبيعة فهي التي طبع عليها الحيوان وطبعت فيه ومهما لوم أن طبيعة من غير طابع لها مجال فقد دل لفظ الطبيعة على الباري تعالى كما دل معناها عليه والمسامون يقولون ان الطبيعة خالق من خلق الله مسخر من بوب وهي سنته في خلقته التي أجرأها عليه ثم انه يتصرف فيها كيف شاء وكما شاء فيسلبها تأثيرها اذا أراد ويقلب تأثيرها الى ضدده اذا شاء ليرى عباده أنه وحده الخالق الباري المصور وأنه يخلق ما يشاء كما يشاء (وانما أمره اذا أراد شيئاً ينقول له كن فيكون) وان الطبيعة التي اشئي نظر الخفافيشه إليها إنما هي خلق من خلقه ينزلة سائر مخلوقاته فكيف يحسن بين له حظ من انسانية أو عقل أن يasic من طبعها وخلفها ويحمل الصنع والابداع عليها ولم يزل الله سبحانه يسلبها قوتها ويحييها ويقاومها الى ضد ما جعلت له حتى يرى عباده أنها خلقه وصنعه مسخرة بأمره (الله الخالق والامر يبارك الله رب العالمين)

(فصل) فأعاد النظر في نفسك وتتأمل حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء مواضعها منه واعدادها لما أعددت له واعداد هذه الأوعية المعدة لحمل الفضلات وجمعها لكيلا تنشر في البدن فنفسه ثم تأمل الحكمة البالغة في تحيثك وكثرة أجزائك من غير تفكير ولا تفصيل ولو ان صائفًا أخذ ثمناً من ذهب أو فضة أو نحاس فأراد أن يجعله أكبر مما هو هل كان يمكنه ذلك الا بعد أن يكسره واسوغه صياغة أخرى والرب تعالى يبني جسم الطفل وأعضاءه الظاهرة والباطلة وجميع (٣٥ - مفتاح اول)

أجزاءه وهو باق ثابت على شكله وهيئته لا يتزايد ولا ينفك ولا ينقض . وأعجب من هذا كله تصوّره في الرحم حيث لاتراه العيون ولا تلمسه الأيدي ولا تصل اليه الآلات فيخرج بغيراً سوياً مستوفياً لكل ما فيه مصلحته وقوامه من عضو وحالة وآلية من الاختفاء والجوارح والحوامل والأعصاب والارباطات والأغشية والمعظام المختلفة الشكل والقدرة والمنفعة والموضع الى غير ذلك من الاجم والشحم والملخ وما في ذلك من دقيق التركيب والطيف الخلقة وخفي الحكمة ومديع الصنعة كل هذا صنع الله أحسن الخالقين في قطرة من ماء مهين وما كرر عليك في كتابه مبدأ خلقك واعدادك ودعوك الى التفكير فيه الا لما يدرك من العبرة والمعرفة ولا تستطع هذا الفصل وما فيه من نوع تكرار يشتمل على مزدید فائدة فان الحاجة اليه مأة والمنفعة عظيمة فانظر الى بعض ما خصك به وفضلك على الباقي المهمة إذ خلقت على هيئة تتصب قاماً وتستوري جالساً وتستقبل الاشياء به بدينك وتقبل عليها بجميلتك فيمكنك العمل والصلاح والتدبير ولو كثت كذوات الأربع المكونة على وجهها لم يغادر لك فضيلة تمييز واحتفاها ولم يتهاها منك ما تهيا من هذه النسبة

(فصل) قال الله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وجعلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم الآية) فسبحان من ألسنه خلع الكرامة كأنها من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والطيبة التسريفة والقد المعتدل و الكتاب العلوم بالاستدلال والفكير وافتراض الأخلاق الشرفية الفاضلة من البر والطاعة والاقتداد فكم بين حاله وهو نطفة في داخل في الرحم مستودع هذك وبين حاله ومالك يدخل عليه في جنات عدن (فتبارك الله أحسن الخالقين) فالدنيا قرية والمؤمن ربها والكل مشغول به ساع في مصالحه والكل قد أقيم في خدمته وحرأ وجهه فإذا لائحة الذين هم حلة عرش الرحمن ومن حوله يستغرن له والملائكة الملوكارن به يحفظونه والموكلون بالفطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه والآفلاك سخرت منقاده دائرة بما فيه مصالحه والشمس والقمر والتجموم مسخرات جاريات بحسب أزمنته وأوقاته واصلاح رواتب أقواته والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره وما أودع فيه والعالم السفلي كل مسخر له مخنوق اسلامه أرضه وجبله وبماره وأهله وأشجاره وثماره ونباته وحيوانه وكل ما فيه كما قال تعالى (الله الذي سخر لكم البحر انجري الالك فيه بأمره) الى قوله يتذكرون وقوله تعالى (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماوات فآخرج به من السموات رزقا لكم) الى قوله كفار فالسائل في معرفة آلاء الله وتأميك

حكمته وبديع صفاته أطول باتماً وأملاً صواعداً من الاصيق بمكانه المقيم في بلد عادته وطبعه راضياً بعيش في جنسه لا يرضى لنفسه الا أن يكون واحداً منهم يقول لي اسوة بهم ٥ وهل أنا الا من ربيعة أو مضر ٦ ولبست ثيائس البضائع الامن امتنعي غارب الافتراض
وطوف في الآفاق حتى رضى من الغنيمة بالآيات فاستلان ما استوعره البطالون وأنس بما استوحش منه الجاهلون

(فصل) فأعد النظر في نفسك وحكمة الخلاق العايم في خلقك وانظر الى الحواس التي منها تشرف على الأشياء كيف جعلها الله في الرأس كلها بمحض فرق المثارة لتمكن بها من مطالعة الأشياء ولم تخجل في الأعضاء التي تمثل كاليدين والرجلين فتتعرض للآفات ب المباشرة الأفعال والحركات ولا جعلها في الأعضاء التي في وسط البدن كالبطن والظهر فيمسر عليك التلفت والاطلاع على الأشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أليو الموضع بها وأجلها فالرأس موضع الحواس ٧ نعم تأمل الحكمة في أن جعل الحواس خصاً في مقابلة المحوسات الحس لباقي حواس بجسمك لا يبقى شيء من المحسوسات لا يناله بمحاسة يجعل البصر في مقابلة المبصرات والسمع في مقابلة الأصوات والشم في مقابلة أنواع الروائح المختلفة والذوق في مقابلة الكيفيات المذوقات واللمس في مقابلة المذوقات فـأي محسوس يبقى بلا حادة ولو كان في المحسوسات شيء غير هذه لا يعنك له حادة سادسة ولما كان ماعداها أنها يدرك بالباطن أعطاك الحواس الباطنة وهي هذه الأخناس التي جرت عليها السنة العامة والخاصة حيث يقولون المفكر المنتمل ٨ ضرب أخنسه في أسداته فأخنسه حواه الحس وأسداته جهاته الاست وأرادوا بذلك أنه جذبه القلب وسار به في الأفقار والجحود حتى قلب حواه الحس في جهاته الاست وضر بها فيها الشدة فـفكـرـهـ

(فصل) نعم أعينت هذه الحواس بمخلوقات آخر منفصلة عنها تكون واسعة في احساسها فأعينت حاسة البصر بالضوء والشمع فلو لم ينتفع الناظر ببصره فـلوـ منـعـ الضـيـاءـ والـشـعـاعـ لـمـ شـفـعـ العـيـنـ شـيـئـاـ ٩ وأعينت حاسة السمع بالطوارئ يحمل الأصوات في الجو ١٠ ثم ينقلها إلى الأذن فتحويه ثم تقلبه إلى القوة السابعة ولو لا الطوالم يسمع الرجل شيئاً ١١ وأعينت حاسة الشم بلذيم اللطيف يحمل الرائحة ثم يوجها إليها فـتـدـركـ كـهـاـ هـلـولاـ هوـ لمـ ثمـ شيئاـ ١٢ وأعينت حاسة الذوق بالريح المتهدل في الفم تدرك القوة الدافعة به طعم الأشياء وهذا لم يكن له طعم لا حلو ولا حامض ولا ملح ولا حريف لأنـهـ كان مجـيلـ تلكـ الـطـعـومـ إـلـىـ طـعـمهـ وـلـاـ يـحـصـلـ بـهـ مـقـصـودـهـ ١٣ وأعينت حاسة اللمس بـقوـةـ

جعلها الله فيها تدرك بها الملموسات ولم تنج إلى مني من خارج بخلاف غيرها من الحواس بل تدرك الملموسات بلا واسطة بينها وبينها لأنها تدركها بالاجتماع واللامسة فلم تنج إلى واسطة

(فصل) نعم تأمل حال من عدم البصر وما يناله من الخلل في أمره فإنه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه ولا يفرق بين الألوان والمناظر الحسنة من القبيحة ولا يمكن من استفادة علم من كتاب يقرأه ولا يسمع له الاعتبار والنظر في عجائب ملك الله هذا مع أنه لا يشعر بكثير من مصالحه ومضاره فلا يشعر بمحنة يهوي فيها ولا بمحنة يهوي ان يقصده كالسبع فيتحرز له ولا يهروه يهوي نحوه ليقتله ولا يمكن من هرب أن طلب بل هو ملق السلم من راهه بأذى ولو لا حفظ خاص من الله له قريب من حفظ الوليد وكلاه له لكن عطبه أقرب من سلامته فإنه بنزلة لم على وضم ولذلك جعل الله نوابه اذا صبر وأحتسب الجنة ومن كمال اطفئه ان عكس نور بصره الى بصيرته فهو أقوى الناس بصيرة وحدساً وجع عليه همه فقبله بمجموع عليه غير مشتبه له العيش وتم مصالحته ولا يظن انه مغموم حزين متائف هذا حكم من ولد أعمى فاما من أصيب بعيقه بعد البصر فهو بنزلة سائر أهل البلاء المتنقلين من العافية الى البلاء فالمحنة عليه شديدة لانه قد حيل بينه وبين ما ألهه من المرأى والصور ووجوه الانقطاع ببصره فهذا له حكم آخر و وكذلك من عدم السمع فإنه يفقد زوج الخطابة والخواورة ويعذر له المذاكرة ونسمة الأصوات الشجية وتعظم المؤنة على الناس في خطابه ويتركون به ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم فهو بينهم شاهد كفائب وهي كثيرة وقرب كبعيد وقد اختلف النظار في أبوها أقرب الى الكمال وأقول اختلافاً لأمرهضرر أو الأطروش وذكرها في ذلك وجوهاً وهذا مبني على أصل آخر وهو أن الصفتين أكمل صفة السمع أو صفة البصر وقد ذكرنا اختلاف فيما فيما فيها تقدم من هذا الكتاب وذكرنا أقوال الناس وأدلتهم والتحقيق في ذلك فـأـيـ الصـفتـيـنـ كـانـ أـكـمـ فـالـضـرـرـ بـعـدـهـماـ أـقـوىـ وـالـذـيـ يـلـيقـ بـهـذاـ الـمـوـضـعـ أـنـ يـقـالـ عـادـمـ الـبـصـرـ أـشـدـهـماـ ضـرـرـاـ وـأـلـهـمـاـ دـيـنـاـ وـأـمـدـهـماـ عـاقـبـةـ وـعـادـمـ السـمعـ أـقـلـهـماـ ضـرـرـاـ فـيـ دـنـيـاـ وـأـجـهـلـهـماـ بـدـيـتـهـ وـأـسـوـأـ عـاقـبـةـ فـإـنـهـ إـذـ عـدـمـ السـمعـ عـدـمـ المـوـاعـظـ وـالـنـصـائـعـ وـأـنـسـدـتـ عـلـيـهـ أـبـوـابـ الـعـلـمـ النـافـعـةـ وـأـنـفـتـحـتـ لـهـ طـرـقـ الشـهـوـاتـ الـتـيـ يـدـرـكـهاـ الـبـصـرـ وـلـاـ يـنـالـهـ مـاـ يـكـفـهـ عـنـهاـ فـضـرـرـهـ فـيـ دـيـنـهـ أـكـثـرـ وـضـرـرـ الـأـعـمـيـ فـيـ دـنـيـاـ أـكـثـرـ وـهـذـاـ لـمـ يـكـنـ فـيـ الصـحـابـةـ أـطـرـشـ وـكـانـ فـيـهـ جـمـاعـةـ أـضـرـاءـ وـقـلـ انـ يـتـلـيـ اللهـ أـوـلـيـاءـ بـالـطـرـشـ وـيـتـلـيـ كـثـيرـاـ مـنـهـمـ بـالـعـمـىـ فـمـذـاـ فـصـلـ الـخـطـابـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـلـةـ فـضـرـرـ الـطـرـشـ

في الدين ومضررة العمى في الدنيا والمعافا من عافية الله منها ومتنه بسمه وبصره وجعلها
أداة لذنب منه

(فصل) ثم تأمل حكمته في الأعضاء التي خلقت فيك آحاداً ومني وثلاثة ورباع وما في ذلك من الحكم البالغة فالرأس والسان والألف والذكر خلق كل منها واحدة فقط إذ لا مصلحة في كونه أكثر من ذلك لأن ترى أنه لو أضيف إلى الرأس رأس آخر لأنها بذاته من غير حاجة إليه لأن جميع الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثم إن الإنسان كان ينقسم برأسه قسمين فان تكلم من أحددهما وسمع به وأبصر وشم وذاق بي الآخر معطلاً لأرب فيه وإن تكلم وأبهج وسمع به ما معه كلاماً واحداً وسمعاً واحداً وبصراً واحداً كان الآخر فضلة لا فائدة فيه وإن اختلف ادرا كهما اختلاف عليه أحواهه وادراكاته وكذلك لو كان له إنسان في فم واحد فان يتكلم بهما كلاماً واحداً كان أحدهما شائعاً وإن تكلم بأحددهما دون الآخر فكذلك وإن تكلم بهما معاً كلامين مختلفين خلط على السامع ولم يدر بأى الكلامين يأخذ وكذلك لو كان له هنوان وفان لكان مع قبح الخلقه أحدهما فضلة لا نفعه فيه وهذا بخلاف الأعضاء التي خافت منها كالعينين والاذنين والشفتين واليدين والرجلين والساقيين والفحزين والوركين والثديين فان الحكم فيها ظاهرة والمصلحة بيته والجمال والزينة عليها بادية فلو كان الإنسان يعيين واحدة لكان مشود الخلقه ناقتها وكذلك الحاجبان واما اليدين والرجلان والماقان والنخذان فتعذردهما ضروري للإنسان لاتم مصلحته الا بذلك لأن ترى أنه لو أضيف إلى رجليه

كيف تبقى حالة وعجزه فلو انت التجار والخياط والخداد والخباز والبناء وأصحاب الصنائع التي لا تأني الا باليدين شلت يد أحد هم النعطلات عليه صنعته فاقضت الحكمة ان أعطى من هذا الضرب من الجوارح والاعضاء اثنين اثنين وكذلك اعطي شفتين لانه لا تكمل مصلحته الا بهما وفيهما ضروب عديدة من المنافع ومن الكلام والذوق وغطاء الفم والجلال والزينة والقبة وغير ذلك وأما الاعضاء الا ثلاثة فهي جواب انه وحيطاته وقد ذكرنا حكمة ذلك فيما قدم وما الاعضاء الرباعية فالكماب الاربعة التي هي مجمع القدمين والمذكرة لها وبها قوة القدمين وحركتها وفيها منافع الساقين وكذلك اجفان العيدين فيها من الحكم والمنافع امها غطاء لاعيدين ووقاية لها وجمال وزينة وغير ذلك من الحكم فاقضت الحكمة باللغة أن جعلت الاعضاء على ما هي عليه من المعد والشكل والطبيعة فلو زادت أو نقصت لكان نقصاً في الخاتمة وهذا يوجد في النوع الانساني من زائد في الخاتمة ونقص منها ما يدل على حكمة الرب تعالى وأنه لو شاء يجعل خلقه كلام هكذا ولعلم الكمال الخاتمة تمام النعمه عليه وأنه خلق خلقاً سوياً معتقداً لم يزد في خلقه ما لا يحتاج اليه ولم ينقص منه ما يحتاج اليه كبراه في غيره فهو أبذر أن يزداد شكرآ وحمدآ لربه وبعلم ان ذلك ليس من صنع الطبيعة وانما ذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه وأنه يخلق ما شاء

(فصل) من أين للطبيعة هذا الاختلاف والفرق الحاصل في النوع الانساني بين صورهم فقل ان يرى انسان متباين من كل وجه وذلك من اندر ما في العالم بخلاف اصناف الحيوان كالنم والوحش والطير وسائر الدواب فانك ترى السرط من الضباء وائلة من الفم والذود من الابل والصوار من البقر تشبه حق لا يفرق بين واحد منها وبين الاخر الا بعد طول تأمل او بعلامة ظاهرة والناس مختلفة صورهم وخلفتهم فلا يكاد انسان منهم يجتمعان في صفة واحدة وخاتمة واحدة بل ولا صوت واحد وحنجرة واحدة والحكمة البالغة في ذلك ان الناس يحتاجون الى ان يتعارفوا بأعيانهم وحالاتهم لما يجري بينهم من المعاملات فلولا الفرق والاختلاف في الصور لفسدت أحوالهم وتشرد انفاسهم ولم يعرف الشاهد من المشهود عليه ولا المدين من رب الدين ولا البائع من المشتري ولا كان الرجل يعرف عرسه من غيرها للاختلاط ولا هي تعرف بعدها من غيرها وفي ذلك أعظم الفساد والخلل فمن الذى يميز بين حلامهم صورهم وأصواتهم وفرق بينها بفارق لاتصالها العبارة ولا يدركها لوصف فعل المعمل أهداف العمل وهل في الطبيعة اقتضاه هذا الاختلاف والافتراق في النوع وأين قول الطائبين ان "فعلاها

متشابه لازماً واحدة في نفسها لا تفعل بارادة ولا مشيئة فلا يمكن اختلاف أفعالها فكيف يجمع المعطل بين هذا وهذا فما لا تعمي الإبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وربما وقع في النوع الإنساني تشابه بين اثنين لا يكاد يميز بينهما فتغتصب عليهم المؤنة في معاملتهما وتتشدد الحاجة إلى تمييز المستحق منها والمؤاخذ بذنبه ومن عليه الحق وإذا كان هذا يعرض في التشابه في الأسماء كثيراً ويخلق الشاهد والمحاك من ذلك ما يخلق لها الفتن لو وضع التشابه في الخلقة والصورة ولما كان الحيوان الديم والطير والوحش لا يضرها هذا التشابه شيئاً لم تدع الحكمة إلى الفرق بين كل زوجين منها فتبارك الله أحسن الخالقين الذي وسعت حكمته كل شئ

(فصل) ثم تأمل لم صارت المرأة والرجل اذا أدركا اشتراكا في نبات العانة ثم ينفرد الرجل عن المرأة باللحية فان الله عز وجل لما جعل الرجل فيها على المرأة وجعلها كالخول له والعاني في يديه ميزة عليها بما فيه له المهابة والعز والوقار والجلالة لكرمه حاجته الى ذلك ومنتها المرأة لكرمل الاستمتاع بها والتلذذ بنيتها فضارة وجهها وحسنها لا يشبه الشعر واشتراكا في سائر الشعور لاحكمة والمنفعة التي فيها

(فصل) ثم تأمل هذا الصوت الخارج من الحلق وتهيئة آلامه والكلام والتنظيم والحرف ومخارجها وأدواتها ومقاطعها واجراها تجده الحكمة الباهرة في هواء ساذج يخرج من الجوف فيسلك في أنسجة الحنجرة حتى ينتهي إلى الحلق والسان والشفتين والاسنان فيحدث له هناك مقاطع ونهيات واجراس يسمع له عند كل مقطع ونهضة جرس بين منفصل عن الآخر يحدث بسيبه الحرف فهو صوت واحد ساذج يجري في قصبة واحدة حتى ينتهي إلى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرين حرفاً يدور عليها الكلام كله أسره ونبيه وخبره واستخباره ونظمه ونثره وخطبه ومواعظه وفضوله فيه الفضحك ومنه المبكى ومنه المؤيس ومنه المطعم ومنه المخوف ومنه المرجو والمالي والحزن والقايض لاغس والجوارح والذئب ها والذى يقسم الصحيح وبيري السقيم ومنه ما يزيد النعم ويصل النعم ومنه ما يستدفع به البلاء ويستجاب به النعماء وتسنم بالقلوب ويؤلف به بين المتابعين ويوازي به وبين اتعاديين ومنه ما هو بضد ذلك ومنه الكلمة التي لا يخلق لها صاحبها بالآية يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب والكلمة التي لا يخلق لها بالآية صاحبها يركض بها في أعلى عاليين في جوار رب العالمين فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء ساذج يخرج من الصدر لا يدرك ما يراد به ولا أين ينتهي ولا أين مستقره هذا إلى مافي ذلك من اختلاف الألسنة واللغات التي لا يخصها إلا الله فيجتمع الجم من

الناس من بلاد شتى فيتكلّم كلّ منهم بلغته فتُقسّم لغات مختلفة وكلاماً منتعلماً مُؤلّفاً ولا يدرى كلّ منهم ما يقول الآخر وال manus الذي هو جارحة واحد في الشكل والمنظر وكذاك الحلق والاضراس والشفتان والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت فالآية في ذلك كالآية في الأرض التي تدق بماء واحد وتخرج من ذلك من أنواع النبات والازهار والطوب والمزار تلك الأنواع المختلفة التباينة وهذا أخبر الله سبحانه في كتابه أن في كل منها آيات فقال (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقَاتِ الْمُتَكَبِّرَاتِ) وقول (وَفِي الْأَرْضِ قَطْعَانٌ مُتَجَادِلُونَ) وجنت من أنثاب وزرع وتخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد الآية فانظر الآن في الحجرة كيف هي كلاسيوب طرورج الصوت وال manus والشفتان والاسنان بصياغة المروف والنغمات الا ترى أن من سقطت أسنانه لم يتم المروف التي تخرج منها ومن manus ومن سقطت ثقنه كيف لم يتم الراء واللام ومن عرضت له آفة في حلقه كيف لم يتمكن من المروف الحقيقة وقد شبه أصحاب التشريح بخرج الصوت بالزمار والرنة بالزق الذي يفتح فيه من تحته ليدخل الرفع فيه والفضلات التي تقبض على الرنة ليخرج الصوت من الحجرة بالاكف التي تقبض على الزق حتى يخرج الهواء في القص والشفتين والاسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونقماً بالاصابع التي تختلف على المزار فتصوغه الحنا والمقاطع التي ينتهي اليها الصوت بالاخناس التي في القصبة حتى قبل ان المزار اتما اخذ على مثال ذلك من manus فإذا تعجبت من الصناعة التي تعلمها أكف الناس حتى تخرج منها تلك الاوصوات فما احرار بطلعول التعجب من الصناعة الاهية التي أخرجت تلك المروف والاصوات من اللحم والدم والعرق والمعظام ويا بعد ما ينبعوا لكن المأثور المعة دلائعاً عند النفوس موقع التجرب فإذا رأت manus له اليه أصل إلا انه غريب عندها تلقته بالتعجب وتبين رب تعالى وعندها من آياته العجيبة الظاهرة ما هو أعظم من ذلك مما لا يدركه القياس ثم تأمل اختلاف هذه التعميمات وبيان هذه الاوصوات مع تشابه الحناجر والخلوق والشهاء والاسنة والاسنان فلن الذي ميز بينها أنت تميز مع تشابه محاطها سوى الخلاق العالم

(فصل) وفي هذه الآلات ومارب أخرى ومنافع سوى منفعة الكلام في الحجرة مسلك النسم البارد الذي يرُوح على النؤاد بهذا النفس الدائم المتتابع وفي manus منفعة الذوق فتدافق به العلوم وتدرك لذتها ويعزز به بينها فيعرفحقيقة كل واحد منها وفيه مع ذلك معاونة على اساغة الطعام وأن يلوكه ويقابلها حتى يسهل مسلكه في الحلق وفي

الاسنان من المنافع ما هو معلوم من قطعيب الطعام كاقدام وفيه الشفتين وأمساكهما عن الاسترخاء وتشويه الصورة ولهذا ترى من سقطت أسنانه كيف تسترخي شفتيه وفي الشفتين منافع عديدة يرشق بها الشراب حتى يكون الداخل منه إلى حلقه بقدر فلا يشرق به الشارب ثم هما باب مغلق على الفم الذي إليه ينتهي إليه ما يخرج من الجوف ومنه يتدلي ما يلتج فيه فهمما غطاء وطابق عليه يفتحهما الباب متى شاء ويغلقهما إذا شاء وهما أيضا جمال وزينة لوجهه وفيهما منافع أخرى سوى ذلك وإنظر إلى من سقطت شفتيه ما أشوه منظره وقد بان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف إلى وجوه شتى من المنافع والمارب والمصالح كما يتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى هذا ولو رأيت الدماغ وكشف لك عن تركيبه وخلقه لرأيت العجب العجاب وتكتشف لك عن تركيب يحار فيه العقل قد اتف بمحجوب وأغشية بعضها فوق بعض لتصونه عن الاعراض وتحفظه عن الاختهار ثم أطبقت عليه الجمجمة بمنزلة الخودة وببيضة الحديد لتقيه حد الصدمة والقطعة والضربة التي تصل إليه فتنلاقاً تلك البيضة عنه بمنزلة الخودة التي على رأس المقارب ثم جملت تلك الجمجمة بالجلد الذي هو فروة الرأس يستر العظام من البروز للأذى ثم كيئت تلك الفروة حلة من الشعر الوافر وقاية لها وستامن الحر والبرد والأذى وجمال وزينة له فدل العطل من الذي حصن الدماغ هذا التحصين وقدره هذا التقدير وجعله خزانة أودع فيها من المنافع والقوى والعجبات ما أودعه ثم أحكم سد تلك الخزانة وحصتها أنتم تحصين وصانها أعظم حيانة وجعلها معدن الحواس والادراكات ومن الذي جعل الاجفان على العينين كالفتحاء والاشفار كالاشراج والاهداب كالرفوف عليها اذا فتحت ومن الذي ركب طبقاتها المختلفة طبقة فوق طبقة حتى بلغت عدد السموات سبعاً وجعل لكل طبقة منقعة وفائدة ولو اختلت طبقة منها لا يختل البصر ومن شقها في الوجه أحسن شق وأعطيها أحسن شكل وأودع الملاحة فيها وجعلها مرآة للقلب وطبيعة وحارسا للبدن ورائداً يسلمه كاجنده في مهماته فلا يتعب ولا يعيها على كثرة ظعنده وطول سفره ومن أودع النور الباصري في قدر جرم العدسة فبرى فيه السموات والأرض والجبال والشمس والقمر والبحار والعجبات من داخل سبع طبقات وجماعها في أعلى الوجه بمنزلة الحارس على الراية العالية وهي للبدن ومن حجب الملك في الصدر وأجلسه هناك على كرسى الملوك وأقام جند الجوارح والاعضاء القوي الباطنة والظاهره في خدمته وذللها له فهي مؤمرة اذا أمرها متيبة اذا أنهاها سامعة له مطبيعة تكدر وتعنى في مرضها فلا تستطيع منه خلاصاً ولا خروجاً عن أمرها فهم رسوله ومنها يريد وهو منها

ترجمانه ومنها أعنوانه وكل منها على عمل لا ينعدم ولا يتصرف في غير عمله حتى اذا أراد الراحة أو عن اليها بالهدوء والسكون ليأخذ الملك راحته فإذا استيقظ من نمامه قامت جنوده بين يديه على أعمدتها وذهبت حيث وجهها دائمة لافتة فلو شاهده في محل ملكه والاشغال والمراسيم صادرة عنه وواردة والعساكر في خدمته والبرد تردد بينه وبين جنده ورعيته لرأيت له شأنًا عجيبة فما ذاقت الجاهل الفاصل من العجائب والمعارف والعبر التي لا يحتاج فيها الى طول الاسفار وركوب القوار قات تعالى (وفي الارض آيات للموقدين وفي أنفسكم أفالا تبصرون) فدعوا عباده الى التفكير في أنفسهم والاستدلال بها على فاطرها وباريها ولو لا هذا لم نوسع الكلام في هذا الباب ولا أطلنا النفس الى هذه الغاية ولكن العبرة بذلك حاصلة والمنفعة عظيمة وال فكرة فيه مما يزيد المؤمن ايمانا فكم دون القلب من حرس وكم له من خادم وكم له من عبيد ولا يشعر به والله ما يخلق له وهيا له وأريد منه وأعد له من الكرامة والنعيم أو الهاون والعقاب فاما على سرير الملك في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظر الى وجه ربها ويسمع خطابها واما أسير في السجن الاعظم بين أطباق النيران في العذاب الاليم فلو عقل هذا السلطان ما هيأ له اصن بذلك وليس في الملك الذي لا ينقطع ولا يهد ولتكن ضربت عليه حجب الغلة يقضي الله أمرأ كان مفعولا

(فصل) ومن جعل في الخلق منفذين « أحدهما لاصوات والنفس الواسط الى الرئة » والآخر لاطعام والشراب وهو المريء الواسط الى المعدة وجعل بينهما حاجزاً يمنع عبور أحدهما في طريق الآخر فلو وصل الطعام من منفذ النفس الى الرئة لا هلك الحيوان ومن جعل الرئة مروحة للقلب تروح عليه لانى ولا نفتر لكيلا تنحصر الحرارة فيه في تلك ومن جعل المتأذف لفضلات الغذاء وجعل لها أشراجاً تفاصها الكيلانجيري جرياً دائماً فتفسد على الانسان عيشه ويمنع الناس من مجلسه بعضهم بعضما ومن جعل المعدة كأشد ما يكون من العصب لانها هيئت لطبع الأطعمة وانصاجها فلو كانت لها غضاً لانطبعخت هي ونضجت بفعلت كالعصب الشديد لتقوى على الطبع والانضاج ولا تهلكوا النازل الى تحتها ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لانها هيئت لقبول الصفو والمطيف من الغذاء والهضم وعمل هو المطيف من عمل المعدة ومن حصن المخ الماء المطيف الرقيق في أنابيب صلبة من العظام لحفظها واصونها فلا تفسد ولا تذوب ومن جعل الدم السائل محبوساً محصوراً في العروق ينزله الماء في الوعاء ليضبط فلا يجرى ومن جعل الانظفار على أطراف الاسابيع وقاية لها وصيانة من الاعمال والصناعات ومن جعل

داخل الاذن مستويًا كثيّة الكوكيب ليطرد فيه الصوت حتى يتبين الى السمع الداخلي
وقد انكسرت حدة الهواء فلا يمكنه ولابعد على الهواء النفود اليه قبل أن يمسك
وليمك ماعشاه ان يفشاها من الفتنى والوسخ ولغير ذلك من الحكيم • ومن جعل على
الفخذين والوركين من اللحم أكثر ما على سائر الاعضاء ليقيها من الارض فلا تتألم
عظامها من كثرة الجلوس كما يالم من قد تخل جسمه وقل لحمه من طول الجلوس
حيث لم يجعل بينه وبين الارض حائل • ومن جعل ما العينين ملحاً يحفظها من
الذوبان وما الاذن من املاكه من الذباب والهوام والبعوض وماه الفم عذبا يدرك
به طعم الاشياء فلا يخالطها طعم غيرها • ومن جعل باب الخلاء في الانسان في أستر
موقع كا ان البناء الحكيم يجعل موقع التخل في أستر موقع في الدار وهكذا منفذ
الخلاء من الانسان في أستر موقع ليس بارزاً من خلفه ولا ناشزاً بين يديه بل
مغيب في موقع غامض من البدن يلتقي عليه الفخذان بما عليهما من اللحم متواريا
فإذا جاء وقت الحاجة وجلس الانسان لها بэр ذلك المخرج الارض • ومن جعل
الاسنان حداداً لقطع الطعام وتفصيله والاضراس عرضاً لرضه وطحنه • ومن سلب
الاحساس الحيواني الشعور والاظفار التي في الادمي لانها قد تطول وتمتد وتندو
الحاجة الى اخذها وتخفيفها فلو أعطاها الحس لآمنه وشق عليه أخذ ما شاء منها ولو
كانت نفس لوقع الانسان منها في احدى البيتين اما تركها حتى تطول وتفتحن وتنقل
عليه واما مقاسة الام والوجع عند اخذها • ومن جعل باطن الكف غير قابل
لانبات الشعر لانه لو أشعر لتعذر على الانسان حمة اللمس ولشق عليه كثير من
الاعمال التي تباشر بالكف • ولهذه الحكمة لم يكن هن الرجل قابلا لانباته لانه
ينفعه من الجماع • وما كانت المادة تقتضي انباته هناك بنت حول هن الرجل والمرأة
ولهذه الحكمة سلب عن الشفتين وكذا باطن الفم وكذا أربينا القدم أحصها وظاهرها
لأنها تلاقى التراب والوسخ والطين والشووك فلو كان هناك شعر لاذى الانسان جداً
وحمل من الأرض كل وقت ما ينقل الانسان وليس هذا للانسان وحده بل ترى الباهشم
قد جلها الشعر كلها وأخلبت هذه الموضع منه هذه الحكمة أفالا ترى الصنعة الالهية
كيف سلبت وجوه الخطأ والمضررة وجاءت بكل صواب وكل منفعة وكل مصلحة وما
اجتهد الطاععون في الحكمة العائدون للحقيقة فيما يعلون به عابوا الشعور تحت الاباط
وشعر العانة وشعر باطن الأنف وشعر الركبتين وقالوا أي حكمة فيها وأي فائد
• وهذا من فرط جهمتهم وسخافة عقولهم فان الحكمة لا يجب ان تكون بأسرها معلومة

للبشر ولا أكثراها بل لانسبة لما عالموه الى ما جعلوه فيها لو قيست علوم الخلائق كلام
 بوجوه حكمة الله تعالى في خلقه وأمره الى ماخفي عنهم منها كانت كنفارة عصفور في
 البحر وحـبـ الفطن الـبيـتـ انـ يـسـتـدـلـ بـماـ عـرـفـ مـنـهـ عـلـىـ مـلـمـ يـعـرـفـ وـيـعـلـمـ الحـكـمـةـ فـيـ
 جـهـلـهـ مـنـهـ مـتـلـهـ فـيـ عـلـمـهـ بـلـ أـعـظـمـ وـأـدـقـ وـمـاـ مـثـلـ هـوـلـاهـ الحـقـيـقـيـ النـوـكـيـ الـأـكـنـلـ رـجـلـ لـأـعـلمـ
 لـهـ بـدـقـائـقـ الصـنـاعـاتـ وـالـعـلـومـ مـنـ الـبـنـاءـ وـالـهـنـدـسـةـ وـالـطـبـ بـلـ وـالـحـيـاـكـةـ وـالـخـيـاطـةـ وـالـبـجـارـةـ
 اـذـ رـامـ الـاعـتـراضـ بـعـقـلـهـ الـفـاسـدـ عـلـىـ أـرـبـابـهـ فـيـ شـيـءـ مـنـ آـلـاـمـ وـصـنـاعـهـمـ وـرـتـيـبـ
 صـنـاعـهـمـ خـفـيـتـ عـلـيـهـ بـعـلـ كـلـ مـاـخـفـيـ عـلـيـهـ مـنـهـ شـيـءـ قـالـ هـذـاـ لـأـفـاـدـةـ فـيـهـ وـأـيـ حـكـمـةـ
 تـقـضـيـهـ هـذـاـمـعـ اـنـ أـرـبـابـ الـصـنـاعـاتـ بـشـرـ مـثـلـهـ يـعـكـنـهـ اـنـ يـشـارـكـهـ فـيـ صـنـاعـهـمـ وـيـفـوـقـهـ فـيـهـ
 فـاـ الـظـلـنـ بـعـنـ بـرـتـ حـكـمـتـهـ الـعـقـولـ الـذـيـ لـاـيـشـارـكـهـ فـيـ حـكـمـتـهـ كـاـلـاـيـشـارـكـهـ فـيـ
 خـاقـهـ فـلـاـ شـرـيكـ لـهـ بـوـجـهـ فـنـ ظـنـ اـنـ يـكـنـالـ حـكـمـتـهـ بـعـكـيـالـ عـقـلـهـ اوـ بـيـعـلـمـ عـقـلـهـ عـيـارـاـ
 عـلـيـهـاـ اـدـرـكـ اـقـرـبـهـ وـمـاـمـ يـدـرـكـهـ فـنـاهـ فـهـوـ مـنـ اـجـهـلـ الـجـاهـاـبـهـ وـلـهـ فـيـ كـلـ مـاـخـفـيـ عـلـىـ
 النـاسـ وـجـهـ الـحـكـمـةـ فـيـهـ حـكـمـ عـدـيدـةـ لـادـفـعـ وـلـاـ تـسـكـرـ فـاـعـلـمـ الـآنـ اـنـ تـحـتـ مـنـابـتـ
 هـذـهـ الشـعـورـ مـنـ الـطـرـاـرـةـ وـالـرـطـوبـةـ مـاـ قـضـتـ الطـبـيـعـةـ اـخـرـاجـ هـذـهـ الشـعـورـ عـلـيـهـ اـلـاـ
 تـرـىـ اـنـ العـشـبـ يـفـتـ فـيـ مـسـتـنقـعـ الـمـيـاهـ بـعـدـ نـضـوبـ المـاءـ عـنـهـ لـاـ مـاـخـفـتـ بـهـ مـنـ الرـطـوبـةـ
 وـهـذـاـ كـانـ هـذـهـ المـوـاضـعـ مـنـ أـرـطـبـ مـوـاضـعـ الـبـدـنـ وـهـيـ أـقـبـلـ لـبـنـاتـ الشـعـرـ وـأـهـيـاـ
 فـدـفـعـتـ الطـبـيـعـةـ تـلـكـ الـفـضـلـاتـ وـالـرـطـوبـاتـ إـلـىـ خـارـجـ فـصـارـتـ شـعـرـاـ وـلـوـ جـبـتـ فـيـ
 دـاـخـلـ الـبـدـنـ لـأـضـرـهـ وـآـذـتـ باـطـلـهـ خـرـوجـهـ عـيـنـ مـصـلـحـةـ الـحـيـوانـ وـاحـتـبـاسـهـاـ اـنـاـيـكـونـ
 لـنـقـصـ وـآـفـةـ فـيـهـ وـهـذـاـ تـكـرـوـجـ دـمـ الـحـيـضـ مـنـ الـمـرـأـةـ فـانـ عـيـنـ مـصـلـحـتـهـ وـكـاـلـهـ وـهـذـاـ
 يـكـوـنـ اـحـتـبـاسـهـ اـفـسـادـ فـيـ الطـبـيـعـةـ وـنـقـصـ فـيـهـ اـلـاـ تـرـىـ اـنـ مـنـ اـحـتـبـسـ عـنـهـ شـعـرـ الـرـأـسـ
 وـالـلـحـيـةـ بـعـدـ إـيـانـهـ كـيـفـ زـرـاءـ نـاقـصـ الطـبـيـعـةـ نـاقـصـ الـخـلـقـةـ ضـعـيفـ التـرـكـيبـ فـاـذـاـ شـاهـدـتـ
 ذـلـكـ فـيـ الشـعـرـ الـذـيـ عـرـفـ بـعـضـ حـكـمـتـهـ فـالـكـلـ لـاـ تـعـتـبـرـهـ فـيـ الشـعـرـ الـذـيـ خـفـيـتـ عـلـيـكـ
 حـكـمـتـهـ وـمـنـ جـعـلـ الـرـيـقـ يـجـرـيـ دـائـيـاـ إـلـىـ الـفـمـ لـاـ يـتـمـلـعـ عـنـهـ لـبـلـ الـحـاقـ وـالـهـبـاتـ وـيـسـهـلـ
 الـكـلـامـ وـيـسـيـعـ الـطـعـامـ فـالـكـلـ يـقـرـأـطـ الـرـطـوبـةـ فـيـ الـفـمـ مـعـلـيـةـ الـغـذـاءـ فـتـأـملـ حـالـكـ عـنـدـ
 مـاـيـجـفـ وـيـقـلـ بـعـضـ الـجـفـافـ وـيـقـلـ يـنـبـوـعـ هـذـهـ عـيـنـ الـتـيـ لـاـيـسـتـعـنـ عـنـهـ
 (ـفـصـلـ)ـ تـأـمـلـ حـكـمـةـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ كـثـرـةـ بـكـاءـ الـأـطـفـالـ وـمـاـ طـمـ فـيـهـ مـنـ الـمـنـفـعـةـ فـانـ
 الـأـطـيـاءـ وـالـطـبـائـعـيـنـ شـهـدـواـ مـنـفـعـةـ ذـلـكـ وـحـكـمـتـهـ وـقـالـوـ فـيـ أـدـمـغـةـ الـأـطـفـالـ رـطـوبـةـ لـوـ
 يـقـيـتـ فـيـ أـدـمـغـهـ لـاـ حـدـنـتـ أـحـدـاـنـ عـقـلـيـمـةـ فـالـبـكـاءـ يـسـيلـ ذـلـكـ وـيـحـدـوـهـ مـنـ أـدـمـغـهـ فـقـوـيـ
 أـدـمـغـهـ وـتـسـحـ وـأـيـضاـ فـانـ الـبـكـاءـ وـالـعـيـاطـ يـوـسـعـ عـلـيـهـ بـجـارـيـ الـفـسـ وـيـفـنـحـ الـعـرـوفـ

ويصاها ويقوى الاعصاب وكم لاطفل من منفعة ومصلحة فيها تسمعه من بكله وصرارخه
 فإذا كانت هذه الحكمة في البكاء الذي سببه ورود الالم المؤذى وأنت لا تعرفها ولا
 تكاد تخطر ببالك فهكذا ايات الاطفال فيه وفي أسبابه وعواقبه الحديدة من الحكم ما قد
 خفى على أكثر الناس واضطرب عليهم الكلام في حكمه اضطراب الارشية وسلكوا في
 هذا الباب مسالك . فقالت طائفة ليس الا محض الميشئة العارية عن الحكمة والغاية
 المطلوبة وسدوا على انفسهم هذا الباب جلة وكلما سئلوا عن شيء أجابوا بلا يسأل عما
 يفعل وهذا من أصدق الكلام وليس المراد به نفي حكمته تعالى وعواقب أفعاله الحديدة
 وغایاتها المطلوبة منها واما المراد بالآية افراده بالآلية والربوية وانه لکمال حكمته لا معقب
 لحكمه ولا يعترض عليه بالسؤال لانه لا يفعل شيئاً سدى ولا خلق شيئاً عيناً واما
 يسأل عن فعله من خرج عن الصواب ولم يكن فيه منهفة ولا فائدة الا ترى الى قوله
 (ألم تخذلوا آلهة من الارض هم ينترون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فسبحان الله
 رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يثلون) كيف ساق الآية في الانكار
 على من اتخذ من دونه آلهة لاتساويه فهو اهابه مع اعظم الفرق فقوله لا يسأل عما يفعل
 اثبات لحقيقة الالهية وافراد له بالربوية والآلية وقوله وهم يسئلون نفي صلاح تلك
 الآلهة المتخذة للآلية فانها مسؤولة مربوطة فكيف بسوئييتها وبريبة مع اعظم
 الفرقان وهذا الذي سبق له الكلام بتعلها الجبرية . لاجأ وعملاً قال في انكار حكمته
 وتعليق أفعاله بتعاليتها المحمودة وعواقبها السديدة والله المنافق لاصواب . وقالت طائفة
 الحكمة في ايتائهم تعويذتهم في الآخرة بالنواب النام فقبل لهم قد كان يمكن ايصال
 النواب اليهم بدون هذا الایلام فاجابوا بان توسط الایلام في حقهم كتوسيط التكاليف
 في حق المكلفين فقيل لهم فهذا ينقض عليكم بایلام أطفال الكفار فاجابوا بانا لا نقول
 انهم في النار كما قاله من قاله من الناس والنار لا يدخلها أحد الا بذنب وهو لاء لاذنب
 لهم وكذا الكلام معهم في مثلا الاطفال والحجاج فيما من الجنين بما ليس هذا موضعه
 فاورد عليهم ما لا جواب لهم عنه وهو ایلام اطفاهم الذين قدر بلوغهم وموتهم على الكفر
 فان هذا الانواع فيه قطعاً ولا هو عقوبة على الكفر فان العقوبة لا تكون سلفاً او تعجيلاً
 ساروا في هذا الموضع واضطربت أصولهم ولم يأتوا بما يقبله العقل . وقالت طائفة ثانية
 لهذا السؤال لو تأمله مورده لعلم أنه ساقط وان تكفل الجواب عنه الزام مالا يلزم
 فان هذه الآلام وتواتها وأسبابها من لوازم النشأة الإنسانية التي لم يخلق منفكا عنها
 فهي كالحر والبرد والجوع والعطش والتعب والنصب والهم والغم والضعف والعجز

فالتّساؤل عن حكم الحاجة إلى الأكل عند الجموع وال الحاجة إلى الشرب عند الظماء والدّوام والراحة عند النّعيم فان هذه الآلام هي من لوازم النّشأة الإنسانية التي لا ينفك عنها الإنسان ولا الحيوان فلو تجرد عنها لم يكن إنساناً بل كان ملكاً أو خالقاً آخر ولما كانت آلام الأطفال بأصعب من آلام البالغين لكن لما صارت لهم عادة سهل موقعها عندهم وكم بين ما يقاربه الطفل ويقاربه البالغ العاقل وكل ذلك من مقتضى الإنسانية وموجب الخلقة فلهم يخالق كذلك - كان خالقاً آخر فيرى أن العطل اذا جاء اوجاع أو برد أو تعب قد يخص من ذلك عالم يتعجن به الكبير فإذا ألمه بغير ذلك من الأوجاع والاسقام كأنه يلامه بالجموع والعطش والحر والبرد دون ذلك أو فوقه وما خلق الإنسان بل الحيوان إلا على هذه النّشأة • قالوا فان سائل وقال فلم يخلق كذلك وهلا خلق خلقة غير قابلة للألم فهذا سؤال فاسد فان الله تعالى خلقه في علم الابتلاء والامتحان من مادة ضعيفة فهي عرضة للآفات ورث كيماً معرضة للأنواع من الآلام وجعل فيه الاختلاط الأربع التي لا قوام له إلا بها ولا يكون إلا عليها وهي لا محالة توجب امتراجاً واحتلاطاً وتفاعلاً يبني بعضها على بعض بكيفيته تارة وبكميته تارة وبهما تارة وذلك موجب للألم قطعاً وجود المزوم بدون لازمه مجال ثم أنه سبحانه ركب فيه من القوى والشهوة والارادة ما يوجب حركته الدائبة وسعيه في طلب ما يصلاحه ودفع ما يضره بنفسه تارة وبنـعـيـنهـ تـارـة فـأـحـوـجـ النـوـعـ بعضـهـ إـلـىـ بعضـ خـدـثـ من ذلك الاختلاط بينـهمـ وبـغـيـ بعضـهـ علىـ خـدـثـ من ذلك الآلام والشـرـورـ بـخـوـ ما يـحدـثـ من امـتـرـاجـ اـخـلـاطـهـ وـاحـتـلاـطـهـ وبـغـيـ بعضـهـ علىـ بعضـ وـالـآـلـامـ لـاـ تـخـلـفـ عنـ هـذـاـ الـامـتـرـاجـ أـبـدـاـ إـلـاـ فـيـ دـارـ الـبـقـاءـ وـالـتـعـيمـ الـقـيمـ لـاـ فـيـ دـارـ الـابـتـلاءـ وـالـامـتـحـانـ فـنـ خـلـنـ انـ الـحـكـمـةـ فـيـ انـ تـجـعـلـ خـصـائـصـ تـلـكـ الدـارـ فـقـدـ ظـنـ باـطـلاـ بـلـ الـحـكـمـةـ التـائـمةـ الـبـالـغـةـ اـقـضـتـ انـ تـكـوـنـ هـذـهـ الدـارـ مـزـوـجـةـ عـافـيـتهاـ بـلـاـهـ وـرـاحـتـهاـ بـعـنـاهـاـ وـلـتـهـاـ آـلـاهـاـ وـصـحـرـاـ بـسـقـهاـ وـفـرـحـاـ بـغـمـهاـ فـهـيـ دـارـ اـبـلـاءـ تـدـفعـ بـعـضـ آـفـاتـهاـ بـعـضـ كـمـاـ قـالـ القـائـلـ أـصـبـحـتـ فـيـ دـارـ بـلـيـاتـ اـدـفعـ آـفـاتـ بـآـفـاتـ

ولقد صدق فذلك إذا فكرت في الأكل والشرب واللباس والجماع والراحة وسائر ما يستلزم به رأيته يدفع بها ما يقابلها من الآلام والبلائيات أفالاً ترك تدفع بلا كل ألم الجموع وبالشرب ألم العطش وباللباس ألم الحر والبرد وكذا سائرها ومن هنا قال بعض العقلاه أن لذاتها لنا هي دفع الآلام لا غير فاما اللذات الحقيقة فلها دار أخرى ومدخل آخر غير هذه فوجود هذه الآلام واللذات المترتبة المخلطة من الأدلة على المعاد وإن

الحكمة التي اقتصت ذلك هي أولى باقتضاء دارين دار خالصة للذات لا يشوبها ألم ماودار
 خاصة للآلام لا يشوبها لذة ما والدار الأولى الجنة والدار الثانية النار أفالاً ترى كيف ذلك
 ذلك مع ما أنت مجبول عليه في هذه النثأة من اللذة والآلم على الجنة والنار ورأيت
 شواهدها وأدلة وجودها من نفسك حتى كأنك تعانيهما عياناً وانظر كيف دل العيان
 والحس والوجود على حكمة الرب تعالى وعلى صدق رسالته فيما أخبروا به من الجنة والنار
 فتأمل كيف قاد النظر في حكمة الله إلى شهادة العقول والفتور بصدق رسالته وما أخبروا
 به فنصيلاً يدل عليه العقل بخلافاً فين هذا من مقام من أداء علمه إلى المعارضة بين ماجاهات
 به الرسل وبين شواهد العقل وأدله ولكن تلك العقول كادها باريها وبوكها إلى نفسها
 خلت بها عساكر الخذلان من كل جانب وحبيك بهذا الفصل وعظيم منفعته من هذا
 الكتاب وأله الحمود المسؤول تمام نعمته فهذه كانت مختصرة نافعة في مسألة إيلام الأطفال
 لعاك لا تظفر بها في أكثـر الكتب فارجع الآن إلى نفسك وفكـر في هذه الأفعال
 الطبيعية التي جعلت في الإنسان وما فيها من الحكمة والمنفعة وما جعل لكل واحد
 منها في الطبع المجرد والداعي الذي يقتضيه ويستحبه فالجـوع يستحبـ الأكل ويطـلبـ لما
 فيه من قوامـ الـبدـن وحيـاته وـمانـهـ والـكـريـ يـقتـضـيـ التـوـمـ وـيـسـتحـثـ لـماـ فـيـهـ مـنـ رـاحـةـ الـبدـنـ
 والأـعـضـاءـ وـاجـامـ القـوىـ وـعـودـهـ إـلـىـ قـوـهـ حـدـيدـةـ غـيرـ كـالـةـ وـالـشـبـقـ يـقتـضـيـ الجـمـاعـ
 الـذـيـ بـهـ دـوـامـ النـسـلـ وـقـضـاءـ الـوـطـرـ وـتـامـ الـلـذـةـ فـتـجـدـ هـذـهـ الدـوـاعـيـ تـسـتـحـثـ الـإـنـسـانـ هـذـهـ
 الـأـمـرـ وـتـقـاضـاـهـ مـنـهـ بـغـيرـ اـخـتـيـارـهـ وـذـكـ عـيـنـ الـحـكـمـ فـاـنـ لـوـ كـانـ الـإـنـسـانـ إـنـماـ يـسـتـدـعـيـ
 هـذـهـ الـمـسـتـحـثـاتـ إـذـ أـرـادـ لـأـوـشـكـ أـنـ يـشـفـلـ عـنـهـ بـاـ يـعـرـوـهـ مـنـ الـعـوـارـضـ مـدـةـ فـيـنـجـلـ
 بـدـهـ وـيـهـلـكـ وـيـتـرـمـىـ إـلـىـ الـفـسـادـ وـهـ لـاـ يـشـعـرـ كـاـذـاـ اـحـتـاجـ بـدـهـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـ الـدـوـاءـ
 وـالـصـلـاحـ فـدـافـعـهـ وـأـعـرـضـ عـنـهـ حـقـ كـاـذـاـ اـسـتـحـكـمـ بـهـ الدـاءـ أـهـلـكـ فـاقـتـضـتـ حـكـمـ الـطـبـيفـ
 الـخـيـرـ أـنـ جـعـلـ فـيـهـ بـوـاعـتـ وـمـسـتـحـثـاتـ تـؤـزـهـ أـزـاـ إـلـىـ مـاـفـيـهـ قـوـامـهـ وـبـقـاؤـهـ وـمـصـلـحـتـهـ
 وـتـرـدـ عـلـيـهـ بـغـيرـ اـخـتـيـارـهـ وـلـاـ اـسـتـدـعـهـ بـجـعـلـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ مـحـركـ مـنـ فـسـ
 الـطـبـيعـ يـحـرـكـ وـيـحـدـوـهـ عـلـيـهـ ثـمـ انـظـرـ إـلـىـ مـاـيـعـطـيـهـ مـنـ الـقـوـىـ الـمـخـلـفـةـ الـقـىـ بـهـ قـوـامـهـ فـأـعـطـيـ
 الـقـوـةـ الـجـاذـبـةـ الـطـالـيـةـ الـمـسـتـحـثـةـ الـقـىـ تـقـضـيـ مـعـلـومـهـاـ مـنـ الـغـذـاءـ فـتـاخـذـهـ وـبـوـرـدـهـ عـلـىـ الـأـعـضـاءـ
 بـحـسـبـ قـبـوـطـاـ ثـمـ أـعـطـيـ الـقـوـةـ الـمـسـكـةـ الـقـىـ تـمـسـكـ الـطـعـامـ وـتـجـبـهـ رـيـنـاـ تـضـيـجـهـ الـطـبـيعـ وـتـحـكـمـ
 طـبـخـهـ وـتـبـيـئـهـ لـمـاصـارـفـ وـتـبـعـتـهـ لـمـسـتـحـثـهـ ثـمـ أـعـطـيـ الـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ الـقـىـ تـسـرـفـ فـيـ الـبـدـنـ
 وـتـهـضـمـهـ عـنـ الـمـعـدـةـ ثـمـ أـعـطـيـ الـقـوـةـ الـدـافـعـةـ وـهـيـ الـقـىـ تـدـفعـ ثـلـهـ وـمـالـاـ مـنـفـعـةـ فـيـهـ فـتـدـفعـهـ
 وـتـخـرـجـهـ عـنـ الـبـدـنـ ثـلـاـ يـؤـذـيـهـ وـيـهـكـهـ ثـمـ أـعـطاـكـ هـذـهـ الـقـوـةـ عـنـدـ شـدـةـ حاجـتـكـ إـلـيـهـ

ومن جعلها خادماً لك ومن أمعنها أفعلاها واستعمل كل واحد منها على غير عمل الآخر ومن أنت ينها على تباهيا حتى اجتمع في شخص واحد وعمل واحد ولو عادي بينما كان بعضها يذهب بعضاً فلن كان يحول بينه وبين ذلك فلولا القوة الجاذبة كيف كنت متحركاً لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ولو لا المسكك كيف كان الطعام يذهب في الجوف حتى تفاصي المعدة ولو لا الهاشمة كيف كان يطعن حتى يخلص منه الصفو إلى سائر أجزاء البدن وأعمقه ولو لا الدافمة كيف كان التغل المنؤذني القاتل لو انحبس يخرج أولاً فأولاً فيستريح البدن فيخف ويتشط فتأمل كيف وكانت هذه القوة بك والقيام بصالحك فالبدن كدار للملك فيها حشه وخدمه قد وكل بذلك الدار أقواماً يقومون بصالحها فبعضهم لا فضاه حولتها وإرادها عليها وبعضهم لقبض الوارد وحفظه وخزنه إلى أن يربأ ويصلاح وبعضهم يقضى فيبهوه ويصلاحه ويدفعه إلى أهل الدار ويفرقه عليهم بحسب حاجتهم وبعضهم لمس الدار وتنظيفها وكثراً من المزابل والاقذار فالمملك هو الملك الحق المبين جل جلاله والدار أنت والختم والخدم الأعنة والجوارح والقوّام عالمها هذه القوى التي ذكرناها

(تبه) فرق بين نظر العبيد والطبع في هذه الامور فنظرهما فيها مقصور على التغافل في حفظ الصحة ودفع المقام فهو ينظر فيها من هذه الجهة فقط وبين نظر المؤمن العارف فيها فهو يتغافل عنها من جهة دلالتها على خالقها وباديه او ماله فيها من الحكم البالغة والنعيم السابحة والآلاء التي دعا العباد الى شكرها وذكرها

(نبأه) ثم تأمل حكمة الله عن وجل في الحفظ والنسيان الذي خص به نوع الانسان
وما له فيها من الحكم وما للعبد فيها من المصالح فانه لو لا القوة الحافظة التي خص بها
لدخل عليه الخلل في اموره كلها ولم يعرف ماله وما عليه ولا ما أخذ ولا ما أعطى ولا
ما سمع ورأى ولا ما قال ولا ما قيل له ولا ذكر من أحسن اليه ولا من أساء اليه ولا
من عامله ولا من نفعه فيقرب منه ولا من ضره فبناً عنه ثم كان لا يهتدى الى الطريق
الذى سلكه أول مرة ولو سلكه مراراً ولا يعرف علماً ولو درسه عمره ولا ينفع بشربة
ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان خليفاً أن ينساخ من الإنسانية أصلاف تأمل
عظام النفعة عليك في هذه الحال وموقع الواحدة منها فضلاً عن جيدهن ومن أعجب
النعم عليه نعمة النسيان فانه لو لا النسيان لما سلا شيئاً ولا انقضت لاه حرفة ولا تعزى عن
عصبية ولا مات له حزن ولا يبطل له حقد ولا تنبع بي من متاع الدنيا مع تذكر
الآفات ولا رجاغفة عدو ولا نعمة من حاسد فتأمل نعمة الله في الحفظ والنسيان مع

اختلافهما وتفاوتها وجمالي كل واحد منها ضربا من المصالحة
(نفيه) ثم تأمل هذا الخلق الذي خص به الانسان دون جميع الحيوان وهو خلق
الحياة الذي هو من أفضل الاخلاق وأجلها وأعظمها قدرأ وأكثرها فعـا بل هو خاصة
الانسانية فمن لا حياء فيه ليس منه من الانسانية الا لحم والدم وصورتهما
الظاهرة كما انه ليس معه من الخير شيء ولو لا هذا الخلق لم يقر القبيح ولم يوف بالوعد
ولم تؤد الأمانة ولم يقض لأحد حاجة ولا نحرى الرجل الجليل فائزه والقبيح فنجنه ولا
ستر له عورته ولا امتنع من فاحشة وكثير من الناس لو لا الحياة الذي فيه لم يؤد شيئاً من
الأمور المترضة عليه ولم يرع تخلوق حقاً ولم يصل له رحمة ولا برّ له والدأ فان الباعث
على هذه الافعال اما ديني وهو رجاء عاقبتها الحمية واما دنيوي علوي وهو حياء فاعتها
من الخلق فقد تبين انه لو لا الحياة اما من الخالق أو من الخلاائق لم يفعلها صاحبها وفي
الترمذى وغيره مرفوعا استحبوا من الله حق الحياة قالوا وما حق الحياة قال أن تحفظ
الرأس وما حوى والبطن وما وعى ونذكر المقابر والبلى وقال صلى الله عليه وسلم اذا لم
 تستحب فاصنع ما شئت وأحسن الفولين فيه قول أبي عبيدة والأكثرين انه تهديد كقوله
 تعالى (اعملوا ما شئتم) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا) وقالت طائفة هو اذن واباحة والمعنى
 انك اذا أردت ان تفعل فعلا وانظر قبل فعله فان كان مما يستحب فيه من الله ومن الناس
 فلا تفعله وان كان مما لا يستحب منه فاقعده فاته ليس بقبيح وعندى ان هذا الكلام
 صورته صورة الطلب ومعناه معنى الخبر وهو في قوله قوة قويم من لا يستحي صنع ما يشتهي
 فايض باذن ولا هو مجرد تهديد وإنما هو في معنى الخبر والمعنى ان الرادع عن القبيح إنما
 هو الحياة فمن لم يستحب قاته يصنع ما شاء واخراج هذا المعنى في صيغة الطلب لكتلة
 بدريمة جدا وهي ان للانسان امررين وزاجرین أمر وزاجر من جهة السبياء فإذا أطاعه
 امتنع من فعل كل ما يشتهي وله أمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة فمن لم يطبع أمر
 الحياة وزاجرها أطاع أمر الهوى والشهوة ولا بد فالخرج الكلام في قالب الطلب يتضمن
 هذا المعنى دون أن يقال من لا يستحي صنع ما يشتهي

(تبليغ) ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين البشري والنطقي والبيان الخطبي وقد اعتد بهما بمحاجة في جملة ما اعتد به من نعمة على العبد فقال في أول سورة أذرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق خالق الإنسان من علقة إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) فتأمل كيف جمع في هذه الكلمات مراتب الخالق كلها وكيف تضمنت مراتب الوجودات الاربعة بأوْجَز لفظ وأوْضَعه

وأحسنه فذكر أولاً عموم الخلق وهو اعطاء الوجود الخارجي ثم ذكر نائياً خصوص خلق الإنسان لأنه موضع العبرة والإية فيه عظيمة ومن شهوده عما فيه بعض تعدد النم وذكر مادة خلقه ها هنا من العلاقة وفي سائر الموضع يذكر ما هو سابق عليها أما مادة الأصل وهو التراب والطين أو الصالصال الذي كالغبار أو مادة الفرع وهو الماء الماء وذكر في هذا الموضع أول مبادئ تعلق التخليق وهو العلاقة فإنه كان قبلها نطفة فأول انتقامها إنما هو إلى العنان ثم ذكر ثالثاً التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده إذ به تختلط الملومن وتنبت الحقوق وتعلم الوسایا وتحفظ الشهادات ويُضيّط حساب المعاملات الواقعية بين الناس وبه تقييد أخبار الماضين للذاقين اللاحقين ولو لا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمان عن بعض ودرست السنن وتحفظت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف وكان معظم احتلال الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاه حافظاً لعلم من الضياع كالاواعية التي تحفظ الامتعة من النزهاب والبطلان فعممة الله عن وجہ التعليم القلم بعد القرآن من أجل التعليم به وإن كان مما يخص إليه الإنسان بالفضلة والجيبة فإن الذي يبلغ به ذلك وأوصله إليه عملية وجهها الله منه وفضل أعطاء الله إياه وزيادة في خلقه وفضله فهو الذي علمه الكتابة وإن كان هو المتعلّم ففعله فعل معاوّظه لتعليم الذي علم بالقلم فإنه علمه الكلام فتكلم هذا ومن أعطاه الذهن الذي يبي به وللإنسان الذي يترجم به والبنان الذي يحيط به ومن هيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ومن الذي أطلق إنسانه وحرث بناته ومن الذي دعم البنان بالكف ودعم الكف بالساعد فكم له من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم فقف وقفه في حال الكتابة وتأمل حالك وقد أمسكت القلم وهو جاد ووضعه على القرطاس وهو جاد فتولد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم وفنون المراسلات والخطب والنظم والتزوّج وآيات المسائل فمن الذي أجرى فلك المعاني على قلبك ورسمها في ذهنك ثم أجرى العبارات الدالة عليها على لسانك ثم حرك بها بناشك حتى صارت نقشاً عجياً معناه أعجب من صورته فتقضي به ما ربك وتبليغ به حاجة في صدرك وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتبااعدة فيقوم مقامك ويتترجم عنك ويتكلّم على لسانك ويقوم مقام رسولك ويجدى عليك مالا يجدى من ترسله سوى من علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم والتعليم بالقلم يستلزم المرات ثلاث مرات من تردد المذهب والوجود النفطي والوجود الرسمي فقد دل التعليم بالقلم على أنه سبحانه هو المعطى بهذه المراتب ودل قوله خلق على أنه يعطي الوجود العيني فدللت هذه الآيات

مع اختصارها ووجازتها وفصاحتها على ان مراتب الوجود بأسرها مسندة اليه تعالى خلقاً وتعلماً وذكراً خلقين وتهيمين خلقاً عاماً وخلقآ خاصاً وتعلماً خاصاً وتعلماً عاماً وذكر من صفاته هاعنا اسم الأَكْرَم الذي فيه كل خير وكل كمال فله كل كمال وصفاً ومنه كل خير فعلاً فهو الأَكْرَم في ذاته وأُوْسَافَه وأفعاله وهذا الخلق والتعلم إنما نشأ من كرمه وبره واحسانه لامن حاجة دعته إلى ذلك وهو الغنى الحميد قوله تعالى (الرحمن عالم القرآن خلق الإنسان عالمه البيان) دلت هذه الكلمات على اعطائه سبحانه مراتب الوجود بأسرها فقوله خلق الإنسان اخبار عن الاجتياح الخارجى العيني وشخص الإنسان بالخلق لما تقدمه وقوله علم القرآن اخبار عن اعطاء الوجود العلمي الذهنى فاما تعلم الإنسان القرآن بتعليميه كما أنه إنما صار إنساناً بخلقه فهو الذي خلقه وعلمه ثم قال عالمه البيان والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بياناً أحدها البيان الذهنى الذي يميز فيه بين المعلومات . الثاني البيان اللغفى الذى يعبر به عن تلك المعلومات ويترجم عنها فيه الغيره . الثالث البيان الرسمى الخطلى الذى يرسم به تلك الألفاظ فىتبين الناظر معانها كالتالى لاسمع معانى الألفاظ فهذا بيان لاعين وذاك بيان للسمع والأول بيان للقلب وكثيراً ما يجتمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) وقوله (ولله أخر جكم من بعلون أمها تکم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفواة لعلكم تشكرون) ويدمن من عدم الاستفادة بها فى اكتساب المدى والعلم النافع كقوله (صم كم عمي) وقوله (خُم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقد تقدم بسط هذا الكلام

(تبية) ثم تأمل حكمة الاطياف التجاير فيما أعطى الإنسان عالمه بما فيه صالح معاشه ومعاده ومنع عنه علم الملاحة لغيره به لا يضره عليه به لا ينتفع به ماتقاده طالباً ثم يسر عليه طرق ما هو محتاج إليه من العلم أنتم تيسيره وكلما كانت حاجته إليه من العلم أعظم كان تيسيره إلهاه عليه أنت فاعطاه معرفة خالقه وبأربه ومبدعه سبحانه والاقرار به ويسره عليه طرق هذه المعرفة فليس في العلوم ما هو أجل منها ولا أظاهر عند العقل والفترة وليس في طرق العلوم التي تناول بها أكثرن طرقها ولا أدل ولا أبين ولا أوضح فكلما زاد بعيشك أو تسمعه باذنك أو تعتله بعقلتك وكلما يختصر ببالك وكلما ناله حاسة من حواسك فهو دليل على الرب تبارك وتعالى فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجيلى منها وكل ما استدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهره من دلالته وطنداقات الرسل لأنهم أقى الله شرك نفاثتهم مخاطبة من لا يبني أن يخاطر له شرك ما في وجود الله سبحانه

ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلة على اختلاف أنواعها ولا يطبق حصرها الا الله ثم ركز ذلك في الفطرة ووضعه في المقل جملة ثم بعث الرسل مذكورين به وهذا يقول تعالى (فَذَكِرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَسْعُ الْمُؤْمِنِينَ) قوله (فَذَكِرْ إِنْ نَفْعَتِ الذِّكْرَى) قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) قوله (فَلَا هُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضُونَ) وهو كثير في القرآن ومفصليان^(١) لما في الفطرة والعقل العلم به جملة فانظر كيف وجد الأقرار به وبتوبيخه وصفات كماله ونحوت جلاله وحكمته في خلقه وأمره المتفقية آيات رسالة رسالته وبمحاذات الحسن بحسنه والسيء بسوءه مودعاً في الفطرة سركوزاً فيها فلو خللت على ما خلقت عليه لم يعرض لها ما يفسدها وبمحوها ويفسرها بما فطرت عليه ولا قررت بوحدانيته ووجوب تكره وحثاعته وبصفاته وحكمته في أفعاله وبالنواب والعقاب ولكنها لما فسدت والحرف عن المنهج الذي خلقت عليه أنكرت ما أنكرت وجحدت ما جحدت فبعث الله رساله مذكورين لا يخافون الفطر الصحيحة السليمة فانقادوا ضوعاً واختياراً ومحبة وادعاؤها بما جعل من شواهد ذلك في قلوبهم حتى إن منهم من لم يسأل عن العجزة والخارق بل علم صحة الدعوة من ذاتها وعلم أنها دعوة حق برهانها فيها ومعذري^(٢) ومقيمين البينة على أصحاب الفطر الفاسدة لثلاثة تتحقق على الله باه ما أفسدها ولا هداها فيحق القول عليها بإقامة الحججة فلا يكون سحراً، ظلماً لها بتعذيبها وانتقامها وقد بين ذلك سبحانه في قوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ بَيْنَ يَنْذُرُ مَنْ كَانَ جَبَّاً وَيَحْقِقُ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ) فتأمل كيف ظهرت معرفة الله والشهادة له بالتوبيخ وأيات أسمائه وصفاته ورسالة رساله والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في النغار ولم يكن ليعرف بها أنها ثابتة في فطرته فلما ذكرته الرسل ونبهته رأى ما أخبروه به مستقرأ في فطرته شاهداً به عقله بل وجوارحه ولسان حاله وهذا أعظم ما يكون من الإثبات وهو الذي كتبه سبحانه في قلوب أوليائه وخاصته فقال (أَوْلَئِكَ كَتُبُوا فِي قُلُوبِ الْمُبَشِّرِينَ) فندير هذا الفصل فإنه من الكنوز في هذا الكتاب وهو حقيقة بأن تتحقق عليه الخاصر والله الحمد والمنة والمقصود أن الله سبحانه أعطى العبد من هذه المعرفة وطرقاها ويسراها عليه مالم يطلعه من غيرها لعظم حاجته في معاشها ومعادها إليها ثم وضع في العقل من الأقرار بحسن شرعه ودينه الذي هو ظله في أرضه وعدله بين عباده ونوره في العالم مالا اجتمع عقول

(١) - قوله ومفصليان - معطوف على قوله مذكورين من قوله ثم بعث الرسل

مذكورين أه (٢) - قوله ومعذري - عطف على مذكورين أيضاً أه

العلميين كلهم فكانوا على عقل أعقل رجل واحد منهم لما امكنتهم أن يقتربوا شيئاً أحسن منه ولا أعدل ولا أصلح ولا أفع لالمخيبة في معاشها وعهادها فهو أعظم آياته وأوضح بياناته وأظهر حججه على أنه الله الذي لا إله إلا هو وأنه المنصف بكل كمال النزاهة عن كل عيب ومتال فضلاً عن أن يحتاج إلى إقامة شاعد من خارج عليه بالأدلة والشواهد لا يكثير طرق الهدى وقطع المعدنة وازاحة العلة والشبهة (لهمك من هلك عن يدك وحياناً من حي عن يدك وإن الله لسميع عليم) فأثبتت في الفطرة حسن العدل والانصاف والصدق والبر والاحسان والوفاء بالعهد والتوصيحة لامتناع ورحمة المسكين ونصر المظلوم ومواساة أهل الحاجة والفاقة وأداء الأمانات ومقابلة الاحسان بالاحسان والإيمان بالغفو والصفح والصبر في مواطن الصبر والبذل في مواطن البذل والانتقام في مواطن الاستقام والظلم في مواطن الخصم والسكنة ولو قاتل والرأفة والرفق والتؤدة وحسن الاخلاق وجليل المعاشرة مع الأقارب والأبعد وستر العورات وإفالة العورات والإيتار عند الحاجات وأغاثة الألغاث وتفريح الكربلات والتلماون على أنواع الخير والبر والشجاعة والشجاعة والبصيرة والثبات والعزيمة والقوة في الحق والدين لا له ولشدة على أهل الباطل والغافلة عليهم والاصلاح بين الناس والسي في اصلاح ذات الدين وتعذيم من يستحق التعذيم وأهانة من يستحق الاهانة وتزيل الناس منازلهم واعطاء كل ذي حق حقه وأخذ ما سهل عليهم وطوعت به أنفسهم من الأفعال والأموال والأخلاق وارشاد ضالهم وتعليم جاهم واحتلال جهتهم واستواء قريهم وبعيءهم في الحق فأقر لهم اليه أو لاهم بالحق وإن كان بعيداً وأبعدهم عنه وبعدهم من الحق وإن كان حبيباً قرباً إلى غير ذلك من معرفة العقل الذي وضعه بينهم في المعاملات والمناسك والجنابات وما أودع في فطرهم من حسن شكره وعبادته وحده لا شريك له وإن نعمه عليهم توجب بذلك قدرتهم وطاقتهم في شكره والتقرب إليه وایثاره على مساواه وأثبتت في الفطر عالمها بتبين اضداد ذلك ثم بعث رسلاً في الأمر بما أثبتت في النظر حسنه وكله والنفي مما أثبتت فيها فساده وعيبه وذمه فطباقت الشريعة المنزلة للفطرة المكملة مطابقة التفصيل بجملته وقامت شواهد دينه في الفطرة تنادي للإعنان حتى على الفلاح وصدعت تلك الشواهد والآيات ديناجي ظلم الإباء كما صدع الليل ضوء الصباح وقبل حاكم الشريعة شهادة العقل والفطرة لما كان الشاهد غير متهم ولا معرض للجراج

(فسل) وكذلك انقطاعهم من العلوم المتعلقة بصلاح معاشهم ودنياهم بقدر حاجاتهم كعلم الطب والحساب وعلم الزراعة والغراس وضرائب الصنائع واستنبط الماء

وعقد الأبنية وصنعة السفن واستخراج المعادن وتهيئتها لما يراد منها وتركيب الأدوية وصنعة الأطعمة ومعرفة ضروب الحيل في صيد الوحوش والطير ودواب الماء والتصرف في وجوه التجارات ومعرفة وجوه المكاتب وغير ذلك مما فيه قيام معايشهم ثم منعهم سبحانه علم ما هو ذلك مما ليس في شأنهم ولا فيه مصلحة لهم ولا شأنهم قابلة له كلام الغيب وعلم ما كان وكل ما يكون والعلم بعدد القطر وأمواج البحر وذرات الرمال ومساقط الأوراق وعدد الكواكب ومقاديرها وعلم ما فوق السموات وما تحت الترى وما في لحج البحر وفخار العالم وما يكتنه الناس في صدورهم وما تحدى كل أثني وما تغيب الارحام وما تزداد إلى سائر ما عزب عنهم علمه فمن تكافف معرفة ذلك فقد خلص نفسه وبخس من التوفيق حظه ولم يحصل إلا على الجهل المركب والخيال الفاسد في أكثراً أمره وجرت سنة الله وحكمته أن هذا الضرب من الناس أحجههم بالعلم النافع وأقلهم صواباً فترى عند من لا يرفعون به رأساً من الحكم والعلم الحق النافع ما لا يخطر ببالهم أصلاً وذلك من حكمة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم ولا يعرف هذا إلا من اطلع على ما عند القوم من أنواع الخيال وضروب الحال وفتون الوساوس والهوى والهوس والخبط وهم يحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون فالحمد لله الذي من على المؤمنين (إذ يبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

(فصل) ومن حكمته سبحانه ما منعهم من العلم علم الساعة ومعرفة آجالهم وفي ذلك من الحكمة البالغة ما لا يحتاج إلى نظر فلو عرف الإنسان مقدار عمره فإن كان قصيراً العمر لم يتهأ بالعيش وكيف يتهأ به وهو يتربّل الموت في ذلك الوقت فلو لا طول الأمل تخرّبت الدنيا وإنما عمارتها بالأمثال وإن كان طويلاً العمر وقد تحقق ذلك فهو وإنق بالبقاء فلا يبالي بالانهيار في الشهوات والمعاصي وأنواع الفساد ويقول إذا قرب الوقت أحدثت توبة وهذا مذهب لا يرضيه الله تعالى عزوجل من عباده ولا يقبله منهم ولا يصلح عليه أحوال العالم ولا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمته وسبق في علمه فلو أن عبداً من عبادك عمل على أن يسخطك أعواضاً ثم برضيك ساعة واحدة إذا تيقن أنه صائر إليك قبل منه ولم يفز لديك بما يغزو به من همه رضاك وكذا سنة الله عزوجل إن العبد إذا عان الانتقال إلى الله تعالى لم يستعمل توبة ولا إفلاع قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني بت الآن) قوله (فلم يروا بأننا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم ينكرون

إنهم لما رأوا بأستاذة الله التي قد خلت في عباده) والله تعالى إنما يفتر للعبد اذا كان
 وقوع الذنب منه على وجه غلبة الشهوة وفورة الطبيعة في الواقع الذنب مع كراحته له من غير
 اصرار في نفسه فهذا ترجي له مغفرة الله وصفحه وعفوه لعلمه تعالى بضعفه وغلبة شهوته له
 وأنه يرى كل وقت ما لا يصبر له عليه فهو اذا واقع الذنب واقعه مواقعة ذليل خاضع لربه مختلف
 محتاج في صدره شهوة النفس الذنب وكراهة اليمان له فهو يحب داعي النفس نارة وداعي
 اليمان نارات فأما من يرى أمره على ان لا يقف عن ذنب ولا يقدم خوفا ولا يدع للشهوة
 وهو فرح مسرور يضحك ظهر ألطافه بالذنب فهذا الذي يخاف عليه ان يحال بينه وبين
 التوبة ولا يوفق لها فانه من معاصيه وقبائحه على تقد عاجل يتلاطفه سلفاً وتتعجبوا ومن
 توبته واياها ورجوعه الى الله على دين مؤجل الى اتففاء الاجمل واما كان هذا
 الفضل من الناس يحال بينهم وبين التوبة غالباً لان التزوع عن اللذات والشهوات الى
 مخالفة الطبع والنفس والاستمرار على ذلك شديد على النفس صعب عليها انتقال من
 الحال ولا سيما اذا انصاف الى ذلك ضعف البصرة وقوه التصييب من اليمان فنفسه
 لانطوطع له ان يبيع فقداً بنية ولا عاجلاً باجمل كما قال بعض هؤلاء وقد سئل
 ايمان احب اليك درهم اليوم او دينار غداً فقال لاهذا ولا هذا ولكن ربع درهم من
 اول أمس سفراً على هؤلاء ان يوقفوا للتوبة الا ان يشاء الله فاذا بلغ العبد حد الكبر
 وضعفت بصيرته ووهد قواه واقتصرت له تلك الاعمال قوة في غيته وضيقها في ايمانه
 صارت كالمملكة له بمحبت لا يذكر من تركها فان كثرة المزاولات تعطي الملائكة فتنشق للنفس
 هيبة راسخة وملائكة ثابتة في الغنى والمعاصي وكما صدر عن واحد منها اثر اثر زائد على
 اثر ما قبله فيقوى الارزان وhelm جرماً في هجم عاليه الضعف والكبر ووهن القوة على هذه
 الحال فينتقل الى الله بخاسته وأوساخه وادرانه لم يتطر للقدوم على الله فما ذكره به ولد
 انه ناب وأناب وقت القدرة والامكان لقبلت توبته ومحبت بيته ولكن حيل بينهم وبين
 ما يشنون ولا شيء اشوهى لمن انتقل الى الله على هذه الحال من التوبة ولكن فرط في
 اداء الدين حتى نهد المال ولو أداء وقت الامكان قبله رب ويسعلم المسرف والمفرط أى
 ديان أدان وأى غيرهم يتلاطف يوم يكون الوفاء من الحسنات فان فيت فيحمل البيثات
 فبيان ان من حكمة الله ونعمته على عباده ان ستر عنهم مقادير آجالهم ومبين أممارهم فلا
 يزال الكيس يتربق الموت وقد وضعه بين عينيه فتنكشف عما يضره في معاده وبجهد
 فيما يدفعه وبسره عند القدوم فان قات فيها هو مع كونه قد غيب عنه مقدار أجله
 وهو يتربق الموت في كل ساعة ومع ذلك يقارف الفواحش ويتهك المحرام فائي فائدة

وحكمة حصلت بستر أجله عنه « قيل لعمر الله ان الامر كذلك؟ وهو الموضع الذي حير الالباب والعقلاه وافرق الناس لاجله فرقا شئ فرقه انكرت الحكمة وتعامل افعال رب جملة وقالوا بالجبر المحسن وسدوا على أنفسهم الباب وذروا لاتصال افعال الرب تعالى ولا هي مقصود بها مصالح العباد وإنما مصدرها محسن الشيئه وصرف الارادة فانكروا حكمة الله في أمره ونبيه وفرقه نفت لاجله القدر جملة وزعموا ان افعال العباد غير مخلوقة لله حق يطلب طا وجوه الحكمة وانما هي خلقهم وابداعهم فهي واقعه بحسب جعلهم وظلمهم وضعفهم فلا يقع على السداد والصواب الا أقل القليل منها فـ ان الطائفة متقابلان أعظم تقابل فالاولى غلت في الجبر وانكار الحكم المقصودة في افعال الله، والثانية غلت في القدر وأخرجت كثيرا من الحوادث بل اكثراها عن ملك الرب وقدرته وهدى الله أهل السنة الوسط لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فأنبتوه لله عن وجل عموم القدرة والشيئه وانه تعالى ان يكون في ملكه ما لا يشاء او يشاء ما لا يكون وان اهل سوانه وأرضه انجز وأضعف من ان يخنقوا مالا يخنقه الله أو يحدنوا مالا يشاءه بل ماشاء الله كان ووجوده وجوده بيشيئه، وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده لعدم المشيئه له وان لا حول ولا قوّة الا به ولا تحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة الا باذنه ومع ذلك فإنه في كل ماخلاق وقضى وقدر وشرع من الحكم البالغة والعواقب الحديدة ما اقتضاه كمال حكمته وعلمه وهو العلم الحكم ها خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعاه الا حكمة بالغة وان عاصرت عنها عقول البشر فهو الحكم القدير فلا تمحض حكمته كلام تمحض قدراته والطائفة الاولى حجحت الحكمة والثانية بحججها القدرة والامة الوسط أثبتت له كمال الحكمة وكمال القدرة فالفرقه الاولى تشهد في المعصية مجرد المشيئه والاخلاق العاري عن الحكمة وربما شهدت الجبر وان حرکاتهم ينزلن تحرکات الاشجار ونحوها، والفرقه الثانية تشهد في المعصية مجرد كونها فاعلة مجردة مختارة هي التي شاءت ذلك بدون مشيئه الله والامة الوسط تشهد عن الروبية وقرن المشيئه ونفوذها في كل شيء وتشهد مع ذلك فعاليتها وكيفيتها واختارها شهوانها على مرضات ربهما فيوجب الشهود الاول ها سؤال ربها والتذلل والتضرع له أن يوقفها لعاصته وبحول بينها وبين معصيتها وان ينفيها على دينه وبعصمها باطواعيته ويوجب الشهود الذي لها اعتراضها بالذنب واقرارها به على نفسها وأنها هي الظالم المستحقة للعقوبة وتنتزه ربها عن الفلم وان يعذبها بغير استحقاق منها أو يعذبها على مالم تعلم فيجتمع ها من الشهودين شهود التوحيد والشرع والعدل والحكمة، وقد ذكرنا في الفتوحات القدسية مشاهد الحخلق

في مواجهة الذن وانها تنتهي الى ثانية مشاهد . أحدها المشهد الحيواني البحري الذي شهود صاحبه مقصور على شهوات لذته به فقط وهو في هذا المشهد مشارك الجميع الحيوانات وربما يزيد عليها في اللذة وكثرة التمتع . والثانية مشهد الجبر وان الفاعل فيه سواء والمحرك له غيره ولا ذنب له هو وهذا مشهد المشركين وأعداء الرسل . الثالث مشهد القدر وهو انه هو الخالق لفعله الخدث له بدون مشيئة الله وخلقه وهذا مشهد القدرة الجبوسية . الرابع مشهد أهل العلم والاعيان وهو مشهد القدر والشرع يشهد فعله وقضاء الله وقدره كما تقدم . الخامس مشهد الفقر والفاقة والمعجز والضعف وانه ان لم يعنه الله ويبيشهه ويفرقه فهو هالك والفرق بين مشهد هذا ومشهد الجبرية ظاهر السادس مشهد التوحيد وهو الذي يشهد فيه افراد الله عن وجع بالخلق والابداع ونفوذه المشيئة وان الخلق اعجز من أن يعصوه بغير مشيشه والفرق بين هذا المشهد وبين المشهد الخامس ان صاحبه شاهد لكيان فقره وضعفه وحاجته وهذا شاهد لنفرد الله بالخلق والابداع وانه لا حول ولا قوة الا به . السابع مشهد الحكمة وهو ان يشهد حكمة الله عن وجع في قضائه وتخليته بين العبد والذنب والله في ذلك حكم تعجز العقول عن الاحاطة بها وذكرنا منها في ذلك الكتاب قريراً من اربعين حكمة وقد تقدم في أول هذا الكتاب التنبية على بعضها . الثامن مشهد الاسماء والصفات وهو ان يشهد ارتباط الخلق والامر والقضاء والقدر بأسمائه تعالى وصفاته وان ذلك موجهاً ومقتضياً فأسماوه الحسنى اقتضت ما اقتضته من التخلية بين العبد وبين الذنب فانه الغفار التواب الغفور الحليم وهذه اسماء تطلب آثارها وموجاتها ولابد فلهم يتذنبوا لذهب الله بكم وجلاء بعوم يتذنبون فيستغرون فيغدر لهم وهذا المشهد والذي قبله أجل هذه المشاهد وأشرفها وأرفعها قدرأً وهم مخلوقات الخالقية فتأمل بعد ما يبيهها وبين المشهد الاول وهذا المشهد ان يطرحان العبد على باب الحبطة ويفتحان له من المعارف والعلوم أموراً لا يعبر عنها وهذا باب عظيم من أبواب المعرفة قل من استفتحه من الناس وهو شهود الحكمة البالغة في قضاء البيئات وتقدير المعاصي وإنما استفتح الناس بباب الحكمة في الاوصار والتواهي وخانوا فيها وأتوا بما وصلت اليه علومهم واستفتحوا أيضاً بابها في الخلوقات كما قدمناه وأتوا فيه بما وصلت اليه فوافهم واما هذا الباب فكرايات كلامهم فيه فقل ان ترى لاحدهم فيه ما يشقى أو يُمْكِن وكيف يطلع على حكمة هذا الباب من عنده أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله ولا داخلة تحت مشيشه أصلاً وكيف يتطلب لها حكمة أوبيتها أم كيف يطلع عليها من يقول هي خلق الله ولكن

(٣٨ - مفتاح اول)

أفعاله غير معللة بالحكم ولا يدخلها لام تعليل أصلا وان جاء شيء من ذلك صرف الى
لام العاقبة لا الى لام العلة والغاية فاما اذا جاءت الباء في افعاله صرفت الى باه المصاحبة
لا الى باه البيبة واذا كان المتكلمون عند الناس هم هؤلاء العطافتان قاتلهم لا برونو الحق
خارجا عنهم ثم كثير من الفضلاء يخرب اذا رأى بعض اقوالهم الفاسدة ولا يدرى أين
يذهب . ولما عربت كتب الفلسفه صار كثير من الناس اذا رأى اقوال المتكلمين
الضعيفه وقد قالوا ان هذاهو الذى جاء به الرسول قطع القنطرة وعدى الى ذلك البروك
ذلك من الجهل القبيح والظن الفاسد أن الحق لا يخرج عن اقوالهم فما أكثر خروج
الحق عن اقوالهم وما أكثر ما يذهبون في المسائل التي هي حق وصواب الى خلاف
الصواب . والمقصود ان المتكلمين لو أجمعوا على شيء لم يكن اجماعهم حجة عند أحد
من العلماء فكيف اذا اختلفوا والمقصود أن مشاهدة حكمة الله في اقضيته واقداره
التي يجريها على عباده باختيار اتهام وارادتهم هي من الاعظم ما تكلم فيه الناس وأدقه
وأغمضه وفي ذلك حكم لا يعلمها الا الحكيم العليم سبحانه ونحن نشير الى بعضها فهنا
أنه سبحانه يحب التوابين حتى انه من محنته لهم بفرح بتوبه أحدهم أعظم من فرح
الواحد براحته التي عليها طعامه وشرابه في الارض الدوية المهدمة اذا فقدها وأيس منها
وليس في أنواع الفرج أكمل ولا أعظم من هذا الفرج كما سنوضح ذلك وزريده تقريراً
عن قريب ان شاء الله ولو لا الخبرة الناتمة للتوبة ولا هلها لم يحصل هذا الفرج . ومن
المعلوم ان وجود المسبب بدون سببه ممتنع وهل يوجد ملزم بدون لازمه او غاية
بدون وسيلة وهذا معنى قول بعض العارفين ولو لم تكن التوبة أحب الاشياء اليها
ابتلى بالذنب أكرم المخلوقات عليه فالنوبة هي غاية كل كل آدمي وإنما كان كمال أبدهم
بها فكم بين حاله وقد قيل له ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تنتلاها فيها ولا تضحي
وبين قوله ثم اجيئه ربه فتبا عليه وهدى فالحال الاولى حال أكل وشرب ومتمنع
والحال الاخرى حال اجيئه واصطفاه وهداية فما بعد ما ينهما وما كان كماله بالتوبة كان
كمال بنائه أيضاً بها كا قال تعالى (ليعذب الله المتكافئين والمنافقين والمرتدين والشركاء ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات) فكمال الآدمي في هذه الدار بالتوبة النصوح وفي الآخرة
بالنجاة من النار ودخول الجنة وهذا الكمال من رب على كماله الاول . والمقصود انه
سبحانه لخطه التوبة وفرحة بها يقظى على عيده بالذنب ثم ان كان من سبقت له الحني
قضى له بالتوبة وان كان من غلب عليه شقاوه أقام عليه حججه عدله وعاقبه بذنبه
(فصل) ومنها أنه سبحانه يحب ان يتفضل عليهم ويتم عليهم نعمه وبرهم وواقع بره

وكرمه فلمحبته الافضال والاعلام ينوعه عليهم اعظم انواع وأكترها في سائر الوجوه
الظاهرة والباطنة ومن اعظم انواع الاحسان والبر ان يحسن الى من أساء ويعفو عن
ظلم ويغفر له من أذنب ويتب على من تاب اليه ويقبل عذر من اعتذر اليه وقد ندب
عباده الى هذه الشيم الفاضلة والافعال الحميدة وهو أولى بها منهم وأحق وكان له في تقدير
أسبابها من الحكم والعواقب الحميدة ما يغير العقول فسبحانه وبحمده وحكي بعض
العارفين انه قال طفت في ليلة مطيرة شديدة الظلام وقد خلا الطواف وطابت نفسي
فوقفت عند الملتزم ودعوت الله فقلت اللهم اعصي حتى لا أعصيك فهتف بي هاتف
أنت تأسى العصمة وكل عبادي يسألونى العصمة فاذا عصمتهم فعل من أفضلي ولمن
أغفر قال فبقيت ليالي الى الصباح أستغفر الله حياء منه هذا ولو شاء الله عن وجل
ان لا يعصي في الارض طرفة عين لم يعص ولتكن افتضت مشيته ما هو موجب حكمته
سبحانه فن أجهل بالآمن يقول انه يعصي قسراً بغير اختياره ومشيته سبحانه وتعالى
عما يقولون علوأكيرا

(فصل) ومنها انه سبحانه له الاسماء الحسنى واكل اسم من اسمائه أثر من الآثار
في الخلق والامر لا بد من تربته عليه كترت البرزق والرزق على الرازق وترتب
المرحوم وأسباب الرحمة على الزاحم وترتب المرشيات والمسموعات على السميع والبصير
ونظائر ذلك في جميع الاسماء فلولم يكن في عباده من يخطيء ويدنب ليتوب عليه ويعفر
له ويعفو عنه لم يظهر أثر اسمائه الغفور والعفو والخaim والتواب وما جرى مجرها
وظهور أثر هذه الاسماء ومتعلقاتها في الخلائق كظهور آثار سائر الاسماء الحسنية
ومتعلقاتها فكما ان اسمه الخالق يقتضى مخلوقاً والنارى يقتضى مبرواً والمصور يقتضى
مصوراً ولا بد فأسماؤه الغفار التواب تقتضى مغفوراً له وما يغفر له وكذلك من يتوب
عليه وأموراً يتوب عليه من أجلها ومن يحمل عنه ويعفو عنه وما يكون متعلقاً بالحلم
والعفو فان هذه الامور متعلقة بالغير ومعانها مستلزمة لتعلقاتها وهذا باب أوسع من
أن يدركه والباب يكتفى منه باليسير وغليظ الحجاب في واد ونحن في واد

وان كان أول الواد يجمع بيننا فغير خفي شيخه من خزامه

فتأمل ظهور هذين الاسمين اسم الرزاق واسم الغفار في الخلائق ترى ما يعجب العقول
وتأمل آثارهما حق التأمل في أعظم مجتمع الخلائق وانظر كيف وسعهم رزقه ومغفرته
ولولا ذلك لما كان له من قيام أصلاً فالكل منهم نصيب من الرزق والمغفرة فاما متصل
بنشأته الثانية واما مختصاً بهذه النشأة

(فصل) ومنه أنه سبحانه يعرف عباده عزه في قضايائه وقدره ونفوذ مشيئته وجر بان حكمته وانه لا يحيص للعبد عما قضاه عليه ولا مفر له منه بل هو في قبضة مالك وسиде وانه عبده وابن عبده وابن أمته ناصيته بيده ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه

(فصل) ومنها انه يعترف العبد حاجته الى حفظه له ومعونته وصيانته وانه كالوليد العاقل في حاجته الى من يحفظه ويصونه فان لم يحفظه مولاه الحق ويصونه ويعينه فهو هالك ولا بد وقد مدلت الشياطين أيديهما اليه من كل جانب تزيد تزييق حاله كله وافساد شأنه كله وان مولاه وسиде ان وكله الى نفسه وكله الى ضيعة ومحن وذنب وخطيئة وتغريط فهلاكه أدنى اليه من شر الك نعنه فقد أجمع العلماء بالله على أن التوفيق ان لا يكل الله العبد الى نفسه وأجمعوا على ان الخدلان أن يخلي بيده وبين نفسه

(فصل) ومنها انه سبحانه يستجنب من عبده بذلك ما هو من أعظم أسباب السعادة له من استعاذه واستعناته به من شر نفسه وكيد عدوه ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتها والاتابة والفاقة والمحنة والرجاء والخوف وأنواع من كلات العبد تبلغ نحو المائة ومنها منها ما لا يدرك العبارة وإنما يدرك بوجوده فيحصل لاروح بذلك قرب خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب ويجد العبد من نفسه كأنه مقى على باب مولاه بعد ان كان نائباً عنه وهذا الذي أمر له ان الله يحب التوابين وهو نعمة الله أفرح بتوبته عبده وأسرار هذا الوجه يضيق عنها القلب والسانوعى ان يحيث في القسم الثاني من الكتاب ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فكم بين عبادة يدل صاحبها على ربه بعبادته شامخ بانقه كلام طلاق منه أوصاف العبد قامت صور تلك الاعمال في نفسه شجنته عن معبوده والهه وبين عبادة من قد كسر الذل قلبه كل الكسر وأحرق ما فيه من الرعونات والمخالفات والمخالفات فهو لا يرى نفسه إلا ميتاً كالماري ويه الاحسناً فهو لا يرضي أن يرى نفسه طرفة عين قد كسر ازدراؤه على نفسه قلبه وذلل لسانه وجوارحه وطاوطأ منه ما ارتفع من غيره فقلبه واقف بين يدي ربه وقوف ناكس الرأس خاشع خاضع غاض البصر خاشع الصوت هادى الحركات قد سجد بين يديه سجدة الى الممات فلو لم يكن من نمرة ذلك القضاء والقدر الا هذا وحده لسكت به حكمة والله المستعان

(فصل) ومنها انه سبحانه يستخرج بذلك من عبده تمام عبوديته فان تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد وأكمل الخلق عبودية أكلهم ذلا لله وانقياداً وطاعة والعبد ذليل مولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل فهو ذليل لعزه وذليل لتمره وذليل لربوبيته فيه وتصرفه وذليل لاحسانه اليه وانعامه عليه فان من أحسن اليك فقد استبعدك

وصار قلبك معبداً له وذليلأ تعبد له حاجته اليه على مدى الالافس في جلب كل ما ينفعه ودفع كل ما يضره وهذا نوع من أنواع التذلل والتعبد لهما أمر عجيب يقتضيان من صاحبها من الطاعة والفوز ما لا يقتضي غيرها . أحدما ذل الحبة وهذا نوع آخر غير ما تقدم وهو خاصة الحبة ولها بل روحها وقوامها وحقيقةها وهو المراد على الحقيقة من العبد لو فطن وهذا يستخرج من قلب الحب من أنواع التقرب والتودد والتماق والابتها والرضا والحمد والشك والصبر والتندم وتحمل العظام ما لا يستخرجه الخوف وحده ولا الرجاء وحده كما قال بعض الصحابة أنه ليستخرج حبه من قلبي من طاعته ما لا يستخرج حبه خوفه أو كما قال فهذا ذل الحبين . الثاني ذل المعصية فإذا اتضاف هذا إلى هذا هناك ففي الرسوم وتلاشت الانفس واضمحلات القوى وبطلت الدعاوي جلة وذهبت الرعوبات وطاحت الشطحات وهي من القلب والسان أنا وأنا واستراح المسكين من شكاوى الصدور والاعراض والهجر وغم الشهودان فلم يبق الاشهد العز والجلال الشهود الحمض الذي تفرد به ذو الجلال والاكرام الذي لا يشار كأحد من خلقه في ذرة من ذراته وشهود الذل والفقير الحمض من جميع الوجوه بكل اعتبار فيشهد غاية ذله وازكاريه وعزه محبوه وجلاله وعظمته وقدره ووعنه فإذا تجدد له هذان الشهودان ولم يبق ذرة من ذرات الذل والفقير والضرورة إلى ربه الاشهادها فيه بالفعل وقد شهد مقابلها هناك فنه أى مقام أقيم فيه هذا القلب اذ ذاك وأى قرب حظي به وأى نعم أدركه وأى روح باشره فتأمل الان موقع الكثرة التي حصلت له بالمعصية في هذا الموطن ما أبعدها وما أعظم موقعها كيف جاءت فحققت من نفسه الدعاوي والرعوبات وأنواع الاماني الباطلة ثم أوجبت له الحياة والتجدد من صالح ماعمل ثم أوجبت له استثناء قليل مارد عليه من ربه لعلمه بأن قدره أصغر من ذلك وأنه لا يستحقه واستقال امثال الجبال من عمله الصالح لأن سباته وذنبه تحتاج من المكفرات والماحبات الى اعظم من هذا فهو لا يزال محنتاً وعند نفسه المني المذنب منكسرأ ذليلأ خاصعاً لا يرتفع له رأس ولا يستقام له صدر وإنما ساقه الى هذا الذل والذي أورته ايامه مباشرة الذنب فاي شيء أبغض له من هذا الدواه

لعل عتبك محمود عوقيه وربما صحت الاجسام بالعمل

ونكتة هذا الوجه ان العبد متى شهد صلاحه واستقامته شمخ بأفنه وتعاظمت نفسه وظن انه وانه أى عظيمها فإذا ابتلي بالذنب تصادرت اليه نفسه وذل وخضع وتبين انه وانه اى عبداً ذليلأ

(فصل) ومنها أن العبد يعرفحقيقة نفسه وأنها الظالمة وأن ما صدر منها من شر فقد صدر من أهله ومعدنه اذ الجهل والظلم منبع الشر كلها وان كل مافيها من خير وعلم وهدى وآية وقوى فهو من رحمة تعالى هو الذي زكها به وأعطها أيام لامها فاذا لم يشأ تزكية العبد ترك مع دواعي ظلمه وجهله فهو تعالى الذي يركب من يشاء من النفوس فتركته وتناثر في أنواع الخير والبر وترك تزكية من يشاء منها فتاتي في أنواع الشر والخطب و كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكها أنت ولها و مولاها فإذا أبلى الله العبد بالذنب عرف نفسه و نقصها فرت له على ذلك التعريف حكم ومصالح عديدة منها أنه يأنف من نقصها ويجهد في كمالها و منها أنه يعلم فقرها دائمًا إلى من يتولها و يحفظها و منها أنه يستريح و يريح العباد من الرعوبات والمحاقات التي ادعاهما أهل الجهل في أنفسهم من قدم أو اتصال بالقديم أو اتحاد به أو حلول فيه أو غير ذلك من الحالات فلولا أن هؤلاء غائب عنهم شهودهم لقص أنفسهم وحقيقة لم يقعوا فيها وقعوا فيها

(فصل) ومنها تعريفه سبحانه عبده سعة حلمه وكرمه في ستره عليه و أنه لو شاء لاجله على الذنب و طتك بين عباده فلم يطلب له معهم عيش أحداً ولكن جله بستره وغشاه بحمله و قيس له من يحفظه وهو في حالته تلك بل كان شاهداً وهو يبارزه بالمعاصي والآثام وهو مع ذلك يحرسه بعينه التي لاتنام وقد جاء في بعض الآثار يقول الله تعالى أنا الجود الكرم من أعظم مني جوداً و كرمًا عبادي يبارزونني بالعظام وأنا أكلوهم في منازلهم فأي حلم أعظم من هذا الحلم وأي كرم أوسع من هذا الكرم فلولا حلمه و كرمه و مغفرته لما استقرت السموات والأرض في أماكنها و تأمل قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والأرض إن ترزاها إن أمسكهما من أحد من بعده) الآية هذه الآية تقتضي الحلم والمغفرة فلولا حلمه و مغفرته لرزاها عن أماكنهما ومن هذا قوله (تکاد السموات يتقطعن منه وتشق الأرض و تخز الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا)

(فصل) ومنها تعريفه عبده انه لا سبيل له الى النجاة الا بعفوه و مغفرته و انه رهن بمحنة فان لم يستغمه بعفوه و مغفرته والا فهو من الالذين لا محالة فليس أحد من خلقه الا وهو يحتاج الى عفوه و مغفرته كما هو يحتاج الى فضله و رحمته

(فصل) ومنها تعريفه عبده كرمه سبحانه في قبول توبته و مغفرته له على ظلمه و اساءاته فهو الذي حاد عليه باتفاقه للتوبة والبهيمة ايها ثم قبلها مامنه كتاب عليه اولاً و آخر

ذنوب العبد محفوظة بتوبه قبلها عليه من الله اذا وتنويفقاً وتوبة تانية منه عليه قبولاً
ورضا فله الفضل في التوبة والكرم أولاً وآخرأ لا له الا هو
(فصل) ومنها اقامه حجة عده على عبده لعلم العبد ان الله عليه الحجة البالغة
فاما اصحابه ما اصحابه من المكروه فلا يقال من اين هذا ولا من اين اتيت ولا بامي
ذنب اصبت فما اصحاب العبد من مصيبة فقط دقيقة ولا جليلة الا بما كسبت يداه وما
يغفو الله عنه اكثراً وما نزل بالاء فقط الا بذنب ولا رفع بالاء الابتوء ولهمذا وضع الله
المسائب والبلایا والحنن رحمة بين عباده يكفر بها من خططيتهم وهي من اعظم نعمه
عليهم وان كرهها أنفسهم ولا يدرى العبد اي النعمتين عليه اعظم نعمته عليه فيما يكره
او نعمته عليه فيما يحب وما يصيب المؤمن من هم ولا وصب ولا اذى حتى الشوكه
يشاكها الا كفر الله بها من خططيه واذا كان للذنوب عقوبات ولا بد فكلما عوقب به
العبد من ذلك قبل الموت خير له مما بعده وأيسر وأسهل بكثير

(فصل) ومنها ان يعامل العبد بني جنه في اساءاته وزلاته معه بما يحب
أن يعامله الله به في اساءاته وزلاته وذنبه فان الجزاء من جنس العمل فلن عفا عن الله
عنه ومن ساحر أخيه في اساءاته اليه ساحر الله في بيته ومن أغضى وتجاوز الله عنه
ومن استقصى استقصى عليه ولا نفس حال الذي قبضت الملائكة روحه فقيل له هل
عملت خيراً هل عملت حسنة قال ما أعلمه قيل تذكر قال كنت أباع الناس فكنت
أنظر الموسر وتجاوز عن المضر أو قال كنت آمر فتىاني ان يتجاوزوا في السكة فقال
الله نحن أحق بذلك منك وتجاوز الله عنه فلله عن وجل يعامل العبد في ذنبه بمثل
ما يعامل به العبد الناس في ذنبهم فإذا عرف العبد ذلك كان في ابتلاء بالذنوب من الحكم
والفوائد ما هو أفعى الاشياء له

(فصل) ومنها انه اذا عرف هذا فاحسن الى من اساء اليه ولم يقابلها باساءة اساءة
مثاها تعرض بذلك ثلثا من ربه تعالى وانه سبحانه يقابل اساءاته وذنبه باحسانه كما
كان هو يقابل بذلك اساءة الخلق اليه والله اوسع فضلاً واسع واجز عطاءه فلن
أحب ان يقابل الله اساءاته بالاحسان فليقابل هو اساءة الناس اليه بالاحسان ومن علم
أن الذنوب والاساءة لازمة للانسان لم تعظم عنده اساءة الناس اليه فليتأمل هو حاله
مع الله كيف هي مع فرط احسانه اليه و حاجته هو الى ربه وهو هكذا له فإذا كان
العبد هكذا ربه فكيف ينكر ان يكون الناس له بذلك المنزلة و منها انه يقيم معاذير
الخلاق و يتسع رحمه لهم ويخرج بطنه ويزول عنه ذلك الحصر والضيق والاغراف

وأكمل بعضه بعضاً ويستريح العصاة من دعائه عليهم وقوته منهم وسؤال الله أن يخسف بهم الأرض ويسلط عليهم البلاء فانه حينئذ يرى نفسه واحداً منهم فهو يسأل الله هل ما يسأله لنفسه وإذا دعا لنفسه بالنوبة والمحنة أدخلهم معه فيرجو لهم فوق ما يرجو لنفسه ويختلف على نفسه أكثر مما يختلف عليهم فإذا من حاله الأولى وهو ناظر إليهم بعين الاحتقار والازدراء لا يجد في قلبه رحمة لهم ولا دعوة ولا يرجو لهم نجاة فالذنب في حق مثل هذا من أعظم أسباب رحمة الله ومع هذا فيقيم أمر الله فيهم طاعة الله ورحمة بهم واحسانا إليهم اذ هو عن مصلحتهم لاغلة ولا قوة ولا فضالة

(فصل) ومنها ان يخلع صولة الطاعة من قلبه وينزع عنه رداء الكبر والعظمة الذي ليس له وينبليس رداء الذل والانكسار والفتور والفاقة فلو دامت تلك الدولة والعزيمة في قلبه ظيف عليه ما هو من أعظم الآفات كما في الحديث لو لم تذنبوا خفت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب أو كما قال صلى الله عليه وسلم فكم بين آثار العجب والكبر وصلة الطاعة وبين آثار الذل والانكسار كما قيل يا آدم لا تخنز من كأس زلل كانت سبب لك كيس فقد استخرج منك داء العجب وأليس رداء العبودية يا آدم لا تخنز من قولك لك أخرج منها فلك خلقتها ولكن انزل الى دار الم Jahadah وابذر بذر العبودية فاذ أكل الزرع واستحمد فتعال فاستوفه

لابوحشتك ذاك العتب ان له ٠ لطفاً يريك ارضنا في حالة الغضب
فيينا هو لا ينس ثوب الادلال الذي لا يليق بمنته نداركه ويه برحمته فتنزع عنه وأليس ثوب الذل الذي لا يليق بالعبد غيره فما ليس العبد ثوباً أكمل عليه ولا أحسن ولا أبى من ثوب العبودية وهو ثوب المذلة الذي لا يعز له بغيره

(فصل) ومنها ان الله عز وجل على القلوب أنواعاً من العبودية من الخشبية والخروف والاشفاق وتواتها من الحبوبة والاتابة وابتغاء الوسيلة اليه وتواتها وهذه العبوديات لها أسباب تهيجها وتبعث عليها فكلما قيضه رب تعالى لعبدة من الاسباب الباعنة على ذلك المريحة له فهو من أسباب رحمة له ورب ذنب قد هاج لصاحبها من الخروف والاشفاق والوجل والاتابة والحبوبة والايشار والقرار الى الله مالا يهيجه له كثير من الطاعات وكم من ذنب كان سبباً لاستقامه العبد وفراره الى الله وبعده عن طرق الغي وهو ينزله من خاطط فاحسن بسوء مزاجه وكان عنده أخلاط مزمنة قاتلة وهو لا يشعر بها فشرب دواء أزال تلك الاخلاط العفنة التي لودامت به الى الفساد والمعطب وان من تبلغ رحمة ولطفة وبره بعيده هذا المبلغ وما هو أغرب وألطف منه لحقيقة بان يكون الحب كل له

والطاعات كلها له وان يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر
 (فصل) ومنها ان يعرف العبد مقدار نعمه معافاته وفضله في توفيقه له وحفظه
 اياه فانه من تربى في العافية لا يعلم ما يقتضيه المبتلى ولا يعرف مقدار النعمة فلو عرف
 أهل طاعة الله انهم هم المنعم عليهم في الحقيقة وان الله عليهم من الشكر أضعاف ماعلى
 غيرهم وان توسدو الزتاب ومضغوا الحصى فهم أهل النعمة المطلقة وان من خلى الله
 بيده وبين معاصيه فقد سقط من عينه وهان عليه وان ذلك ليس من كرامته على ربه
 وان وسع الله عليه في الدنيا ومدّ له من أسبابها فامم أهل الابتلاء على الحقيقة فإذا
 طالبت العبد نفسه بما تطالبه من الحفظ والاقسام وأرثه انه في بلية وضائقة مداركه
 الله برحمته وابتلاء ببعض الذنوب فرأى ما كان فيه من المعافاة والنعمة وانه لانسبة لما
 كان فيه من النعم الى ماطلبته نفسه منه من الحفظ فيثبت يكون أكثر أمانة وآماله
 العود الى حاله وان يتعذر الله بعافيته

(فصل) ومنها ان التوبه توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل
 بدونها فتوجب له من الحبة والرقة واللطف وشكر الله وحده والرضا عنه عبوديات
 آخر فانه اذا تاب الى الله قبل الله توبته فرتبه على ذلك القبول أنواعاً من النعم لا يهدى
 العبد لتفاصيلها بل لايزال يتقلب في بركتها وآثارها مالم يتقضها ويفسدتها

(فصل) ومنها ان الله سبحانه يحبه ويفرح بتوبته أعظم فرح وقد تقرر ان
 الجزء من جنس العمل فلا ينسى الفرحة التي ينضر بها عند التوبه النصوح وتأمل
 كيف تجد القلب يرقص فرحاً وأنت لاتدرى بسبب ذلك الفرح ماهو وهذا أمر
 لا يحس به الا حبي القلب وأما ميت القلب فانما يحيى الفرح عند ظفره بالذنب ولا يعرف
 فرحاً غيره فوازن اذا بين هذين الفرجين وانظر ما يعقبه فرح الظفر بالذنب من
 أنواع الاحزان والظموم والغموم وال المصائب فلن يشتري فرحة ساعة بغير الابد وانظر
 ما يعقبه فرح الظفر بالطاعة والتوبه النصوح من الاتسراح الدائم والنعم وطيب العيش
 ووازن بين هذا وهذا ثم اختر ما يليق بك ويناسبك وكل يعمل على شاكلته وكل
 امرٍ يصبو الى ما يناسبه

(فصل) ومنها أنه اذا شهد ذنبه ومعاصيه وتفريحه في حق ربه استكثر القليل من
 نعم ربه عليه ولا قليل منه لعلمه ان الوسائل اليه فيها كثير على مسي مثله واستقل الكثير
 من عمله لعلمه بأن الذى ينبغي ان يفضل به نجاسته وأوضاره وأوساخه أضعف ما أنى به
 فهو دامماً مستقل لعلمه كائناً ما كان مستكثراً لنعمة الله عليه وان دقت وقد تقدم النتبه

على هذا الوجه وهو من ألطاف الوجه فعليك بتراعاته فله تأثير عجيب ولو لم يكن في فوائد الذنب إلا هذا لكتفي به فإن حال هذا من حال من لا يرى لله عليه نعمة إلا ويرى أنه كان ينبغي أن يعطي ما هو فوقها وأجل منها وأنه لا يقدر ان يتكلم وكيف يعاند القدر وهو مظلوم مع الرب لا ينصحه ولا يعطيه مرتبتنه بل هو مغرى بمعانده لفضله وكالله وأنه كان ينبغي له أن ينال الزيا ويطاً بأخصه هناك ولكنه مظلوم مبغوس الحظ وهذا الضرب من أبغض الخلق إلى الله وأشد لهم مقتاً عنده وحكمة الله تقتضي أنهم لا يزالون في سفال فهم بين عتب على الخالق وشكوى له وذل خلقه وحاجة اليهم وخدمة لهم أشغل الناس قلوبها بارباب الولايات والمناصب ينتظرون ما يقدرون به اليوم من عظامهم وغسلة أيديهم وأواناتهم وأفرغ الناس قلوبها عن معاملة الله والانقطاع إليه والتلذذ بمناجاته والاطلاع عليه بذكرة وقرة العين بخشيته والرضا به فعيادة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وبخاصة نعمته ومن جميع سخطه

(فصل) ومنها أن الذنب يوجب لاصحه التيقظ والتحرج من مصادف عدوه ومكانته ومن أين يدخل عليه المقصود والقطعان ومكانتهم ومن أين يخرجون عليه وفي أي وقت يخرجون فهو قد استعد لهم وتأهب وعرف بماذا يستدفع شرهم وكيف هم فلو أنه ص عليهم على غرة وطعانياً لهم يأمن أن يقفروا به ويحتاجوه جملة

(فصل) ومنها أن القلب يكون ذاهلاً عن عدوه معرضاً عنه مشتغلاً ببعض مهامه فإذا أصابه سهم من عدوه استجمعت له قوته وحاسمه وحياته وطلب بشاره ان كان قبله حراً كريماً كأجل الشجاع اذا جرح فإنه لا يقوم له شيء بل تراه بعدها هائجاً طالباً مقداماً والقلب الجبان المهزين اذا جرح كأجل الضعيف الملون اذا جرح ولبي هارباً والجراحات في أكتافه وكذلك الاسد اذا جرح فإنه لا يهلك فلا خبر فيمن لا مروءة له يطلب أخذ ثراه من أعدى عدوه فما شئ أشفع لقلبه من أخذته بشاره من عدوه ولا عدو أعدى له من الشيطان فان كان قبله من قلوب ازجال المتسابقين في حلبة المجد جداً في أخذ اثار وغاظ عدوه كل الغيظ وأصنامه كما جاء عن بعض السلف ان المؤمن ينفع شيطانه كما ينفع أحدهم بغيره في سفره

(فصل) ومنها أن مثل هذا يصير كالطبيب ينتفع به المرضى في علاجهم ودوائهم والطبيب الذي عرف المرض مباشرة وعرف دواهه وعلاجه أحذق وأخبر من الطبيب الذي إنما عرفه وصفاً لهذا في أمراض البدان وكذلك في أمراض القلوب وأدواءها وهذا يعني قول بعض الصوفية أعرف الناس بالآفات أكثرهم آفات وقال عمر بن

الخطاب إنما تنقض عري الاسلام عروة عروة اذا نثأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية وهذا كان الصحابة أعرف الامة بالاسلام وتفاصيله وأبوابه وطرقه وأشد الناس رغبة فيه ومحبة له وجهاً لاعدائه وتكلماً بعلامه وتحذيرآ من خلافه لكيان عالمهم بضده شاءهم الاسلام وكل خصلة منه مضادة لكل خصلة مما كانوا عليه فازدادوا له معرفة وجهاً وفيه جهاداً يعترفون بضده وذلك بمنزلة من كان في حصر شديد وضيق ومرض وفقر وخوف ووحشة ففيض الله له من نفاه منه الى فضاء وسعة وأمن وعافية وغنى وبهجة سرور فانه يزداد سروره وغبطته ومحبته بما نقل اليه بحسب معرفته بما كان فيه وليس حال هذا كن ولد في الامن والعافية والفن والسرور فانه لم يشعر بغيره وربما قيضت له أسباب تخرجه عن ذلك الى ضده وهو لا يشعر وربما ظن أن كثيراً من أسباب اهلاك والمعطوب تفضي به الى السلمة والامن والعافية فيكون هلاكه على يدي نفسه وهو لا يشعر وما أكثر هذا الضرب من الناس فإذا عرف الضدين وعلم مبادلة الطرفين وعرف أسباب اهلاك على التفصيل كان أخرى أن تدوم له النعمة ما لم يؤثر أسباب زوالها على علم وفي مثل هذا قال القائل

عرفت الشر لا لشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وهذه حال المؤمن يكون فعلنا حاذقاً أعرف الناس بالشر وأبعدهم منه فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر الناس فإذا خالصته وعرفت طوبه رأيته من أبر الناس والمقصود أن من يلي بالآفات صار من أعرف الناس بطرقها وأمكنه أن يسدها على نفسه وعلى من استند صحة من الناس ومن لم يستند صحة

(فصل) ومنها أنه سجانه يذيق عبده ألم الحجاب عنه والبعد وزوال ذلك الانس والقرب ليتحقق عبده فان أقام على الرضا بهذه الحال ولم يجد نفسه تطالبه بحالها الأول مع الله بل اطمأن وسكنت الى غيره علم أنه لا يصلح فوضعه في مرتبته التي تليق به وان استغاث استغاثة الملهوف وتلقى تلق المكروب ودعاده المفتر وعلم انه قد فاتته حياته حقاً فهو يهتف بربه أن يرد عليه حياته ويعيد عليه مala حياة له بدونه علم انه موضع لما أهل له فرد عليه أحوج ما هو اليه فعظمت به فرحته وملكت به لذته وتمت به لعمتها واتصل به سروره وعلم حينئذ مقداره فمضى عليه بالتواجذوبتي عليه الخناصر وكان حاله كحال ذلك الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهدكة اذا وجدتها بعد معاناة اهلاك فما أعظم موقع ذلك الوجود ان عنده والله أسرار وحكم ومنها وتعزيزات لاتنالها عقول البشر

فقل لغليظ القاب ويحيك ليس ذا
بعنك فادرج طالباً عشك البالي
ولانك من مدّ باعما الى جنا فقصسر عنه قال ذا ليس بالحال
فالعبد اذا بلى بعد الانس بالوحشة وبعد القرب بنار العياد اشتاقت نفسه الى لذة تلك
المعامدة سفت وانت وآمندعت وتعرضت لفححات من ليس لها منه عوض أبداً ولا سبها
اذا تذكرت ببره ولصفه وحثنه وقربه فان هذه الذكرى تمنعها القرار وتهيج منها البلايل
كما قال القائل وقد فاته طواف الوداع فرك الاخطار ورجع اليه
ولما تذكرت المنازل بالجني ولم يتعض لي تسليم المزود
تيقنت أن العيش ليس بنافي اذا أنا لم أنظر اليها بموعده
وان استمر اعراضها ولم تخن الى معهدها الاول ولم تحسن بتفاقها الشديدة وضرورتها
الى مراجعة قربها من ربها فهي من اذا غاب لم يطلب واذا أبقى لم يسترجع واذا جنى
لم يستعقب وهذه هي النقوص التي لم تؤهل لما هناك وبمحسب المعرض هذا الحرمان
فانه يكفيه وذلک ذنب عقابه فيه

(فصل) ومنها أن الحكمة الاطهية اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الانسان
وهاتان القوتان في بمنزلة صفاتي الذاتية لا ينفك عنهما وبهما وقعت الحنة والابتلاء وعرض
لليل الدرجات العلي والمحاق بالرفيق الأعلى والهبوط الى أسفل ساقلين فهاتان القوتان
لا يدعان العبد حتى ينبلجه منازل الابرار او يضعاه تحت أقدام الاشرار ولو لم يجعل الله
من شهوته مصروفة الى مأعد له في دار النعيم وغضبه حية لله ولكتابه ولرسوله ولدينه
كمن جعل شهوته مصروفة في هواء وأمنيه الماجلة وغضبه مقصور على حظه ولو
انهك محارم الله وحدوده وعطلت شرائعه وسنته بعد أن يكون هو ملحوظاً بعين
الاحترام والتعظيم والتوقير وفوز الكلمة وهذه حال أكثر الرؤساء أعادنا الله منها
فلن يجعل الله هذين الصنفين في دار واحدة فهذا صعد بشهوته وغضبه الى أعلى علية
وهذا هوى بهما الى أسفل ساقلين + والمقصود أن تركيب الانسان على هذا الوجه هو
غاية الحكمة ولا بد أن يختنقى كل واحد من القوتين أثره فلا بد من وقوع الذنب
والمخالفات والمعاصي فلا بد من ترتيب آثار هاتين القوتين عليهما ولو لم يختلفا في الانسان
لم يكن انساناً بل كان ملكاً فالترتيب من موجبات الانسانية كما قال الذي صلى الله عليه
وسلم كل بين آدم خطأه وخير الخطائين التوابون فاما من اكتشفه العصمة وضررت عليه
سرادقات الحفظ فهم أقل أفراد النوع الانساني وهم خلاصته وله
(فصل) ومنها أن الله سبحانه اذا أراد بعبيده خيراً أنساه رؤية طعامه ورفعها من

قبه ولسانه فإذا ابسل بالذنب جعله نصب عينيه ونوى طاعاته وجعل همه كله ذنبه فلا يزال ذنبه أمامه ان قام أو قعد أو غدا أو راح فيكون هذا عين الرحمة في حقه كما قال بعض السلف ان العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة ويعلم الحسنة فيدخل بها النار قالوا وكيف ذلك قال يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه كلاما ذكرها بي وندم وتاب واستغفر وتضرع وأنا إلى الله وذل له وانكسر وعمل لها أعمالا ف تكون سبب الرحمة في حقه ويعلم الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمن بها ويراهما ويعتذر بها على ربها وعلى الخالق ويستكير بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظامونه ويكرمونه وبخجلونه عليها فلا تزال هذه الامور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار فعلامه السعادة أن تكون حسنا العبد خائف ظهره وسيئاته نصب عينيه وعلامة الشقاوة أن يجعل حسنا نصب عينيه وسيئاته خائف ظهره والله المستعان

(فصل) ومنها ان شهود العبد ذنبه وخططيه موجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلا ولا له على أحد حقا فانه يشهد عيوب نفسه وذنبه فلا يظن انه خير من مسلم يؤمن بالله ورسوله وبحرم ما حرم الله ورسوله اذا شهد ذلك من نفسه لم ير لها على الناس حقوقا من الاكرام يتلقاها اياها ويدركهم على ترك القيام بها فانها عنده احسن قدرأ وأقل قيمة من أن يكون لها بها على عباد الله حقوق يجب عليهم من اعانتها أوله عليهم فضل يستحق أن يكرموا ويعظم ويقدم لاجلها فيرى أن من سلم عليه أو لقيه بوجه من بسط فقد أحسن اليه وبذل له مالا يستحقه فاستراح هذا في نفسه وأراح الناس من شكاياته وغضبه على الوجود وأهله فما أطيب عيشه وما ألم بالله وما أقر عينه وأين هذا من لا يزال عاتبا على الخالق شاكرا ترك قيامهم بمحقه ساخطا عليهم وهم عليه أسيخط

(فصل) ومنها أنه يوجب له الامساك عن عيوب الناس والفكر فيها فانه في شغل بعيوب نفسه فطولي لمن شغله عيشه عن عيوب الناس وويل لمن نسي عيشه وتفرغ لعيوب الناس هذا من علامات الشقاوة كما ان الاول من اشارات السعادة

(فصل) ومنها انه اذا وقع في الذنب شهد نفسه مثل اخوانه الخطائين وشهد ان المصيبة واحدة والجتمع مشتركون في الحاجة بل في الفرورة الى مغفرة الله وغفوه ورحمته فليحب أن يستغفر له اخوه المسلم كذلك هو أيضا يبني أن يستغفر لأخيه المسلم فيصير مشتركة رب اغفر لي ولوالدى ولامسلمين والمسامات وللمؤمنين والمؤمنات وقد كان بعض السلف يستحب لكل أحد أن يداوم على هذا الدعاء كل يوم سبعين مرة فيجعل له منه وردا لا يخل به وسمعت شيخينا يذكره وذكر فيه فضلا عظيم لا أحفظه وربما

كان من جهة أوراده التي لا يخل بها وسمعته يقول أن جعله بين السجدين جائز فإذا شهد العبد أن أخوانه مصابون بمثل ما أصيب به يحتاجون إلى ما هو محتاج إليه لم يمتنع من مساعدتهم إلا فرط جهل بغيررة الله وفضله وحقيقة بهذا أن لا يساعد فإن الجزاء من جنس العمل وقد قال بعض السلف إن الله لما عتب على الملائكة بسبب قوله (أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يَفْسَدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدَّمَاءَ) وأمتحن هاروت وماروت بما امتحنها به جعلت الملائكة بذلك تستغفر لبني آدم وتدعوا الله لهم

(فصل) ومنها أنه إذا شهد نفسه مع ربه ميئاً خاططاً مفترطاً مع فرط أحسان الله إليه في كل طرفة عين وبره به ودفعه عنه وشدة حاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه فضأً واحداً وهذه حاله معه فكيف يطبع أن يكون الناس معه كائين وأن يعاملوه بمحض الأحسان وهو لم يعامل ربه بتلك المعاملة وكيف يطبع أن يطليمه ملوكه وولده وزوجته في كل ما يريد ولا يعصونه ولا يخلون بمحققه وهو مع ربه ليس كذلك وهذا يوجب له أن يستغفر لمسيئهم ويغفو عنه ويساخه وينغض عن الاستقصاء في طلب حقه فهذه الأمصار ونحوها متى اجتتها العبد من الذنب فهي عالمة كونه رحمة في حقه ومن اجتنى منه أضدادها وأوجبت له خلاف ما ذكرناه فهي والله عالمة الشقاوة وأنه من هو أنه على الله وسقوطه من عينه خلي بينه وبين معاصيه ليقيم عليه حجية عدله فيعاقبه باستحقاقه وتداعي السيئات في حق مثل هذا وتألف فيتولد من الذنب الواحد مثاء الله من المتألف والمعاطب القبيح في دركات العذاب والمعيبة كل المصيبة الذنب الذي يتولد من الذنب ثم يتولد من الآنين ثالث ثم تقوى اللامنة فتوجب رابعاً وهم جرا ومن لم يكن له فقه نفس في هذا الباب هلاك من حيث لا يشعر فالحسنات والسيئات آخذ بعضها برقاب بعض يتلو بعضها بعضها وبغير بعضها بعضها قال بعض السلف أن من ثواب الحسنة بعدها وإن من عقاب السيئة السيئة بعدها وهذا أظهر عند الناس من أن تضرب له الأمثال وتطالب له الشواهد والله المستعان

(فصل) وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتنى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمـل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان وكان ذلك الجسر لکـماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة الأعليـة وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين النهج في حفـتمـهمـ والكرامة فصورـةـ ابـتلـاءـ وامـتحـانـ وباطـنهـ في الرـحـمةـ والنـعـمةـ فـكـمـ للـهـ مـنـ نـعـمـةـ جـسـيمـةـ وـمـنـ ظـلـيمـةـ تـحـقـقـ منـ قـطـوفـ الـابـتلـاءـ والـامـتحـانـ فـتـأـملـ حـالـ أـبـنـاـ آـدـمـ وـمـاـ آـلـتـ إـلـيـهـ مـعـنـتـهـ مـنـ الـاصـطـفـاءـ وـالـاجـتـيـاهـ وـالـتـوـبـةـ

والهداية ورفعه المنزلة ولو لا تلك الحسنة التي جرت عليه وهي اخراجه من الجنة وتوابع ذلك لما وصل الى ماوصل اليه فكم بين حالي الاولى وحاله الثانية في نهايته . وتأمل حال أينما ثانى نوح صلى الله عليه وسلم وما آلت اليه محنته وصبره على قومه تلك القرون كلها حتى أفر الله عبيه وأغرق أهل الأرض بدعوه وجعل العالم بعده من ذريته وجعله خامس خمسة وهم أولو العزم الذين هم أفضل الرسل وأمر رسوله ونبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يصبر كصبره وأنهى عليه بالشكر فقال (انه كان عبداً شكوراً) فوصفه بكل الصبر والشكر . ثم تأمل حال أينما الثالث ابراهيم صلى الله عليه وسلم امام الحنفاء وشيخ الأنبياء وعمود العالم وخليل رب العالمين من بي آدم وتأمل ما آلت اليه محنته وصبره وبذله نفسه لله وتأمل كيف آل به بذلك الله نفسه ونصره دينه الى ان اتخاذه الله خليلا لنفسه وأمر رسوله وخليلاته محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملته . وأنبهك على خصلة واحدة مما أكرمه الله به في محنته بذبح ولده فان الله تبارك وتعالى جازاه على تسليمه ولده لأمر الله بان يبارك في نسله وكثرة حتى ملا السهل والجبل فان الله تبارك وتعالى لا يذكره عليه أحد وهو أكرم الأكرمين فن ترك لوجهه أمرًا أو فعله لوجهه بذلك الله له أنت شاعف ما ترك من ذلك الامر أضعافاً مضاعفة وجازاه باضعاف ما فعله لا يجله أضعافاً مضاعفة فلما أمر ابراهيم بذبح ولده فبادر لأمر الله ووافق عليه الولد أباه رضاه منهما وتسليماً وعلم الله منها الصدق والوفاء فداء بذبح عظيم واعطاهم ما اعطياهم من فضله وكان من بعض عطياته ان يبارك في ذريتهما حتى ملوا الأرض فان المقصود بالولد انا هو التassel وتكثير الذرية وهذا قال ابراهيم (رب هب لي من الصالحين) وقال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريقي) فغاية ما كان يمحى ذر ويخشى من ذبح ولده اقطعان نسله فلما بذلك ولده الله وبذلك الولد نفسه ضاعف الله له النسل وبارك فيه وكثرة حتى ملوا الدنيا وجعل النبوة والكتاب في ذريته خاصة وأخرج منهم محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر ان داود عليه السلام أراد أن يعلم عدد بي اسرائيل فأمر بالحضارهم وبعث لذلك نقباء وعرفاء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما ياخون عدد هم فكثروا مدة لا يقدرون على ذلك فأوحى الله الى داود ان قد علمت اني وعدت اباك ابراهيم لما أمر به بذبح ولده فبادر الى طاعة أمري ان يبارك له في ذريته حتى يسرروا في عدد النجوم وأجعلهم بحيث لا يمحى عددهم وقد أردت أن يمحى عددها قدرت أنه لا يمحى وذكر باقي الحديث بفعل من نسله هاتين الامتين العظيمتين اللاتين لا يمحى عددهم الا الله خالقهم ورازقهم وهم بنو اسرائيل وبنو اسماعيل هذا سوى ما أكرمه الله به من رفع الذكر

والثناء الجليل على ألسنة جميع الأمم وفي السموات بين الملائكة فهذا من بعض ثمرة معاملته فتباً لمن عرفه ثم عامل غيره ما أخسر صفتة وما أعظم حسرة (فصل) ثم تأمل حال الكليم موسى عليه السلام وما آلت إليه سخطه وفتوته من أول ولادته إلى منتهي أمره حتى كلامها وقربه منه وكتب له التوراة يده ورفعه إلى أعلى السموات واحتمل له مالا يحتمل لغيره فأنه رمى الألواح على الأرض حتى تكسرت وأخذ بلحية نبي الله هارون وجراه إليه وعلم وجه ملك الموت ففجأ عينيه وخاصم ربه ليلة الأسراء في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وربه يحبه على ذلك كله ولا سقط شيء منه من عينيه ولا سقطت منزلته عنده بل هو الوجه عند الله القريب ولو لا مانقدم له من السوابق وتحمل الشدائيد والمحن العظام في الله ومقاسات الأمر الشديد بين فرعون وقومه ثم بي أسرائيل وما آذوه به وما صبر عليهم الله لم يكن ذلك ثم تأمل حال المسيح صلى الله عليه وسلم وصبره على قومه واحتماله في الله وما تحمله منهم حتى رفعه الله إليه وظهوره من الذين كفروا وانتقام من أعدائه وقطعهم في الأرض ومن قبهم كل مزق وسلامكم ملائكة وخر لهم إلى آخر الدهر

(فصل) فإذا جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله النبي قبله وتلذن الأحوال عليه من سلم وخوف وغنى وفقر وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله يدعوه إلى الله فلم يوشِّبْ بي ما أؤذى ولم يحتمل في الله ما احتمله ولم يعط النبي ما أعطيه فرفع الله له ذكره وقرن اسمه باسمه وجعله سيد الناس كلهم وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة وأعظمهم عنده جاهًا وأسماعهم عنده شفاعة وكانت تلك الحسن والإبتلاء عن كرامته وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً وساقه بها إلى أعلى المقامات وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالآمثل كل له نصيب من الحسنة يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له ومن لا نصيب له من ذلك شفظه من الدنيا حفظ من خلقها وخافت له وجعل خلاقه ونصيبه فيها فهو يأكل منها رغداً ويتمنع فيها حتى يتألمه نصيبه من الكتاب يتعذر أولياء الله وهو في دعوة وخفض عيش ويختلفون وهو آمن وبجزنون وهو في أهلها مஸرور له شأن وطم شأن وهو في واد وهم في واد همه ما يقيم به جاهه ويسلم به ماله وتسمع به كلمته لزم من ذلك ما لزم ورضي من رضي وسخط من سخط وهمهم إقامة دين الله واعلاء كلامه واعزاز أولياءه وان تكون المدعوة

له وحده فيكون هو وحده المعبود لا غيره ورسوله المطاع لاسواه فله سبحانه من الحكم في ابتلاء أبناءه ورسله وعباده المؤمنين ما يفتأر عقول العالمين عن معرفته وهل وصل من وصل إلى المقامات الحمودة والآيات الفاضلة إلا على جسر الحنة والابتلاء
كذا المعالى اذا مارمت ندر كها فاعبر إليها على جسر من التعب
والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين

(فصل) و اذا تأملت الحكمة الباهرة في هذا الدين القوم والملة الحنيفة والشريعة الحمدية التي لا تزال العارة كالماء ولا يدرك الوصف حسناً ولا تفترج عقول العقلاة ولو اجتمعت وكانت على أكل عقل رجل منهم فوقها وحسب القبول الكاملة الفاضلة أن أدرك حسناً وشهدت بفضلها وانه ماطرق العالم شريعة أكل ولا أجل ولا أعظم منها في نفسها الشاهد والشهود له والحججة والمحتج له والدعوى والبرهان ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها لكتفي بها برهاناً وآية وشاهدأ على أنها من عند الله وكلها شاهدة له بكل العلم وكأن الحكمة وسعة الرحمة والبر والاحسان والاصطفاة بالغيب والشهادة والعلم بالبادي والعواقب وإنها من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده فـا أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم طـا وجعلهم من أهلها ومن ارتضاهم لها وارتضاها لهم فإنهـا أمن على عباده بأن هداهم له قال تعالى (لـقد من الله على المؤمنين إـذ يـعثـرونـونـ من أنفسـهمـ يـتـلـوـ عـلـيـهـ آـيـةـ وـرـزـكـهـ وـيـعـلـمـهـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـ وـإـنـ كـانـواـ مـنـ قـبـلـ لـنـ شـالـ مـبـينـ) وـقـالـ مـعـرـفـاـ لـعـبـادـهـ وـمـذـكـرـاـ طـمـ عـظـيمـ نـعـمـتـهـ عـلـيـهـ مـسـتـدـعـيـاـ مـنـهـمـ شـكـرـهـ عـلـىـ انـ جـعـلـهـمـ مـنـ أـهـلـهـ (الـيـوـمـ أـكـلـتـكـمـ دـيـنـكـمـ الـآـيـةـ) وـتـأـمـلـ كـيـفـ وـسـفـ الدـيـنـ الذـىـ اختـارـهـ طـمـ بـالـكـالـ وـالـنـعـمـةـ الـقـيـاسـةـ أـسـبـغـهـ عـلـيـهـ بـالـقـامـ إـذـانـاـ فـيـ الـدـيـنـ بـاـهـ لـأـنـقـصـ فـيـهـ وـلـأـ عـيـبـ وـلـأـ خـلـلـ وـلـأـ شـيـ خـارـجاـ عـنـ الـحـكـمـ بـوـجـهـ بـلـ هـوـ الـكـاملـ فـيـ حـنـهـ وـجـالـهـ وـوـصـفـ النـعـمـةـ بـالـقـامـ إـذـانـاـ بـدـوـامـهـ وـاتـصـاـلـهـ وـانـهـ لـأـ يـسـلـبـهـ إـيـاهـ بـعـدـ اـذـ أـعـطـاهـمـوـهـ بـلـ يـتـهـ طـمـ بـالـدـوـامـ فـيـ هـذـهـ الدـارـ وـفـيـ دـارـ الـقـرـارـ وـتـأـمـلـ حـسـنـ اـقـرـانـ الـقـامـ بـالـنـعـمـةـ وـحـسـنـ اـقـرـانـ الـكـالـ بـالـدـيـنـ وـاـضـافـةـ الـدـيـنـ الـيـوـمـ اـذـ هـمـ الـقـائـمـونـ بـهـ الـمـقـيـمـونـ لـهـ وـأـضـافـ النـعـمـةـ إـلـيـهـ اـذـهـوـ وـلـيـهـ وـمـسـدـيـهـ وـالـنـعـمـ بـهـ عـلـيـهـ فـيـ نـعـمـتـهـ حـفـاـ وـهـمـ قـابـلـهـ وـأـنـيـ فـيـ الـكـالـ بـالـلـامـ الـمـؤـذـنةـ بـالـاـخـتـصـاـصـ وـانـهـشـيـ خـصـواـ بـهـ دـوـنـ الـأـمـ وـفـيـ اـنـتـامـ الـنـعـمـةـ بـعـلـىـ الـمـؤـذـنةـ بـالـاـسـتعـلامـ وـالـاـسـتـانـ وـالـاـحـاطـةـ بـجـاهـ أـنـمـتـ فـيـ مـقـاـبـلـةـ أـكـلـ وـعـلـيـكـمـ فـيـ مـقـاـبـلـةـ لـكـمـ وـنـعـمـيـ فـيـ مـقـاـبـلـةـ دـيـنـكـمـ وـأـ كـذـلـكـ وـزـادـهـ تـفـرـيـرـاـ وـكـلـاـ وـاتـمـاـلـ الـنـعـمـةـ بـقـوـلـهـ (وـرـضـيـتـ أـكـمـ الـاسـلامـ دـيـنـاـ)

وكان بعض السلف الصالح يقول بالله من دين لوأن له رجالا وقد ذكرنا فصلا مختصراً في دلالة خلقه على وحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله وأسمائه الحسنى وأردنا أن نختم به القسم الأول من الكتاب ثم رأينا أن يتبعه فصلان في دلالة دينه وشرعه على وحدانيته وعلمه وحكمته ورحمته وسائر صفات كماله إذ هذا من أشرف العلوم التي يكتسبها العبد في هذه الدار ويدخل بها إلى الدار الآخرة وقد كان الأولي بنا الامساك عن ذلك لأن ما يتصف الواصفون منه وتنبئ إليه علومهم هو كي يدخل الرجل أصبعه في اليم ثم ينزاعها فهو يتصف البحر بما يعلق على إصبعه من البلايل وأين ذلك من البحر ففيما يسمع ان تلك الصفة أحاطت بالبحر وإنما هي صفة ماعلق بالاصبع منه وإلا فالامر أجل وأعظم وأوسع من أن تحيط عقول البشر بأدنى جزء منه وما ذا عسى أن يصف به الناظر إلى قرص الشمس من ضوئها وقدرها وحسنها ومجائب صنع الله فيها ولكن قد رضى الله من عباده بالثناء عليه وذكر آلة وأسمائه وصفاته وحكمته وجلاله مع أنه لا يخصي شاه عليه أبداً بل هو كأنني على نفسه فلا يبلغ مخلوق شاه عليه تبارك وتعالى ولا وسف كتابه ودينه بما يبني الله بل لا يبلغ أحد من الأمة شاه على رسوله كما هو أهل أن يبني عليه بل هو فوق ما ينتهي به عليه ومع هذا أن الله تعالى يحب أن يحمد وينبئ عليه وعلى كتابه ودينه رسوله فهذه مقدمة اعتذار بين يدي القصور والتقصير من راكب هذا البحر الأعظم والله عالم بمقاصد العباد ونياتهم وهو أولى بالعدل والتجاوز

(فصل) وبصائر الناس في هذا النور الباهر تنقسم إلى ثلاثة أقسام + أحدها من عدم بصيرة الایمان جملة فهو لا يرى من هذا الصنف الا الظلمات والرعد والبرق فهو يجعل صبيه في أذنيه من الصواعق ويده على عينيه من البرق خشية أن يخطف بصره ولا يجاوز نظره ما وراء ذلك من الرحمة وأسباب الحياة الابدية فهذا القسم هو الذي لم يرفع بهذا الدين رأساً ولم يقبل هدي الله الذي هدى به عباده ولو جاءته كل آية لانه من سبقت له الشقاوة وحققت عليه الكلمة فقاده اذنار هذا اقامه الحجة عليه ليعدب بذلك لا يجرد عالم الله فيه + القسم الثاني أصحاب بصيرة الضعفية الخفائية الذين نسبة أبصارهم إلى هذا النور كنسبة أبصار الحفاس إلى جرم الشمس فهم تسبح لا يأتهم وأسلامهم دينهم دين العادة والملائكة وهم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو منقاداً للحق لا بصيرة له في اسماه فهو لاء اذا كانوا منقادين لأهل البصار لا يخالطهم شرك ولا رب لهم على سبيل نجاة + القسم الثالث وهم خلاصة الوجود ولباب بنى آدم وهم أولى البصائر النافذة الذين شهدت بصائرهم هذا النور المبين فكانوا منه على بصيرة ويقين

ومشاهدة حسنة وكاله بحيث لو عرض على عقوتهم ضده لرأوه كالليل اليم الا ود
وهذا هو الحال والفرقان بينهم وبين الذين قبلهم فان أولئك بحسب داعيهم ومن يقرن
بهم كما قال فيهم علي بن أبي طالب اتباع كل ناعق يملون مع كل صالح لم يستطعوا بنور
العلم ولم يلجهوا الى د肯 ونيق وهذا علامه من عدم البصيرة فانك تراه يستحسن التي
وضده وتدفع التي ويذمه يعنيه اذا جاءه في قالب لا يعرفه في معظم طاعة الرسول ويرى
عظيمها مخالفته ثم هو من اشد الناس مخالفة له وفيما لما أبنته ومعاداة للقائين بسننه وهذا
من عدم البصيرة فهذا القسم الثالث انا عاملهم على البصائر وبها اتفاوت مراتفهم في درجات
الفضل كما قال بعض السلف وقد ذكر الساقفين فقال انما كانوا يعملون على البصائر وما
أوتي أحد أفضل من بصيرة في دين الله ولو قصر في العمل قال تعالى (واذ ذكر عبادنا
ابراهيم واسعيل واسحق ويعتوب أولى الابدي والابصار) قال ابن عباس أولى القوة
في طاعة الله والابصار في المعرفة في أمر الله وقال قتادة ومجاهد أعطوا قوة في العبادة
ويصرأ في الدين وأعمل الناس بأبصراهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في
في العمل وتحت كل من هذه الاقسام أنواع لا يحصى مقدار خواصها الا الله اذا عرف
هذا فلقسم الاول لا ينتفع بهذا الباب ولا يزداد به الا شلالة والقسم الثاني ينتفع منه
بقدر فهمه واستعداده والقسم الثالث واليهم هذا الحديث يسايق وهم أولو الالباب الذين
يخصهم الله في كتابه بخطاب النبوة والارشاد وهم المرادون على الحقيقة بالذكرة قال
تعالى (وما ينتذر الا أولو الالباب)

(فصل) قد شهدت الفطر والعقل بأن للعالم ربا قادرًا حلّها علينا رحيمًا كاما
في ذاته وصفاته لا يكون الامر بدارأ للخير لعباده مجرّياً لهم على الشريعة والسنة الفاضلة
العادلة باصلاحهم الواقفة لما ركب في عقوتهم، من استحسان الحسن واستقباح القبيح
وما جبل طباعهم عليه من اينار النافع لهم المصالح لشأنهم وترك الضار المفسد لهم وشهدت
هذه الشريعة له بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه الحبيب بكل شيء عالماً وإذا
عرف ذلك فليس من الحكمة الالهية بل ولا الحكمة في ملوك العالم انهم يسوقون بين
من هو تحت نذيرهم في تعريفهم كما يعرّفه الملوك وإعلامهم جميع ما يعلموه واطلاعهم
على كل ما يخبرون عليه سياستهم في أنفسهم وفي منازلهم حتى لا يقيموا في بلد فيها الا
أخبروا من تحت أيديهم بالذنب في ذلك والمعنى الذي قصدوه منه ولا يأترون عليهم
بأمر ولا يضرّون عليهم بعثاً ولا يسوقونهم سياسة الا خبروهم بوجه ذلك وسيبه
وغایته ومدته بل لا ينتصرون بهم الاحوال في مطاعتهم وملابسهم وصرايهم الا وقفوهم

على اغراضهم فيه ولا شك ان هذا مناف للحكمة والمصلحة بين المخلوقين فكيف بشأن رب العالمين وأحكام الحاكمين الذى لا يشارك في عالمه ولا حكمته أحد أبداً خسب العقول الكاملة ان تستدل بما عرفت من حكمته على مغاب عنها وتعلم ان له حكمة في كل مداخلة وأمر به وشرعه وهل تقتضي الحكمة ان يخبر الله تعالى كل عبد من عباده بكل ما يفعله ويوقفهم على وجه تدبره في كل ما يريده وعلى حكمته في صغير مادرأ وبراً من خلائقه وهل في قوى المخلوقات ذلك بل طوى سبحانه كثيراً من صنعه وأمره عن جميع خلقه فلم يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً والمدير الحكيم من البشر اذا بنت حكمته وابتداه الصالح لمن تحت تدبره وسياساته كفاف في ذلك تبع مقاصده فيمن يولي ويمزى وفي جنس ملائكة به وينهي عنه وفي تدبره لرعيته وسياساته هم دون تفاصيل كل فعل من أفعاله الا ان يبلغ الامر في ذلك مبلغاً لا يوجد لفعله منفذ ومما في المصلحة أصلاً شيئاً يخرج بذلك عن استحقاق اسم الحكيم ولن يجد أحد في خلق الله ولا في أمره ولا واحداً من هذا القرب بل غاية ما تخرجه نفس المتعنت امور يعجز العقل عن معرفة وجوهها وحكمتها واما ان يبني ذلك عنها فعاذ الله الا ان يكون ما اخرجه كذب على الخلق والامر فلم يخلق الله ذلك ولا شرعاً وإذا عرف هذا فقد علم ان رب العالمين أحكم الحاكمين والعالم بكل شيء وال قادر على كل شيء ومن هذا شأنه لم تخرج أفعاله وأوامره قط عن الحكمة والرحمة والمصلحة وما يخفي على العباد من معانى حكمته في صنعه وابداعه وأمره وشرعه فيكيفهم فيه بمعرفته بالوجه العام أن تضمنته حكمة بالغة وان لم يعرفوا تفصيلها وان ذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به فيكيفهم في ذلك الاستناد الى الحكمة البدائية العامة الشاملة التي علموا ما يخفى منها بما ظهر لهم هذا وان الله تعالى بي امور عباده على ان عرفهم معانى جلال خلقه وأمره دون دقائقهما وتفاصيلهما وهذا مفرد في الاشياء أصولها وفروعها فأنه اذا رأيت الرجالين مثلاً أحدهما أكتر شرعاً من الآخر أو أشد بياضاً أو أحد ذهناً لامكنتك ان تعرف من جهة السبب الذى أجرى الله عليه سنة الأخلاقية وجه اختصاص كل واحد منها بما اختص به وهكذا في اختلاف الصور والاشكال ولكن لو أردت ان تعرف المعنى الذى كان شعر هذا مثلاً يزيد على شعر الآخر بعدد معين أو المعنى الذى فضله به في القدر المخصوص والتشكيل المخصوص ومعرفة القدر الذى بينهما من التفاوت وسيبه لما أمكن ذلك أصلاً وقس على هذا جميع المخلوقات من الرمال والجبال

والأشجار ومقادير الكواكب وهيآتها وإذا كان لا سيل إلى معرفة
 هذا في الخلق بل يكفي فيه العلة العامة والحكمة الشاملة
 فمكذا في الامر يعلم أن جمیع ما أمر به متضمن
 لحكمة بالغة وأما تفاصیل أسرار المأمورات
 والنهیات فلا سیل إلى علم البشر به
 ولكن يطلع الله من شاه من خلقه
 على ما شاء منه فاعتصم
 بهذا الأصل

(تم الجزء الاول من كتاب مفتاح دار السعادة وبابه الجزء الثاني)

(أوله فصل حاجة الناس إلى الشريعة ضرورة)

— اعمدة —

﴿ عن مطبوعات جديدة ﴾

« تطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبى وشركاه (شارع الحلوji) مصر »

اللآلئ المصنوعه في الأحاديث الموضوعه ٠٠ العلامه جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
 تمييز الطيب من الحبيب فيما يدور على السنة الناس من الحديث ٠٠ لابن الدبيع اليمني
 أسماء أهل بدر وأحد الكرام بشرحها ٠٠ للسيد محمد بدر الدين الخلبي
 الاتحاف بحب الأشراف ٠ للشيخ عبد الله الشبراوى مع حسن التوسل للفاكمي
 نذكرة الموضوعات وعن أعلم ٠٠ للإمام المحدث أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسى
 جمع الوسائل لشرح الشمائل ٠ مللا على القاري الحنفى مع شرح الشمائل للعلامة المناوى الشافى
 طبقات المدلسين (في الحديث) للحافظ ابن حجر المقلانى مع الناسخ والمنسوخ في
 الحديث لابن الجوزي الكبير
 كتاب الدييات و دقائق أحكامها (من الحديث) ٠٠ الإمام أبي بكر احمد بن عمرو البيل
 الحرز المنبع للسيوطى مختصر القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع للعلامة
 السخاوي

جواب أهل العلم والإيمان في تفاصيل آيات القرآن ٠٠ لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية
 مجموع رسائل الكبرى (٢٨ رسالة) في جزئين » »
 » » » »

مجموع سبع رسائل
 الدر النضيد من مجموعة الحميد في مسائل من ١٤ فناً ٠٠ لشيخ الإسلام امطروى حبيب السعد
 تأسيس النظر في الأصول التي عليها مدار فروع الفقه ٠٠ الإمام أبي زيد الدبوسى الحنفى
 الاشباء والنظائر الفقهية ٠٠ للعلامة زين الدين بن خيم الحنفى
 رشحات الأقلام شرح متن كفاية العلام في أركان الإسلام ٠٠ لشيخ عبد الغنى النابسى
 كتاب تعديل أركان الصلاة ٠٠ للإمام أحمد بن حنبل مع كتاب الصلاة وأحكام تاركها
 لابي عبد الله شمس الدين بن قيم الجوزيه الحنبلي
 متن الفقه الأكبر ٠٠ الإمام أبي حنيفة النعمان مع متن الفقه الأكبر للإمام الشافى

شرح الفقه الأكبر للعلامة ملا على القاري مع منه للإمام أبي حنيفة النعمان
الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية
بِوَاعِ الْبَيْنَاتِ فِي شِرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّفَاتِ ۝۝ للإمام نصر الدين الرازى
تُحَصِّلُ الْعَادِتَينَ وَتُفَصِّلُ النَّشَائِنَ ۝۝ للعلامة الراغب الأصفهانى
فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ۝۝ للعلامة ابن رشد الحفيد
ما بعد الطبيعة (من تلخيص مقالات ارسعلو) ۷ ۷ ۷

نظم الفرائد في المسائل المختلفة فيها بين الاشاعرة والماتريدية من العقائد ۝۝ لشيخ زاده
محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين من الحكماء والعلماء والتكلمين ۝۝ للإمام نصر الدين الرازى
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ۝۝ لشمس الدين بن قيم الجوزيه
الداء والدواء (في طب القلوب) المعروف بالجواب الكافي ۷ ۷ ۷
هدایة الحیاری من اليهود والنصاری ۷ ۷ ۷

جوامی النصوص ۝۝ لشيخ عبد الغنى التابسى شرح كتاب الفصوص لشيخ الأكبر مع
شرح الفصوص ملا جامي في جزئين

الفصل في الملل والتحلل ۝۝ للإمام ابن حزم القاضى مع الملل والتحلل للشهرستاني
كتاب الناسخ والمنسوخ مما اجتمع عليه واختلف فيه بين الصحابة والتبعين للعلامة
أبي جعفر النحاس التحوى مع الموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي
الإشارة والإيجاز إلى ما ورد في القرآن من أنواع الجاز ۝۝ للعلامة العز بن عبد السلام
مفتاح كنوز القرآن ۝۝ لبعض علماء الروس في القرن الثالث عشر (أكبر قاموس
للكشف عن مفردات آى القرآن)

تفسير سورة الاخلاص ۝۝ لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحد بن تيمية
الاجوبة المكية عن الاستئلة الحجازية ۝۝ للعلامة مكي أفندي بن عزوز
فقه اللغة وسر العربية ۝۝ لابي اسماعيل عبد الملك بن منصور النعالي
كتاب الخداعة (حقيقة الكشكوك) للأديب بهاء الدين العاملى
مفتاح العلوم لسراج الدين أبى يعقوب يوسف السكاكى مع اتمام الدراءة لسيوطى
الإمامى الصغرى ۝۝ للإمام أبى اسحاق الزجاج التحوى الاديب
تاریخ الأزهر ۝۝ لسعادة مصطفى بك بيرم

الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية للعلامة السويدى مع آداب مناظرة الشيعة
الحكمة في مخلوقات الله عن وجل ۝۝ لحججة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى

المقصد الأسمى لشرح أسماء الله الحسنى لحججة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالى
 فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
 حكم النظر في المتعلق
 فاتحة العلوم (في مراتب العلماء والمتعلميين)
 مكاشة القلوب (الطبعة الثانية)

الاسناد الراجحة في اواز دقائق المتنفحة لشيخ الاسلام الفاضى ذكرها الانصارى
 الحكم المتمدرج في شرح المتنفحة (باللغة التركية) ٠٠٠ للعلامة الافروزى شارح الشنوى
 سفر الخير في الرد على أهل الكتاب (باللغة التركية) ٠٠٠ للعلامة عبد الله سالم الانطاكي
 مفید النم ومبید الفم (نـ الاخلاق) ٠٠٠ للعلامة تاج الدين السبكي
 كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم ٠٠٠ للإمام أبي حاتم السجستاني
 كتاب الحماـن والاشداد ٠٠٠ لأبي عثمان عمرو بن يحيى الجاحظ البصري
 شرح ديوان زيد بن أبي شلمى والد سيدنا كعب ٠٠٠ للعلامة الاعلم الشنترى التنجوى
 المنفصل للعلامة الزمخشرى مع شرح شواعده المسمى بالمنفصل للسيد محمد بدرا الدين الحبشي
 شرح شواعده مفتى الطيب ٠٠٠ للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطى
 الفطرف والفلوفاء (أو كتاب المؤشى) لأبي الطيب محمد بن اسحاق الوشاء
 الشعر والشعراء (أو حلقات الشعراء) لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينورى
 ارشاد الام فى حكم الاحكام بين أهل الذمة لشيخ محمد بنجيت الحنفى
 المنهل العذب لكل وارد فى فضل عمارة المساجد ٠٠٠ لشيخ حسن السقا خطيب الازهر حالا
 منفلومة الكواكبى نظم من المنار وشرحه فى الفى بيت

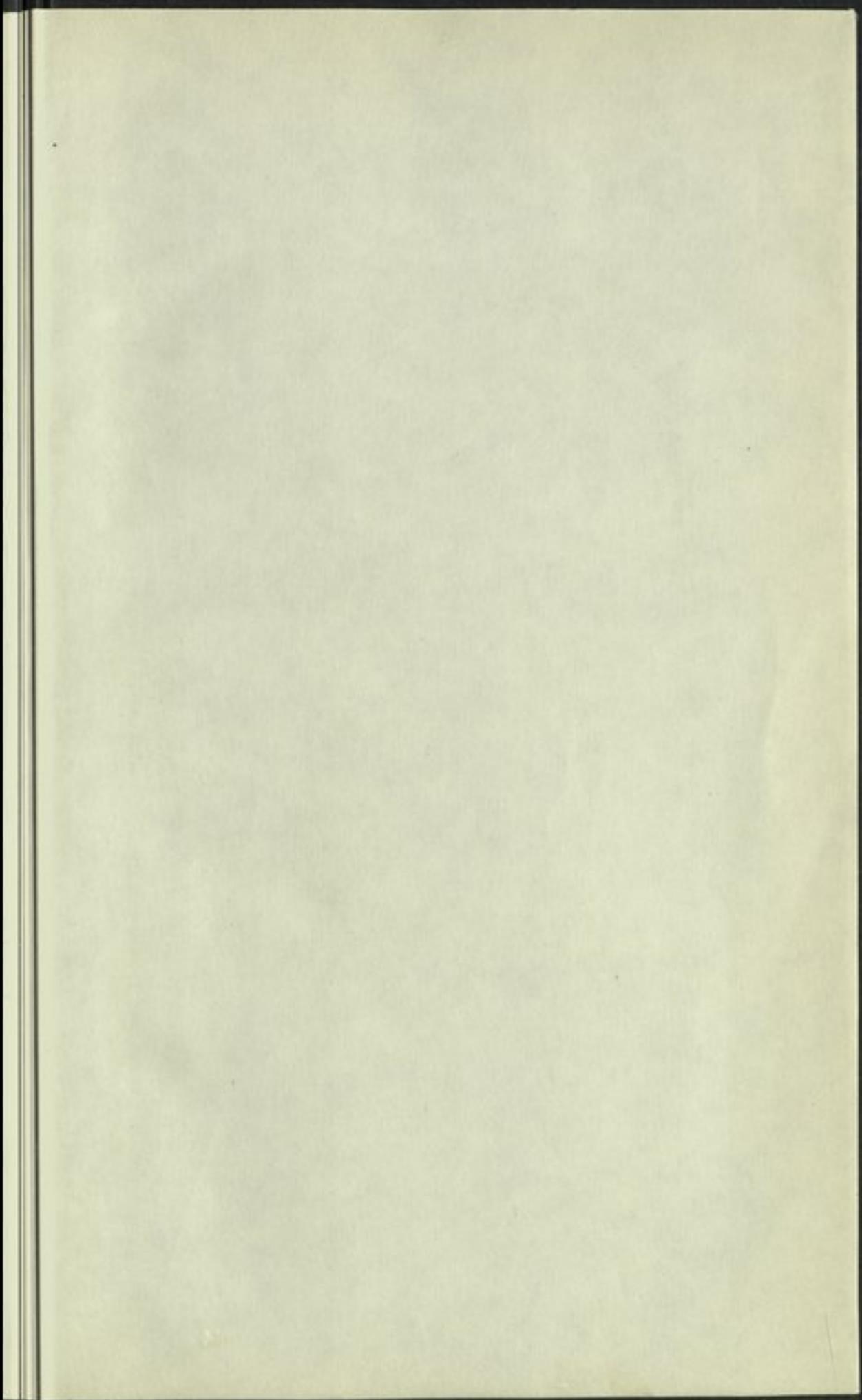


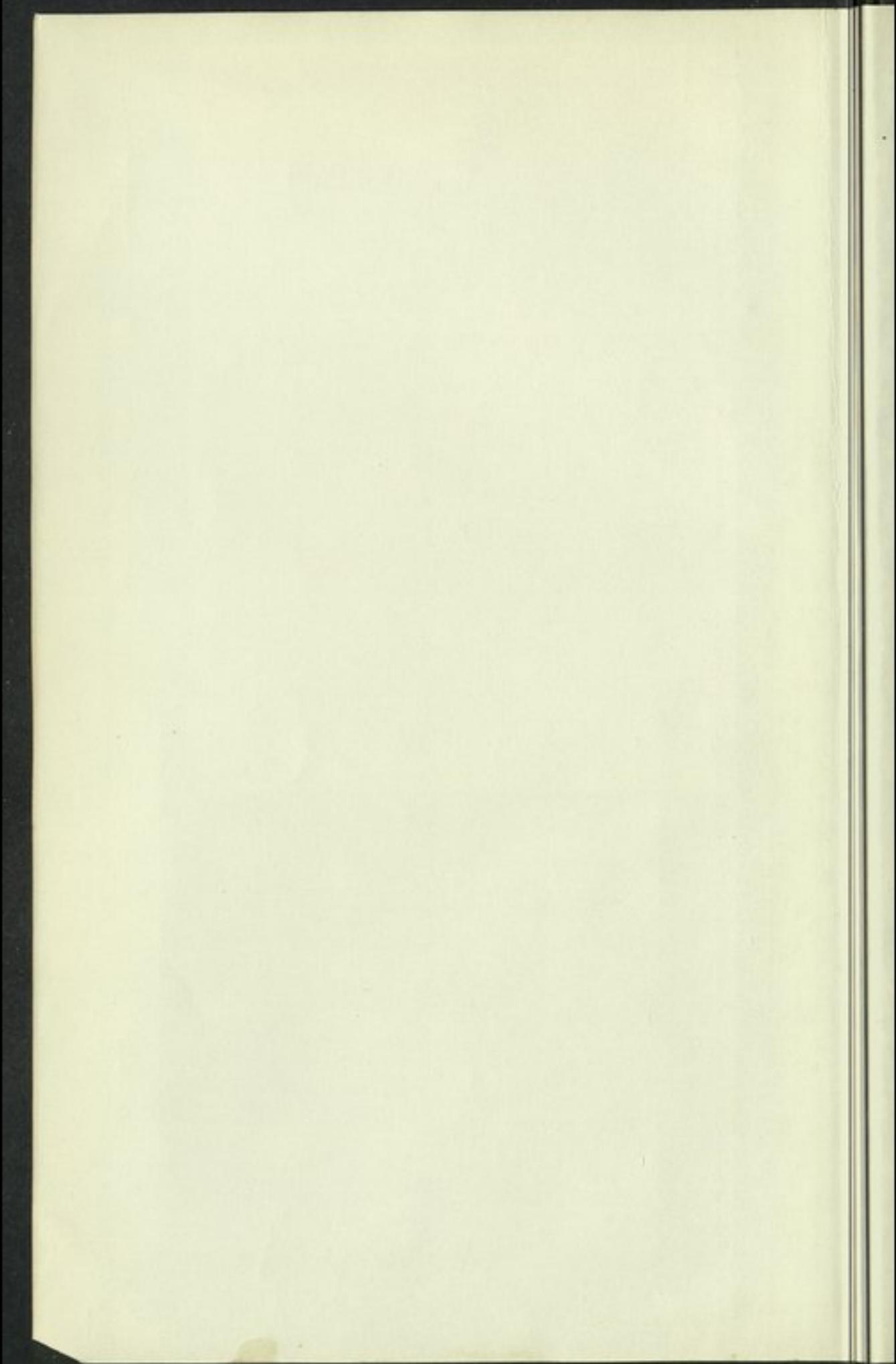
ل

ی
ک

ی
ب

ل





DATE DUE

JAFET LIB.

8 MAR 1990

30 SEP 1986

23 MAR 1987

JAFET LIB.

9 MAR 1988



A. U. B. LIBRARY

297.3:I136maA:v.1:c.1
ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن
مفتاح دار السعادة ومنتور ولذة العلم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

01009113

297.3:I136maA

v.1

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد
بن أبي بكر

297.3
I136maA
v.1

